حضارات الهند

غُوستاف لُو بون

ترجمة

عادل زعيتر

حضارات الهند

تأليف

الدكتور غوستاف لوبون

كتابٌ مصورٌ

يشتمل على ١٨٦ صورة وخريطتين
وفق وثائق المؤلف وتصويره الشمسي ورسمه وتخطيطه

نقله إلى العربية

عادل زعيتر

دار العالم العربي
DAR AL-AALAM AL-ARABI

بيانات الفهرسة أثناء النشر

(إعداد: إدارة الشئون الفنية بدار الكتب المصرية)

لوبون، غوستاف

حضارات الهند /

غوستاف لوبون؛ نقله إلى العربية عادل زعيتر

.. ط 1 .. القاهرة: دار العالم العربي، 2009.

732 ص؛ 24 سم.

1. الهند. تاريخ

أ. زعيتر، عادل (مترجم)

ب. العنوان

ديوي 954

إهــــداء الكتاب

إلى

النائب ووزير الأشغال العامة السابق ووزير المالية الحالى

مسيو سادى كارنو

اعترافًا بما شمل به بعثة المؤلف العلمية

إلى بلاد الهند من العناية

بسم الله الرحمن الرحيم

« الهندُ زُبدةُ جميع العوالم وخلاصةٌ ناطقة لجميع أدوار التاريخ وصورةٌ صادقة الأطوار المترجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة » ، « ولا يتجلَّى الماضى للسائح كتجليه فى بلاد الهند ، ولا يُحِسُّ السائح ما اعتور أجيال البشر من تطور وما بين هذه الأجيال من فروق ومن روابطَ بأحسنَ مما فى الهند ، فالسائح يعلم هنالك، فقط ، أن الحاضر منحدر من الماضى وأنه يحمل فى أثنائه بذور المستقبل » .

والهندُ تمثَّلت لخيال الأمم أرضاً لكل عجيب ، فكانت عُرضةَ المغازى الأجنبية منذ القديم ، وكان الأجنبىُّ إذا ما دخلها استقرَّ بها واستغلها استغلالاً محلياً ، فلم يُفكّر فى إخراج خيراتها منها .

وفتح الإنكليز بلاد الهند الواسعة الزاخرة بالسكان فى القرن الثامن عشر بمال الهند وجند الهند فيسلكون فى استعمارها طريق نفع إنكلترة دون الهند ، فيمتصُّون بركات الهند ليرسلوها إلى بريطانية ، وفى سبيل الهند يحتلُّ البريطان مصر فلا يجلون عنها ، وفى سبيل الهند يفصل البريطان السودانَ عن مصر ، وفى سبيل الهند يقتطع البريطانُ فى القرن العشرين جنوب الشام المعروف بفلسطين فيسمون فى تهويده مُمَثِّلين فى أهله العرب مأساةَ أندلسية ثانية ، والهندُ قطرٌ عظيم يسكنه مئات الملايين من الآدميين ، والهندُ قطرٌ عظيم يملكه الإنكليز بألف موظف بريطانىٍّ وبجيش بريطانىٍّ لا تزيد عدد جنوده على مئة ألف !

وأبحث عما وُضع فى اللغة العربية عن الهند ، فلم أجد سوى مقالات قليلة هزيلة مبثوثة فى بعض المجلات العربية ، ولم أجد سوى بضعة كتب صغيرة خاطفة لا تُسمن ولا تغنى من جوع ، فيزوعني ذلك ، فأرى أن أُتمّ هذا النقص بأن أنقل إلى العربية إحدى غُرَر الكتب المهمة التى أُلِّفت عن الهند .

وينشر العلامة الفيلسوف غوستاف لوبون سنة ١٨٨٤ كتاب « حضارة العرب » الجليل الخالد ، ويتخذ فى وضعه مِنْهاجاً لم يسبقه إليه أحد ، ويَعْرِض فيه صورة واضحة لتلك الحضارة العظيمة التى رَغِب فى بثها ، فيبدو فريداً فى بابه ، فتسير بذكره الركبان ، وتنقل هذا السِّفْر العظيم إلى العربية وننشره فى سنة ١٩٤٥ ، ويتلقاه العرب بقبول حسن .

وترسل الحكومة الفرنسية العلامةَ لوبون على رأس بعثة آثار إلى بلاد الهند ، ويجُوب لوبون الهندَ طولاً وعرضاً فتسفر بعثته إليها عن وضعه سِفْراً جليلاً خالداً آخر ، فيسميه « حضارات الهند » وينشره سنة ١٨٨٧ فيُعْدِل هذا الكتابُ « حضارة العرب » ضخامة ورَوْعة وطرافة ويُعَدُّ تَوْءماً له .

ويستعين العلامة لوبون فى وضع كتاب « حضارات الهند » بالأصول التى اهتدى إليها فى كتاب « حضارة العرب » على الخصوص ، فيُعَوِّل ، كما ذكر ، على مُحْكَم الأسانيد ، ويَعْرِض تطورات النظم الدينية والاجتماعية وعوامل هذه التطورات ، ويبحث فى الحوادث التاريخية كما يَبْحَث فى الحادثات الطبيعية ، ويبعث الأجيال الغابرة عما انتهى إليه من الكتابات والنقوش والرسوم ويَعْرِض صور لبعض آثار تلك البلاد الهائلة التى هى مَنْبِت كثير من الديانات والمعتقدات .

ويسير العلامة لوبون فى كتاب « حضارات الهند » على طريقة التحليل الفنى ، شأنه فى كتاب « حضارة العرب » ، فيوضح فيه الصلة بين الحاضر والماضى ويظل غاصاً فيه لسُنن النفس والتطور فينتهى إلى نتائج لم يَصِل إليها عالم قبله ، فيظهر هذا الكتاب للعالم بِدْعاً فى درس حضارات الهند درساً شاملاً ، ويظهر هذا الكتاب خيرَ كتاب عن الهند ، إن لم يكن من أحسن الكتب عنها ، وذلك فى بابه وروحه ومناحيه وقوة التحليل فيه ووصول لوبون فيه إلى ما نَشَدَه من الأهداف الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية الخ .

ويقع نظرى على كتاب « حضارات الهند » هـذا ، وأقرأه بالفرنسية غير مرة وأسأل : هل أُوَفَّقُ لنقله إلى العربية مُوَطِّئاً موضوعاته الطريفة ومباحثه القاسية الكثيرة الأصول والفروع التى لا عهد لنا بها ووضعها فى قالب عربىّ خالص ، ويهون الأمر لدىَّ ، بعد تردد ، خدمةً للعرب فى السياسة والعلم والأدب ، فأعزم على ترجمة هذا الكتاب إلى العربية .

وترجمتنا لهذا الكتاب التاريخى الاجتماعى السياسى العظيم حرفية ، وراعينا مبدأ حرفية الترجمة من أول الكتاب إلى آخره مع الانسجام وعدم الإبهام وسهولة المنال .

والكتابُ خاصٌ بالهند ، ويشتمل على نحو ألف من أسماء الأعلام ، وتعوّدنا كتابة هذه الأعلام منقولةً عن مؤلفات الغرب ، فنكتب فى صحفنا وكتبنا ، مثلاً ، الكلمات : بوذا ، وهيالايا ، وبومباى ، ودلهى الخ . مع أنها تُكتب بالحروف العربية فى الهند هكذا : بُدّهَة ، وهِمَالَية ، وبَمْبِى ، ودهلى الخ . وأردنا أن نكتب أسماء الأعلام التى تشتمل عليها ترجمة هذا السفر كما فى الهند ، فبذلنا جهوداً

غير قليلة للحصول على جداول خاصة من الهند وغيرها فكان ما يجده القارئ في هذه الترجمة من رسم تلك الأسماء مثل ما في الهند .

وقضينا في سبيل ذلك كله أوقاتاً شديدة ولاقينا مصاعب كثيرة يقدّرها القارئ ، ولم نر أن نضع لهذه الترجمة مقدمة مطولة ما نشرنا في آخر الكتاب فهرساً مفصلاً الموضوعات وما رأينا قيام هذا الفهرس المفصل مقام المقدمة المطولة ، وحافظنا على مظهر الكتاب كما في الأصل على قدر الطاقة ، فلم نستثن من صوره ورسومه سوى بعض ما نشره المؤلف بقصد تزيين الكتاب ، فيقوم ما احترناه منها ، وهو معظمها ، مقامه ، و يؤدى إلى الغاية التي وضعها المؤلف أمامه ، وفي الكتاب خريطتان من تخطيط المؤلف رأينا إبقاءهما على حالهما لا كتسابهما قيمة أثرية مع الزمن .

وإننا نطمع أن تمتاز هذه الترجمة ، التي لم نتجوّز فيها قط ، بالصحة والوضوح والدقة فلا يضيع فيها معنى ولا يضطرب فيها لفظ ، والله الموفق .

(ناشر الكتاب) عادل زعيتر

مقدمة المؤلف

الهندُ من الأقطار التي شَمِلَت نظر العلماء والسيّاح والمتفننين والشعراء، وأثارت فيهم حبَّ الاطلاع في كل حين ، والهندُ عالَمٌ يختلف عن عالَمنا بجوّه وهوائه وأرضه وسكانه ، ولا شَبَهَ بين ما تعرفه الهند وما يعرفه الغرب من الأصول الدينية والمبادئ الفلسفية والفنون والآداب والنُّظُم والمعتقدات .

ذلك العالَمُ العجيب هو زُبْدة جميع العوالم وخلاصةٌ ناطقة لجميع أدوار التاريخ وصورةٌ صادقة للأطوار المترجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة .

ظلّت تلك الأطوار التي جاوزها البشر دفينة تحت أعفار العصور زمناً طويلاً ، وحديثاً بدأنا نرفع السكفن السكثيف الذي يَرْقُد تحته أجدادنا ، وأخذنا نبحث أُسُس معتقداتنا ومشاعرنا وخيالاتنا .

والعلمُ لم يستطع ، بالحقيقة ، أن يُثْبِت الأطوار التي قطعها الغرب ليبلغ ما وصل إليه من المزاج النفسي والنظام الاجتماعيّ إلّا بعد أن ارتاد حَمَلَته أقطاراً كثيرةً ذات أمم متفاوتة في نشوئها وارتقائها .

وفي الأرض بُقْعَةٌ واحدة تكتنف مختلف العروق الممثِّلة لجميع تطورات الماضي تقريباً ، وتلك البُقعة هي ذلك القطر الواسع العجيب الذي وَقَفْنا هذا السِّفر لدرسه ، ففي ذلك القطر إجمالٌ لتاريخ البشر ما اشتمل على جميع الأجيال ، وفيه تجلو جميع

الحضارات حديثة أو عتيقة في عصر الأمة ، وجبه تفسير ما عثر عليه وتعليله من مختلف الصور والأحوال منذ البداءة إلى الزمن الحاضر

ويكاد يكون معقوداً أن يستطيع على تسمية حوادث تاريخ التي يطلق اسم ضرورة أنماط مضى عليه ، ولا يصدق على ذلك كثيراً من ذلك أخبار الملاحم والفتوح وأسماء الأسر ... التي ملأت كتب التاريخ إلى حد يغفل حياة الأمم الحقيقية ، ومما نحن مستكرون به هو مجرى الأخبار ومعتقدات ولك عن السائد لأحد الأجيال و ... تحفيف العوامل التي أوجبت

وفي كتاب لنا جعلناه مقدمة تاريخ الحضارات (1) بينا كثرة تلك العوامل وأن الأمم تجتاز مراحل تطور متماثلة مع تفاوت في تاريخ هذه الأمم الظاهر ، وأنه ... مراحل ... وصح بين أمثال هذه الشعوب أوجه تطور مختلفة على الخصوص

ونحن ، وإن لم نكن نعد تاريخ الهند بمعنى الصحيح ، نجد في عدد من الآثار الدينية والفنية والأدبية ... قدم ... ، وهذه الآثار من الأهمية ما ليس لقصص المؤرخين ، فمثال هذه الآثار ... الأمم ، العوش معبد هندوسي ... عن سرائر قدماء الهندوس ، وقل مثل هذا عن كتب الأديان والقصائد والأقاصيص والأساطير في الدلالة على تلك السرائر .

وفي الآثار الأدبية يجب أن نبحث عن روح الأمم ، فالشعراء والقصاصون إذا كانوا سريعي الانفعال شديدي التأثر فإنهم صادقون أثير بيئتهم ، أي ... عن

(1) كتاب (الإنسان والمجتمعات وأصولها وتاريخها) طبع في باريس ، سنة ١٨٨١ .

وعصرهم ، [illegible] والمفكرون ، و يبدون مرآة صادقة [illegible]
[illegible] الشعراء والقصاصين يشوهون ما يصفونه و يبالغون فيما يذكرون عنه ،
ولكنه يحتوى تحت ذلك التشويه وتلك المبالغة معاني كثيرة ، فالشعراء والقصاصون
[illegible] قومهم ومشاعرهم [illegible]
و يترجمون عن عواطف أممهم وعن عقائد عصرهم ومشاعره ، فلا يكون أمر أية حضارة
مجهولاً ما استوعبت ذاكرة الناس قصائد الشعراء وأقاصيص القاصين .

[illegible] الأدبية والعلمية ، ولا سيما [illegible] ، [illegible]
[illegible] هذه الآثار في [illegible] ، [illegible] في الأماكن التي ظهرت فيها
وكانت [illegible] من الاطلاع على [illegible] من [illegible]
عصرية ، [illegible] على [illegible]
ما في المكتبات من الكتب .

[illegible] فكر [illegible] عربي [illegible] الأفكار [illegible]
[illegible] والإحكام [illegible]
[illegible] ومن [illegible]
[illegible] من عدم [illegible] الأفكار [illegible]
[illegible] (
من [illegible]) عن الإصلاح عنها في التالي .

* * *

اقتصر [illegible] في مباحثهم التاريخية على [illegible] على ترجمة الأسانيد

الشكر [illegible] الكتب [illegible] التي [illegible] ماتت منذ ثلاثة قرون وتكاد [illegible] عدم [illegible] في [illegible] تكون معرفة [illegible] من دراسة كتب الأدب [illegible] معرفة الأحوال [illegible] في القرون [illegible] في عصر [illegible] من [illegible] وقرطبة [illegible]

[illegible] الكتب [illegible] على [illegible] في [illegible] شعر الأعراب [illegible] عن [illegible] القديمة [illegible] لأنه [illegible] الدول من [illegible] بحث عن [illegible] ... [illegible] آداب [illegible] (١) [illegible] (٢) [illegible] الكتب [illegible] التي لا تعرف الكتاب تحفظ أفكار الأمم

[illegible] في البحث [illegible] كثير من [illegible] في [illegible] الأدب العربي [illegible] ذلك على وضع [illegible] مؤلفات [illegible] في الموضع [illegible] في [illegible]

(١) [illegible] (٢) [illegible] الموضع [illegible] الأصنام [illegible]

ولا مراء في أن الحكومة الإنكليزية [illegible] خاصة [illegible] ذلك الغرض،
غير أن هذه [illegible] على الخصوص ، ولم
[illegible] سوى [illegible] من الآثار [illegible] هذه الآثار [illegible]
[illegible] وجود [illegible]

[illegible] ضرورة [illegible] تلك الآثار [illegible] الأوربيون الباحثون عن
[illegible] على [illegible]
الآثار في [illegible] هذه الأيام [illegible] من تلك [illegible] في
[illegible] في قرون كثيرة [illegible] حدث في مدينة
[illegible] مثلاً [illegible] على ذلك [illegible] بالآثار ،
[illegible] في [illegible] التي كانت [illegible]
هذه المدينة

[illegible] على البحث [illegible]
[illegible] على ما [illegible]
[illegible] في [illegible] مع أنهم
[illegible] في [illegible]
الإنكليز [illegible] الأ[illegible]

[illegible] ، [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] على [illegible] لا [illegible]
هذه الأفكار في [illegible]

المحسنة كالتي تُبعث في عصور الجاهلية والإيمان ، وليس لدينا ما يحول دون إقامة أهرام وكنائس قوطية في زمن البخار والكهرباء .

و [illegible] أدركت بالآثار القديمة القيمة الفنية والأثرية لكل عهد [illegible] في [illegible] هذه الآثار [illegible] ، [illegible] على وضع [illegible] على [illegible] منه صورة موضحة ، [illegible] في هذا السفر .

وقد [illegible] على [illegible] ، [illegible] تاريخ [illegible] على أساس متين ، فقد [illegible] في [illegible] وهو [illegible] في المقاطع التي [illegible] الباحثون إلا [illegible] ، [illegible] قبل ، [illegible] [illegible] في [illegible] ، في ذلك [illegible] لما له من دراسة البلاد أن [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] لا [illegible] في [illegible] المذاهب [illegible] التي وضعت [illegible] [illegible] ، في [illegible] ، وأوضحت كيف [illegible] الديانة في البلد الذي [illegible] به غياباً لم يجد العلماء له حلًّا قبلنا .

و[illegible] في هذا الكتاب بالأصول التي [illegible] في كتب [illegible] ، ولا [illegible] كتاب « حضارة العرب » ، [illegible] على [illegible] [illegible] وعرضت تطورات [illegible] [illegible] والأسباب وعوامل هذه التطورات ، و[illegible] في الحوادث التاريخية كما [illegible] في [illegible] الطبيعية ، ودرسنا المذاهب [illegible] [illegible] لذلك كله منهج خاص .

و[illegible] لأصول [illegible] من الوصول إلى ما في مبادئ [illegible] [illegible] والديانة

والاجتماعية ممتدة من الماضي البعيد الغابر وإلى إظهار ما تلاه القديم الآتي من الجبروت والتقديس .

* * *

وللقارئ فائدة عظيمة واضحة من الاطلاع على أحوال الهند الحاضرة فضلاً عن عوامله التاريخية والفلسفية والدينية التي تخفى من دراسة ماضيها ، فمن المهم أن نعرف في هذا الزمن ، الذي يتحدث الناس فيه عن الاستعمار ، كيف استطاعت أمة أوربية أن تسيطر بأقل موظف وبأقل جندي على إمبراطورية مؤلفة من ٢٥٠ مليون شخص ، وقد أتيح لي ما أتيح لي من الصلات بأكابر موظفي الإنكليز في الهند ما هداني إلى أن أطلع على دقائق إدارة هذه المملكة التي لا تعرف أوربة عنها إلا قليلا

وهنالك أسباب ، أهم من تلك على ما يحتمل ، تدعو إلى البحث في شؤون هذه الجزيرة ، فقد قربت الوسائط التي تصل قلب الشرق بغربه بفعل الكهرباء والبخار ، والشرق والغرب ، على ما بينهما من وجود هوى عميقة بينهما في الحياة والتفكير حتى أمسى جارين ، وقد تعرف وتحضر من دور خطر في الصراع الهائل الذي سيقع في عالم الصناعة ، لا في ميدان القتال ، بين أمم محصورة في كفاءاتها متوسعة مقدورة في حاجاتها نمواً عظيماً ، فتحيق الخطر فيه بالغرب ، وإن شئت فقل محصورة ، فما هي نتائج هذا الصراع ؟ وإلى أي مدى تدوم على سطح الأرض من الأسلحة المادية والثقافية ما ستصوبه فيه ؟ تلك هذه مسائل من الأهمية ما لا يجوز أن يسكت عنه في هذا الكتاب

فتح حضارات الهند ، التي تصب ، في قنطرة لمن يذر إلى الأبد ، من هو نوع معنوي أيضاً ، على مجهولات هائلة

ولا يخفى [illegible] هذه الكتابات التي هو [illegible] في [illegible]
[illegible] الأطوار [illegible]
[illegible] القديمة
[illegible] كبير في
[illegible]

أجل، لقد [illegible] تلك الأجيال الغابرة [illegible] إلينا من الكتابات والنقوش
[illegible] التي هي [illegible] كبير من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكيف يمكن وصف
تلك الديار الساحرة التي أقامت الجبال [illegible] حولها نطاقاً أبدياً من التموج،
[illegible]
[illegible] في [illegible] الصلاة
[illegible] في [illegible] تلك المعابد
[illegible] الأصنام الحجرية التي
[illegible] إرث الأموات؟
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الأول

البيئات

الفصل الأول

الأرض والأجواء

[illegible]

١ – وصف بلاد الهند العام

[illegible] في [illegible] الحجبة [illegible] كما
[illegible] على [illegible] أعظم [illegible] من جبال هائلة ، ومن بحور ذات
[illegible] (١) ، ويكون [illegible] حدوده
[illegible] الأجنبية التي [illegible]
ولا تزال بلاد الهند الأرض المقدسة [illegible] التي حكى عنها [illegible]
الأقدمون ، ووصف بلاد الهند [illegible] كصورة [illegible]

(١) بقراءة : السكيرة [illegible]

الكثير من [illegible] في غضون القرون ومع ما نعلمه من سهولة المواصلات الحديثة التي [illegible] جميع العوائق وقربت بها كل المسافات، فلا تجد طريقاً مهماً يمر من جبال هملايه. ولا تجد سبيلاً سهلاً على سواحلها، فبلاد الهند هي، في الحقيقة، أكثر البلاد عزلة وأصعب [illegible]، ولم [illegible] شعب قديم تعرض أن يخرج منها بعد أن استوطنها.

وتلوح بلاد الهند [illegible] أنها خلاصة العالم [illegible]، ففي الهند كل الأجواء [illegible] الكثيرة، حيث يكون الحر شديداً إلى الغاية في سهول [illegible] وسهول [illegible] السحاب [illegible] في [illegible] [illegible] نجود[1] [illegible] وأعطته من الثلوج [illegible] في [illegible] [illegible]، ومن جرى السيول مسرعة في [illegible] السهول [illegible] [illegible] أوربة ووادي السند [illegible] [illegible] في الرمال [illegible] من أكبر الأنهر الكبيرة [illegible].

[illegible] بلاد الهند [illegible] الرائعة والغورمن [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] نهر [illegible]، وعلى الأودية [illegible] الواقعة من [illegible] [illegible]، وعلى [illegible] لا نظير له في الدنيا من الشعاب [illegible] [illegible] على [illegible] كشمير [illegible] [illegible] العالم.

و[illegible] تلك الظواهر الطبيعية التي [illegible] [illegible] الطبيعة في الهند [illegible] وعظيم [illegible] و[illegible] توزيع المياه، فقد نجم عن ذينك السببين

(١) النجود: جمع نجد، وهو المكان المرتفع من الجبال.

أن نشاهد في سير واحد وأن نحصى الأماكن والأحوال في مسافة غير مساعدة لا تزيد على بضعة كيلومترات مع عضال بعض أشدها عن بعض ذلوف الواضح في خريطة العالم

فلذلك نرى أن نعرف ، قبل كل شيء ، ارتفاعات بلاد الهند وأهم مجاريها وعدد هذه المجارى وقيمتها ، وسنضيف إلى ما نعلمه من صور بلاد الهند وأنهارها شيئاً في توزيع أمطارها وسرعة رياحها الموسمية ، فليس للهند لقرار نعوتها حاضر ذو شأن لا من أهمية ما يجرى فوق ترابها

وبلاد الهند مربعة الأضلاع مقسومة إلى مثلثين متقاربين ذوى قاعدة مشتركة ، فقمة المثلث الشمالي هي ذروة جبال الهملايا الذى هو من أعظم جبال العالم ، وقمة المثلث الجنوبي هي ذروة جبال كمارى ، والخط الذى يعد قاعدة مشتركة للمثلثين هو الوهدة الضيقة الممتدة من خليج كمبى إلى نهر الكنج فيجرى فيها نهر نربدا ونهر سون اللذان يتجه أحدهما إلى الغرب والآخر إلى الشمال الشرقي

ومن تجريد شبه الجزيرة وحدها ما تحده من تلك القسمين الطبيعيين لبلاد الهند ، من بعض شبه ، نصف سلسلة جبال ومدها في شمال تلك الوهدة وسلسلة جبال في جنوبها ، ثم تحول ثلاثة حواجز دون غزو الأجنبي للقسم الجنوبي من بلاد الهند براً على الأقل ، ونرى أن شواطئ هذا القسم الجنوبي ست أقل صلاحاً للدفاع من تلك الحواجز الثلاثة

ونأتي من المثلث الشمالي « هندوستان » الخصبة المقصودة بذكر هذه الكلمة ، التي تعني « بلاد الهندوس » ، في أقدم أقاصيص الإغريق

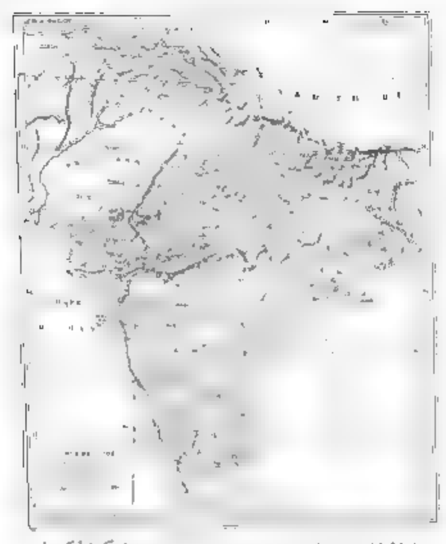

[illegible] وفيها ذكر للأمكنة الطرية
على الإدريسي ، وتعادل كل درجة عرض نحو ١١٩ كيلو متراً)
(من عمل المؤلف)

[illegible] بالأمر الواضحة في وراده [illegible] غير أنه لا تتمّ بها على علاقة هذا [illegible] اشتقاق اسم « الهند » [illegible]

والأمر [illegible] الأمر [illegible] عجيب [illegible] الذى أطلقه الإغريق على وادى السِّنْد .

[illegible] الهندوستان [illegible] بلاد [illegible] الجنوبي منها

٢ — الهندوستان

[illegible] أكبر [illegible] الهندوستان من [illegible] التي هي أعلى [illegible] في الكرة الأرضية [illegible] الهندوس إلى [illegible] وتبدو هذه [illegible] في مجموعها كمخروط ضخم مائل [illegible] الأعلى عن ستة آلاف متر [illegible] آلاف متر، وتحد

[illegible] ذلك [illegible] سبع [illegible] من الشواهق [illegible] بصل [illegible] إلى ثمانية آلاف متر أو [illegible] آلاف متر .

[illegible] في [illegible] من [illegible] ، و [illegible] عرض [illegible] [illegible] أمم [illegible] والمع [illegible] ، ثم [illegible] [illegible] معقد [illegible] من [illegible] [illegible] على ذرى [illegible] أو [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإبداع .

[illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible] في [illegible] على [illegible] [illegible] أخرى [illegible] [illegible] على [illegible] ، و [illegible] الأخرى [illegible] التي هي [illegible] [illegible]

وشغل حسن هبنالة أن تر له ما حسعل بصحة و سنة ، ومن أسوء من أقامته العصبة بين بلد أو منفى ، ومن المعروف أن يحصر طه من أرض شيء هند العامه وأودية لحبوب الناصحة العصبة سوء في أمر المسكن أو في أمر الطبائع والأخلاق .

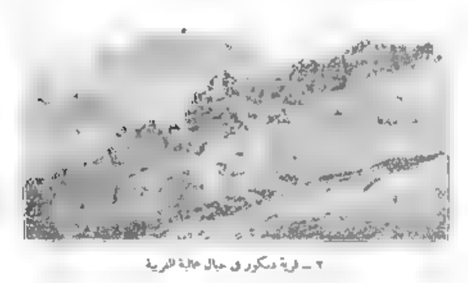

٢ — قرية دمكور في جبال غالبة الغربية

ولا يرجع هند باحسن عبر طرقي قصص ، وهم طرق رجلًا وصرق د رجبيع انفاقمات على طرق حسن هبنالة ، وهد إلى أنك تصادف من حين وآخر سائحًا أو تاجرًا مخاطرًا عبر من النقب إلى وادي المنح واضعًا متاعه حصصه أحيانًا ، على ظهر ثور أو مثل صاحب لحمار أي حيوان آخر على محاورة مسارب وعرة مفتوحة عمه كأنها تنقر في منحدرات تلك الجبال .

وتكون تلك المسارب على حافة نهر في الغالب ، بيد أنه ليس على في لمائه بين

[illegible] أعناق [illegible]

[illegible] على خذول[1] الشعر أو بواسطة [illegible][2]

[illegible][3] [illegible]

[illegible]

[illegible] أنه يذرّ المحاربة الكرمة [illegible]

[illegible] الطبيعة حول بلاد [illegible] والفول والأعشاب وغيرها [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] شكل

[illegible]

[illegible] كبيرة [illegible] وفي هذه القمة [illegible] من
[illegible] الأصلي [illegible]
في [illegible] الأعلى [illegible]
[illegible] على هذه [illegible]
[illegible] الأرض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

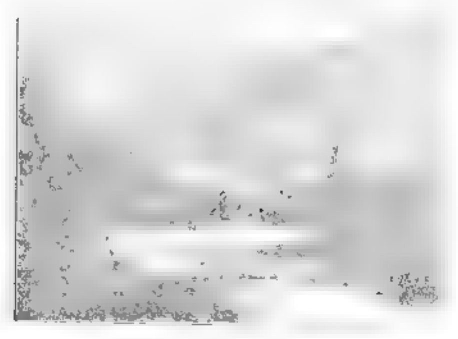

٣ ـ منظر في وادي [illegible] ([illegible] كشمير)

[illegible]

عند منابع جبال كماوى وجبال غروال التى هى أحرى الحلقات المحيطة بشمال الهند

ويحيط بتلك الحلقات سهل الهند الكنجى الذى تخترقه المجاري الخصيبة منه ، ويمتد هذا السهل [illegible] نحو خليج البنغال من جهة ونحو بحر العرب من جهة أخرى ، [illegible] وادى السند ووادى الكنج ذلك السهل [illegible] مختلفين [illegible] الاختلاف [illegible] ، [illegible] لا [illegible] فى الجنوب جبال [illegible] وفى [illegible] ، [illegible] لا [illegible] يكون غير [illegible]

ووادى الكنج هو من أكثر بقاع الأرض سكاناً وخصباً وغنى ، ولا نقول مثل هذا عن وادى السند الذى [illegible] على [illegible] [illegible] جديدة ، [illegible] [illegible] يجرى أحدهما [illegible] [illegible] بالنسبة إلى هذه [illegible] ، [illegible] [illegible] التى يحاذيها روافد لا [illegible] [illegible] البنجاب [illegible] الهند [illegible] الكنج [illegible] التى [illegible] ، وكلما [illegible] [illegible] الجبال [illegible] مياهه وقلت روافده [illegible] كثير [illegible] الرمال وعجز عن [illegible] ، [illegible] كانت مقاطعة البنجاب ذات الأنهر الخمسة خصيبة ثم [illegible] هذه الأنهر الخمسة [illegible] واحداً متوجهاً وحده إلى الجنوب الغربى تاركاً عن [illegible] أراضى واسعة [illegible] كثيبة

ومن المحتمل أن كان جميع وادى السند فى غابر الأزمان مغموراً بالبحر فجعل منه البحر [illegible] ، ونرى أن سهول شمال الهند وطبقات الجنوب من أسفل همالية قد تكونت حديثاً [illegible] كانت الصخور [illegible] والألواح البحرية فى أواسط

جبالُه وما وراءها وقد كانت أقسام جبالِه المركزية وحدها مؤلفةً من الصوّان والجلاميد المتحولة .

ومثلُ ما تحوّل فتم هضبته من بقايا سنن البحر ومن رواسب سبح على مُسكك سده البحر مهجات تلك الجبال رمَ طويلا

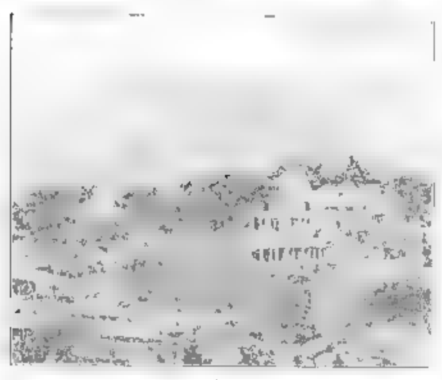

٤ — منظر في جبل آبو (راجبوتانا)

وشغل ميلانس جنس الصخور الكبيرة ، مسدة من جنس هند مه في سطحه متحتس هند ، البحر مركسبة ومتعرها ، وقد كان صب تا سسله سح ه الى أن هد فيه ... روسة اسح ومحسب سحر ... سح حسم الصحور متزحزح سكون بين الدور خبوه حتى الأين والدور خبوه حتى الثالث ، عند عن تقسم تموج البحر

موجود [illegible] الأمثلة [illegible] القديمة [illegible] على شكل عجيب [illegible] به مصر [illegible] [illegible] كانت مسورة بالحصون [illegible] الصخور [illegible] [illegible] [illegible] وذلك [illegible] [illegible] في السحاب [illegible] كهذه من [illegible] [illegible] كما حدث في [illegible]

[illegible] كهذه ثم [illegible] [illegible] وذهبًا .

[illegible] أهمية كبيرة [illegible] [illegible] أي الغرق [illegible] [illegible] خالص [illegible] مع مر القرون

٣ — [illegible]كن

[illegible] في [illegible] العصور [illegible] [illegible] الأمواج [illegible] محيطة به ، ثم [illegible] هذه الأمواج عن شواطئه [illegible] القديمة من [illegible] بين أربعة متر وستمئة متر .

وفي الاسكندرية [illegible] ومن أجلهم وبالعروف التي تقيم [illegible]

[illegible] الأول من الشواطئ [illegible] على [illegible] الغرب وشمالة على

[illegible] كوروميليو ومسكندر [illegible]

[illegible] على [illegible] وسعة [illegible]

[illegible] كبان [illegible]

[illegible]

[illegible] كن على البحر كبائنات الغربية وكبائنات

الشرقية [illegible] كبائن [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible] البحر [illegible] التي

[illegible] الشرقية [illegible]

[illegible] كبائن [illegible] على الشاطئ [illegible] أكثر من ١٢٠٠ متر ، وهي

[illegible] على [illegible] الأمواج [illegible] الجلاميد

حيث يضيق الشاطئ في بعض الأمكنة ، و [illegible] من [illegible] ويجري البحج(١)

[illegible] ، و [illegible] كبائن [illegible] ، وهو الذي

[illegible]

(١) البحج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين .

[illegible] كهف [illegible] في الجنوب ، فكان [illegible] هذا الأثر [illegible] أقل [illegible] من ذلك ، وكان [illegible] بعرف [illegible] عيرى ([illegible]) من [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] ([illegible]) [illegible][1] بأن كهفت التي هي أم [illegible] فيها [illegible] السلسلة رأس كارى

[illegible] كهف [illegible] من [illegible] في [illegible] كالى [illegible]

[illegible] شرقية على [illegible] الشمال وقت [illegible] ريح [illegible] سلام ، [illegible] كهف [illegible] في [illegible] ، وذلك لأن الإعصار [illegible] في [illegible] الشمس الأحمر من [illegible]

[illegible] على البحر في وقت قريب من دوره ، ثم [illegible] ارتفاع هذه الشواطئ ، [illegible] على حدوث عكس ذلك في [illegible] من [illegible] ، [illegible] أن [illegible][2] [illegible] في [illegible] الفتح [illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] (٢) [illegible] ، وهي جمع [illegible]

لامواج و [illegible] العرب [illegible] تحت الزجاج(1) مع سهولة تميل حافاتها

ولا يكون للسائح [illegible] في هذه [illegible] التي ستروح حجارة [illegible] كبير في [illegible]

الأمان [illegible] من الأمطار الغزيرة التي تتساقط في كل سنة من هذه الحجارة

[illegible] في كثير من الأمكنة [illegible] ثم [illegible] وظهور أودية تؤدي كثرة

مياهها [illegible] من [illegible] واد [illegible]

و [illegible] في [illegible] العروبة [illegible] وأن [illegible]

[illegible] في [illegible] الخندق العميق الذي

[illegible] في [illegible] وتحدها فيما سكان

[illegible] الأعمى

ورأس [illegible] هو أقصى [illegible] في [illegible] جزيرة سيلان [illegible]

[illegible] جزيرة سيلان ولا أن ندرس

[illegible] عن [illegible] وجغرافية الجزائر القريبة من الهند

[illegible] في أرض الهند [illegible] تشكل الهند

[illegible]

[illegible] جزيرة سيلان [illegible] مساحتها [illegible] عشرة مديرية فرنسية ،

[illegible] جزيرة [illegible] جزيرة سيلان [illegible] متوجهة سلسلة من الجزائر

التي [illegible] وسرعتها ، فتترك [illegible] سلسلة الجزائر [illegible] من

[illegible] وأكمة [illegible] العمق [illegible] وبعد ثلاثة معابر فقط

---

(1) [illegible] في [illegible] .

عند السد الطبيعى ، وجعل أحد هذه الفروق الزمن الأخير صالحاً لسير السفن [illegible]

وفى [illegible]

[illegible]

و [illegible] أحدها فى الشمال حيث السهول التى [illegible] فى حوض حيث حمال ، ودزوة [illegible] دم [illegible] ٢٢ متر [illegible] أعلاها ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] تخريج [1] [illegible] عن الأنطار ، ونشأت هذه الجزر [illegible] بشكل [illegible] ، ويبدو كل واحدة منها على شكل [illegible] وتكتسى تلك الجزائر المختلفة شكل [illegible] وجميع [illegible]

٤ — وصف [illegible] السكبير

[illegible] الأحر [illegible] ولا [illegible] إلا فى كل [illegible] فصلا

[illegible]

[illegible] وتحقق في الفصل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأهواز (١) [illegible]

[illegible] وأحياناً بأسره في بعض الأحيان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]
الباب يبطنه سطحاً : أغلقه ورده

ويقع نهر الجنج ، كأكثر روافده ، في [illegible] ، ويجري [illegible] قبل أن [illegible] في السهل ، ويقع منبع نهر الجنج من [illegible] [illegible] ، [illegible] زهاء [illegible] من [illegible] [illegible] التي [illegible] ارتفاع [illegible] على أربعة آلاف متر ، ويعد الهندوس من [illegible] [illegible] والحال التي [illegible] الخطوة الأولى [illegible] ، فيطوف الهندوس [illegible] يستطيع أن [illegible] درجة مهما أصابه من تعب.

ولا [illegible] الهندوس ، [illegible] في ذلك [illegible] [illegible] من [illegible] ، [illegible] الهندوس الذي كانوا [illegible] دون [illegible] [1] حتى [illegible] ، ذلك الاقدام [illegible] على الأرض [illegible] [illegible] عدد [illegible] ذلك [illegible] المقدس.

و[illegible] [illegible] السيلان [illegible] [illegible] «[illegible] الالهي» ، [illegible] هناك [illegible] الهندوس كثيرا ، [illegible] [illegible] دون ذلك ، وذلك في شهر [illegible] من كل سنة [illegible] الألوف من [illegible] حول هؤلاء الذين قد [illegible] عددهم مليونين أحيانا ، ولا [illegible] هؤلاء [illegible] عن [illegible] مع ذلك ، [illegible] من [illegible] الزعج والضيم.

وتقع [illegible] ، التي هي من أكبر روافد نهر الجنج ، من [illegible] جبالية عبر

(١) [illegible] وهو الطريق الضيقة.

بعيدة من منبعه ، وتقدّس جنّة كالمنبع نفسه تقريباً ، وفي كهف [illegible]

[illegible]

وتشتمل [illegible] على شكل [illegible] في الضفة اليسرى من النهر عند مخرجه من [illegible] ، وبنارسُ هذه هي المدينة المقدسة بالمعنى الصحيح ، وهي مركز الهند الديني وعاصمة البرهمية .

وكان من [illegible] الهندوس لنهر الكنج ، [illegible] لأغراض [illegible] على الإنكليز حين [illegible] وسير السفن نحوه [illegible] وهذه القناة التي سيرت من هردوار ومشت إلى كاونبور هي أعظم قنوات العالم التي من وجه أن [illegible] من كثير تراب كافية [illegible] حفر قناة السويس

ولم يكن الإنكليز أقل شغلاً من الهندوس حين حاولوا منعهم من [illegible] على نهر الكنج ، فالهندوس يمارسون هذه العادة [illegible] من مراقبة قاهريهم ، ويقوم ذلك على وسط الليث [illegible][1] [illegible] الأمواج [illegible] شكلهم[2] [illegible] الأرواح السابحات على وجه الماء الأسمر[3]

وتنظم تحفة قبل أن نتكلم [illegible] الكنج [illegible] المدينة التي نذكر منها جنّتيل وسيندها .

ويتجه نهر الكنج إلى الجنوب الشرقي [illegible] أن يجمع [illegible] ، ثم [illegible]

---

(١) [illegible] (٢) [illegible]
[illegible] (٣) الأسمر [illegible]

تشرف على [illegible] ، [illegible] التي [illegible] و[illegible] السرى [illegible] كبيرة
[illegible] ، [illegible] وكرمى

[illegible]

و[illegible] منطقة [illegible] في [illegible] الى [illegible] على الأرض [illegible] في [illegible] ، ولا [illegible] منطقة [illegible] ، و[illegible] الإنسان بنفسه إذا ما جابها .

ويبدو [illegible] خضرة [illegible] و[illegible][1] في [illegible] الجوية [illegible] عن حالة رطوبة شديدة

(١) الوابل : المطر الشديد

[illegible]

[illegible] أكثر بلاد الدنيا تمراً ودراً .

[illegible] ساحله في فصل القيظ [illegible]

[illegible]

[illegible] وملاحيه بدقة ، ويتحول نحو كل [illegible] شاطئه الكبيرة التي ينصب [illegible] البحر وما يحيط به هذه [illegible] من الجزر [illegible] ، وبذلك [illegible] التي [illegible] الكبيرة ، [illegible] العيد ، ومدينة [illegible] وحده [illegible] التي [illegible] في كل [illegible]

[illegible] اليوم سوى خرائب وأطلال دات أدغال[8] .

[illegible]

وينقسم نهر الفتح في جزئه الأعلى شعب عديدة بقرب من منبعه ، ومن أهم الشعب التي هي من أهم هذه الشعب نهر [illegible] التي هي [illegible] الحبيسة ، و [illegible] التي هي أكثر تلك [illegible] من [illegible] التي تمر من [illegible] باسم هوكي [illegible]

و [illegible] الفتح [illegible] في جميع الشمال [illegible] في [illegible] في [illegible] التي هي [illegible] وفي [illegible] ، [illegible] من [illegible] الأكثر من الموثق واكر [illegible] (١) التي يرجع عنها(٢) [illegible] ثم يهمل فيسمع له جلجلة كصوت المدافع

و [illegible] من [illegible] التي [illegible] نهر الفتح [illegible] مثل الأنوف من الأمطار سكبة [illegible]

ويظهر أن [illegible] من أن [illegible] على حساب البحر ، وأن [illegible] الفتح [illegible]

و [illegible] كذلك [illegible] نهر السند العظيم الذي يجرى إلى الشاطئ الآخر من شبه جزيرة الهند حاملاً [illegible] من الرمال ، و [illegible] لا [illegible] مع [illegible] في [illegible] تلك الهوة

ويبلغ طول مجرى نهر الفتح ٢٤٣ كيلومتراً

وادى [illegible] على وادى السند عن وادى الفتح [illegible] وحدة و [illegible] وعمر

---

(١) [illegible] وهو [illegible] (٢) [illegible] السيل وارتفاعه

[illegible] التي عصابة على قمة الهند أكثر من نصفه ، ويكون معزولا عن [illegible]
[illegible] من رياح محاذية للمنطقة [illegible]

[illegible] لأ [illegible] هي السحاب ، [illegible] الأنهر [illegible] الذي [illegible]
[illegible] في الهند ، وفي [illegible]
[illegible] الأنهر [illegible] على الحقول [illegible]

ويكون [illegible] في الصيف [illegible] ولا يكون [illegible]
[illegible] هو موجود ، [illegible]
[illegible] كما [illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible] (1) [illegible] ولا [illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible] المعنى [illegible]
[illegible] ويكون [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible] أن [illegible]
[illegible] على [illegible] كبيرة [illegible] على [illegible] من [illegible] شدة [illegible]
[illegible] على [illegible] في بعض الأحيان

(1) [illegible]

و [illegible] من الشرق إلى الغرب مسافة غير قصيرة فيتعشى [illegible]، [illegible] موجةً إلى جنوب، ثم [illegible] عن [illegible] كان [illegible] هو [illegible].

و [illegible] على [illegible] وامتد كان [illegible] الإيه طويلة [illegible] إلى حدود [illegible].

[illegible] من الأنهار [illegible] لأنهار في [illegible] الأنهار [illegible]، [illegible] كبرة، و [illegible] لا [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] عديدة [illegible] على [illegible].

و [illegible] في [illegible] من [illegible] كبيرة [illegible] في ذلك إلى [illegible] كما [illegible] في [illegible] وامتد [illegible] كبيرة و [illegible] مسوحه [illegible] السبح [illegible].

و [illegible] نحو الغرب فصلاً عن [illegible] أمواجه[1]، و [illegible] كان [illegible] وأنه كل شيء [illegible] أكثر [illegible] الأ [illegible] كانت أصلح [illegible] هي [illegible] اليوم، و [illegible] على ذلك [illegible] القديمة لتلك [illegible] الأمم [illegible] الأمم [illegible] كما [illegible] في الوقت

(١) الأمواج: جمع الموج وهو منعطف الوادي.

[illegible] ، ولم جاء في تلك الكتب القديمة وصف لأنهر [illegible] وسعة [illegible] غير موجودة في [illegible] ، وقد [illegible] عليه تلك الكتب [illegible] كان نهر [illegible] [illegible] في [illegible] السند [illegible] على [illegible] الإلاهية ، مع أنه يختفي [illegible] في رمال [illegible] كثير من المجاري والى [illegible] في [illegible] وقع تحت الأرض [illegible] ذلك من الآثار التي [illegible] في [illegible] من [illegible] السكان الذي [illegible]

و [illegible] السند [illegible] نهر [illegible] ويبلغ طول مجراه ٢٩٠٠ كيلو متر

و [illegible] وطول مجرى [illegible] ١٢٨٠ كيلو متر [illegible] ٧٠٠ كيلو متر

ويقع نهر [illegible] في جبال [illegible] التي هي [illegible] سريعة نحو البحر ، وذلك في مجرى [illegible] ، ولا [illegible] الكبيرة [illegible] فيكسب [illegible]

[illegible] الضيح ، [illegible] من الأمريكي [illegible] في [illegible] عالية قادرة ، وكان من [illegible] على [illegible] في كل من [illegible] الأسلحة [illegible] بقوة السلاح

ويصب نهر [illegible] في خليج كنبي غير بعيد من مصب نهر [illegible] الأقل أهمية والأكثر سعة، وتقوم مدينة سورت على مصب نهر [illegible]، فتدفع عنها مياهه بالأسداد المحكمة.

ويقع [illegible] نهر [illegible] في [illegible] نهر [illegible] تنحدر من الجبال المحيطة بسهول كجرات فتصب في خليج كنبي، وأهم هذه الأنهر الثلاثة نهر [illegible] الذي يبلغ مجراه ٥٣٠ كيلو متر، ونهر [illegible] الذي تمر من مدينة أحمد آباد الشهيرة فلا يزيد طول مجراه على ٣٠٠ كيلو متر.

أودية الدكن — لا [illegible] نهر من [illegible] في [illegible] كبرى من شواطئ [illegible] الغربية من [illegible] لا تكون به مياه منحدرة [illegible] الجنوب الغربي الموسمية.

ويتكون [illegible] الذي ينبع في شرق جبال [illegible] هناك [illegible] كبيرة، وينبع بعض روافد كاويري من غرب جبال كهات.

والنهر الذي ينبع في جنوب [illegible] ذو غدران كثيرة تحاذيه شاطئ البحر [illegible] بعضها بعض، ويتألف من هذه الغدران قناة صالحة للملاحة، [illegible] بعض السير في [illegible] على السير في البحر المحيط، وتكاد مدينة كوجين وتراسكور تتم بها.

أودية [illegible] الشرقي — لا أنهار كثيرة في الدكن غير التي تجري شرقاً إلى

خليج سنعان ، ومن هذه الأنهار نهر ... ويكا الذي يرى بعد مصب نهر الفيح والذي ينحدر من عالف جون ... ويصب في البحر بعد أن يسير ٥٠٠ كيلومتر

وبعد مدى البلع طوله ٨٣٠ كيلومتراً هو أهم الأنهر بعد ذلك ، فإذا ... هو النهر ... طوله ٥٥٠ كيلومتراً وهو الذي طوله ٦٥٠ كيلومتراً ... لا تقع في ساحل أوربة ذات واسعة تمتد تحت البحر في مسافة بعيدة ... بها .

وتنصب ترسب ... التي تحركها مثل الأمطار ومياه الفيضان ، وتحمل الأنهار ... في ... إلى ... التي ...

وحدثت بالقرب من مصب نهر ... بحيرة ... في ... قناة بالبحر

وكانت أطراف ساحل أوربة التي تحوله شعاب ... كثيرة ، فكان ... من نوع سكانه ووحشيه ، فإذا ... ساحل أوربة من ... ، أحسن ... ، يحكى ... الفيضان ، وساحل أوربة ... من الأحداث والاسو ... البحر في الماضي ... لا تصوره ... من الشعب والصخر ، وساحل أوربة هذا أصيب في سنة ١٨٦٦ بإعصار خرّب قراه وأهلك ١٢٠٠٠٠٠ شخص من سكانه ، وذلك بعد فيضان ... على ... رديه

ولجهد ... والصود ، لكي يدفعوه ... الأمداد ... جيوش ... وضع ... أمطار الرياح الموسمية المؤدية إلى ... الأنهر في بعض

أوقات السنة ، وذلك كالحواجز التي صنعت في مصاب مهانَدِي وعوداوري وكرشنا لتحويل المياه ، عند الفيضان ، [illegible] الترع المصنوعة ، [illegible] [illegible] على [illegible] كل وحده .

[illegible] ولدى [illegible] منوله ١٤٤٠ [illegible] منوله ١٣٠٠ كيلو متر ، [illegible] منوله ٥٧٠ كيلو [illegible] لدى [illegible] منوله ٧٥٥ [illegible]

[illegible]

و [illegible] في مجرى [illegible] ولا [illegible] ، و [illegible] من [illegible] خمسة [illegible] من الشرق إلى الغرب .

[illegible] بين حضارتين ، فتذهب إلى المنطقة الجنوبية منه [illegible] في درس طبائع الشعب [illegible] ليُبصر أنها أقلُّ صلةً بالعناصر الغربية مما في أيِّ مكانٍ آخر .

[illegible] كرشنه [illegible] ولم [illegible] كرشنه [illegible] مختلف [illegible] الشعوب الدراويدية القديمة .

[illegible] التجار [illegible] هي بلاد [illegible] حقيقية ، تلك هي البلاد التي [illegible] الشمس حرارة [illegible] في أبازيرها وتوابلها [illegible]

[illegible] على الوصول إلى جنوب الهند [illegible] على البحر [illegible] جزيرة الهند ممتدة من [illegible] سهل [illegible] وكنائسه [illegible] هذه [illegible] الإنسان وعمله

ومع [illegible] « Bonne Baie » الفرضة الصالحة » ، كما قيل ، [illegible] صعوبة ، فإذا كانت هذه الفرضة [illegible] من أرصفة ، ولا [illegible] مدارس [illegible]

عرض البحر ويرسل ما يحمله من العروض والأمتعة والركاب إلى البر في قوارب أو أطواف[1] لا يسير فيها الحجاج من غير خطر ، واليوم تشتمل مدراس على رصيف يبلغ ٣٣٥ مترًا مع حواجز عبر مرة [illegible] ، ويمكن القول في حد صحيح [illegible] لم [illegible] الاقتراب من كلكتة في أي زمن ، وعموم سلامة مينائها للموج وسلامة [illegible] البحري هو على الصحيح [illegible] على مُتَّصل الأعوام .

ويندر [illegible] على بعد مرافئ صغيرة صالحة لإيواء مراكب ويحتوي جميع سواحل الهند [illegible] ، ولم [illegible] في جميع الشمال ، و[illegible] بين [illegible] وادي كودافري ، [illegible] الرسو على مسافة ستة كيلو متر .

٥ — الأجواء

بلاد الهند من أشد بلاد الدنيا حرًّا ، واختلاف بلاد الهند في الارتفاع يجعل لكلٍّ منها جوًّا خاصًّا ، فيستطيع السائح أن يقطع فيها درجات متباينة من حرارة في بضعة أيام .

ومثل هذه الانتقالات يُلاحظ في جبال هملايه على الخصوص ، فيبعث تنوع النبات وتعدد ذرى تلك الجبال الرائعة بتفاوت منحدراتها جوّ معتدل كجوّ فرنسة وإسبانية ، ويكاد سفوحها تتمتع بحرارة دائرة الانقلاب الصيفي .

وحدُّ الذي يثبت الثلج فوقه من جبال هملايه عالٍ ، ويتراوح ارتفاعه بين

(1) الأطواف جمع الطوف وهو قطع خشب تشد معًا كهيئة سطح ويركب عليها في الماء أو تحمل عليها الأثقال .

[illegible]

[illegible] الخليج ، وفي ذلك القسم الغربي [illegible]

[illegible]

ولا [illegible]

[illegible] ٢٥ و ٣٠ و ٥ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ودرجتي [illegible] أمثالها .

[illegible]

[illegible] ما فيها من عنب

البلوط والزيتون والأشجار المثمرة [illegible] في الغرب

وفي البلد نواح كثيرة [illegible] من الروعة ، وأهمها [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ما [illegible] الصيف ، وما غردت الطيور

[illegible] ... في [illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible] بين درجة [illegible]

[illegible] ٥٢ [illegible]

[illegible] أقصى درجة البرد وأقصى درجة [illegible] في

[illegible] الأحوال فيها أكثر مما في غيرها .

[illegible] الصيف و [illegible] ،

[illegible]

[illegible] ، ولكن

مياه[1] البحر [illegible] ، وهي تترجح بين ٢٦ و ٢٨ درجة [illegible] في جميع

[illegible]

[illegible]

[illegible] من

[illegible] ، و [illegible]

[illegible] لا [illegible] من

[illegible] ، أي الذي [illegible] في [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] لا [illegible] في

[illegible] ، [illegible]

(1) [illegible]

[illegible] العسافة فيحجب [illegible] لم [illegible]

[illegible]

هنالك [illegible]

[illegible]

[illegible]

في نتائجها

[illegible]

ونبدة[1] فاشية [illegible] الأفق [illegible] على [illegible]

[illegible] وصف الأمر [illegible]

[illegible]

[illegible] الأسود[2] [illegible][3] [illegible]

الأرض [illegible] الأمر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كل [illegible]

[illegible] والذي [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible] على [illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible]
السحابة السوداء (٤) الثلاثية : [illegible]

ذلك هو [illegible] ، [illegible] حدث في [illegible] الغربية ، ولا يحدث مثله في [illegible] الأخرى [illegible] والأحوال [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقيظ الصيف في أشهره الثلاثة .

[illegible]

[illegible] وكستها منظراً ساحراً عجيباً خاصاً بها .

(١) [illegible]

[illegible] كان ذلك وهي أقوى [illegible]
[illegible] في [illegible] هذه [illegible] وفي [illegible]
أو ثلاث مرات ، وهي إذ [illegible]
[illegible]

والرياح الموسمية [illegible] التي [illegible] لا [illegible]
[illegible] من جميع [illegible]

[illegible] في [illegible] مكان [illegible]
[illegible] الكثيرة ما تبلغ مساحته
أحياناً مساحة الأراضي الزراعية التي [illegible]

وحينما تسكن الرياح الموسمية [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] حيث [illegible]
[illegible] لأمطار [illegible] في سنة
١٨٦١ على [illegible]
[illegible]

[illegible] تغيراً تاماً ، فهي إذ [illegible]
[illegible] إلى الشمال [illegible] في [illegible]

(١) [illegible] : [illegible] في الأرض .

[illegible] إلى [illegible] [1] [illegible] [2]

ولا [illegible] السن [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] على الأرض

[illegible] الخير والبركة [illegible]

هو قوام [illegible] الإنسان

ويرى الإنسان في [illegible]

فالمطر [illegible] عليه ، بالحقيقة [illegible]

[illegible] [3] [illegible]

[illegible] والجفاف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(1) [illegible] (2) [illegible] (3) [illegible] جمع الحيوان — ٤ [illegible] : [illegible]

وفي [illegible] على [illegible] الأعصر [illegible]

[illegible] الأعصر من العصر [illegible] ومن ذلك

[illegible] في سنة ١٧٨٩ [illegible] من [illegible] في [illegible]

[illegible] ومن ذلك [illegible]

في سنة ١٨٦٤ [illegible] على ذلك [illegible]

ذلك الطراب الذي تعرّض له جُرْزِشِنْدَر [illegible]

[illegible] لينعذر دفعه .

وفي عدرالي جُرْزِشِنْدَرَين ملك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الموت [illegible] على [illegible]

[illegible]

ولا [illegible] مع ذلك [illegible] لا [illegible]

في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قول [illegible] الأولى [illegible]

والـ[illegible] ، و تعصف حبوبه الـ[illegible] فيه بعضه والـكـسح ، ولا يبقى من حبوبه الثالث فيها حيزاً .

وهنا [illegible] وصفه وصفة [illegible] [illegible] مجرد [illegible] الأخير [illegible] [illegible] وهـ[illegible] كل ويكثر فيه الراحي [illegible] التي [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] الأعناب من عناصر [illegible] ، فهي تكون كثمات لا تقتضي [illegible] من [illegible] كبير جهود ، ولا [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] و[illegible] ، [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] حيث [illegible] تكون [illegible] ، [illegible] [illegible] الفاتحين ، مستعدة لتقبل بأوامر الغالبين

الفصل الثاني

وصف مناطق الهند العام

الحدود الطبيعية لمناطق الهند [illegible]

(١) عالية الهضبة [illegible] وسكو [illegible]

[illegible] المؤثرات [illegible] والتبتية [illegible] الصحيحة في مناطقه [illegible]

[illegible] طبيعة سكانه — (٣) أودية [illegible]

[illegible] وادي كشمير —

[illegible] وراجبوتانا والسند الخ .) — أوديتها —

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حدود [illegible] على [illegible] ، كأن [illegible] أو [illegible]

[illegible] وحكومة [illegible] ، والضرورات السياسية تؤدي ، في

الغالب ، إلى تذليل تلك الحواجز وتبديل [illegible] ، ولم ينجم عن الفتح أو الحلف ،

مع ذلك ، [illegible] جزيرة الهند (الهندوستان والدكن) الذين

[illegible]

[illegible] في الأحوال [illegible] والحاصلات والشعوب والطبائع والعادات

وأهل [illegible] الذين [illegible] من القيظ والحر [illegible]

[illegible] وأشد [illegible] من أهل الجنوب ، [illegible] الذين يسكنون المناطق الجنوبية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

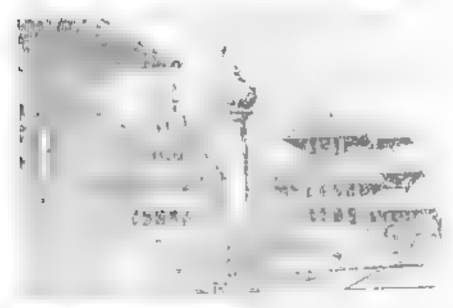

[illegible] ([illegible]) [illegible] للسد الكبير ، التي [illegible] في هذه الصورة [illegible] في مكان آخر من هذا السفر)

[illegible] الجبال [illegible] وتحت [illegible]

[illegible]

[illegible] طبيعي [illegible]

[illegible] (1)

ويبدو في [illegible] شمالي [illegible] ، وتطلع [illegible] على وادي [illegible] الطويل جبل [illegible] [illegible] الكتل الحديدية اللامعة [illegible] [illegible] ونشاهد من السهل [illegible] الجبال [illegible] [illegible] الأرض [illegible] الشاهقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

وحتى إلى حدوده [illegible] وفيه في شمال جبل [illegible] ، فهو يختلف [illegible] [illegible] ، كما تعدد الخنازير ، حيوانات [illegible] من فوقهم [illegible] الأ[illegible] [illegible] الأعلى على ما [illegible]) [illegible] والعنف

[illegible] كثيرة ، وبعض هذه [illegible] [illegible] قبيلة [illegible] [illegible] شمالي [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] لسوى نقل الحطب وأعمال الري .

[illegible] على [illegible] [illegible]

[illegible] على [illegible] ، [illegible] مع ذلك [illegible] [illegible] في [illegible] العروق [illegible] هي منطقة لا [illegible] من [illegible] [illegible] عروق [illegible] وطبائع وعادات .

[illegible] دولة [illegible] التي [illegible] ، ولا [illegible] عاصمة [illegible] ، ولا [illegible] هذه الدولة عن [illegible] ، وهي ذات طابع [illegible] خالص .

[illegible] سلطنة [illegible] ، [illegible] الإقامة [illegible] أكثر أيام السنة ، ومن دولة [illegible] القديمة [illegible] الإنكليز [illegible] ، فجعلوا منها مديرية وجعلوا من

[illegible] مع [illegible] ومنسقة [illegible] في فصل القيظ ، [illegible] الواقعة في [illegible] كان [illegible] أرطوبة [illegible] ، [illegible] سوق [illegible] [illegible] وأهل [illegible] والموصة

و [illegible] الفاصل [illegible] ، وتقع على [illegible] [illegible] ، وتقسم إلى ثلاث مناطق [illegible] [illegible] ، [illegible] ولا [illegible] ، [illegible] [illegible] ، [illegible]

٣ — الدمان

في [illegible] من [illegible] ، ويرى الناظر [illegible] من النبات الريكى (1) الزاهر حيث [illegible] ، ويرى في أثناء الفيضان من الماء [illegible] الذي [illegible] [illegible]

ومن [illegible] في [illegible] [illegible] ، [illegible] التي [illegible] ولا [illegible] الواقعة [illegible]

(١) الريان [illegible] .

[illegible] الأرض [illegible](١) [illegible] على عمق قدم أو قدمين .

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأمور التي تشق الشلال [illegible] كما حدث

[illegible]

مدينة عوه ، وهم مدن تشبه مدينة كنكه التي هي عاصمة الإمبراطورية
الإسكندرية القديمة ولي هي أعظم مراكز [illegible]
وهي [illegible] مختلفة ، [illegible] في هذه القصور [illegible]
[illegible] ، [illegible] الأول من خلاصة [illegible] القرون التي سكن [illegible]
وجمع ذلك [illegible] العرب [illegible] مصر [illegible] ، [illegible] السواحل
بالهند [illegible] [illegible]
من [illegible]

٣ — أوذمة

[illegible] أوذمة ، [illegible] من أبعد [illegible] الأرض ، في شمال [illegible]
[illegible] ، [illegible] في جو السهل ، و[illegible]
سكانها [illegible] سكان [illegible] كثيرة ، [illegible] عرقهم [illegible] القوي من
[illegible] كبيرة ، [illegible] الوجه [illegible] اللون ، ولا
[illegible] أوذمة ، [illegible] عجيبة ، ولا [illegible]
[illegible] ، [illegible] يتطرق [illegible] أهلها [illegible]
وفي أوذمة [illegible] من الأراضي [illegible] ، [illegible]
بالأسعار [illegible] لاستخراج [illegible] ، وفي أوذمة [illegible]
[illegible] علاقات [illegible]
على قطعة [illegible] من أوذمة [illegible] على [illegible]
[illegible] كثيرة من [illegible] القصة [illegible] خطرة [illegible]

وفي [illegible] أوذقة [illegible] ، وفي قصيدة السعد [illegible] [illegible] في وقت الحاضر ، جاء في ديوان الإمامة .

[illegible] على [illegible] كثيرة [illegible] [illegible] موقعها [illegible] .

[illegible] الأسم [illegible] [illegible] على [illegible]

[illegible] [illegible] أهمية كبيرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٤ — [illegible] (كشمير)

وادي كشمير أصل من قطر أوذقة [illegible] ولا يعادله سوى منطقة [illegible] [illegible] [illegible] .

وتحتوي [illegible] على حيوانات [illegible] ذات [illegible] رائعة [illegible]

[illegible]

[illegible] ٨٦٦٠ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فلا تقل غرابة عن تلك

[illegible]

[illegible]

كشمير [illegible] حال [illegible] وبيضاً ، و[illegible] [illegible] مشهورة في أسواق [illegible] الشرق

[illegible]

[illegible] الشالات الكشميرية [illegible] تلك البلد زمناً طويلاً ، ثم نقصت أهميتها لتقلب الأزياء في أوربة ، ولكن أهالي ذلك البلد وجدوا في صياغة [illegible] يشغلهم

[illegible] في [illegible] ولا [illegible] التي اتخذت بجو الواضحة على [illegible] على [illegible] على [illegible] لذاخ وبالتي من أجزائها سياسياً .

و [illegible] الوادى كله [illegible] المطر [illegible] الصحب [illegible] على هذا الوادى [illegible] علاقة حدث [illegible] [illegible] الذى حدث قبل ظهور الإنسان فى الدنيا .

٥ — [illegible]

يشمل وادى السند على [illegible] والكجرات والسند ، ويسمى هذا الوادى بالهند الإسلامية لسيطرة [illegible] المسلمين عليه ولما احتوته من أمثال التى أثمرت عنها الحضارة الإسلامية .

[illegible]

[illegible]

الذين يظلان منفصلين عنها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فلا تحتوى على غير مراع صغيرة فقيرة

[illegible]

[illegible] راكبون خيلا او رجالا [illegible]

[illegible]

[illegible] لا بعد غياب الشمس

ويقع في جنوب كجه شرقي وغربه[2] [illegible] جزيرة كتيور [illegible] التي هي جزء من ولاية الكجرات سياسياً

والكجرات من أمهات بلاد الهند [illegible] التي هي [illegible] ولست [illegible] كتيور مجهولة لدى [illegible]

(1) [illegible] (2) [illegible] قطعة من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

معلم الرائع الساحر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التي [illegible] إلى الناظر من بعيد أنها حصون وأبراج [illegible]

تغيير [illegible] الإنسان فيها مما شاده يد الطبيعة.

وتقع ولاية [illegible]

[illegible]

[illegible] اشتمالها على معابد منحوتة أعجب ما في

[illegible]

[illegible] في ولايات [illegible]

[illegible]

٦ — ولايات الهند الوسطى وساحل أوريسة

[illegible] بولايات [illegible]

(١) الآطام: جمع الأطم وهو الحصن.

وتوصف هذه [illegible] بحيواناته ونباته وموقعه الجغرافي ، وقد هذا القسم [illegible] لا تبعد ، ومنذ [illegible] في القرن الثاني عشر [illegible] على محاورته إلا [illegible] حوله ، وبقي [illegible] ثلاثين سنة مجهولاً [illegible] الوسطى

وتتألف [illegible] من [illegible] يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠ و ١١٠ متر ، وتتخللها أودية ومجاري عميقة ، وتظهر [illegible] التي هي أعلى [illegible] مقدمة [illegible] كبيرة [illegible] سنوات ومدى [illegible]

و[illegible] في [illegible] غوندوانا [illegible] من [illegible] في فصل آخر .

ويقع [illegible] في شرق غوندوانا [illegible] بقعة صغيرة [illegible] للحديث [illegible] في الوقت الحاضر [illegible] كانت مقر دولة قوية [illegible] في [illegible] ، كما يشهد [illegible] تركته تلك الدولة من معابد الهند ، [illegible] من أشهر معابد الهند ، [illegible] الألوف [illegible] يقصدون هذه الأخيرة من جميع أنحاء الهند .

و[illegible] إلى الجنوب من [illegible] ، و[illegible] تحت [illegible] [illegible] والبحر [illegible] ، [illegible] هذا [illegible] أن [illegible] من هذه [illegible] ، [illegible] هو [illegible] ، فيتكلم [illegible] بالأوريه في [illegible] يسكنون [illegible] في الجنوب

٧ — [illegible]

كان [illegible] على [illegible] من القسم [illegible]
[illegible] على [illegible] عند الولايات [illegible]
[illegible] البركاني [illegible] وقلة السكان على العموم ،
[illegible] الأطلس [illegible]
[illegible] في كل [illegible]

[illegible] في ذلك العصر [illegible]
[illegible] في الهند [illegible]

[illegible] الجبال [illegible]
[illegible] السبة [illegible] على [illegible]
مرة ، ولأن هؤلاء [illegible]
[illegible] على [illegible]
كل توالد

[illegible] من [illegible] كبيرة [illegible]
[illegible] في
[illegible] الأوربيين أصحاب الذكريات

[illegible] على [illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] لذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] أو ضلالات [illegible]

[illegible]

[illegible] سلطان العرب

[illegible]

وتقع [illegible] التي [illegible] بالقرب من حيدر آباد ، ويثير اسمها في الخيال [illegible] الشفوف والرشاء الزاهية [illegible] التي [illegible]

[illegible]

[illegible] حضارة بائدة

الفصل الثالث

النباتات والحيوانات والمعادن

[illegible] الحبوب والقطن والفاكهة ، الخ. (٢ [illegible]

١ — النباتات

[illegible] على [illegible] الأشجار [illegible] الهند نوع خاص من الحيوان والنبات.

[illegible]

[illegible] طرق منتظمة صالحة [illegible] تنقص حاصلاتها

[illegible] طبقتها [illegible] الذي لا [illegible]
[illegible] من الأرز والبر [illegible] على [illegible]
توسق في السفن مقادير عظيمة من حبوب [illegible] تباع في أسواق الأجنبية

وتعدّ الحبوب في الهند أهم ما تنبته الأرض ، فتزرع حبوب القمح والأرز [illegible]
[illegible] كل [illegible]
[illegible] على
[illegible] مما تخرج الأرض من قوت

[illegible] حبوب الأرز [illegible]
[illegible]
[illegible] إليها ، وذلك إلى ضرورة
[illegible] لا [illegible]
[illegible]

[illegible] على [illegible]
[illegible] عن [illegible]
[illegible] الأولى [illegible]
[illegible] على الخصوص ، هو ما [illegible] في [illegible]
[illegible] والقطن و [illegible] في
[illegible]

وفي [illegible] حيث [illegible] الأراضي خصبة [illegible] ، وفي
[illegible] الولايات شبكة من مجاري [illegible] حبوب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولا [illegible]

[illegible] في [illegible] كل [illegible]

[illegible] على الخصوص [illegible]

[illegible] في [illegible] على الخصوص [illegible]

(١) [illegible]

(٢) الرن : شجر كانوا [illegible] الرماح — (٣) [illegible]

[illegible] وقد يصل علوّ شجرها ستين مترًا [illegible] ٢٥٠ [illegible] كما تراه هنالك .

٢ — الحيوانات

[illegible] وللاسو وأوربة .

[illegible] (١) [illegible] يستخدمون الأفيال في أعمال

---

(١) [illegible]

كثيرة وفى صيد النمر وفى مواكب [illegible] فى كل موكب [illegible] فيولاً تتقدم مسرّجة بسروج أرجوانية [illegible] راحوات أو من [illegible] بكر بجهم من مشاهير الصيوف

وسكاد الأسد نزول من بلاد [illegible] ، فلا تجد منها فى غير جزيرة كاتياوار بالغرب تقريباً حيث يبدو [illegible]

[illegible]

[illegible] إلى قرائن أخرى يبدو خطرة إلى [illegible] على [illegible] (٢) [illegible] كيف

[illegible] وهو الخنزير البرى — (٢) [illegible] قليلا قليلا [illegible]
[illegible] (٣) [illegible] وما [illegible]

الإنسان منه عن [illegible] فيهجر المكان الذي [illegible] به النمر بعد أن يكون قد أكل [illegible] مئات من [illegible] ، فقد النمر [illegible] [illegible] ، وقد ذكر [illegible] أن أكال رجال القرى ١٠٨ من الناس في ثلاث سنوات [illegible] القرى ٨٠ شخصاً في سنة واحدة ، [illegible] ثلاث عشرة قرية [illegible] ٦٥٠ كيلومتراً مربعاً من الأرض [illegible] ١٢٧ شخصاً في سنة ١٨٦٩ [illegible]

وتمنح الحكومة [illegible] من [illegible] تلك الضواري ؛ و[illegible] الأهالي لا [illegible] عن ذلك ، [illegible] من الرعب في [illegible] من الآلهة [illegible] بعض الناس

و[illegible] والذي هو [illegible] [illegible] كاهند ، ومن [illegible] [illegible] وما يعيش منها في الماء العذب غير سام ، [illegible] من الأرض [illegible] [illegible] ، ومن [illegible] وقوع الإنسان عن [illegible] الأفاعي [illegible] وخرجت من شقوق الأرض [illegible] وتكاثرت بسرعة ، مع أن من الممكن [illegible] النمر [illegible]

(١) [illegible] كلمة خبيثة جداً

بالعين حيوان مقدس [illegible] ، وهو من [illegible] وهو [illegible] حدة البصر

[illegible] في كل [illegible]

[illegible]

[illegible] والكركدن [illegible]

[illegible]

[illegible] ولا [illegible] من أجل لحومها وألبانها ، ويكره [illegible] الخنزير ، وفي الهند [illegible] من الدواب [illegible] إليها لتستأثر بها .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وتقل الفرقة منها ، ويحترفه زراع [illegible]

٣ — المعادن

[illegible]

[illegible]

(١) الندر : جمع الندرة وهي القطعة من الحلي .

وفى [illegible] (١) ، وفى [illegible] (٢) ، وفى وادى [illegible] [illegible] ، وفى [illegible] (٣) والعقيق ، وفى بعض الأماكن اليمن (٤) وما [illegible]

وعلى [illegible] من معاوص [illegible] وتدورا وزاتوسكور وسيلان .

[illegible] من [illegible] وادى جميل قريب من المبانى الحجة

وفى [illegible] وعود [illegible] أربع شعب ، ولا يستحق بعضها أن يسمى ، [illegible] من [illegible] الأحمر هو دون ما تخرجه مناجم أوروبة [illegible] من الشمال [illegible] [illegible] [illegible] الإسكليرى

[illegible] لاختلافها [illegible] [illegible] [illegible] بالأفق [illegible] التراب [illegible] بعد فتح قناة السويس .

والحديد كثير فى الهند ، وأهم مناجمه فى [illegible] من أعمال ولاية مدراس ،

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible] (٤) [illegible]

[illegible]

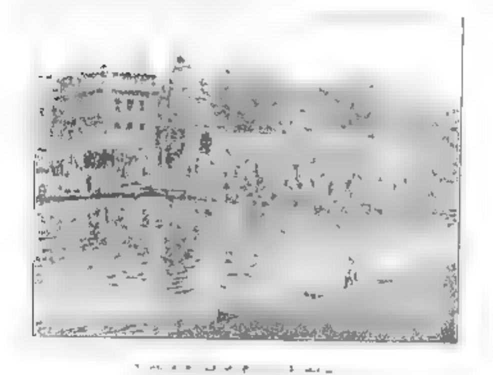

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

وفي هذه المعركة قتل من المجوس والعرب ... فلا صنع في الشجر ... وسبح

هو أنه كان ... عدة قوم ... بلاد مكونة

... أنه من ... على ... الشد الأعلى

والقوم ... كانت ... به سبع ...

ثم وجد ... لا على ... ولا ... على ذلك ... في ...

... و ... وحده ... في ... ميل ...

... الشجرة ... في الأرض ... كانت ...

... ذلك ... الله ... والحرة التي هي ... الحروب ... بالرحا

و ... لا أول ... المرتحل من ...

الباب الثاني

العروق

الفصل الأول

منشأ عروق الهند وتقسيمها

[illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible] الأساسية [illegible] العروق الظلية [illegible] أهالي الهند [illegible] شائع اختلاط الشعوب المختلفة.

١ – كيف نشأ العروق وكيف تحول

أرى قبل أن أصف عروق الهند أن ألخص جميع المباحث [illegible] العروق وبيان ظهورها وتحولها وذكر الصفات التي تتسم بها.

[illegible] أسهبت في مؤلفاتي الأخيرة ما يقوله العلم [illegible] في تلك الأمور [illegible]، فيكفي أن ألخص هنا ما فصلته في تلك المؤلفات.

[illegible] في مختلف أقطار الأرض [illegible]

أن [illegible] العرق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كما يشاهد في مختلف أنواع الحيوان ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الصفات الجديدة التي

[illegible] في كل جيل أن [illegible] تراكمت مع القرون

في [illegible]

الأنواع تطوراً بطيئاً بعيد الغور .

[illegible]

[illegible] الأحوال السياسية أن تظهر في عرق واحد مع الزمن ، وذكرت أن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

و[illegible] الثبات في [illegible] ، مهما يكن [illegible] ، موجود على كل حال [illegible] هي التي [illegible] بالعود ، فقد [illegible] على حسب [illegible] عرقين اختلفت مؤثرات الماضي [illegible] الوراثية [illegible] ذلك ، [illegible] طبيعة [illegible] .

[illegible] العروق [illegible] مختلف العروق ، لا [illegible] على [illegible] عرق [illegible] على [illegible] المولدين [illegible] على [illegible] للعرقين على الأقل عند [illegible] .

[illegible] ، [illegible] في مختلف أقطار الأرض [illegible] يكون [illegible] أو [illegible] حسب الأحوال ، فهو يكون [illegible] عندما يكون بعض العناصر [illegible] بعض [illegible] ، وذلك كما هو للعناصر التي [illegible] الإنكليز [illegible] ، وهو يكون [illegible] عندما يكون العنصر [illegible] وصفات وأخلاق ، وذلك كما [illegible] توالد الأسود والأبيض وتوالد الهندوسي والأوربي .

وسنعود إلى مسألة توالد الهندوس والأوربيين في الفصل الذي خصصناه للبحث في حوادث الهند [illegible] من ذلك التوالد من النتائج السيئة ، فنرى أن مثل هذه النتائج السيئة التي [illegible] عن توالد [illegible] الشعوب ، [illegible] هذه [illegible] ،

ومصر، على الأرجح، نظام الطوائف الذي هو أساس نُظُم الهند الاجتماعية

وفي كتاب آخر درست أمور القواعد وبحثت فيما تؤدي إليه من النتائج السياسية والاجتماعية حسب الأحوال فتبين أن أهم العوامل في انحطاط العروق والدول [illegible] عنه مصادفة [illegible] عنق أحدهما الآخر، وأكد إلى السبب في سهولة [illegible] السيطرة الحاسمة عند قليل من [illegible] كما [illegible] في الهند [illegible] النبي، وأسرة [illegible] في صعوبة [illegible] كما حدث [illegible] على [illegible] عامة على [illegible] الأمر

و[illegible] هذا في [illegible] الطبيعة التي تطبق على جميع الأمم [illegible] في كتاب [illegible] وجمعه سيكون مقدمة لتاريخ الحضارات، [illegible] هو [illegible] العروق، ونقتصر على [illegible] الأخلاق التي [illegible] العروق بإيجاز.

٢ — مدى تقسيم العروق [illegible]

[illegible] والعقلية في ذلك التقسيم

[illegible] التي [illegible] العروق [illegible] مثلاً، ذلك لأن

(١) كتاب [illegible] وهو [illegible] في مجلدين

الصفات التشريحية هي التي نراها حالاً ، ولكن البحث يدعو إلى إمعان النظر في قيمتها [illegible] لا تصلح معياراً لتصنيف القبائل ، فلون الجلد والشعر يمكن تقسيم سكان الأرض به إلى [illegible] جماعات أو خمس جماعات على الأكثر ، وشكل الجمجمة يمكن تقسيم كل واحدة من هذه الجماعات إلى زمرتين أو ثلاث زمر ، ثم نقف عند هذا الحد ، فإذا قسمنا [illegible] الناس ، أي جميع شعوب أوربا ، مثلاً ، إلى شعوب عريضة الجمجمة وشعوب مستطيلة الجمجمة ، وشعوب شقر وشعوب سمر ، فإننا لا نستطيع أن نستخرج [illegible] من هذه التقسيمات على [illegible] كما ينبغي ولا يكفي [illegible] ولا [illegible] .

والصفات النفسية ، إذن ، هي [illegible] لتمييز الفروق البشرية ، وما قلناه عن اختلاف الفروق التي تفصل بين أمة وأخرى في الحس ، ثبت أن [illegible] ودقة [illegible] [illegible] أصبح من حث في تقسيم الفروق .

وقد تحدثنا عن اللغة والأديان والنظم السياسية والصفات التشريحية [illegible] الصفات النفسية والعقلية ، وهذه الصفات التي هي عنوان مزاج الأمة تعطي ذي الملاحظة [illegible] المتاع الخاص هي من الدقة ما لا يقدر على تقديره إلا [illegible] من الوسائل والأدوات .

[illegible] مع ذلك أن نعتمد ، في بحثنا هذا ، على التقسيم ، إلى سرد تلك [illegible] نستطيع أن نقدر ما هو عنوانه من الكفاءات الخلقية والعقلية

وتعيّن الصفات الخلقية والعقلية تطور الأمة والدور الذي تمثله في التاريخ ، فهي ، لذلك ، على جانب عظيم من الأهمية ، فنعول على دراستها من يرغب في معرفة [illegible] لأنها أكثر من أن نعول على الصفات التشريحية

[illegible] الشعوب من الصعب [illegible]
[illegible] على ذلك [illegible] في [illegible]
[illegible] أن نقابل بين جماجم الإسكيمو وجماجم الهنود
[illegible] ٢٥ مليوناً من هؤلاء لبضعة آلاف من
[illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]

[illegible]
[illegible] في كتاب آخر تصوت الأموات ، فالنظم هي وليدة تلك البحوث ،
[illegible] الشكلات ، وإن كانت مختلفة في أفراد العرق الواحد اختلافاً
[illegible] هؤلاء [illegible] يشتركون فيه منها اشتراكاً ثابتاً ثبات
الصفات التشريحية الخاصة بالجنس

[illegible] واحدة منها بحياة مستقلة [illegible]
[illegible] الذي يتركب منها ، ويمكن أن [illegible] العرق
[illegible] ، فلكل من هؤلاء
الأفراد [illegible]
وأخلاق [illegible] والأخلاق [illegible] البحث في [illegible]

[illegible] غير موجود الآن [illegible]
[illegible] الأخلاق [illegible]

[illegible] لأمة [illegible] أفرادها منه أو يتحولون عنه إلى حد ما[1]، [illegible] هو وارث عرقه أيضاً.

[illegible]

[illegible] الواحد الجماعة

(1) [illegible] الاتصال الطبيعي الذي ينتقل به [illegible] [illegible] الأفراد إلى [illegible] [illegible] المتوسط ، أو [illegible] [illegible] تواريخ [illegible]

[illegible] وأن تجمع هذه [illegible] جميع [illegible] [illegible]

[illegible] الأمم الأوربية [illegible]

ومن ذلك أنك تجد ، مثلاً ، حضارة كبيرة من أصل [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] مشتركة [illegible] [illegible] [illegible] العلمي [illegible] وصفه [illegible] أو [illegible] [illegible] على [illegible] من حيث [illegible] فإنه لا [illegible] على [illegible]

[illegible] الأسباب [illegible] عروق الهند ، [illegible] في [illegible] [illegible] من هذه العروق ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٣ — تكوين عروق الهند وتقسيماتها الأساسية

[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثابتة غير متنقلة منذ قرون .

[illegible] الهند [illegible] في هذه الأيام ، [illegible] في فصل [illegible] ومعايش مختلفة ، فالناس في [illegible] التي سكنتهم [illegible] نقول ، أيضاً ، إن سكان الهند [illegible] [illegible]

[illegible] في الهند [illegible] [illegible]

[illegible] الأسود ، وفي [illegible] صفحات [illegible] الأولى [illegible] خبيئة في [illegible] الحضارة الزاهرة البائدة في المدن الزاهية [illegible] دقائق الزمن الحديث التي أدخلها [illegible]

[illegible]

شكل ورقة حيفة مثلا

[illegible] الوثنية بورانية ، [illegible]

[illegible]

كان أكثر من وادي نرمدا توراً لمن يتوغل من بقاع مجهولة لأمم وحشية قريبة من سير الإنسان بمناظرها الأشعث وجوها الزُّور[1].

ومع ما تراه من اختلاف [illegible] الإنكليز يامين غير مصحيين [illegible] و أهليه [illegible] الآن [illegible] الأمر بالباب التوراني.

[illegible] أو دي [illegible] التوراني بالمعنى [illegible] على شعوب [illegible] على الشرق [illegible] في عصر الأسيوي [illegible] أول من [illegible] في [illegible] دوي شعر الأمس والنحى السكنة [illegible] لا [illegible] ذلك [illegible] وذلك من الجانب الآري.

[illegible] الأصعر في الهند وما تركه فيها من أثر.

[illegible] على وادي [illegible] شعوب [illegible] والذي [illegible] الأرض [illegible] الكثيرة المصاعب.

(١) الزور: جمع أزور وهو الناظر بمؤخر عينه

[illegible]

من لتال الأصي [illegible] كثر ما تقدم .

[illegible]

ولاية آسام ، ومنطقة البنغال [illegible] يسكنها مزيج من الأدميين [illegible]

[illegible]

الأول وحيث تجدد على [illegible] الأصيين

[illegible]

[illegible] يبيتون دون وجبات باتة وأجهات مزمومة .

[illegible]

[illegible] ١٧ هندوسياً [illegible]

[illegible]

[illegible] وقد هؤلاء [illegible]

الدفاع إلى الاعتصام بمناطق [illegible]

في تلك الجبال [illegible]

قدماء الدرويد أو الإيرو [illegible] ، وأكثر هؤلاء الشعوب القديمة عدداً وأعظمهم

[illegible]

[illegible] هذه المنطقة ، على الخصوص ، تبدو [illegible] الشعوب [illegible]

والشعوب الأخرى ، [illegible] في اتجاه منابع [illegible] الواقعة في [illegible]

[illegible]

[illegible] العرب [illegible]

[illegible]

الأحسن [illegible] العصر [illegible] ، ولا نبحث في [illegible] [illegible] عن [illegible] الآسيوي [illegible] الذي [illegible] ولا [illegible] عن [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] في الهند .

[illegible]

أن يؤثّل في غرب الهند وجنوبها .

[illegible] ميلاد [illegible] وكان استعداد [illegible] [illegible] [illegible]

حتى القرن الخامس عشر [illegible] [illegible] ، فأوغلوا في [illegible] بقيادة زعيمهم [illegible] جزيرة الهند فغزوا الناس ، ومنهم أهل سيلان ، على انتحال شرائعهم .

وكم [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] السيلان [illegible] [illegible] الأقوياء الأشداء رأساً على عقب ، فنرى أن أولئك

[illegible] في حروب [illegible] دولا [illegible] وتلك القرون [illegible] البلاد السود .

وكان [illegible] حروب [illegible] عسكرية [illegible] يكون [illegible] فاصلا [illegible] في [illegible]

[illegible] فكانت [illegible] حروب [illegible] على [illegible] [illegible] الذي [illegible]

[illegible] في [illegible] وادي [illegible] [illegible] على [illegible] العروق التورانيــة لم تلبث أن [illegible] عن ذلك [illegible]

و [illegible] من [illegible] المنطقة الغربية ، كما [illegible] المنطقة الشرقية ، [illegible] في [illegible] والعوجر [illegible] من الشعوب التورانية على [illegible] هؤلاء [illegible] من

[illegible]

[illegible]

[illegible] ثم رأينا أن العصر

[illegible] في الجنوب وعند جبال

[illegible] أوا تحت هذه المنطقة مع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشعب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وظهورُ [illegible] بالجبال الأورالية [illegible]

عددهم ٦٠٠٠٠٠٠ شخص — وظهورُ الهند [illegible]

[illegible] ٣٠٠٠٠٠٠ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشعوب [illegible] في [illegible]

[illegible] إلى [illegible]

[illegible] العروق [illegible]

[illegible]

وقدمه السكان تمازجاً وامراً كاملاً .

وبحق ... [illegible]

الفصل الثاني

عروق الهند الشمالية

أو الهندوستان

(١) سكان [illegible]
(٢) سكان آسام — قبائلها المتوحشة : الناغا والكاسيا [illegible]
[illegible]
[illegible] المدى الأجنبية — شبه الوحوش في سكان [illegible]
[illegible] (٦) سكان الكجرات وشبه جزيرة كاتياوار [illegible]
العروق في هذه المنطقة

١ — سكان همالية

[illegible]

[illegible] الناحية الإسيوية [illegible]

[illegible] الشعوب [illegible] التي [illegible]

على [illegible] الشعوب [illegible] الهند في بعض [illegible]

[illegible] لا [illegible] البلاد [illegible] كل [illegible]

عن ... أمراً مستحيلاً ، فبقيت أهل ... البلاد من بين الأعاجيب حتى الآن
وحافظوا على استقلالهم على العموم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على أصبهم الأرى ، [illegible]

[illegible] مع إسلامهم يقولون [illegible]

[illegible]

[illegible] القرن [illegible]

[illegible]

في الأعشاب [illegible]

[illegible] وساعد البرديين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] طوله ثلاثين فرسخاً والبالغ عرضه

[illegible]

[illegible]

البردى ، لا على مختلف القبائل المجاورة له

[illegible]

بياضاً ، وشهير بسوقهم بالخيل .

فالكشمرة [illegible] قامة متوسطة قليلاً وأنوف [illegible] وشعور كثة وقامات مربوعة وأجسام صلبة

و[illegible] على الأعداء [illegible] على [illegible] ، وهم على جانب عظيم من الاستعداد [illegible] في [illegible] و[illegible] فلم توفّق أوربة لتقليدها حتى الآن

[illegible]

ويمكن عدّ سكان وادي كشمير ، أو طوائفهم العليا على الأقل ، وذلك من [illegible] لا [illegible] كانت تجرى في عروقهم دماء [illegible] قليلة.

ويدين الكشمرة بالإسلام منذ الفتح الإسلامي مع محافظتهم على نظام [illegible]

[illegible] من العلوج[1] [illegible]

أي من البدّهي إلى المسلم أو [illegible] وشو .

(١) العلوج : جمع علج وهو الشق

[illegible] بمنطقة [illegible] حيث جميع [illegible] والسكوت والموحر [illegible] هؤلاء [illegible] الأسود [illegible] على [illegible]

[illegible] شعوب من [illegible] ومن [illegible] الأكثر [illegible]

[illegible] طابع التحول ، وفيها تمتد سلسلة [illegible] في القالب [illegible] وادى [illegible]

[illegible] ٧٠ كيلو متر [illegible] ١٢٥ كيلو متر [illegible] الأسبوعية [illegible] الجبال مسيطرة على سبيل [illegible] على [illegible]

[illegible] في [illegible] من [illegible] الأصغر وأنس [illegible] هؤلاء [illegible] من [illegible] يسكنون جهة [illegible]

وريثه ، والأهلين الذين تعرفون بالتوركمن وسكنوا الاستراحات الأولى ، والأهلين الذين هم [illegible] لا استراحات الأخرى هم من قبائل [illegible] مجاورة [illegible]

و[illegible] أكثرية الأهلين [illegible] أي منطقة [illegible] التي تحيط بها الجبال وتشتمل على [illegible] فرع [illegible] الذي هو [illegible] الأخير

[illegible]

[illegible] نقية بيال

[illegible]

[illegible] أكثرية يشتغل في التوركما .

[illegible] هذه التسمية

[illegible] في [illegible] نيبال [illegible] ،
[illegible] إلى الأمور [illegible]
[illegible]
[illegible] النيبال في القاطنات .

[illegible]

[illegible]
من [illegible] الذين [illegible] نيبال في [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] وظلت أقدامنا [illegible] على الحدود ، من وصولك إلى
[illegible] من مشابهة سكانها [illegible] الذين
[illegible]

[illegible] ،
[illegible]
[illegible] نيبال التي لها آداب .

[illegible] من [illegible] العسكرية ، ونجد عندهم ،
مع ذلك ، [illegible] هؤلاء من الأعمال الزراعية والصناعية [illegible] عظيمة ،

[illegible] بالنقوش العجيبة [illegible] صور في هذا الكتاب . وسموا من إتقان حفر الخشب درجة لم يفقهم فيها أوربي كما نرى . ومن دواعي الأسف أنهم يلاقون من الغوركيين ، الذين هم سادتهم في الوقت الحاضر ، ما يضطهدهم ، فترى [illegible] فلا تجد منهم اليوم أكثر من بضع عشر رجلاً قادراً على حفر الخشب أو حجر [illegible] ، فالحق أن [illegible] دخل دور الانحطاط ، و[illegible] قبل الفتح الغوركاني .

[illegible] ، ووجد هؤلاء وأولئك [illegible] الصواب

بوتان وسكم — [illegible] دولتا بوتان وسكيم [illegible] في [illegible] ، و[illegible] من [illegible] الذين [illegible] في [illegible] ، و[illegible] مشتق اسم « بوتان » من كلمة « [illegible] » التي تمثل كلمة « التبت »

ونرى [illegible] أهل سكم أرقى من سكان بوتان [illegible] ، ولا [illegible] أهل سكم ، ووجد من هؤلاء الذين هم من [illegible] البرابرة [illegible] ، ومن [illegible] ذلك على عقلهم ودماثتهم

وأهل سكم من [illegible] عدد الأزواج من الذكور على العموم ، وقد [illegible] بالذهب [illegible] في سطوح جميع أديار [illegible] ، ومن هذه الأديار في مواقع رائعة وتسيطر على مناظر ساحرة .

وسكان منيبور أقل مرحاً من جيرانهم أهل سكيم ، ونجم ذلك عن [illegible] الشديد الذي ألقته فيه حكومتهم المستبدة الرهيبة ، فالذي يود منهم أن يملك ذبيحة [illegible] بترك بيته ويخدم الإنكليز ، ويشابه [illegible] ولتعاليهم دون أهل سكيم وافتخارهم ، ويقولون مثل هؤلاء بتعدد الأرواح من الذكور ، وعندهم الكاهن الأكبر وهو مقدم دون الكاهن سلطاناً ومن كان يدعي [illegible]

ولا سبيل إلى أهل سكيم وأهل منيبور شعبان أهل لتلك الخاصة إلا في الأودية [illegible] في السهل أضحت أخلاقهم [illegible] وزال معه الملامح والعادات الأولى .

٢ — سكان آسام

[illegible] وادي [illegible] قد الإنكليزية [illegible] الهر [illegible]

[illegible] الأعلى في [illegible] التي [illegible] من [illegible] ذلك القسم من [illegible] ، و[illegible] في [illegible] الذي وصفنا فيه أمطار الهند ، أنه لا يجري في أي قسم من العالم [illegible] (٢) كالذي تجريه رياح الجنوب موجهة إلى آسام ، [illegible] عن [illegible] الأسماك والعمونة [illegible] استقلال سكان آسام [illegible] الوحشيين ، بيد أن [illegible] الطبيعة هذه مشؤومة على هؤلاء .

---

(١) [illegible]

(٢) مطر ثجاج ، مطر سيال شديد الانصباب .

فهم وإن كانوا يتقهقرون يوماً فيوماً إلى أشد الأصقاع وعورة وأقلها صلاحاً للزرع [illegible] ينقص عددهم بلا انقطاع فيرتدون أمام حضارة [illegible] حيثما [illegible] من [illegible] على الدوام .

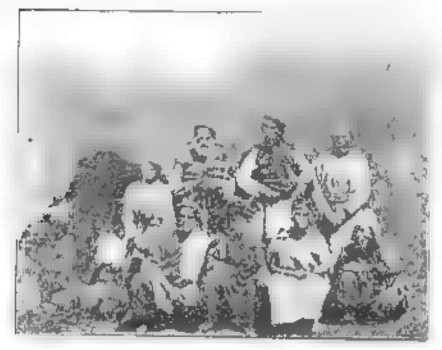

١٢ ــ جماعة من [illegible] (عاليه) (وادي [illegible] الأعلى)

وجميع تلك القبائل ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] الواقعة على [illegible] من ذلك [illegible] مثال واحد تقريباً وهي فروع لعرق واحد .

و [illegible] هذه [illegible] ، أنه أقرب [illegible] منه إلى العصبة [illegible] ، كما تراه فيه من ملامح الوجوه وخصائص الأنوف و [illegible]

الشعاع وزورق(١) العيون واسوداد الشعور السعترية(٢) واللحى المعز(٣) تدل على قرابته من العرق الأصفر، وما تراه فيه من الخدود السود تذكرك بالعرق الملايوي

والحق أن العنصر التبتي المغولي هو الغالب فيه، ومن الطبيعي أن تجده يدنو في صوب الجزيرة الشرقية التي وصلت منها طوائف العرق الأصفر في غابر [illegible] عدة قرون، وهذا ما [illegible] تجد في الأقسام الجنوبية أناساً يشبهون [illegible] في [illegible]، أي مثال الاختلاط بين الشرقيين أخص كالذين يسكنون سيام [illegible] الصينية فأحسن أن يكون أولئك قد [illegible] منها

ويوجه سكان [illegible] الحميرة لقمم جوانب جبال كهي ظاهرة عجيبة تجد مثلها في [illegible] جبال [illegible] الأورسه، وذلك أنهم يتكلمون لغة لا يمكن [illegible] طائفة معينة من اللغات المعروفة، فهذه اللغة ذات المقطع الواحد تبدو مطوقة [illegible] بين مختلف اللغات الهندية التي يسهل تصنيفها

وأشد الشعوب التي ذكرناها توحشاً هم الآور والسرو، فأما الآور فإنهم [illegible] عراة، ولا يمنعهم هذا من أن يتحلوا بالحلي وبرشقوا [illegible] بحلق وأطواق [illegible](٤) لأن [illegible]، ولا يعرف الآور الزراعة ولا يكونون [illegible] والحرث، وليس عندهم من سلاح غير [illegible] والرمح والسيوف، وهم يضعون بعظم ضروب الوشم، ويعدون عنواناً [illegible] العصرية الأولى، وأما السرو وهم قوم جبليون، فلا يزالون يصطفون [illegible] البشرية، وتجد هؤلاء الوحوش، مع ذلك، بعض مزايا كالصدق مع الأصدقاء والأعداء، والوفاء بالوعود والوعيد، ما يرونه في المسالمين، ملقبين بالسهوب

(١) [illegible] خرافية — (٢) السعترية: المتموجة — (٣) المعز جمع أمعر وهو القليل الشعر — (٤) صل الشيء: صوت.

الوقعة عليهم ، من العدا وخفر[1] والخنث[2] والخنث . وليس بعيد الزمن الذي كانوا يرون فيه بين هذه القبول ينقضوا على بعض المصريين فيدعونهم خوف ما [illegible] من خنث مزين ، و [illegible] العرب [illegible] بسوقه النفر كثيرة [illegible] ، إذ يرون أن [illegible] الخنث [illegible] وأن هذه [illegible] الأمطار ، [illegible] خنث [illegible] في [illegible] في أثناء ذلك [illegible] تجمعت فيتفرقوها فيه .

وسعة [illegible] على « الأهمى » [illegible] الأهميين الوارد ذكرهم في [illegible] عند الأهمى ، ومن [illegible] بينهم وبين قدماء المراويد قربى ما بدوا سوداً ، ويبدون قوماً عاريين متمتعين بالاستقلال الكامل .

و[illegible] الشعب [illegible] الوحيد الذي [illegible] بالبلاد [illegible] و[illegible] حبيبه و[illegible] درجة [illegible] من [illegible] ، و[illegible] الكهانسا قرى كبيرة و[illegible] صلاة [illegible] ذوي أرواح وأسماء [illegible] الشرقيين ، و[illegible] عشبة [illegible] ويصدرون عن ذلك [illegible] أن [illegible] والكلاب [illegible] ، ومن أغرب عاداتهم أن يرموا [illegible] يكون [illegible] من [illegible] أو الطيرة[3] [illegible] مغوة [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] من [illegible] إما في [illegible] من مصادر [illegible] هذب

(١) [illegible] — (٢) [illegible] الرجل [illegible] كان [illegible] وتكسر [illegible] على صورة الرجال وأحوال النساء — (٣) الطيرة : ما يتشاءم به

[illegible] بالوثنية جميع القبائل الوحشية التي ذكرنا صفاتهم وعاداتهم ذكراً [illegible] . [illegible] والسكان [illegible] من أقوى النظم حرمة [illegible] حق السيطرة على الاسم وحق [illegible] الأموال وتحويلها وحق الاعتراف [illegible] الأسرة وهي شأن كبير في الحكومة أحياناً .

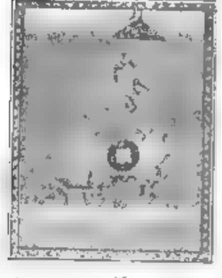

١٢ — [illegible] ([illegible] في [illegible])
(مكتبة [illegible])

ولا يزال [illegible] محافظين على بعض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . ولا [illegible] الابن في الميراث إلا [illegible] وأبناء [illegible] [illegible] في [illegible] الأولاد [illegible] ولا [illegible] الأولاد [illegible] في [illegible] منه مع [illegible] .

و[illegible] [illegible] العروق [illegible] التي [illegible]

والتى لا تزال بادية فى جبال نيلگرى ، تتوارى وتمحى عند النزول إلى السهول حيث تكون الأقوام هندوسيين حقيقيين ، مثالاً ولساناً وديناً وأخلاقاً ، عن البنغاليين الذين يبرحون منهم شيئاً فشيئاً

ونحن حين نترك أعالى بقاع هضبة الدكن ننتقل وادى الگنج حيث هؤلاء الأهالى فندخل الهند الحقيقية معهم .

٣ — سكان وادى الگنج

لا نجد فى الخلاصة التى ذكرناها عن مختلف عروق هماليه وهضبة الدكن ما يمكن تسميته بالهندوسى ولو بوجه عام أو مبهم.

١٤ — الطاهانوى أكبر (كاتب فى مخطوط هندى قديم)
(مكتبة تيرمال ديدو)

ونحن حين ندخل وادى الگنج نجد أنفسنا فى صميم بلاد الهندوس أى بلاد الشعوب البرهمية التى تجرى فى عروقها دماء قدماء الدراويد ودماء تورانية ودماء آرية على نسب متفاوتة غير منتظمة .

والسهل الواسع الذى يشقه نهر الگنج وروافده هو من أكثر بقاع العالم خصباً وسكاناً ، ففى هذا السهل نجد ١٤٠٠٠٠٠٠ شخص يخرجون من ترابه بسهولة منابع أقواتهم ومعايشهم ، وليس فى تضاعف هؤلاء الآدميين وسكانهم تعدد لا نراه فى نقمة من الدسا ما يجعل تلك الأراضى الخصبة غير كافية لاحتياجاتهم

و[illegible] زحفوا على القدس من شمال غربه ومن شمال شرقه [illegible]
في [illegible] ، فنضر في وادي [illegible] عناصر التي نجدها في
[illegible] الكثيرة ، فشاهد اختلاط هذه العناصر في وادي
[illegible] كان من [illegible]
[illegible] في أرياف [illegible] ،
[illegible] في [illegible] التي [illegible] من أجداده
[illegible] الأوربي [illegible] (١) وجهه
[illegible] من [illegible]
و[illegible] ذهنه وخياله الديني والأ[illegible]

[illegible] في وادي [illegible] من [illegible] عناصر [illegible] ،
وادي [illegible] هو [illegible] هذه العناصر فيه [illegible]
[illegible] كل [illegible] في [illegible] الأصفر
[illegible] التي [illegible]
[illegible] من [illegible] إلى [illegible] وجسدت [illegible]
[illegible] ووحدته

و[illegible] ، فيبدو البنائي [illegible] هزيلاً
[illegible] (٢) [illegible] ، و [illegible]
[illegible]

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) الأمر [illegible]

وجلود أهل [illegible] ، ويقتربون من [illegible] الأبيض بملامحهم ، ولا أثر فيهم لما في البنغاليين من الطباع والدمامة .

ويظهر أهل [illegible] [illegible] [illegible] الآري [illegible] [illegible] فهم من مستدارة الوجه [illegible] [illegible] ملامح وارتفاع العود والانحدار بالنسب

ويتألف ثلث سكان [illegible] من البراهمة، أي من حفدة قدماء الآريين، ويكثر الأكثرية ([illegible]) أو [illegible] في [illegible] ، ويملك هؤلاء أراضي واسعة [illegible] ، ويعتبر زراعها بانتسابهم إلى عرق الآلهة

[illegible] في الولايات الثلاث التي ذكرناها آنفاً نظام الطوائف كما في [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] في [illegible] ، ويرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]

(١) [illegible]
في [illegible]

ويتجلى تأثير الإسلام في [illegible] على عكس [illegible] الآرى ، فهو [illegible]

---

(١) الأ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

من الغرب إلى الشرق ومن منبع هذا النهر إلى مصبه، ويتألف من المسلمين عُشْر أهل أوده وسُبْع أهل بهار وثُلث أهل البنغال، بيد أن الهندوس الذين اعتنقوا الإسلام ظلوا على صلة بإخوانهم من البراهمة بعد إسلامهم، فهم يتفرقون مثل هؤلاء إلى طوائف، ويجمع أهمُّ الشعائر الدينية بين أتباع الديانتين في الغالب

ونُبصر، كما تقدم، عناصرَ متقاربة في وادي الكنج تُخفي ميزَ كلٍّ منها في نسب مختلط من يوماً ما، إذا ما أقصي مُثُلها من حلقات متصل بعضها ببعض مما لا يكاد يكون غير محسوس، فبينما تجد في أقسام الهند الأخرى شعوباً مختلفة أشدَّ الاختلاف مع مجاوريها، ترى في وادي الكنج عناصرَ كثيرةً متماسكة تقريباً، فترى البنغاليين تكاد تعدُّهم فيه من جنس واحد، وترى مثلاً طبقته العليا وحداً مشابهاً لمثال طبقات العليا في الهند الغربية، وترى طبقاته الدنيا تتصعد عن العرق الأسمر وتتوسط في العروق المعقّرة الأولى ومن قدماء الدراويد والكول

قبائلُ وادي الكنج الأدنى المتوحشة — السانتهال والبهيل إلخ — يوجد بين الشعب جماعة من الذين وصفناهم آنفاً جماعاتٌ متفرقة من أشباه الوحوش، ولا يُعدُّ أكثر هؤلاء من سكان وادي الكنج تماماً من الناحية الإثنوغرافية والناحية الجغرافية، وسنعرض أمرهم حين نبحث في شؤون إخوانهم من سكان الولايات الوسطى، وما نقوله هنا هو في أمر بعض تلك الجماعات التي لا يجوز الإغضاء عنها الآن مع ظُلْمَت من سكان وادي الكنج وما نكتبه في هذا المطلب عن هؤلاء السكان

ونبحث الآن في الهمج الذين أقاموا بشبه جزيرة الهند في حصن هو، كما ذكرنا، جبالُ الهند الوسطى الواقعة في جنوب نهر نربدا ونهر سون والفاصلةُ بين الهند الشمالية

والذكر ، فأمام [illegible] النطقة وقوة منظرها وخطر خوضها يقهر السائحون ، وتهبط [illegible] الأولى [illegible] عبر [illegible](١) إلى [illegible] حيث [illegible] هذا [illegible] ، و[illegible] التي تحدد مجرى [illegible] [illegible] على [illegible] الوسطى [illegible] ، في وسط [illegible] من [illegible] ، [illegible] وحشية [illegible] والـ[illegible] ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] وحشية وشبه [illegible] [illegible] [illegible] أي [illegible] شعوب [illegible] على [illegible]

[illegible] الأخيرة التي [illegible]
[illegible]

[illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] الطائفة [illegible] هو [illegible] «[illegible](٢) ولا [illegible](٣) »

ويسكن الليل أكواخاً كبيرة مصنوعة من سقف [illegible] ومو[illegible] ذي أعمال ، و[illegible] السحرة وقوى الطبيعة و[illegible] على رءوسهم [illegible] الأحوال ، و[illegible] كبيرة [illegible] كل قرية [illegible] يمارسون ضروب الرياضة واللهو و[illegible] في بعض الأحيان [illegible] الإسكام [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] (٣) [illegible]

لجيرانهم ضبر أكثرهم إلى القوة فوجدوا أن النقود والوعود خير من السلاح في إخضاع الغير

والصينيون أكثر من الغير عدداً وأعظم أمة ، ويسكن اليابانيون مجموعات [illegible] في قطعة من الأرض على حدة ، ولغة الصينيين ذات مقاطع [illegible] جميع الأمم [illegible] ، والصينيون أشد [illegible] بين [illegible] بالعنصر الأصفر ، و [illegible] نتيجة اختلاط العنصر [illegible]

و [illegible] عدد [illegible] من الأجانب ، [illegible] أكثر [illegible]

[illegible] الذي

والأسرة اليابانية متينة التركيب ، ويختار الأزواج [illegible] على أن يكون الزوجان من عشيرتين مختلفتين ، و [illegible] الصينيون عدد الزوجات في حالة عقم المرأة فقط ، و [illegible] الطلاق بينهم

و [illegible] احتراماً كبيراً [illegible] مخلوقين[1] ويظهرون ما يرونه [illegible] ، ودين اليابانيين [illegible] بسيطة [illegible] الشمس والأجداد ، ورب الأسرة [illegible] كاهنها ، ورب الأسرة [illegible] غير اسمه البكر ، وهو على فراش الموت ، الأدعية التي [illegible] الآلهة والطقوس التي [illegible] الكواكب من السماء .

و [illegible] يحرقون موتاهم ، واليابانيون يحفظون ، مع ذلك ، جماجم موتاهم [illegible] في [illegible] المقدسة ، واليابانيون يحافظون على شرفهم

---

(١) من [illegible] أبيها أو [illegible] .

وأعراضهم كثيراً ، منذ ارتكاب المنكر أعظمَ جرم عندهم ، فمن يقترفه يعاقب هو وعشيرته بالطرد من حظيرة القوم .

والسنهانُ زرّاعٌ ماهرون ، والسنهال أخوال البدويين ، فإذا ما استنفدوا خصب أرضين تركوها وأخذوا غيرها ، ولكن تلك التي يقدرون على السُّهال فيه من شيئاً فشيئاً بسبب سكانهم السريع وبطول الإنكليز ، وما أصاب سنهال من زيادة تؤلمي جاهم ، فسند نصح منهم ، على المثول بين يدي حكومة كلكته طالبين أمام تدبر أمرهم ، فقد وصلوا إلى مكان مناسب لطرق الأصاص عنهم إطلاقاً مُطلقاً ، واليوم يهاجر سنهال كثيرون منهم ليبحثوا عن عمل هم في السهل ، واليوم يخرج بعضهم من وطنه إلى ما هو أبعد من السهل

ومن القطر بين بني السنهال والملر ونجدهم يسكنون أمة في وادي القنج ، وفي وادي القنج تجد عمالاً منثورين هنا وهنالك يعرفون بال (قُل) فيستخدمون أجراء وعمالاً وموظفين صغاراً في دواوين الحكومة

ونذكر ، قبل أن نترك وادي القنج ، أن جميع مدنه مهمة ، خلا كلكتة ، قائمةٌ في النصف الغربي منه ، وأن قسمه الشرقي المشتمل على البنغال هو أرض حرث وزرع وأن سكان هذا القسم مستقرون في أكواخ طريفة مختفية بالأشجار غير مجتمعة في مراكز كبيرة كالتي نرى على ضفاف القنج الأعلى

٤ - سكان البنجاب

يحتوي وادي السند ، الذي سندرس أمر سكانه ، على ثلاثة أقسام البنجاب

في الشمال والسند في الجنوب وراجبوتانا في الشرق، وتقطن في هذه الأقسام الثلاثة أمم مختلفة.

والپنجاب الذي كان الطريق الكبرى لجميع ما عُرِّضت له الهند من غارات ذو سكان مختلطين غير مشهورين بلونهم اشتهار سكان وادي الگنج، فتسود فيه العناصر الآرية والتورانية وسلالاتها المتخالطة، ولا تجد فيه أثرًا للعنصر الدراويدي أو العنصر الأصلي، والإسلام هو الدين الذي يسود البنجاب، وللإسلام أثرٌ بيِّنٌ في رغبة هندوس البنجاب الذين يظهرون بكثرتهم الغالبة رغبةً لدى جيرانهم في بقية الهند.

وأصل سكان البنجاب توراني، وهو مؤلف من جات على الخصوص، ومن هذا الأصل المزيج المهذب طبقةٌ آرية تمثِّل بعضه وأقلية مسلمة صغيرة.

ومن المحتمل أن كان الجات سادة البلاد حين الغزو الآري مع أن الجنرال كننغهام يرى، في كتابه «جغرافية آثار الهند» الذي يعد حجة في الموضوع، أن الجات من العنصر الهندي الشيثي وأنهم أتوا الهند بعد الفتح الإسكندري، فالذي لا ريب فيه أن هؤلاء التورانيين المطرودين أو السود الشيثيين امتزجوا قليلًا بمن دفعوهم إلى الجبال من الدراويد وبمن حصروهم مؤخرًا من الآريين، فنحن نجد من المصاهرات القديمة التي تمت بين تلك العروق أمثلةً مختلفة بين الجات فنرى فيهم أناسًا شديدي الاسمرار ونرى فيهم أناسًا سمرًا كالراجبوت.

ولنعد، قبل البحث في أمر الجات ذوي الشأن المهم في الهند، لنتكلم عن آريي البنجاب الذين كان لهم نفوذ بالغ وطور لغوي واضح مع

قلة عددهم

من الطبيعي أن يكون المثال الآري الخالص في شمال البنجاب الغربي حيث نجد ما نُسمي بالنمط الهندي الآري ، ويتجلى هذا المثال في الأفغان الإيرانيين الذين يُعرفون باسم البتهان ، ويشبهون كثيراً أهل كردستان وأهل كافرستان ، ويظهرون دون صفة سكان وادي كشمير ، فهم ذوو لون صاف وأنوف شُم ووجوه بيضية وشعور شُقر أو خمرية[1] وعيون نُجل[2] وما إلى ذلك من الأوصاف النادر وجودها مجتمعة في أناس من أهل الهند حيث الشعور السود والعيون الدكن[3]

ويستقر خلف جبال همالية الأولى والعنصر الذي أُريد تسميتهم بالإغريق ، فهل هم في الهند من سلالة ؟ والذي لا مراء فيه هو أن ... من العرق الآري الخالص ، وينتسب الدُّغر وبعض القبائل الأخرى إلى العرق ... ، وقد من ... إلى الجنوب وحدث أن كثيراً من الراجبوت ، وعين معظم الراجبوت بمنطقة مستطيلة سميت بمنطقة الراجبوت ، ويسكن آخرون من الراجبوت في مطالب أخرى ، فلندعهم الآن جانباً .

ونطل من قسم جبلية تُشرف على البنجاب وعلى الأودية المنحدرة إلى البنجاب جماعات من الجت وصفاتهم في ... بالإجمال ... ، والآن نميل إلى الجات الذين هم أهم شعوب البنجاب ووادي السند

فهي ما في الجات من بعض المُثل المتبعة التي هي وليدة امتزاجات نادرة ترى الجات يتصفون بالطول وتناسب الأعضاء وذكاء المنظر والاحمرار وتسع الأنوف

(١) خمرية : الأسود المصروف إلى الحمرة (٢) نجل : جمع أنجل وهو المشرق الواسع .
(٣) الدكن : جمع أدكن وهو المائل إلى السواد .

وارتفاع جرمهم، وقنأها(1) أحياناً وصغر العيون وانفتاحها ونتوء الوجنات واسوداد الشعور وكثافتها ودقة اللحى وشقرتها ، وترى بين هؤلاء الطبقات تحقق طول القدود مع حسن شعر والتقاطيع مع الآريين الذين على نقاء خالص ، ويمشي هؤلاء السود [illegible] دون ثوب [illegible] أثيابه يسدل على رؤوسهم وأكتافهم وتحجب أحياناً وجوههم .

[illegible] ثلاث جماعات [illegible] مسيطرين على القسم الأدنى من وادي [illegible] [illegible] بالپنجاب وأتباع البرهمية المستقرين بمنطقة [illegible] في طائفة الوثنية

[illegible] كان [illegible] جميع [illegible] عليهم قبائل الآريين [illegible] على [illegible] الآريون الغالبون فاختلطوا [illegible] جديدة عرفت بطائفة الوثنية التي لا تزال مشتملة ، بوجه عام ، على [illegible] قدماء الأهالي في طائفة الشودر المحتقرة

ولا ريب في أن ذلك كان نتيجة [illegible] تحمل سلطان الآريين [illegible] ، ولا تزال تجد هذه الاتفاق أثراً في بعض [illegible] حيث [illegible] الصوجان من [illegible]

وحدث في أواخر القرن الخامس عشر نوع من الإصلاح الديني فظهر مذهب [illegible] كانوا جماعة من الأتباع [illegible] ، و [illegible] الأمر

(1) في الأنف يقع قنأ : ارتفاع وسط قصبته

أن نبيهم نانك حاول أن يجمع الإسلام والديانات الهندوسية في دين واحد وأن تضمحل الفروق بإزالة ما بين الطوائف من الفروق وبإعلانه المساواة بين الناس ، فصار جميع الذين اعتنقوا تعاليمه من السيك أو من هذا الدين ، وهؤلاء كلهم كانوا من أصحاب عرقية ، فاعتبر الأوربيون أنهم وصلوا بذلك مستوى الخلاق ، ثم أضحى السيك شعباً حربياً بعد أن أخذتهم حماسة [illegible] المسكرية فلم يلبثوا أن تألف منهم عرق ظهرت شجاعته بالبأس والتكشف [illegible] الملامح وقوة البنية وسحنة القسامة ، وتجارب السيكي هو من أمثلة تحول النوع الإنساني حقاً

وعقيدتهم الثانية [illegible] هو التي [illegible] التقدم العسكري ، فقد كان نانك قد هداهم إلى معتقد روحي عال قائل بإله واحد ثم جاء [illegible] من بعدهم بالولاء [illegible] مادي ، فأضيفت من هذا المعتقد دروع مسرودة وسيوف مهندة ، فعلى السيكي المحارب أن يحمل عيبة من فولاذ وأن ينزع منه سلاحه

وكان السيك يعملون على مسحة منهم ، وكانوا يخدمون في محافل [illegible] لا يستورون الشؤون منهم ، ولم يستطع السيك أن يدوموا قوة أولى بأس شديد فاضطر [illegible] والإنكليز من بعدهم إلى مراعاة جوانبهم ، فقد كانت أوائل هذا القرن أقام السيك في البنجاب دولة [illegible] الإنكليز زعيمهم فلاك لاهور [illegible] الهند ، وحمل زعيمهم هذا على عرش الأفغان [illegible] نفسه ، واليوم عاد السيك [illegible] ، كما في الماضي ، طائفة دينية [illegible] روحية هذه [illegible] مهمة

وحب النصر [illegible] عند السيك ، فلهم جمعيات عصبية مهمة نذكر منها جمعية لاهور

مشتملة على عصا، فطاحل، وما في الساك من الروح العسكرية التي لم يخب(١) أُوارها(٢) جعل منهم ومن الغوركها أحسن الجنود في الجيش الإنكليزي، ومن وقف أنفسهم منهم على أمور الزراعة فأكثر الهنود صبراً وعملاً، وجعل جميع أراضي وادي السند الصالحة للزراعة بأيديهم، وفيهم مثل أعلى في زُمَر الهند الزراعية.

ومن جات من كثيرون حبسوا أنفسهم على التجارة فيها رسوخهم براعة، ويعرف هؤلاء التجار بالمُلتانيين، نسبة إلى مدينة مُلتان التجارية الواقعة بين البنجاب والسند، ومن هؤلاء معروفون في الهند وحدها، بل اشتهروا في جميع مدن آسية الوسطى حيث أسسوا للتجارة على مقياس واسع ولإذاعة أهم الأخبار وإشاعة أنباء الحرب.

وفي الهند، في البنجاب كما في صعاب الشمال وفي الدكن، ترى الصيارفة والمرابين والتاجرين من المارواريين، أي من جات ماروار الواقعة في جنوب البنجاب والتي هي جزء من راجبوتانا، وكلمة «الماروارى» في الهند مترادفة هي وكلمة «اليهودي» في البلدان الأخرى، هؤلاء المرابون الذين ينتدبون لأعمال مختلفة على حساب أمراء الهندوس والمرهتيين يضربون الضرائب، فترى الناس يخشون أولئك ويحقدون عليهم في كل مكان، ولا أجد لوصفهم أحسن من أن أقتطف بضع سطور من كتاب طريف ذي فكاهة حديثاً نزاع أحمد هندوسي بزوجة السيد ملباري عن أهالي كجرات، ففي كجرات كما في جميع أقسام الهند يظهر الماروارى عظيم صاحب الأمر والنهي، فبدأ أمري تزوج وعاد إلى مسقط رأسه ليقضي فيه بقية حياته، قال السيد ملباري:

(١) خب يخبو خبواً: خمد وسكن وطفئ. (٢) الأوار: الحر.

« لا يقوم الدرواري بعمل لا يقدر عليه رغبةً منه في الثقة ، ويحبّ الدرواري الإدانة للأجيال جميعها ، والدرواري مُدين ومُدين إلى أن يصبح المدين قبضته ، فإذا ما أفلس هذا المدين حمّله على الشراء ، فبذلك يحفظ الدرواري صحته كما يخرّب بيوتهم ، وليس بعيداً عن الخواطر على إلا من أصوات هؤلاء الضحايا وأرواحهم اللاتي عرفن الدرواري فاشترين منه بضعة أرطال من السكر للأجيال فأسفر ذلك عن سقوطهن خلقاً وخلقة ، والدرواري ، مع كونه من أتباع وِشنو ، لا يحترم آلهته ، ويقصّ ديناراً حاملاً صورة البقرة على أكثر هذه الآلهة حرمة »

ولا تنطوي جميع الطبقات الزراعية والتجارية والمرابية ، فبعض الجماعات ظلّ من حياته مترجّحة وبدويّة ، ومن الممكن أن نخصّ بالبحث زمرة البنجاب وحدها أمروفون السحرة الصعاليك الذين هم بجوانب البنجاب مشهورة كما يظهر ، ويرون أولئك من يزاولون ... أو ربه من لهى ، ويمضون مثل ماخان العطري ، ويتحولون من بلد إلى بلد ومن كوخ إلى كوخ ويسيرون ، إذا ما حلّوا بمكان ، في عرباتهم ، ويعرضون للبيع بعض متاع ويغنّون ويرقصون ويقصّون الأقاصيص

٥ — سكان السند وراجپوتانا

إذا ما نزلنا من البنجاب إلى مجرى السند تبع السند حيث تكثر حالات وسهول والتلك والجبليون ، ونتابع عنصر السكان الآخر الأساسي من البلوجيين الذين هم شعب حسنيٌ مشابه الشعب الذي على بلوجستان المجاورة للسند ، فالبلوجيون هؤلاء من مسلمين السنيين ويقسمون إلى عدّة قبائل ، فبعض هذه القبائل تدّعي أنها من العرب وتتجلى فيها الشمائل السامية ، وقبيلة أخرى منها لا يتعذر وجود دوى

شعوب سُمْر فيها، وقبيلةٌ ثالثة منها تُعدُّ نتيجة توالد أناس من البوهيميين والجات

وتتكلم الشعوب التي تسكن وادي السند، على العموم، لهجات من أصل سنسكرتي، وأهمُّ هذه اللهجات هي البنجابية والسِّندية والماروارية، فلا تجد فروقاً كبيرة بينها

والراجبوتانا هي القطر الواسع الممتد من السند إلى مداخل أجرا ومن جنوب البنجاب إلى ممالك مرهتة ممتدة من بروده إلى غواليار، وتشمل صحراء تهار الكبرى على النصف الغربي من راجبوتانا، حيث تبدو وتروح قبائلُ من شبه الوحوش، ويشقُّ النصفَ الشرقيَّ من راجبوتانا عدةُ مجار تسيل بين أوديته هضاب وتقوم عليه جبال، وسلسلة أراولي هي أهمُّ هذه الجبال، ومن جنوب سلسلة أراولي هذه تتصل إلى الجنوب الغربي شاهقُ آبو الجليل

وما في راجبوتانا من حدود أرضية، كالتي ذكرناها، حال دون امتزاج عروقها مثل ما وقع في وادي الگنج ووادي السند المنبسطين، فقد ظلت هذه العروق مختلفة باختلاف الأودية والهضاب والجبال، ففي ضفاف الأنهر تجتمع أكواخ الحراثين والزراع، وعلى الهضاب تقوم صياصي(1) الراجبوت الآريين المحاربين، وعلى المنحدرات العابسة وفي الغابات الوَعرة تدافع البهيل عن العادات القديمة والطربات الوحشية

ويُطلق اسم الراجبوت على القطر الذي كانوا سادته، والراجبوت لا يزالون يعدون فيه عنصراً مهماً من الناحية الحربية، والراجبوت منتشرون، مع ذلك، في شمال الهند خُلَّصاً أو متوالدين هم وسواهم

(1) الصياصي: جمع صيصة وهي الحصن وكل ما امتنع به

والراجبوت وإن كان التاريخ غير مُصَدِّق لما جاء في أساطيرهم حول قدم أنسابهم، هم غير أجمل عروق الهند وأصفاها، فالراجبوت ذوو قدود هيف عالية وخدود حُمْر مُوَرَّدة وعيون نُجْل (1) سُهْل (2) وأنوف قُنْو ومشق نحيفة ذات زَنَج وشعور سُود كثة متجعدة ويخلى طوله حيثه (3)، والراجبوت يُطلقون في الغالب شعور الوجنتين والعارضين ويربطونه عصوبة في أعلى الرأس محذوفي وسطه الشعور، وتتصف بنوة الراجبوت بالحسن الرائع على العموم.

وبين الراجبوت نجد أقدم طبقة للأشراف في الهند، وإليه أودى [illegible] وحده هو الأمير الذي يمكنه أن يفتخر بأنه سليل أجداد يذكرون منذ أكثر من ألف سنة.

وتاريخ قدماء الراجبوت تاريخ ممالك الهند القديمة الأخرى، بيد أن ما ورد في أساطير الهندوس من مفاخر أسلافهم وحفظ الراجبوت لتقاليدهم [illegible] من حصار مخيف ولاسيما حصار جتور الذي حرق النساء في أثنائه أنفسهن بالألوف خدمة الأمير [illegible] على [illegible] قيمهم التالدة (4)، ولا يجوزون أن يرخوا شجاعتهم [illegible] صدور دوي [illegible] على العموم.

والمسلمون حين استولوا على الهند وجدوا الراجبوت مقيمين بجميع مدن الشمال و[illegible] إلى منطقة السند المعاصرة، فكان الراجبوت يملكون لاهور ودلهي و[illegible] وأجودهيا [illegible] وكانت المنطقة التي يملكونها ممتدة في الشمال من نهر [illegible]

(1) النجل: جمع أنجل وهو الواسع — (2) سهل: جمع أسهل وهو من يخالط سواد عينه زرقة — (3) جثل الشعر [illegible] فهو جثل [illegible] والتف واسود — (4) التالد: القديم وعكسه الطارف.

[illegible] حملة بالقرب من آغرة وفي الجنوب إلى حد [illegible] ، أي كانت [illegible] لجميع شمال الهند الغربي

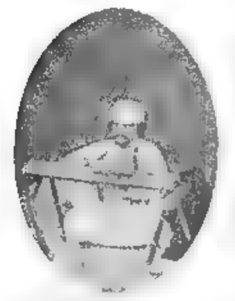

[illegible] الراجبوت من [illegible] [illegible] في منطقة راجبوتانا [illegible] [illegible] أصبح [illegible] ملك وأسهل [illegible]

[illegible]

[illegible]

و [illegible] الراجبوت [illegible] [illegible] من القرن [illegible] عشر ، وهم [illegible] [illegible] لا [illegible] جمهور ، وهم لم [illegible] ، مع ذلك ، في الدولة المغولية إلا في عهد الملك أكبر ، ولكن هذا الامتزاج ، مع ذلك ، لا صورة ، لا حقيقة ، [illegible] حافظوا على استقلالهم الناقص ، فالملك أكبر تزوّج [illegible] حقيقة ، [illegible] على [illegible] غالبية في جيوشه مفتوحة [illegible] ، ثم [illegible] على [illegible] في ذلك

ودستور [illegible] الراجبوت القديمة وحده هو الذي كُتب له البقاء مع تقلبات [illegible] في غضون القرون ، وعادات الراجبوت وحدها هي التي لم تتحول بالمؤثرات الأجنبية [illegible] ، إذ نبحث في هذا الدستور وهذه العادات في فصل آخر ، [illegible]

حصلت في قسم كبير من الهند حوالي القرن العاشر من الميلاد ، فمن الصعب ، إذن ، أن نفصّل هنا أمور ذلك الشعب الشامل للنظر

وتشتمل منطقة راجبوتانا ، خلا أولئك الراجبوت والجات الذين تكلمنا عنهم آنفاً ، على شعوب من أشباه الوحوش جديرة بالدرس كما يأتي

أشباه الوحوش من سكان راجبوتانا : البهيل والميناء الخ — يُعَدّ البهيل الذين يسكنون راجبوتانا وبالبقاع المجاورة لها من أقدم عروق الهند ، ومن البهيل من يسكن حوض النربدا غرب الهند فاقسم جبال الشمال وادي النربدا ومالوا ، ولم يكن دحر البهيل إلى الجبال إلا نتيجة الغزو الراجبوتي الآري الذي وقع في القرون الأولى من الميلاد ، كما يرى بعض المؤرخين ، ولم يُقهر البهيل الغلاظ المتوحشون من غير مقاومة مع ذلك ، ولبث البهيل ألقوا الرعب ، عدة قرون ، في قلوب الراجبوت بما صبّه عليهم من غاراتهم العاتية ، ولا يزال ملوك الراجبوت يحافظون منذ القدم على مظاهر التنويه من قبيل تكريم واحترام للبهيل الذين كانوا سادة البلاد الأقدمين ، وذلك بأن يجرح البهيلي المستحق إبهامه وأن يُطلّخ بقليل من دمه جبين الأمير الجديد

وعلى ما يدل عليه هذا الرمز من إجلال ذلك الشعب يمقت البهيل الهندوس ، والهندوس يمقتونهم ، على الدوام ، فرصة محاربة الإنكليز الراجبوت فيوجّهون إلى هؤلاء سلاحهم ، والبهيل عَرَضوا في سنة ١٨٥٧ ، حين اشتعلت ثورة السباهي ، خدمتهم على الحكومة البريطانية .

وليس البهيل عرقاً خالصاً ، فمن البهيل الذين يتراوح عددهم بين مليونين وثلاثة ملايين لا تجد سوى مليون واحد ظلّ صافياً تقريباً ، وترى البهيل مختلطين

عند عرقهم مع أن العكس هو الأجدر ما دام الهيل الذين تجري في شرايينهم دماء تورانية أتين من شمالهم ، وهنا نلحق بالهيل شعبين مقيمين في جنوبها ، وهما الميب ونهور ، فنقول إذا كان العنصر الأصليُّ غالباً في الهيل فإن العنصر التورانيَّ مساوٍ للعنصر الصيني في نيبال غالبٌ في التبت .

والمنطقة التي سكنها الهيل بعد أن طُرِد بعضهم من أراضيهم هي منطقة جبلية كثيرة الغاب ممتدةٌ من شمال جبال كيمور الغربية إلى جنوب جبال أراولي ومن خليج كمبي إلى نهر الأوسط من وادي نربدا ووادي تبتي ، وفي جبال ويندهيا وسات بورا على الخصوص ، مأواهم ، وفي هذه المأوى ظلوا مستقلين إلى الآن ، وعددهم كثير في جبال كيراب وفي وادي ماهي النهر الصغير الذي يسيل إلى خليج كمبي .

والهيلُ سُودٌ سمحٌ شُوهٌ قُطْسٌ ذوو عيون صغيرة زُوْر[1] ووجنات بارزة قليلاً وقامات مربوعة مع خفة وقوة ، والهيلُ عراة ولا يستعملون سوى قُوَط حول الكشح ويرخون شعورهم السود المُلْس الطويلة ، وتتألف أسلحتهم الاعتياديّة البسيطة من حراب ... ورماح وأقواس وسهام يرمونها بمهارة فيقتلون بها حتى الأطيار ، ويعيشون من صيد البرّ والبحر ويلقون عصارة المهوا برُبُ اليَنْبوع فيدوخُ السمكُ بذلك فيسهل إمساكه .

ويعرف الهيل النظام القبليّ البسيطَ الفطريّ كما تعرفه الأجبوت وتقوم القبيلة من الوجهة النظرية على وجود جدٍّ واحد لجميع أفرادها ، و ... حتى عند

(١) الزور : جمع أزور وهو المائل ، النظر بمؤخر عينه .

الآخرين ، ويحول بيضة[1] القبيلة ، ما لم تقض ضرورة الجوار أو ضرورة الدفاع بأن تدخل القبيلة غرباء نظر بني الولاء ، وكلما سهل أمر الولاء عند النظام القبلي مرناً متحولاً إلى النظام الشعبي ، وأبواب القبيلة مفتوحة عند الهيل بعض الفتح ، فإذ ما أتى نوري أو راجبوت من أهل السهل متنكراً فأطلق[2] دمه النحل بين الهيل في الجبال تقبلوه بقبول حسن ، ما كان معنى كلمة الهيل « الأطة[3] » .

والزواج بين أفراد القبيلة الواحدة محرم عند الهيل ، وعلى الفرد لدى [illegible] الزواج أن يسبي إحدى الفتيات ، فإذا تم له ذلك سهل عليه أن يتزوج فتاة من قبيلة أخرى ، والفتاة إذا ما سبيت[4] لا يمكث الخاطفون في تزويجها [illegible] قبل أن [illegible] واحدة من إحدى القبائل التي لا يجوز لها أن تتزوج بواحد منها ، فإن هذا الأمر لمروج بالعشيرة تثبت في وقت واحد ميل الفتيان إلى [illegible] أكثرهم الأكثر منهم عدداً ، ودرجة عروقهم[5] في الدعاوة الفطرية .

ونكاح الهيل [illegible] ، فالعروسان [illegible] في [illegible] فيعربان عن افتراقهما ، ويندر وقوع الطلاق عند الهيل .

ويعرف الهيل الذين يسكنون قرى مخصصة بالبال ، ويعرف ما كثر هذه القرى بالپلاري عند أهل السهل ، والبلاري ، فضلاً عن الهيل والمهاير والميتا ، سواء من الأحسن عند الهندوس مع أنهم لا ينتسبون إلى طائفة .

ودين الهيل فطري فطرة أخلاقهم وعاداتهم ، فالهيل يعبدون الشجر ويضعون في أسفله ألواحاً صغيرة تكون هي كل مخضب بالدم أو بمغرة[6] رمزاً إلى الحياة ،

(١) بيضة القبيلة : [illegible] . (٢) أطل دمه : أهدره . (٣) الأطة : [illegible] وهو الدم المهدور . (٤) سبى العدو [illegible] سبياً وسباء : أسره . (٥) عرق في الأرض [illegible] ذهب فيها . (٦) المغرة : الطين الأحمر يصبغ به .

ويُبدي البهيل احتراماً عظيماً للإله القرد هنومان، وهذا ما يستوقف النظر مع كان ذلك القردُ الوهميُّ رفيقَ البطل الآريِّ راما فاتحاً على فتح الهند ونزعها من أيدي الأصليين .

ويُعدُّ من سكان راجبوتانا أشباه وحوش مهابر وميناس الذين تكلمنا عنهم آنفاً ، هؤلاء هم المختلفون الذين يتصل بهما البهيل المتوحشون بالجبال المتصلين ، وهم مهابر وميناس الذين تروى الروايات في راجبوتانا وبعدهم منذ الألوف ، ويُعدّون ، كالبهيل ، قرى منيعة ، ويعتمد أكثرهم على عاداتهم في النهب والسلب مع خشية الجبال والراجبوت فيؤدي هذا الاستسلام إلى تحصين منازلهم الذي تقرب عند بيته من مثال الجبال

٤٢ — هنود من راجبوت

ويسير مهابر وميناس إلى الحضارة قدماً ، فقد أخذوا يحرثون الأرض ويسقون المراعي ، ولكنهم لا يمارسون شعائر هذه الديانة إلا باعتدال ، فتراهم يقدسون الشجر ويعبدون كل متحجر والحديد كإخوانهم البهيل ، وهم يتكلمون لغة هندية مع أن بهيل الوسط يتكلمون لغة مشابهة للغة الهنود

٦ — سكان الكجرات وشبه جزيرة كاتهياوار

تمتد الكجرات في جنوب راجبوتانا وتشتمل على قسم من البسيطة غني خصب حافل بمدن زاهرة كأحمد آباد وبرودة وسورت وأحمد نكر ، وعلى قسم جبلي وعلى شبه جزيرة كاتهياوار التي تعطيها صورة كمثرى عن ذلك تعبير

ويسكن الكجرات ، التي يغشاها البحر ويقصدها التجار من جميع أنحاء الدنيا ، خليطٌ من الآدميين من الكجرات ... من ... ووجهات ، ... ، ... السنديين والشبه جوس والمراوند ويسكون

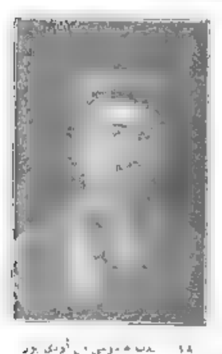

... هندوسي من ...

ولا تزال الجبال الواقعة في شبه جزيرة كاتهياوار ملجأً لشعوب متوحشة ، على حين ترى هندوساً من أتباع المذهب الجيني يسكنون ... وشواطئها ، وهذا المذهب ... به المذهبية هو أكثر مذاهب الهند حباً لإقامة ... ، ... شبه الجزيرة تلك ... ، فشاهد فوق جبل شترونجي الواقع في القسم الجنوبي الشرقي مدينة مؤلفة من معابد الصادة لا من ... بلا إقامة ، فقد قضى مؤسسو ... مساكنهم تحت قبابها الجبلية وبين أعمدتها ... نقوش اللطيفة ... إلى مدينة على ... الواقعة في سفح ذلك الجبل المقدس

وأكثر الناس في الكجرات من أتباع طريقة وشنوية ذات طقوس محبية ، تقوم هـذه الطريقة على تقديس هؤلاء المؤمنين ثلاثين كاهناً كبيراً يدعون مهراجات تقديساً مطلقاً مع قيامهم بأمور معايشهم ، فعلى الكاتب الهندوسي وناشر صحيفة « الإندين سبكتيتر » السيد ملباري أخبر القارئ بعض طرز حياة هؤلاء الكهنة وسماحة مريديهم ، قال السيد ملباري

« إن المهراجه هو الكاهن الذي يؤلَّه ، أي الذي تتجسد فيه وسوكرشنا فيهب عنه كل وشنوي تقي جسمه وروحه وملكه وأهله وثوابه .

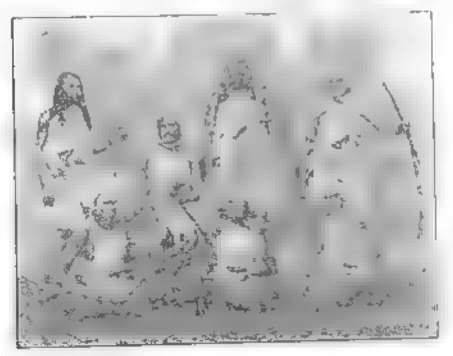

١٩ ــ أناس من الهند (قبيلة شبه متوحشة في راجبوتانا)

« . . . وإليك بعض ما تجبيه المهراجه من عبّاده الأغبياء : خمس روبيات (نحو عشرة فرنكات) للتشرف برؤيته ، و ٢٠ روبية للمسه ، و ٣٥ روبية لغسل

جيبه ، و ٦٠ روبية للجنود لحمايته ، و ٥٠ ٥٠٠ روبية للشواء بمرقته ، و ١٣ روبية ليغسل قيصره بسوطه ، ١٩ روبية لشراء ماء من عنايته أو غسالة تسد القذارة و ١٠٠ ٢٠٠ روبية من الفتيات اللاتي يقضين معه روح الفدة »

وأبدى ذلك الكتاب اهتداءً حول « قضاء روح الفدة » تمحيصه من بعضه رجال عسكريين ، تحقنت العيون عن أعز المشاعر ، وأرى ، مع ذلك ، أنه ليس في الأمر ما لا يمكن تصحيحه مع وقفه للنظر ، فقد خلق الإيمان الذي يقوي العوامل في وجه الفوضى على الدوام ، فهذا الإيمان تعلمه الإنسان أن يحتمل كل شيء وأن يضحي كل شيء ، وبالإيمان يستقبل الشهداء ضاحكين لهب النار وبالإيمان أقام المحمديون أعظم الدول .

الفصل الثالث

غزوق الهند الوسطى والهند الجنوبية

[illegible] عروق الهند [illegible] من عروق الهند الأخرى [illegible]
[illegible] الأمر [illegible]
[illegible] سكان [illegible]
[illegible] على الدوام [illegible]
[illegible]
العروق من عظيم الفروق

—

لقد سرنا في وصف العروق مع التقسيمات الجغرافية التي أوضحنا أمرها في فصل «بنشاب» ، فلذا [illegible] شعوب الهندوستان الأساسية فانتهينا إلى شعوب [illegible] الواسع الشمالي المنطقة الممتدة من نهر نرمدا ونهر سون إلى رأس كُماري .

وفي الدكن سندرس قبل كل شيء أمر المراتها الذين نستطيع أن نصفهم وحدهم بأمة راقية، ثم نبحث في الفروق الدراويدية القديمة التي تختلف عن السكان الذين وصفناهم آنفاً، ثم نختم الفصل بدرس أحوال الوحوش المقيمين بالجبال وسطى ونديين يعرف أكثرهم بالكول، فدرجة هؤلاء هي أدنى درجة بين عروق الهند، وهم أقدم ممثل للعنصر البشري في تلك الديار.

١ — المراتها

يشتق اسم المراتها من كلمة مهاراشترا التي تعني «المملكة الكبرى»، وهو الاسم والعرق الذي يدل عليه قديمان في الهند إلى الغاية، فلا نستطيع أن نعين بالضبط حدود مهاراشترا القديمة ولا أصل الشعب الذي كان يسكنها، وفي القرن السابع عشر فقط ظهر المراتها على مسرح التاريخ ممثلين دوراً مهماً فافتتحوا قسماً كبيراً من الهند فأقاموا دولة أهلية.

واليوم ينقسم المراتها، وعددهم نحو عشرة ملايين، إلى شعب الدكن الغربي من جبال الغات الغربية وجبال ست بورا ويقيمون بمنطقة خصبة تحدها من الشمال نهر نربدا وفي الجنوب كرشنا ونحو مصب الغنيا، ويتكلمون لغة الهند الآرية المهرتية فينقسمون إلى طوائف، وهذه الطوائف دون نظائرها في الشعوب الأخرى صرامة، ولا يعد الهندوس المراتها في مجموعهم إلا من طائفة الشودر، وفي هذا دليل على أن المراتها أسرة عرق غلب في غابر القرون وأذل، ومثال المراتها تورانيّ من بعض الوجوه، شأن الشعوب المتوالدة، فالمراتها وسيطو القامات سمر الجلود ...

الوحشيات قبيلاً صغيرو العيون مرتفعو طرف الأنوف واسعو المناخر ، وتتصف نساؤهم باتساع خدودهن وشعورهن السود الطويلة الكثة

ويؤلف مراتها جامعة ذات مسحة مدبر شؤون كل واحدة منها وتنسب سبعة منها إلى نيبال ، وتتألف من مولى الثلاثة حكمٌ وطنيٌّ يُسمّى بِتْحاب ، ويضع أمراء من الأوساط في نظمهم القديمة ما تحمل مدنكهم لقب نيبال بعد أن أقاموا ممسكة ومرتفعت سلطة المناقصة دولة غير الوطن

ويذكر صاحب مراتب كهذه العربية أولئك ممالك سراتها الهند الوسطى ، فلا يعتريه مثلك أنس من عرق أولئك في الحقيقة ، بل تحكمهم ، فقد ظهرت أُسر من ولد لا تزال محافظة على عهود قدماء الفاتحين وسلطانهم ، ومملكة غواليار هي أهم هذه الممالك الممتدة مئات الكيلومترات بين نهر تجنة وجنبل ويذهب في ... ومدن كهيد وكجرات ، وتنسب مهراجة غواليار إلى أسرة سندهيا الشهيرة التي استطاعت أن تقيم دولة زاهرة على أنقاض الدولة المغولية وأن تقاوم الغزو الإنكليزي زمناً وأن تحافظ على عرشها حين تداعى العروش الأخرى في كل ناحية

وأسرة سندهيا من أصل وضيع ، فهي سليلة رانوجي سندهيا الذي كان سنة ١٧٢٥ يقوم في قصر بيشوا بحمل الخفاف فعظم أمره بحلمه والدهاء ، ثم أصبح ولده مدهوجي ودولت راو عضدي استقلال الهند ، فقدما جهوداً جبارة لجمع كلمة أهل البلاد ضد غزاة الإنكليز .

ولا نقول إن شيوجي هو الذي أسس دولة المراتها وجعل من تلك العشائر الزراعية الصغيرة المجهولة الأمر أمة محاربة مرهوبة في القرن السابع عشر ، والأفق شيوجي

هذا هو الذي جعل عصبياتٍ ذواتِ بأسٍ شديد تقارب هذه العصبيات من الأتراك والأفغان حتى في أيام الزحف على منصب الملك وعصب الدولة المغولية ، ولا تجد اليوم شبهاً بينهم وبين جدودهم حلا أحوال عوالم ويدور الخاطفين على بعض ما كان لأجدادهم من مجد .

٢ — صفات العروق الدراويدية العامة

يُعدّ الدراويد ، الذين نبحث في أمورهم الآن ، نتيجة توالد سكان الهند القطر من الأصليين وغيرهم من المغول الذين أتوا من شمال وادي برهمابوتر الشرقي ، ثم من توالد جميع هؤلاء والفرق الآريين الذين جاءوا من الشمال الغربي ، ويُقسم الدراويد ، بحسب النسبة التي تمتزج بها عناصرهم الأساسية ، إلى فرعين : الدراويد الأصليين الذين هم نتيجة التوالد الأول والدراويد مولدين الذين هم نتيجة توالد أولئك والتورانيين .

وإذا نظرت إلى القطر الهندي وقعت على عنصر دراويدي وجدته ذا مدى الصحيح ؛ ولا تزال حقيقة الدراويد الأصليين تُرى في المناطق الجبلية التي لجأ إليها أجدادهم بالتدريج فراراً من تأثير الغارات الأجنبية .

وعلى ما بين الدراويد الأصليين والدراويد المولدين من تفاوت تُبصر فيهم كلهم صفات عامة كاسمرار جلودهم وجعد شعورهم واسودادها وفلطحة أنوفهم وسعة مناخرهم وسعول شفاههم وشكل جماجمهم التي هي دون المستطيلة ، وتُبصر فيهم عادات فطرية واعتقادات خرافية وطقوساً طائفية وما إلى هذه من الأمور التي عرفوها قبل غزو الآريين لبلاد الهند على ما يحتمل ، ولما فاتهم الآريون

كان عندهم قليلٌ من المعدن كما دلَّ عليه أقاصيص الرامايانا ، فكانوا على علم بصناعة المعادن والخزف وإنشاء السفن وحَوْك النَّسج وفنّ الكتابة

ولا علاقة للغاتهم بالسنسكريت ، وقد درسها علماء أوربة قبل اكتشاف السنسكريت ، ولتلك اللغات عدةُ لهجات ، وتنقسم إلى أربعة فروع أساسية يتكلم بها نحو ... و ... ، وهذه الفروع الأربعة هي فرعُ الكنري ويتكلمون به بالغرب في جبال كهات الغربية وكورك وميسور ، وفرعُ المليالم ويتكلمون به في ساحل ميسور على الخصوص ، وفرعُ التيلغو ويتكلمون به بالشرق في وادي غوداوري ووادي كرشنا ، وفرعُ التمول ويتكلمون به بالجنوب في سهل كوروماندل ورأس كماري وقسم من جزيرة سيلان

و ... الذين يقطنون في جنوب الهند من وادي غوداوري إلى رأس كماري ... مقيمين ، على العموم ، بالمناطق الوعرة التي ... ، فهؤلاء هم عنوان السكان الأصليين ... أو ... والـ ... قليلاً

بيد أن هؤلاء ... في هضبة الدكن الواقعة في جنوب نهر غوداوري ... كثيفة من العرق الدراوذي يبلغ عدد أفرادها خمسين مليوناً

ولا تتميز ... الدراويد إلا من ناحية اللغة من ... الهندوس المطلق ، وجميع الدراويد يستثيرون تقدم الحضارة منذ زمن طويل ويدينون بدين البراهمة ويتألفون من طائفة الشودرا ، والمنبوذ ، على العكس ، ... المنبوذين غاية الشر ومسودي الطوائف وطريدي المجتمع وأطلق الدم

وتتوزع ... شرق الهند الدراوذية وموسطها أشدُّ الدراويد ، وبين

التامول تقوم مدينتا مدراس وبوندي شيري ، وفي مدراس تُطبع كتب التامول بلا انقطاع ، وما في لغة التامول من الكتب الكثيرة والتراكيب الوافرة جعلها ذات أدب ، ويتكلم بهذه اللغة ١٥٠٠٠ شخص ، وتمتاز العرب على الكنري والتلنغو التميز وبديتين ، والتامول كتب وُضعت منذ ألف سنة

وأمة التامول ذات مخدّة وشهامة وإقدام واستعداد للتقدم ، وعليها يتوقف مصير الهند الجنوبية على ما يحتمل .

ويعيش التيلنغو ساحل كوروميندل سائرين إلى الجنوب ، والتيلنغو دون التامول مدنية ولهم ما لهؤلاء من المدد .

و... ويتكلمون إحدى اللهجات الدراويدية الأربع المذكورة آنفاً ، يتكلمون حين متبادر ، والمصوص الذين هم فريق منهم هم ، على عكس التامول ، هاربون من ... ومتمسكون بعاداتهم القديمة

وتقع كرنات أو « الأرض السوداء » في وسط الدكن ، وتشتمل على مملكة ميسور وعلى جزء من مملكة نظام ، وفي تلك المنطقة يتكلم الناس بلغة الكنري التي هي ثالثة اللغات الدراويدية الأدبية ، والوسط هو « البلد الأسود » حقيق حيث يتجمع التراب الأسود المتفتت من الحجارة البركانية بفعل سيول الرياح الموسمية وفيضانات الأنهر ، والصالح لزراعة القطن .

وعرفنا بعد أن درسنا صفات شعوب الهواويد ، بحث في الجماعات المتفرقة التي
هي منه الأدنى العطر من الخلاسي كما قلنا

٣ — سكان كوكن

تمتد مملكة كوكن جميع الساحل الممتد من خليج [illegible] إلى جنوب [illegible]
[illegible] ، ويطلق اسم كوكن أيضاً على منطقتين شمالية وجنوبية ،
وفي ذلك البلد المتوجه إلى [illegible] الغرب [illegible] من [illegible] وأفاقون من أوربة
و[illegible] ، فسكان [illegible] من اختلاط سكانه ، ولا [illegible] جماعة ذات
مثال [illegible] تستحق الذكر ، وقد [illegible] في [illegible] كونت
بعض القبائل الوحشية في سكن [illegible] [illegible] فيه يتضورون[1] [illegible] في
السحر كالمردة ، [illegible] النحل التي هي هنالك [illegible] فيسكون
[illegible] ومنهم [illegible] ومن يخصون ومن يختون[2]
[illegible] ، وإلى أصحاب الأملاك[3] [illegible] صاحب
[illegible] ثياب ذات [illegible] عليهم الرزر[4] [illegible]
[illegible] على قدمي ذلك [illegible]
وهو يقول « مولاي [illegible] كي [illegible] »

[illegible] [illegible] [illegible] ومن [illegible] عندهم [illegible] صدورهن ،
[illegible] الأسماك اللاتي [illegible] مراضع أن [illegible] على [illegible] العري
كما [illegible] عن [illegible] أولئك الهمج من زرّاع النخيل ثياباً .

---

(١) [illegible] في [illegible] — (٢) [illegible] [illegible] من [illegible] — (٣) الأملاك
[illegible] [illegible] أيكة — (٤) الرزر ، جمع [illegible] وهو [illegible] .

٤ – سكان شواطئ ملبار (الناير ، الخ)

شعوب هذه المختلفة نظم وعادات تتمثل بها مجاوريه الأمم المتمدنة من مراحل والأطوار قبل أن تصل إلى حالها الحاضرة ، فنحن ، حين نجوب شبه جزيرة الهند ، نبصر جميع أدوار الحياة التي مرّ أجدادنا بها

والنايز القاطنون في ساحل ملبار يراؤون بعض تلك النظم العصرية التي عاد سرب لا نرى في غير الكتب ، فاليوم يستطيع الباحث أن يبحث عند النير في نظام الأمومة كما كان في فجر التاريخ .

دلت المباحث الحديثة التي عرضناها في كتاب «الإنسان والمجتمعات ومصدرها وتطورهما » على أن نظام الأمومة أول نظام ظهر عند الدور الذي كانت تعدّ فيه جميع نساء القبيلة وجميع أولادهن ملك جميع رجال القبيلة ، فنظام الأمومة ذلك هو أصل الأسرة ، وما كانت الأسرة لتنشأ بغيره ، وعماد الأسرة ذلك يحصل الأم رئيسة أولادها ويمنحهم حق وراثة اسمها وأموالها فحلّت المصالح الفردية القوية تلك محل المصالح القبلية الضعيفة .

وفي أوائل القرن السابع عشر من الميلاد زار فرنسوا بيرار ساحل ملبار فوصف النير كما نقرؤه من حقائق في أيامنا فذكر أنهم قوم محاربون مصادرهم ذوو عادات تذكر الإنسان بفرسان الدور الإقطاعي الأوربي في القرون الوسطى بما وجده فيهم من شدة البحر وشدة البأس والحرص على الاستقلال وخلق الكرم وحفظ الكرامة واحترام النساء .

وكان النير في القرن السادس عشر من الميلاد أمة أغنياء أقوياء يملكون مدناً مهمة ، فقال ذلك السائح «بلدو راموزيو» (تولى) في كاليكت من أعظم أمر ،

الهند وغيرهم ، فهو يقدر أن يجهز ١٥٠٠٠ جندي من النير ، ويعدّ جميع ملوك النير المقيمين بذلك الساحل من أتباعه فيطيعونه خلا ملك كوچين »

والنير من الناحية الخَلْقية عرق ذو ملامح من أجمل ، فهم ذوو قامات ناهضة ووجوه صبيحة وأطراف لطيفة وخدود سُمْر لامعة

ومن قبائل النير « الشودرا » ، ولا عجب ، والنير يتألف منهم طائفة يستولون فيه مستبدة على ساحل مليبار ، والنيرُ ، وإن خضعوا دائمًا لحكم البراهمة ، فمن الممكن أن يعد بين هؤلاء عليهم ، فقد تركوا لهم عبء نفوذ روحي ، والبراهمة هؤلاء ليسوا من أصل آري ، ثم عدُّوا مساوين لبراهمة شمال الهند الآريين ، والنير أنفسهم ، وإن كانوا يعدون أنهم من طبقة الأكشترية ، لا يراهم الهندوس إلا من طبقة الشودرا ، والنير مستكبرون على الأهلين الذين يجعلون منهم ويستخدمون على التي يخضعون لها من مع أن نفوذ هؤلاء أضعف من نفوذهم ، والنير يمشون أو لا [illegible] مسلحون محترمون ، ولولا هؤلاء على جانب عظيم من الشجاعة مع [illegible] ، فهم لا يسلكون في [illegible] ، عن مقاتلة يقاتلهم قتالاً لا هوادة فيه ولا رحمة

و [illegible] الأمومة [illegible] في التقدم [illegible] نظام الأمومة الذي يسود في النير ، فلا نجد هنا العائلة [illegible] من الأهلين كالكهسية الفاضلين في ولاية [illegible] فتكلمنا عنهم في فصل آخر ، وكالتوده الذين نتكلم عنهم في هذا المطلب

ولا نجد في الصفات الموروثة في الفطرة أثرًا للنكاح ، فلوقة [illegible] [illegible] مثلثة [illegible] ، فإذا تطورت هذه الصفة فلا أحسنت [illegible]

الأمومة ، شأن البربر ، فغدت النسوة تملك قليل من الرجال وعُهد إليهن في إدارة الأسرة

والزوج عند البربر قائم على مبدأ تعدد الأزواج من الذكور ، ومن المحتمل ألا يكون بعض المظاهر التي سبقته أقدم من الزمن الذي ضربت السيادة فيه إلى مراجعة .

أجل ، إن الزواج عند البربر قائم على مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة ، ولكن أمد هذا الزوج قصير فلا يزيد على بضعة أيام ، فالخطيب يعلق في عُنق الفتاة قلادة على الأثر فتتزوج منه ، ويدوم زواجها به ما قبلت هذه القلادة وضاعت عليه ، فبعد أيام تتزوج مع حيرة فاسحة في المجال لأزواج آخرين كثيرين

ولن تصبح الفتاة البربرية ملك القبيلة بأسرها كما هو أمر القبائل العربية في العهد ... ملك عدد من أفرادها ، ولن يزيد عدد أزواج الفتاة عند البربر على أحد عشر رجلا ، والفتاة البربرية هي التي تختار أزواجها ليعملوا على دوام الأسرة ، والفتاة البربرية ، وهي تقيم مع إخوتها ، تقبل أزواجها الكثيرين بالتوبة على أثر اقترانها بخطيبها الأول ، والأزواج هؤلاء يقرّرون حساباتهم في باب الزوجة ليتمّ حضورهم ويتذكر ما هم من حقوق المتعة ما طلبوا دون خصومة

ومن الطبيعي ألا ينتسب الأولاد الذين هم نتيجة تلك الاقترانات المؤقتة إلا إلى أمهاتهم وأن يسمّوا بأسمائهن ما جُهل آباؤهم على العموم

فالمرأة البربرية هي ربة الأسرة الحقيقية ، وتمارس سلطان هذه الأسرة معونة ابنتها البكر ، ولا يعيش معها من الذكور إلا إخوتها وأولادها ، ثم يسكنه الأولاد

الذين يشملهم أبوهم وأخوالهم لأخوالهم هؤلاء من الحب يبذل الذي لم يكنه الأولاد لأبيهم في الأسر الأخرى ، والأبناء إذ كانوا لا يتركون أخوالهم تقريباً ، فإنهم يحملون لهن من الود ما لا يحملون لزوجاتهم ما كان وجودهم بهؤلاء لا يدوم أكثر من أيام

ويسهل إدراك سر في تشكيل المرأة ، التي تربي أولادها على ذلك الوجه بعد زوجها ، دوراً أساسياً في الأسرة ، وفي تلك الأسرة يلي الأولاد درجة الخال والإخوة الذين يعيشون معها منذ عهد الطفولة ، ولا يكون الزوج غير شاب صعوب هذه المرأة على شكل مؤقت مع الزوجة وصولاً إلى دوام الأسرة ، وليس للمرأة من حق سوى حب أخوي الزمان وأخيها ... ولها حق مطلق في الأخذ من يرومونها ، على ألا يكونوا من طائفة أدنى من طائفتها حذر الصهر والنصيحة .

ومما لا ريب فيه أن يكون بين أولئك مولدين أمس من البراهمة من طبقة التقديس والعبادة ، فالبراهمة هؤلاء ينتقلون من بيت إلى بيت حاملين بدوراً من الدم العالي ما يرتفع به مستوى العرق الذي يقتربون منه

والرجال مثل ... عند النايريين ، على أن يعرف أن النايريين يمارسون نظام تعدد الزوجات ونظام تعدد الأزواج معاً ، وبعبارة أخرى ، فهم الذين يعملون بنظام تعدد الأزواج من الذكور ، فترى كثيراً من الإخوة أو غيرهم يتفقون على التمتع بامرأة واحدة ، ولا ريب في أن نظام تعدد الأزواج من الذكور شائع في عدة مناطق من الهند ، ولا سيما في مناطق أقصى الشمال القريبة من التبت وفي أقصى الجنوب حيث

القبائل العربية المجاورة لمنوبا ، وكان للملكة مكالي كت ، في غابر الأزمان ، عشرة أزواج مختارون من البراهمة حلا روحيا للملك .

ويظهر أن نظام تعدد الأزواج من المذكور ذلك ، وهو مما لا يلائم مبادئ مصرية ، عربي في القديم ، فقد ورد في كتاب مها بهارت أن الإخوة الخمسة معروفين بـ ... تزوجوا دروبدى الحسناء « ذات العينين اللتين هما كالشذر » .

وإذا مات أحد النائر ورثه أولاد أخته الكبرى ، لا أولاده ، وينتقل إرث الأم من بنت إلى بنت ، كما كان حال السلطة منتقلة في ترافنكور ، والإخوة يستغلون أملاك الأم من غير أن يتملكوا منها شيئاً .

ويلائم نظام الأمومة عند النائر مراعيهم السفى وطرق معاشهم ... منذ قرون مع المسلمين والنصارى ... منذ زمن طويل ، ولم يستطع الفتح الغربي أن يقضى عليه .

٥ — سكان نل غيري

يسكن حول (١) نل غيرى أقوام متوحشون يختلف بعضهم عن بعض ... ، ونتوصل بالبحث في طبائعهم وعاداتهم إلى مثل الحال في القرون الخالية ، وتقسم هؤلاء الأقوام إلى خمس قبائل مختلفة : التودا والبداغا والكوتا والكورومبا والإرولا .

ويسكن التودا جبال الطود ، وهم أسمى من جميع أولئك ، وهم معدودون من الرعاة ويتكلمون بلهجة كنرية ، ويفترض أن يكونوا قد جاءوا من ... منذ خمسة قرون ، ولا يزيد عددهم على ألف .

(١) الطود ... الجبل العظيم ، ...

والبدغا هم مهاجرون أتوا من ميسور حوالي القرن السادس عشر ، ولا يختلفون عن سكان السهل إلا بأنهم دون هؤلاء حضارة ، وهم أكثر سكان تلك الطود عدداً فيبلغ عددهم نحو ٢٥٠٠٠ ، وهم قوم زرّاع ، ويسكنون مثل أولئك المسكرنة

ويجد تحت دست القبيص المردوق الأصل الكوتا والكورومبا والإيرولا الذين لا يزيد عددهم على ٣٠٠٠ ، وهؤلاء هم ، لا ريب ، من بقايا الأهالي الأصليين ، وإن أحدهم يقوى مثغ الأعصاب المشابهة لأعصاب القديمة ، ويسكنون شهعاب درو بدية قريبة من شعاب سكان السهل المتصدين سهم ، والكوتا عون الصمر المصدعين في الطود ، ويمثل الإيرولا الذين قيمون بالغاب في شعف الطود أدنى مُثُل النوع البشرى

٢١ — تودي (نل غيري) (استنبطت هذه الصورة والصورتان التاليتان من مجموعة جوبكس)

والآن نبحث في صفات هؤلاء الأقوام الذين أشرنا إلى أصولهم وإلى طبائعهم وعاداتهم .

التودا — التوداهم ، كما ذكرنا ، أشهر سكان نل غيري ، وهم يتصفون بطول قاماتهم وكثافة شعورهم السُّود وكثافة لحاهم المجعّدة وغلظ سحناتهم ، واستقامة أنوفهم على السوم ، وشكلها في التاليسة ورسانة عظامهم ، ولا نستطيع أن نصفهم بأصح من نعتهم بطلاقة وجوههم ومرحهم وعدمهم وسلامة سرائرهم وعاداتهم السلمية

وحسن الذوق في ملابسهم وصفاء سحناتهم ، وتقدّم عنوان الصحيح الثالث ، وإن شئت فقل عنوان إنسان الطبيعة الذي رآه وصفه روسو ومن على مذهبه في القرن الثامن عشر .

وتعيش كله هنودا بمعنى الزراعة ، ولا يعتني الهنود بغير رعاية مواشيهم . وما في [illegible] بل يعيش من مرعى مواشيه بعض أطيب المطاعم ، والألبان أهم ما يتغذى به الهنود ، ومع ذلك يحترم الهنود الإنسان درجة العبادة ، والبقرة عند الهنود هي حيوان مقدس كما هو أمر البدعة ، و[illegible] في كنيسة الهنود ، ويدعى كاهنهم [illegible] أو الكاهن الأكبر ، ويرى الهنود أن حلاب البقر وضبط [illegible] وهي من أقدس الأعمال بديهة على خلال [illegible] من [illegible] . ويعتقد الهنود أن الإلاهة [illegible] هي بقرة مشهورة [illegible] ، ويحتجز الأغنام [illegible] الهنود هو قدر الزراعة في تربية الحيوانات والعناية بها .

والبقرة ، وهي حيوان الهنود المقدس ، تعرف في جميع طقوسهم وترقص جميع [illegible] ، فإذا وُلد مولود [illegible] في [illegible] القطيع ، وإذا مات مولود [illegible] أمام جثته [illegible] عشيرته و[illegible] في ملكوت الأرواح ، ويحيل [illegible] اسمه [illegible] خطايا الهنود في بعض أيام السنة [illegible] إلى [illegible] لهؤلاء القوم [illegible] وطهر ، وفي هذه العادة من [illegible] لأمر [illegible] ما لا يخفى على المتأمل .

وتعتقد الهنود أرواح الأموات ، [illegible] ، [illegible] الشعوب [illegible] فإذا [illegible](١) أحدهم [illegible] أن روحه تعود [illegible] حول ما [illegible] من

---

(١) [illegible] . [illegible] مكانه ، أحمر عليه

السلاح فيكون هذا السلاح المُضَرَّج محلّ احترام لديهم فيحفظونه بين ذخائرهم ومتاعهم وبين زندهم وقوالب خُشُبهم

ومن خرافات أهالي مجرى الطرمسة أن يروا بين الكوروب ، أصحاب الأذهان الملاح المتعودين الأعمرة النوبية والهالكين في الأمكنة الدينية(١) ، سحرة ذوى قوة لا حد لها . فإذا أصابت مصيبة أسرة نوبية ، وإذا احتاج وباء منزلهم يدعى مستدعوا ، على عجل ، كوروماوات واتهموا إليه أن يقف الشر الذى أحدثه ، فيلقى عسر عليهم واحد يكثر من الحركات والالتواء ، ثم ارتمى على الأرض زاعقاً صارخاً

ويعتقد النوبة الشجر أيضاً اعتقاداً عجيباً ، وبيان الأمر أن سكانهم ، وهو فطرى ، لا يكون شرعياً إلا بعد حمل الفتاة ، من غير عائق ، الشهرين الـ ع بعد الأولى ، فيذهب الزوجان ، بعد ذلك ، من العامة كى يذهبا ليلة تحت شجرة جميلة من أشجارها حاضنين بيانها حامية الطفل القادم ، فإذا ولد هذا الطفل أخذ أبوه ورقة منها وثناه على شكل قدح وصبّ فيه ماء قليلا ثم شربه الأبوين والطفل به فتم بهذا تأليف الأسرة حقاً

وتتفق بعض مظاهر النكاح مع ذلك ، عندما يختار الفتى فتاة من عشيرته يؤدى إلى أبيها القادم عوداً ، فيضع أخوه هذا رحله على رأسه ويقدمه إليه ، ثم يؤتى بالخطيبة إلى منزل الجديد لابسة ثياباً فاخرة على صوت الأغاني ، فتسجد أمام زوجها فيضع هو والأقارب أرجلهم على رأسها ، ثم تُرسل لتبحث عن جرة ماء فإذا صنعت هذا الأمر اليسير قامت بشئون المنزل خادمة

---

(١) عند سكان بسمو عمود حلفا ، كان سعداً من الماء والوحم

والنكاح الذي يقع على ذلك الوجه تدخل دور التجربة ، ولا يعترف به إلا في شهر السابع من الحبل الأول حين يمس(١) الفتاة في وليمة فاخرة يعرضه أمام الجميع نحو ثدي فيربط زوجها بحقويها شريطاً تدعى منالى الدر

٢٢ — كوتوى (من الهند)

والتودا من القائلين بتعدد الزوجات وتعدد الأزواج معاً ، وذلك بأن تزوج رهط من الإخوة رهطاً من الأخوات ، فيكون لكل زوجة أزواج إخوة ويكون لكل زوج زوجات أخوات ، فإذا حدث أن يكون ملك قد تزوج مع زوجته أخوات زوجته كل ثمن مكتسب ثم يعهد بعضه إلى كبيرهن من المال ، ويكون لإخوته حق مشاركته في زوجاته الأخوات على أن يدفعوا نصيباً مما أنفق على خطبته

والانتحار بسبب الحب ليس من النادر ، على ما يظهر ، عند أولئك الأقوام الفطريين ، ولا سيما عند البداغا ، مع ما في مناكحهم وطلاقهم من يسر ، أقول هذا وأنا أرى ضرورة وضعه على محك النقد

والأولاد يوزعون بحسب السن على أزواج أمهم ، فأكبرهم يكون من نصيب

(١) ماس يميس ميساً : مشى وهو يتمايل ويتبختر .

الزوج الرسمي ، ويكون الولد الثاني من نصيب عمه الأكبر ، ويكون الولد الثالث من نصيب عمه الثاني ، وهكذا

وتنزع هذه العادات الفطرية إلى الأفول عند التودا ، فالفتى منهم يشترى لنفسه زوجة ، فأضحى أمر تعدد الأزواج من الذكور مقصوراً على طبقاتهم الدنيا

والأولاد عند وفاة والدهم يقتسمون تركته بالتساوي مع احتفاظ أصغرهم ببيت أبيه على أن يسكن فيه نساء الأسرة ويعولهن

١٣ ـ رجل من الإرولا (بل عرى)

ولا يعرف التودا من مبدأ التملك غير ما يحتفظ به المرء لنفسه من بيت ومتاع ، فالأراضي عندهم مشاعة ، وهم لا يزرعونها ، بل تكون مراعي لمواشيهم ما أغنى التودي عن الفلاحة

ولا يعرف التودا من أمور الصيد شيئاً ، ولا يحملون سلاحاً لقتال ، ولا يفكرون في هجوم ولا في الدفاع ، ولكنهم يضعون أكواخهم واطئة جداً درءاً لما قد تتعرض له من القرود

والتودا ، كالبداغا ، يسكنون القرى ، مع أن الكوتا والكورومبا يقيمون بخصاص[1] حقيرة ، ويقطن الإرولا في الكُنُس[2] والأجحار[3] وتحت الأشجار كالأثاث والطين

(١) الخصاص ، جمع خص وهو البيت من قصب أو ما إليه (٢) الكنس ، جمع الكناس وهو بيت الظبي ـ (٣) الأجحار ، جمع الجحر وهو مكان تحفره السباع والهوام لأنفسها

البداغا — لا تجد في البداغا ما تجده في التودا من حسن المنظر والأخلاق والكياسة والنُّبل، فالبداغا أقصرُ قامةً من التودا وأشد سوادَ جلودٍ منهم، والبداغا ذوو شعور قليلة ولحى مَمْرَطة(١) وأنوف مُفَلْطَحة(٢) وجباه ضيقة، ويتصف البداغا بالرقاعة والقسوة والشُّح وتعاطي الأفيون، وهم أكثر الشعوب الخمسة التي تسكن نيلغيري عدداً، ويقومون بزراعة تلك المنطقة الغنية من غير أن يمنعهم ذلك من أن يكونوا رُعاةً، ولهم عقائدُ مشابهة لعقائد التودا، ويرتبطون في مجموع عباداتهم في دين البراهمة مع ذلك، ويُقدِّس البداغا لنّا ويعبدون شيوا في صورة ثور، وفي نكاح البداغا ما في نكاح التودا من يُسْر العَقْد وفيه ما في نكاح هؤلاء من التقييد في عدد الزوجات والأزواج، ويتناول ذانك الشعبان في الطقوس قربًا، ويختلفان، مع ذلك، فيما يُدْخِلان إليها، في العالم، من مظاهر السرور والألم، ويشترك منهم شيبٌ وولدان في رقصهما بإباحة وتجنب، ويقومون بجنائزهم مع سُكْر وعَرْبدة.

الكورومبا والكوتا والإيرولا — تختلف هذه القبائل الثلاث عن القبائل المذكورة آنفاً من الناحية الإنثولوجية، وتتصل بها قدماء السكان الأصليين، وتتصف بالضعف وسواد الجلود وازبئرار(٣) اللحى وخشونتها وتموّج الشعور وترهّم وغلظ الشفاه واستواء الصدور وطول الذراعين وقِصَر الساقين، ووجد بعض السياح شبهاً عظيماً بين هذه القبائل وسكان أوسترالية الأصليين.

ويسكن الكورومبا أكواخاً كبيرة في سفح الطَّوْد، حيث تجتمع عدةُ أُسَر، ويخاف البداغا والتودا من الكورومبا الماكرين ويزدرونهم في وقت واحد، وقد

---

(١) المرط: القليل الشعر ـ (٢) فلطح الشيء: بسطه وعرضه ـ (٣) ازبأرّ: نفش

تمشي على [illegible] والتودا ذعْراً عند ما تُبعتهن أناس من الكوروهمه [illegible]
الكوروهمه من [illegible] في حيواتهم من [illegible] وسرعة التصديق [illegible]
مرتاً أكثر من أن ينالوا [illegible](١)

[illegible] الكوروهمه [illegible] كبيرة قليلة الأسنان كالبراقة ونسعر والعيد مع [illegible] الكوروهمه [illegible] الكوروهمه [illegible] من [illegible] (٢)

[illegible] الكوروهمه [illegible]

[illegible] ولا [illegible] في [illegible]

[illegible] ويمشون مع الأمهات
أولادهم [illegible]

[illegible]

ولا [illegible] ولا قصبة وحدة ، وهي سلامة الذوق ، فهي تفضل [illegible]

[illegible] على [illegible] ، [illegible] موهبة من كلام مجرد [illegible]

[illegible]

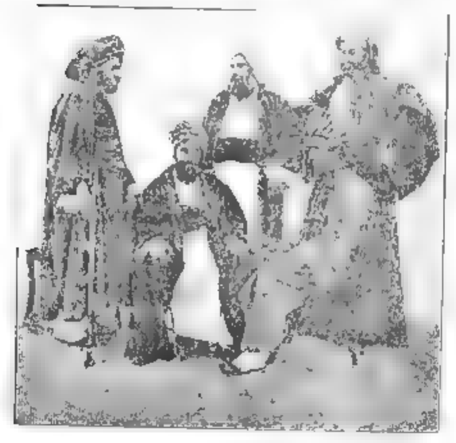

[illegible]

وصناعة [illegible] هي كل ما يعرفه [illegible] من [illegible] ، ويتألف عدادهم ،

على خصوص ، من [illegible] والفواكه وحبوب [illegible]

٦ - سكان جنوب الهند الوحوش

تشمل جبال أنامالا القنّة في جنوب جبال نيل غيري على قبائل وحشية عاتية تتكلم مع استثناء التودا كما ذكرنا آنفاً

والكادر هم سكان جبال أنامالا الذين يحرسون الصيد ، ويزعم الكادر أنهم من أبناء الجبال ، ويرون من الشين أن يزرعوا الأراضي ، ويتركون أمر الزراعة إلى الملسر ، ويقوم الماليَر بالرعي والتجارة ، ويُعنى الماليَر هؤلاء شعورهم الكثيفة السائرة فتميل إلى كُلام فيكتسبون بذلك منظراً وحشياً ، ويرى علماء وصف الإنسان إلصاق هذه الشعوب بزنوج جزائر الملايو

ولا تزال توجد جماعاتٌ وحشية من سلالة قدماء الدراويد في جنوب الهند ، فهي تشابه الشعوب التي وصفناها فيما تقدم بمظهرها وعاداتها وأخلاقها ودياناتها الوثنية وعبادة الأرواح ، وإليك قولاً موجزاً عن هذه الجماعات

الشُّنار ، ويقيمون بأقصى جنوب الهند وجنوب تراونكور ورأسِ كُمري ، ويبلغ عددهم ٥٠٠٠٠٠ ، ويدين من هؤلاء مئةُ ألف فقط بالنصرانية ، ويعبدُ الباقون أرواح الأموات ، ويرى الناظر إلى مداخل قُراهم أهراماً صغيرة يضعون عليها نُذُوراً من فواكه وحبوب وأزهار لِتَجلب إليهم حماية الملائكة ، ويتعاطى الشنار زراعة النخيل وحدها ، ويقوم النخيل بجميع احتياجاتهم على ما في استغلاله من عُسْر وتَعَب ، ويتكلم الشُّنار مثلهم مثل جيرانهم الملايو الذين لا يختلفون عنهم في شيء

الكايكهار، ويسكنون أعالي جبال أليري التي تمتد إلى الجنوب طولاً أميالاً، ويُنشئون مساكنهم اللطيفة بين أغصان الأشجار حفظاً لهم من الضواري، ويجهلون نظام التملك، وأموالهم مُشاعة، وقد انتقلوا، مع ذلك، من نظام تعدد الأزواج من الذكور إلى نظام الاقتصار على زوجة واحدة الذي لا تجده عند قبائل الهند إلا قليلاً.

البيديس، ويسكن بعضهم حول كالي كت، ويقيم بعضهم الآخر نحو بحيرة بون كت، ويُعدّون أشدّ وحوش جنوب الهند توحشاً، ولم يزالوا في وقت قريب جداً، يُوقدون النار بدلك غصنين يابسين أحدهما بالآخر.

الكورو، ويسكنون مناطق كوئمبتور وتنجور الغربية، ولم يعدلوا عن العادات الهمجية إلا منذ زمن قصير، فكان الواحد منهم، إذا أراد أن يجلب النحس والتعس إلى عدوه، يذهب بأحد أولاده ليذبحه على عتبته.

٧ - سكان الولايات الوسطى أو غوندوانا

فرغنا من وصف مختصر لعروق جنوب الهند، فنرى أن نتقدم في شمال الدكن ونصير إلى جبال غوندوانا الواقعة في وسط الهند والتي لم تُرتَد حتى اليوم، فتشتمل على عدة قدماء سكان حافظةً لهم من مغازي الأجنبي مواضعها المنيعة وفجاجها الضيقة.

وتُعدّ غوندوانا منطقة الهضبة التي هي أعلى مناطق الهند، وتفصل غوندوانا منطقة الهند الشمالية أو هندوستان عن الهند الجنوبية أي الدكن، وتعد غوندوانا متماسكة، بغاباتها وحيواناتها وسكانها، فتلك القطر المعترضة بينهما، وتمتد سفوح

غوندوانا وهضبة [illegible] شواطئه [illegible] لم تستطع إحصاءها سير الدهور حولها ، ومن شعاف(1) غوندوانا تنفذ [illegible] إلى جميع الجهات : إلى الشرق وإلى خليج البنغال وإلى بحر عُمان ، [illegible] تحتفظ [illegible] في أعاليها الحافلة بالأسرار

ولا تنطبق كلمة « [illegible] » على الأمر الواقع منذ عشرين سنة ، ولكنّ هذه الهضبة [illegible] من الصحارى بفعل مبتكرات العلم الحديث ليس [illegible] بحسب [illegible] في عروق [illegible] وفي الحال التي [illegible] وتأثير مختلف البيئات .

[illegible] مثلاً ، [illegible] الإنكليز ، وحقاً أن احتياجات [illegible] الإنكليزي [illegible] لقضية [illegible] الأعصاب(2) التي [illegible] من الأهالي منذ قرون ، وحقاً أن خطاً حديدياً [illegible] الذي يحدّ الولايات الوسطى في [illegible] ، وحقاً أن خطاً حديدياً آخر [illegible] ويقطع منطقة [illegible] ، وحقاً [illegible] لا [illegible] قرن شيء من الطبائع والعادات والمعتقدات التي [illegible] في وسط [illegible] ، بيد أن ساعة زوال هذه الأمور ، التي [illegible] وقت [illegible] ، والحالة هذه ، درس أحوال أهل غوندوانا [illegible] كما هي اليوم في المقاطع الكبيرة الغاب [illegible] ، مادام أهل السهول والهضاب يتهذّبون بسرعة .

[illegible] الذين اشتقّ اسم غوندوانا من اسمهم ، بعدّة ملايين ، غير أنه [illegible] منهم سوى [illegible] في طور الوحشية المطلقة

---

(1) [illegible] : جمع [illegible] وهي رأس جبل — (2) أعصاب : جمع عصب وهو قصة من [illegible] [illegible]

ولا نجد من منطقة غوندوانا التي عرضنا لحضارتها آثاراً مهمة في غير قسمها الجنوبي الشرقي المُتَّجه إلى منابع رافدي غوداوري: برنهيتا وإندراوتي، وفي غير قسمها المتَّجه إلى الشمال الشرقي حيث جبال أمركنتك والجبال التي تحاذي مجرى نربدا الأعلى.

ونسمع عن تلك الأصقاع التي لم تُزَرْ[1] حتى الآن ما نجده في كتب الآريين من الأساطير عن جبال الهند الوسطى، فيصفها هندوس السهول بأنها غابات مملوءة بالدَّوْح[2] يطلبه الأنجرنو وبيئة قاتلة وبأنه يسكنها حيواناتٌ مفترسة ذوات قامات عظيمة ومَرَدة كريهة تحاكي الإنسان، فبمثل هذا صوَّر قدماء غُزَاة الهند الهضابَ الوسطى في الدكن وبهم سكان البلاد الأصليين المغلوبين من غير أن يجرُؤوا على دخولها.

والمغول هم أول من اقتحموا غوندوانا، وكان ذلك في القرن السادس عشر، فاستولوا على معظمها من غير أن يستقروا عليها، ولم يمض زمن أن أسفرت جهود الإنكليز عن فتح البلاد وعن وقف ضحاياها البشرية في ملاجئها الخفية.

ويتألف الأدميون، الذين التجأوا إلى غوندوانا والذين يُعَدّون بستة ملايين من حين وآخر، من ثلاث جماعات أساسية: البهيل والكول والغوند، وهؤلاء الغوند هم الأكثر عدداً والأقدم إقامةً، فأطلقوا اسمهم على ذلك القطر.

والبهيل، وهم من الدراويد، قد درسنا أمرهم في فصل آخر، ولا يمكن

(1) زاد الأرض يزودها زوداً وزيادة: تفقد ما فيها من المراعي والمياه ... على مصالح الدول ... — (2) الدوح: جمع الدوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة.

غوندوانا غير ٣٠٠٠٠٠ شخص منهم مع ذلك ، ويمرّ السهل الدراويدي المغلق هو في الشمال والترب مع ذلك .

وللكول ، وقد عادوا لا يتكلمون من الدراويدية ، لا يسكن غوندوانا منهم غير ٤٠٠٠٠٠ نسمة ، وينتشرون ، على الخصوص ، في جهوتانا‌كپور وفي ساحل أوريسة وفي شمال حيث لا قيام ، ومن قبائلهم القاطنة في غوندوانا الكوركو أو الميون تود ه مهادبو والكوند الذين لا نعود نخلطهم بالغوند

ونحن ، إذ نخصص مطلباً آخر للبحث في أمر الكول القاطنين جهوتانا‌كپور وفي أمر سكانها الآخرين ، ندرس الآن حال الغوند الذين هم أساس سكان غوندوانا والذين هم أهمّ سكان الهند الأصليين أوصافاً وعدداً

وإذ لم يكن الغوند عرقاً أصلياً من عروق الهند فإنهم نشأوا ، على الأرجح ، من امتزاج بين الهندوس بدر و بد الذين هم أقرب الناس إلى مثال الزنجي المصري ، والغوند أدنى درجة في سلم العروق شبههم و بعضهم وسوادهم ، والغوند ، مع ذلك ، أعضاء عصبة قوية ، والغوند يختلفون جداً عن بعض وحوش بل عبري ذوي معاهر الناس المصعف وعن الهندوسي ذي النظر القضيف [1] ، ووجوه الغوند مستديرة ، وأنوفهم قصيرة ، وشفاههم غليظة ، وعيونهم صغيرة غائرة ، وشعورهم سود خشنة لا يمه مسدلة خصلاً وضفائر على جوانب وجوههم ، وتتألف ثيابهم من زنّار يعقدونه حول كلاهم ومن زنّار أخرى يعقدونها حول رؤوسهم ، وتتألف ثياب نسائهم من نسيج ساتر للأوراك يبرز صاعداً إلى عواتقهن شاملاً لأثدائهن الفوقانية ، ولا يزال يرى أناس من زمر غوندية متفرقة مقتصرين على نطق من ورق الشجر

(١) قضف الرجل يقضف : نحف ودق .

كما في عالي الأرمان ، وفي الغالب تهب ريح الشمال الشرقي على تلك الهضاب شديدة فلا تكفي ثياب النوبة لرد عادية هواء الشتاء ، والصبح فيوقدون نيراناً عظيمة ليتدفأوا حولها ، ومما تستحي النوبة منه أن يضيفوا شيئاً إلى تلك الثياب التقليدية ، فالنوبة على النقيض من في النظر إلى عوامل الأدب والحشمة

وأسلحة النوبة بسيطة جداً ، ولا يعرف الكثيرون منهم القوس ولا السهم ، وبالقوس التي يحملونها على الدوام يقتنصون(1) الصيد ، ويصرعون العدو ويقطعون النبات المزركش الذي ينبت [illegible] في الغاب ، ويجدلون ما يطاردونه من الأسر في عرباتها

وقد كان النوبة يزدرون التسربل والتسلح فإنهم يزينون أجسامهم ووجوههم بالحلي الثقيلة ويضربون أو يشمون العنق ، ويحيطون سوقهم بالأساور والخرصان(2) المصنوعة من حديد فيثقلن بها [illegible] ويزوقن خدودهن وأصداغهن بنقوش وصور ، وهن دون رجالهن [illegible] ويتكئن على قليل من ملابسهن في بعض الأحيان

ويعرف النوبة فلح الأرض ، ويكون بغير إتقان ، شأنهم في كل صناعة ، فإذا ما اختار النوبة أرضاً صالحة قطعوا أشجارها النابتة فيها ، وأشجار [illegible] والهوى والقصب) في منطقة النوبة تلتقي وتنتشر في كل مكان بالقوة التي تنمو بها أشجار البلاد الحارة ، ثم حرقوها في محالها ثم بذروا الحبوب فيها ، وفي الغالب يضع النوبة الحبوب أكداساً أكداساً في مكان مرتفع من الحقل [illegible] من الريح والمطر

(١) أصل الصيد [illegible] (٢) الخرصان جمع خرص وهو حلقة الذهب أو الفضة وغيرهما .

ثم [illegible] الهندوس [illegible] وقت الحصاد

والهندوس يستغلون الأرض مرتين أو ثلاث مرات ، [illegible] عن أرض أخرى [illegible] كما [illegible] في كل سنتين أو ثلاث سنين

ولو اقتصرت [illegible] الهندوس على ما تنتجه أراضيهم لوقعوا في بؤس شديد [illegible] ، ولكن [illegible] من [illegible] أكثر ما [illegible] من [illegible] بعض [illegible] والذهب وأزهار [illegible] في الأعياد فضلا عن استخراجهم من موادها المعدنية ، [illegible] الهندوس [illegible] من الطرائق التي [illegible] والآلات التي [illegible]

[illegible] والهندوس [illegible] في [illegible] والتخريب [illegible] مثل هؤلاء اللصوص ، ومن [illegible] في السهل حيث [illegible] غير الطبيعي [illegible] تحت أيديهم من أموال الهندوس أو الإنكليز [illegible] الهندوس الكذب [illegible] أخلاق ، كما [illegible] الهندوس الذي أصبحت [illegible] الأمثال

[illegible] في [illegible] يحبون [illegible] والهندوس [illegible] قناعة [illegible] أن يشكروا ، فهم [illegible] على [illegible] وقد يكون مثل هذا القربان من الشرق

باسم خاصة ، ومن اعجب أ... أمر القرابين البشرية في بلاد الهوند ...
تحام صيمة وعصب وعزة وزودة ويشبه من رقابة الشرطي الإسكليزي ،
ولا تعيب الطقوس مضرَّجة إلا حيث يتصل الهنود بالأوربيين .

وفي الزمن الماضي تتذلل الحادير(1) الخضاب أو دمى القرب أو الأ...
أو الأثمار فمحول أو ... أو ... كقرابين إلى الآلهة ، وعادت ... في
... من حجر في أسس الأشجار المقدسة لا تحجز ... ... إلى ما كان يُراق
... من دم .

وفي ... والأرواح الشريرة ، على الخصوص ، ... الهنود ...
الرمزية أو القرابين ، فالإتيان بالأرواح الشريرة ... من سكان بلاد ...
الأصيبين ، وما يعتقده هؤلاء السكان أن ... يطوفون في الليل حول القرى ...
الأمراض ، فيجب أن ... في ... ما ... عليهم ، ... ...
ودماً ... ... أو ... أحمر ... ... في الأرض
ليضعوا عليها أقدامهم الخفية ما ... عليهم من الأرض وما طافوا ...
... ذلك

والأرواح التي تخاف شعوب الهند الفطرية ... هي أرواح الموتى ، ولاسيما
التي ... من الأجسام ... فاجعة ، ... واحد منهم ...(2) ، ... ،
... روحه التي ... ... تطوف في الأماكن التي ... ...

(1) الحادير ... وهو ما ... في الزرع ... والوحش . (2) ... ...
... ... مكانه ، أصبح ...

إليها من عمل الشرّ ما يحبسونه بالتعزيم[1] وتقريب القرابين ، وأرواح النِّسْوة اللاتى يَتَوفَّيْن فى النِّفاس أصعبُ الأرواح مِراسًا[2]

وإذا مات غريب بين الهنود أقاموا له عِبادةً خاصة كما يُقيمون للقريب ، ومن هذا أن قائد لمنة بول مات مُثخنًا بالجراح فى قتال قام به لِيَصِل إلى مدراس بجنوب هندوستان ، فنال ذلك السكان الذين جرَّ بهم قتيلًا لاعتقادهم أن روحه الغاضبة الساخطة ستختلف إلى منازلهم ، فأقاموا له هيكلًا وقدَّموا ما يستميلونه به من الأدعية والقرابين

وليست أرواح الموتى وحدها هى ما يَتَّقِيه الهنود ، فكلُّ شىء يؤذيهم ، فقُوَى الطبيعة وآفاتها ، مثلاً ، مما يعبدونه ، فهم يرون أن على رأس كلِّ آفة عفريتًا لا بدَّ من إقامة عبادته إذا أريد درء ما يجلبه من الشرور ، وهم يَرَوْن قدس الهيضة[3] والجدرىّ وحُمَّى الأجم والصرَع إلهًا تعبده جموع عابديها

والإله الذى يُمثلُ ، مع الشمس الناهضة أو الغاربة والأرض خصيبة أو جدبية ، أسمى مقام بين آلهة هند الوسطى هو الإله القادر على كلِّ شىء الذى تصفرُّ الوجوه حين يذكر ، وتجف[4] القلوب حين يُزمجر ، أى كالنمر ، الإلهُ النَّمِر

والنَّمِر عندما يتذوق لحم الإنسان يروقه فيبقى الرُّعبَ فى إحدى البقاع ، يُتْعَبُ به الخلق كلهم ، ثم يخط الخرافات التى تُغريه وتُحرّضه بأرواح ضحاياه فتشتدُّ عزيمته ، فيدعى فيكون لها من الحماسة مثلُ ما له ما أضيف غضب إلى غضبه ، فيصبح أمر تسكينه ضربةَ لازب ، فيُجلَّل فى العالم كأنه ذو شهرة من قبيلة

(١) عزم يعزم عزمًا : قرأ عزائم ـ (٢) المراس : الشدة والقوة ـ (٣) الهيضة : انطلاق بطن وهو المعروف بالكوليرا ـ (٤) وجف القلب يجف وجفًا : خفق .

الرصاص على الصدور ، فيقرأ هذا الكاهن المراسم داعياً إله تلك الأرواح متقمصة النمر ونادبة له على المقتولة والنمرة ، فيصيب الكاهن نوع من الذهول والوله من الرهبة والدروشة فيخيل إليه أن مراوَدة النمر قد انتقلت إليه فينقضّ على جدي حتى يُعدم بنيه فيخنقه بأسنانه ويُمزّق لحمه ويغمس رأسه في جوفه الدمي ثم يرفعه فيرى القوم وجهه مُضرّجاً بالدم فيرفعون أصواتهم مستبشرين مسرورين .

وتُؤلّه شعوب الهند الفطرية ، ولا سيما الغوند ، الأفاعيَ (الكبير على الخصوص) منها وتَهَب تلك الآفات ، فيدعي كثير من أبناء هذه الشعوب النُّسب ، تحدّرهم من عرق يقدسونه ، وعبادة الدراويد للأفاعي أسفرت عن تسمية الآريين لهم بالناغا .

وفي الهند ، حيث يقوم بعض الأديان جانب بعض من غير اصطراع وحيث يقتبس بعضها من بعض عقائدَ ورموزاً وطقوساً ، لا تقتصر اعتقاد الأرواح وتقديس الأفاعي والأشجار على الأقوام الفطريين ، بل تسرب عدوى بعض ذلك إلى البراهمة وقليل من ذلك إلى مسلمين ، فأضحى الصِّلّ[1] من خصائص معظم الأرباب عند الهندوس ، فتتّخذ مطاويه الزاحفة أداةَ زينة في المباني وتنتصب رأسه ذو الحدقتين الشاخصتين متوجاً بجانب رأس وشنو .

ولا عهد للغوند بنظام الطوائف ، ويُقسمون إلى قبائل متزاوجة ، فمن ممنوع ذوي القرابة أن يقترن رجلٌ بامرأةٍ من قبيلته ، ويؤدي جرمٌ مثل هذا إلى القتل أحياناً ، وعادة خطف الخاطب للفتاة خطفاً صُورياً أو حقيقياً شائعةٌ شيوعاً مُطلقاً عند أوساط القوم ، وفي الغالب تدافع عن الزوجة من رافقها مع صديقات تجاه أصحاب الزوج ، فتهجم الغضب لهؤلاء الأصحاب بحكم الطبيعة فيسيرون بالأسيرة حاملين إياها

(١) الصل : الحية الخبيثة جداً .

عن أكتافهم فاكهين ، ومما يحدث عند سكان الهند الوسطى المطربين ، أحياناً ، أن يسكر بعد الزوج ، وذلك وقتما تُغادر الفتاة بيت زوجها إلى بيت أبيها بعد يومين أو ثلاثة أيام من ذلك باكيةً بكاءً مصنوعاً مُعْرِبة عن عزمها على عدم تركه .

والهندوسيُّ ، على العموم ، يشترى لابنه امرأة قبل أن يبلغ سِنَّ الزواج منها ، فيجب على أبويه صيانة يستعدها ، في الغالب ، خدمه وحشمه ، إلى أن تُبيحَ الزوجَ الحقَّ في صحبته ، وإذا عدونا هذه العادة وجدنا الهندوسيَّ من المقصرين عن حبه زوجته ، والزوجة عند الهندوس تكون ، على العموم ، أكثر من نصف ست فإنها تتمتع بنفوذ عظيم في أمور المنزل .

ونظام الهندوس السياسيّ بسيطٌ جداً ، فيدير شؤون كل عشيرة منهم رئيس خاص ، على العموم ، فيما تقضي به شيوخها المحتمون ، ولكلِّ هندوسيٍّ صوت في الحكومة ، ويكون الرئيس في الغالب سليل الراجبوت ، ويشترك بعض ممثلي ... عند كل حرب بين الهنود ... لا ... أن ... عددهم ... من الهنود

٢٥ — راقصة من جنوب الهند

٨ — سكان أمركنتك وجهوتا ناكبور وأوريسة الخ

تقوم في شمال جبال الهند الوسطى الشرقية طَوْدُ أمركنتك، فيعد الطَّوْد هو أعلى تلك الجبال، ويُعدّ عقدة تلك المنطقة الجبلية، وهو أعلاها ذروةً(١)، وعادة تُشدّ من عاليه منابع، وآجامه أكثر من آجام صواري، وغابات أوديته أعظم من غابات أودية جطلر، وسكانه أطهر من سكان جهنمية وأقرب من الحيوان واحتمالاً للجوع القاتل والطعام الخبيث(٢)

٢٦ — ثلاثة وحوش من جهوتا ناكبور

ويقف كل وصف عند الحد الذي وقف عنده الرواة المتمدنون، فما قيل عن معايش أهل تلك المنطقة الوحشية من الأعاجيب، فهؤلاء السياح يُشبّهونهم بالقرود ويخشونهم كأنهم من الجن الأشرار، ومن الأساطير ما هو خاص بأصحاب تلك المنطقة البعيدة الغور وبعاداتهم الكئيبة التي لا تخلو من جهالة أقدم عروق الهند المتوحشة

وتتألف من جهوتا ناكبور منطقة متوسطة بين هضبة الولايات الوسطى والسهول المجاورة لمصب نهر الگنج، وتشمل تلك المنطقة، المائلة إلى الجنوب الشرقي والمتوجهة

(١) زاد الأرض [illegible] نعتقد ما جاءنا من المراعي [illegible]
(٢) الخبيث من الطعام : الفاسد النتن.

إلى جنوب البنجاب ، على وادى مَهانَدى ووادى رهتى الأعليين ، وتجرى من منحدراتها الشمالية الغربية روافد سون ، ويمتدّ معظمها من ولاية البهار

وجهوتاناغبور منطقة انتقال من الناحية الإثنولوجية والناحية الجغرافية ، فأمره [illegible] من أعاجيب ووحشة إلى أودهة ، حيث يبصر أحسن العروق الآرية بالهند كما [illegible] ، ويجد الباحث فيها جميع أمثلة ما فى الهند من العروق متدرجة بين همج وثنيى الزنوج وشُمّخ البراهمة.

ويسكن جهوتاناغبور قبائل من سكان البلاد الأصليين على الخصوص ، فهذه القبائل ، وإن ظلّت وحشية فى الجبال ، تهذّبت فى السهول بالتدريج ، وهى نسمة العدد [illegible] أن [illegible] يطلعنا على حالة الفطرية الأولى التى [illegible] قبل أن تقضى بث يطلعه وفى أراضيها سبعة قرون على ما نعتقده فى أمر الغوند

ولكن ، يجب أن نضيف إلى جهوتاناغبور سلسلة جبال وندهيا ومعظم شبه جزيرة الدكن لتكون بلادًا ممتدة من جبال بحر عمانَ لوسط الهند ، فهذه البلاد مستعبدة هى مقرّ العروق الدكنية التى تدّ ثالثة الجماعات هندية تأتى بعد الجماعة الهورية الآرية ، أو الهندوس البراهمة ، التى هى الأولى منها والجماعة الدراويدية التى هى ثانيتها .

والاختلاف بين هذه العروق ، ولا سيما بين الدراويد والدكنيين ، هو سبب ذلك التقسيم الثلاثى ، فكان الدراويد والدكنيون من الشعوب العصرية التى توالدت على أثر فقصص التوالد ومما يمثل الدراويد والدكنيين طبائع وصورًا ، ويشبه الدكنيون الدراويد مع أنهم يعيشون معهم فى الأراضى التى تغشى جبال وندهيا ، بيد أن الدكنيين منحصرون فى جهوتاناغبور فقد جاءوا من الشمال دون الشمال الغربى مع أن دم الدراويد جنوبى

يجرى فى شرايين الكول المسمين بالكحرات ، وقد تكلمنا فى فصل سابق عن هؤلاء الكول القاطنين فى المنطقة الغربية والذين تقدُّمهم البراهمة من الشودر مستخدمون فى المدن للقيام بأشقّ الأعمال ، فأطلق اسم الواحد منهم (القُلى) فى المستعمرات الإنكليزية وأمريكة على العمال والحمّالة والمُكارين

ويُعدُّ الكول الشرقيون من زمرة المنبوذين لا من طبقة الشودر ، ولم يخرج أكثرهم من دور الهمجية الأولى ، وعن هؤلاء قيل إنهم يُذكّرون بالنسناس المعروف ، فهم ، بالحقيقة ، ذوو وجوه مثلثة الأضلاع ولحىً نمرية(1) وعيون صغيرة مرسومة أفقية وشفاه غليظة ووجنات نابتة وأنوف قصيرة وألوان مُترجّحة بين الحُمرة والسواد وقامات قصيرة مربوعة صلبة ، ويتكلمون لهجات متفرّعة من اللغة الكولية التى يتميزون بها من شعوب الهند القطرية الأخرى ، ويجاور الكول منطقتهم مستطيلة إلى وادى الكنج حيث لاقيانم .

ويسكن السنتهالُ وغيرُ الجبالَ الواقعة بين بهار والبنغال ، فيُعدّون من الأرومة الكولية بالحقيقة ، ومع هذه إن لغة السانتهال تُمثّل دور اللغة الأمّ بين اللهجات الكولية كما هو شأن السنسكريت فى اللغات الهندية الأوربية

وكان الكولُ جميعهم يُسمّون باسم سوارا العامّ الذى ورد ذكره فى كتب الهندوس غيرَ مرة ، ورأى بعض العلماء أن هذا الاسم مشتقٌّ من الكلمة السنتية « سغارى » التى تعنى « الفأس » ، والواقع يؤيّد هذا الرأى ما كانت الفأسُ سلاحَ الكول والمونده المفضّلة وما ظلّت ، فى بعض الأحيان ، عُدّتهم الوحيدة ، فالحقُّ أنك لا ترى شخصاً من أهل جهوتاناغبور أو أهل غوندوانا الأصليين لا يحمل بيده

(1) نمرة : خُصلة شعر

فإن بدا ما يبعد قبيلًا عن منزله ، ولا عزة ، فلا عصبية له عن هذه الآلة في فتح طريق له وسط الآجام وفي الهجوم على الأشجار

وبعض القبائل الكثيرة التي تسكن جنوب نيجيريا وساحل أوروبة في الشرق ما هو كولي خالص وبعضها ما هو ممزوج بالعنصر البدو ويدين بالحديث والقديم ، ومن هذه القبائل فروق غير واضحة بعد بعد وحوت أمثلة تقيم لها على الدوام ، وتدعى تلك خاصة بالأوروبي والبدو . فأما نقد فشهود معول كثير ، وأما الأوروب في الزنوج الذين يعدون مثلهم قرب في القرود منه إلى البشر

ومن أهم الأهالي الذين يسكنون وادي زمبيزي ووادي مهندي الأدنى وفي ساحل أوروبة تذكر الكوند الذي يجب الفرق بينهم وبين الكوند المقيمين بقونغوانا ، وعلى ما بين تلك الشعوب من صلة كما بين جميع المطربين تشعب منها جماعتان مختلفتان

وتلك الشعوب ، إذ كانت دون عادات مماثلة تدنو من رصفائهم من سكان الولايات الوسطى الذين وصفتهم آنفًا ، تجري أمورها متشابهة

تقوم ديانتهم ، كما تقوم ديانة السود ، على عبادة الشمس والأرض وقوى الطبيعة والخوف من أرواح الموتى وتقديس الضواري والأفاعي التي يعتقدون ، على الدوام ، حدوث تجسد الموتى ، وترى في الأعاصير والخسوف والأوبئة والجفاف مظاهر يؤدي منعه حب التوسل إلى الفرائس والتمائم وتسكينها واستعطافها بالقرابين ، فتذبت الدموع ودماء الضحايا البشرية طوال زمن بكى سحرة لا بد للأرض منه لكي تسمع صدورهم فتصبح خصبة ، واليوم يزول هذا الاعتقاد بالتدريج ، وصارت الأنعام أيضًا ، لا تذبح ، فتستبدل بها في الذبائح صور خرقية ومواكب وأزهار ويستبدل

يصبغها دهن أحمر ، تُرش به الحجارةُ المصفوفة على شكل دائرة أو الأهرامُ الصغيرة التي تعلوها أو الأوتادُ المثبتة في الأرض .

وقد حاول الإنكليز أن يمنعوا ، بالاقناع والتهديد ، السكول السُّذَّج على هذه عادة تقديم القرابين البشرية ، وحمل هؤلاء ذلك على أن يحمّل الأوروبيون جميعه هذا الاعتداء على الآلهة ، ولا شيء أفظع من القسم بمثل هذه الشعائر ، فكان الجمهور يقسم الضحية ... عند ذبح السكول المقرّب لها اتباعاً للاعتقاد القائل إن كلّ قطعة من اللحم تدفن ... ، فيأخذها فيدفنها في ناحية من حقله وهي دامية مخضبة بالبركات من السماء لأمد بعيد ، فهذا الذي يزيل غضب الإلاهة بارى أي الأرض الساخطة .

وكانت تختطف الضحية من الغرباء والأسرى وتؤتى بهم إلى السكول أيضاً فيكونون ضحايا المستقبل ، وكان فريق من الاضطهاد فهارمة (1) فيبيعون ويصيدون ... ، ... هؤلاء الفهارمة ما يصيدونه ... ضحية من ... أو ... ، ... لعدم ... ، فكانت الضحية التي كانت مقبولة لدى الأرض والشمس والجن الذين يثيرون أمواج البحر فيضعونها في الحقول روائح وعواصف .

وقد ... كل قبيلة من السكول رئيس خاص ، على الدوام ، ... ، ... هذه الاجتماعات ، في الغالب ، عن دعوة منطقة ... ، لا ... واحدة ، إلى العمل ... الأمور ، وتشعر الشعوب السكولية ... أمة واحدة ، ويذكر السكول أنهم كانوا سادة الأرض ، وفي أساطيرهم ، كما في الشواهد المرسة ، ما يدل

(1) فهارمة ، جمع فهرمان وهو الوكيل .

على أنهم كانوا أمة ذات حكومة منظّمة ، ومن قبائلهم قبيلة البهومية التي يعني اسمها « أبناء الأرض » ، أو أهل البلاد الأصليين . ويعتبر السكول أنهم حفدة أمة قديمة من الشيلة ، ويعتبر السكول من الناس ما يقدرون به على القتال فتراهم لا يبالون بالحيل وصولاً إلى الإثراء على حساب من يسرقونهم ، فالسكول جميعهم لصوص أخرثاء(١) فخورون يعترفون من اللصّ ، فيقولون « لا نعمل غير استرداد ما تملكه مسروق منا [illegible] » ، ومن التناقض العجيب أن يصبح هؤلاء السرّاق ، حين يحملهم الفقر على الخدمة عند سادة الهند في الزمن الحالي ، من أحسن موظفي الشرطة وأمنهم ومن أنشط النظراء ، وأقدرهم على حفر المزارع ، ومما يحدث أن يجمع هؤلاء بين حراسة حقول ومواشٍ في النهار وسرقتها في الليل بحذق وخفة ولباقة ، وبين ما كشف الأمر لم يبق لإقامة البينة وجمع الشهود عندهم ضرورة ، فهم يعترفون بما اجترحوه من ذنوبهم حين الاستنطاق [illegible]

والسكول شديدو الغيرة ، فيقتلون أزواجهم دون الضيف إذا خاف به خطر ، والسكول كثيرو الفخر ذوو مزاج مرح ، والسكول ، إذ يُخضعون على دفع الضرائب من الإنكليز ، يحتالون [illegible] باستطاعة حيث يكونون عند حدودهم ، وذلك حذر من [illegible] في عاداتهم

ويحب السكول الحرب لهواً وتقرباً إلى الآلهة ، فهم يقتتلون(٢) قبل أن يفقدوا [illegible] ، فإذ رأوا أن السماء تأمر بالحرب وسفك الدم أرسلوا رسلاً إلى القبيلة المجاورة لدعوتها إلى القتال في أحد الميادين والقتال يدوم طويلاً ثم يقتتلون ثانية وثالثة

(١) أخرثاء جمع خريث — (٢) اقتتل بعد تقاتل

وقت الحرب، ولا تشوب المحاربين حقدٌ ولا وَغْرٌ[1] فتسود في العالم مساواة، فتكون مساكن الهندوس التي تحتلّ القتال، وتشهد النساء القتال فتهتف عند إصابة الأهداف وتصفق عند نصر الأعداء، وتغمض الجرحى وتضمد جروحهم وتبكين القتلى وتمرّض، كما كانت نساء بعض في القرون القديمة، آباءهن وإخوتهن في أحد المعسكرين وأزواجهن في المعسكر الآخر، فالأنكحة عند السكون لا تكون إلا بين مختلف العشائر.

والفتى من أولئك القوم تشترى له أبواه المرأة التي يرغب في الزواج منها، وهو، إذ كان لا يملك لنفسه شيئاً، لا يقدر على تأليف أسرة مستقلة عن أبويه فيبقى تحت وصايتهما ما ظلّا، وللمرأة من أولئك القوم حقّ الطلاق، فتتزوج، في بعض الأحيان، أربعة أزواج أو خمسة أزواج بالتتابع، فيجب على كلّ زوج لاحق من هؤلاء أن يؤدّي إلى الزوج السابق ما دفعه، فيسمى الزوج اللاحق بين العشائر [illegible].

ولا يعرف أولئك القوم تعدد الأزواج من الذكور على رغم [illegible]، وتقوم هذه العادة على الفقر وعلى [illegible] المهور، وقتل الأولاد عند أولئك القوم أمر شائع، فالأسرة الواحدة منهم لا تحتفظ، في الغالب، بغير ابنة أو ابنتين، وأما البنات الأخرى فيتخلص منهن، حين ولادتهن، في آنية من فخار ويدفنّ، فينشأ عن ذلك زيادة مهور النساء لقلة عددهن.

ويعيش سكان جبهو ماعبور [illegible]، فمراعيهم فقيرة وفلاحتهم رديئة، وأسوأ منها أراضي أوربية، حيث يجمع الطوقان غلالها الحربية في بعض الأحيان فيعقب

(1) الوغر: الضغن.

الطاعون ذلك ، ثم نشير الجدب الذي يجيء بعد ذلك عن موت الألوف من السكان جوعاً ، وليس للإنسان في بلد بائس كهذا البلد أن يختار نوع الطعام ، فترى السكان يأكلون من كلّ لحم مع مقت رائحته المصدوس لذلك

ولم تكن صحة أوربة مطلقة بائسة في كل زمن كما هو اليوم ، فقد كان يقوم فيه دولة زاهرة أيام هارون الرشيد وشارلمان ، وفي أساطير المصدوس ما يؤيد ذلك ، وما نقل عنه من معابد المجيدة ... كعبد ... وشور ... نينوى ، وأقوى من ذلك ، أن هذه البلاد التي تغمر(١) كان مركزاً لحضارة قوية ، ولا ريب في أن نسكنه القوم قد يكونوا ابتدعوا تلك الحضارة في العصر الرابع الثالث

ويمشي سكان أوربة معابد أكثر من أن يحصى مدن ، ويدل أوربة هذه التي تستوي بمراعيه وتهيج في مقدسه ، إذ يقع بين معبد الآلهة ومعبد الدرويش ، ... هذه هي محلات كثير من المعروف والأديان فيه وعلى عقر مؤمنين إليه من جلال وعزّة وعلى عظمته من كل صوب وتذهب منها كل شيء لأن الذي يعبدونه

ذلك ما تجده عند الذي لا تجد من أوربة فيه كالي ووسنو وسيوة ، فيسعون في سوق هذه من هو حسن إلى بني قومه فيعبدون هم والآخرون في بعض الأحيان فيعبدون سوداً تحت الأمير الرحمة ، فلا ترى فرقاً بين الأبيض والأسود وبين الأرى والدراو الذي ... الضحى وتشعل فيخشى ... بيت مراح محتف العاصر التي تلعب منه سكان منه حجر زد المعبد وقت قصير

نحن في تلك العناصر بحثاً دقيقاً ، فتعين دراسة ذكر شعب الأوربة لهم القاطن في المنطقة السهبية الممتدة من شاطئ أوربة إلى مصب نهر الفتح ، فهذا

(١) المراد : الذي يغري الصيف ، الكثير سكانه .

الشعب المتوسط ، الذي هو شعبٌ شبهُ همجيّ ذو لغة خاصة وغيرُ ذي مثال واضح ، أخذ نصيباً من الفروق الكثيرة التي يعيش فيها

٢٧ ـ امرأة منبوذة من جنوب الهند تجرش الأرز

نطمع أن يكون القارئ ، قد اطّلع ، بالخلاصة الناطقة غير الكاملة التي سردناها في ما تقدم ، على ما بين عروق الهند من الفروق التي لا حدّ لها وعلى ما بين هذه الفروق من الفوارق العظيمة ، ونحن بعد أن بيّنّا باستقلال أوصاف تلك الفروق وأخلاقها وعاداتها ومعتقداتها وبعد أن ذكرنا أن أمثلة البشر ودرجات الحضارة التي جاوزها منذ فجر تاريخه إلى يومنا هذا لا تزال ماثلة بادية في الهند نرى أن نركّب بعد أن حلّلنا فنبحث في ما بين هذه الفروق من الأخلاق المشتركة وفي ما بين هذه الفروق من الخواص التي قد تضطرها إليها شدةٌ مشتركة بالتوالد والخضوع لبعض النظم الكبيرة العامة ، ونحن بعد أن درسنا ما تنفصل به بعض عروق الهند عن بعض ندرس ما تتقرب به هذه الفروق وما تلتقي فيه من النقاط

الفصل الرابع

الصفات الخلقية والعقلية المشتركة

بين عروق الهند المختلفة

(١) [illegible] عن أحوال [illegible] في الهند من تماثل بين شعوب الهندوس [illegible] من شعوب الهندوس [illegible] [illegible] الهندوس [illegible] [illegible] الهندوس [illegible] [illegible] خلاصة

—

(١) [illegible] عن أحوال [illegible] في الهند

من تماثل بين شعوب الهندوس

ظهر من الفصول التي خصصناها للبحث في عروق الهند [illegible] العروق بين تلك العروق ، فالحق أن شبه جزيرة الهند الواسعة [illegible] مؤلفة من

شعوب مختلفة إلى الغاية ، ففي الهند نجد الزنجيّ الفطريّ والرجل المتمدن وما بينهما من آدميّ مختلف الدرجات .

وقد رأينا أن مُثُل الخُلقية هذه العروق متباينة جداً وأن كلمة الهندوس تشتمل على أناس مختلفي الألوان مُترجّحين بين الزنجيّ الأسود والرجل الأبيض وأن تلك المُثُل تترجّحُ بين الخيال البهيم وأصفى الشاعرية .

وما هذه العروق من الصفات الخلقية والعقلية بأقلّ من تلك الفروق الخَلْقية اختلافاً ، فنرى هُوّة عميقة بين الراجبوتيّ المشهور بشجاعته النادرة والبنغاليّ المعروف بجبانته الفاضحة ، ونرى مثل تلك الهُوّة بين مسيحيٍّ راسخٍ من الذين لا يعرفون الكذب وبعض الهندوس الذين يكذبون على الدوام .

ومن الصواب ، إذن ، أن نستنتج ، أولَ وهلةٍ ، فقدان أيّ صفةٍ مشتركة بين عروق ذلك مدى تباينها ، بيد أننا سنرى عما قليل أن هذا زعمٌ خاطئ ، فعند نعم من الصفات المادية والأدبية الواحدة أخلاقٌ عامة تجمع بين تلك العروق في أسرة واحدة كما يجمع العالِم الطبيعيّ مخلوقاتٍ متباينةً أشدّ التباين ، كالفيل والفأر ، في فصيلة واحدة .

فلندَع العروق التي عرضتها مدرجة الكتابة ولنبحثْ في الصفات المشتركة بين عروق الهند المختلفة ، فنرى ، إذ ذاك ، أن الهندوسيَّ ينال بهذه الصفات معنًى معيناً ، ولا يظنّ القارئ ، مع ذلك ، أنه يكون لهذا المدلول من القيمة المقررة ما لكلمة « الفرنسي أو الإنكليزي أو الألماني » ، فلم يشِع تمازج مختلف العناصر بمدرجة الكفاية ، ونحن ، لكي نوضح رأينا بأحسن من ذلك ، نتمثّل أمر فرنسة في العصر الكارلوفنجي وقيمة كلمة « الفرنسيّ » الدالة فيه على خليط من القوط

والفرنج والنوبيين والرومان بدأ يمتزج فكتسب بعض الصفات مشتركة .

ونرى [illegible] أن ندرس الصفات المشتركة لأكثرية السودانيين [illegible] الأساسية [illegible] وعناصرهم ، أى نأتى [illegible] أساسية للفروق الكثيرة التى وصفناها فى [illegible] على [illegible] أن نحصل [illegible] على طريقة التركيب .

[illegible] بحث [illegible] إلى إمكان [illegible] جميع [illegible] الفروق فى ثلاثة [illegible] أساسية كبيرة ، فأما القسم الأول فيشتمل على الفروق التى [illegible] من [illegible] الأقسام ، [illegible] هؤلاء السكان [illegible] أو [illegible] لأن [illegible] ، وهم [illegible] لا [illegible] لا [illegible] نتذكر أمرهم هنا .

[illegible] على السودانيين [illegible] الواحدة التى [illegible] من الصفات المشتركة ، [illegible] على تلك الأمر التى [illegible] مشتركة [illegible] هذه الصفات المشتركة التى نرى أن نبحث عنها

وأما القسم الثالث فيشتمل على السكان [illegible] الذين هم نتيجة توالد العرب

والأفغان والفرس والتركمان والمغول وغيرهم من الذين غزوا الهند في مختلف الأدوار فاستقروا [illegible]، وكان يصعب [illegible] هؤلاء [illegible] التقسيم [illegible] و[illegible] من كل [illegible]، بيد أنك لا تجد بين ملايين الخمسين الذين يدينون بالإسلام في الهند سوى أناس قليلين لا تجري في عروقهم دماء هندوسية، فهؤلاء مسلمون، وإن كانوا يختلفون عن [illegible] التقسيم الذي في [illegible]، [illegible] من تأثيرهم [illegible]، فإن كل [illegible] صفات [illegible] التي [illegible] لا [illegible] على [illegible] كثيراً من هذه الصفات مشتركة [illegible] الأمر مع ذلك

[illegible] أسفرت عن صفات مشتركة هي مادية وأدبية معاً

[illegible] مؤثرات [illegible] في [illegible] هذه [illegible] الأعمال [illegible] عة الأرض [illegible] من جهة [illegible] من جهة أخرى، [illegible] سيئومة، فارتفاع درجة الحرارة في [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] على [illegible] البحث مدة متطاولة وتكرار الأعمال الواحدة طرق [illegible] حكم [illegible] مؤثرات أدبية واحدة [illegible] هذه الطوائف والنظام السياسي والمعتقدات الدينية

ونظام الطوائف هو حجر الزاوية لجميع نظم الهند الاجتماعية منذ ألفي سنة ، ولنظام الطوائف من الأهمية ما وقفنا له فصلاً خاصاً من هذا الكتاب على البحث فيه ، فسنرى في هذا الفصل ما هي الأسباب الإثنولوجية التي أوجدته في غابر الأزمان وما هي الأسباب التي حثت على تحوله بالتدريج عدام جامع نتائج القرون ، وسنرى كيف أسفر ذلك النظام عن تقسيم الهند إلى ألوف من الجمهوريات الصغيرة غير مبال بعضها بشؤون بعض ، أو مُعادٍ بعضها لبعض ، ومنفصل بعضها عن بعض في انفصالاً يتعذر معه أن تكون ذوات مآرب مشتركة ، وسنرى كيف أن عائلة الهندوسي لا الهند ، هي وطن الهندوسي الحقيقي ، وكيف أن عائلة الهندوسي قد أحاطته بشبكة من التقاليد والعادات إحاطة ثبت أمرها بالوراثة فأضحى خروجه منها صعباً إلى الغاية .

وأدى النظام السياسي ، الذي هو ثاني المؤثرات المذكورة آنفاً ، وذلك في عصور القرون ، إلى مثل ما أدى إليه نظام الطوائف في تكوين روح الهندوسي ، ويمكن عن هذا نظام الهند السياسي السائد منذ زمن طويل بأنه يتألف من جماعات صغيرة تعرف بالطوائف ، وأن هذه الطوائف متجمعة على شكل جمهوريات صغيرة تؤلف بالقرى الخاضعة لسيد واحد ذي سلطان مطلق ، وعلى ما اعتور اسم السيد من تبدل لم يتغير ذلك النظام الذي نشأ من الديمقراطية ما وهنت به روح المقاومة في الهندوسي فتعوّد الهندوسي مع القرون أن يطيع سلطة سيد إطاعة تامة ، سائراً وفق المعتقدات الدينية

ونذكر التعاليم الدينية ، التي هي ثالثة المؤثرات ، مما أوجب اتصاف الهندوس بأخلاق مثالية ، ولا يستطيع الأوربي أن يدرك تأثير الدين العظيم في الهندوس إلا

إذ حققه بنفسه ، فما أكثر الأمور بين قدماً يُفرّق بين المقدس والمدنس تفريقاً لا يعرفه الهندوسيّ الذي يعتقد أن الآلهة تتدخل في أدق شؤونه وأن شعائر الدين تهيمن على جميع أعماله ، فالدين ، بالحقيقة ، كلّ حياته ، بل لم يكن جزءاً منها ، فالمشي والأكل والنوم عند الهندوسي ، أعمال دينية ، وكلّ شيء ، عدا أوامر الدين باطل لديه ، والدين هو الذي يوجّهه ، ولم يرض بتطعيم الجدري ، مثلاً ، إلا بعد أن كسب شكلاً دينياً ، ونحن ، حين البحث في تكوين أديان الهند ، نثبت مقدار النزاع الذي تملأه الأديان في حياة الهندوس ومقدار عدّ الهندوس لكلّ سلطة عنوان قدرة إلهية ، وهذا ، كما في أمور كثيرة أخرى ، يمثّل الهوّة العميقة التي تفصل الشرق عن الغرب في كلّ أمر والتي لم تفتأ تزداد اتساعاً

والبحث وهو تدقيق في سنن الهندوسيّ وإذعانه المطلق لأوامر الآلهة فيعلم أن هذه الأوامر سيطرت عليه قروناً كثيرة ومن يعلم نموّ الدينية في صحبة السلطان في الهند منذ ألفي سنة يدرك درجة اشتراك أفراد الهندوس التي جعلت منهم واحداً طائفة عدة في مذهب واحد

ولنبحث ، بعد أن أوضحنا أثر تلك العوامل الكبيرة ، في الأخلاق العامة التي نشأت عنها

٢ — الصفات الخلقية والعقلية المشتركة بين أكثر الهندوس

لا نجد في أمة خضعت منذ عدّة قرون لمحن وأحوال مادية وأدبية ، كالتي ذكرناها آنفاً ، ما نجده في الأحرار من شدّة البأس ومتانة الخلق ، فلو كان عند الهندوس مثل ذلك ، أو أقلّ من ذلك ، لخلعوا نير الأجنبي عنهم منذ زمن طويل ،

فلا عجب إذا رأيت في الهندوس من النقائص ما يُرى عادةً في الأمم التي رزحت[1] تحت حكم الأجنبي قروناً كثيرة ، فالهندوسيُّ ، على العموم ، خوّار[2] هيّاب متكبر ولاّج[3] ملاّق[4] [illegible] ، وتدل أوضاعه على الخداع والإلحاف[5] ، وهو [illegible] الوطنية ، ولما [illegible] له من الغبن والطغيان أحقاباً[6] [illegible] خضوع [illegible] على أن [illegible] شرطاً طبيعياً وعقيدة دينية ، فالهندوسيُّ [illegible]

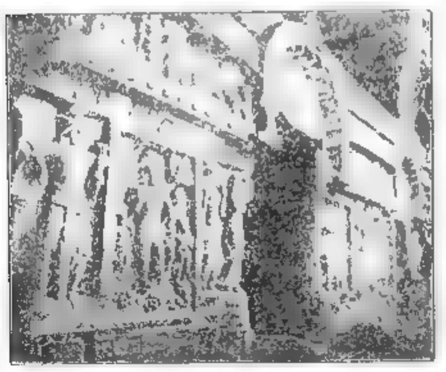

٢٨ — كارلي : مدخل معبد محفور تحت الأرض في القرن الثاني قبل الميلاد

(١) رزح الشيء : ثقله — (٢) خوار : الضعيف الرخو — (٣) ولاج : كثير الولوج — (٤) ملاق : كثير التملق — (٥) ألحف : ألح — (٦) أحقاب : جمع حقب وهو ثمانون سنة أو أكثر .

والهندوسُ قومٌ بيِّنون صابرون مُسْتَلِمُون، وأشدُّ نقائصهم وفقاً لنظر الأوربيّ هي، خلا ما تقدم، البلادةُ والضعفُ والخمول.

والجبن أظهر أخلاق الهندوس، وبالخمول نُفَسِّرُ خضوع ٢٥ مليون هندوسي لسلطان ٦٠٠٠٠ إنكليزيّ من غير أن يزعموا تغييرَهم[1]، مع أنه يسهل عليهم أن يُبيدوا هؤلاء الإنكليز في يوم واحد إذا قاموا قومة رجل كما يسهل على رِجْلٍ[2] من الجراد أن تُهْلِكَ زرعَ حقل، ومن هذا ما يصدر عن الهندوس، وما اضطراب فصائلَ من السپاهي الهنديين في سنة ١٨٥٧ إلا ثورةً عسكرية عارضة لم يكترث لها مُعْظَمُ القوم.

ونرى أن مستوى الهندوس العقليَّ المتوسط ليس دون مستوى سادتهم الأوربيين العقليِّ المتوسط، بَيْدَ أن الهندوس أقلُّ من هؤلاء الأوربيين أخلاقاً بمراحل، وفي هذا بيانٌ لسبب انقياد الهندوس للغربيين، والأخلاقُ (أي الثبات والعزم)، وهي، كما نعلم من التاريخ ومن دراسة الناس، تُمَثِّل دوراً في حياة الأفراد والأمم غير الذي يقوم به الذكاء، فالأخلاق، على الخصوص، أكثرُ من الذكاء، تُؤَسِّس الديانات وتُشاد الدول، وفي صراع يقع بين شعبين يتألف أحدهما من أناس أذكياء متعلمين متصفين بالحذر الذي هو وليد الذكاء قاتلين بعقلهم كلَّ مثل عالٍ غير مستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيل المُثُل العليا، ويتألف الآخر من أناس محدودي الذكاء عُنُدٍ لا يتأخرون عن بذل أرواحهم انتصاراً لدين يتمّ النصر لهؤلاء على أولئك لا ريب، وهذا ما قلته غير مرة في غير كتاب، ففيه مفتاح كثير من حوادث التاريخ التي يعسر

(١) الغِيَر: الصروف. — (٢) الرِّجْل: القطعة العظيمة من الجراد خاصة وهو جمع على غير لفظ واحده.

[illegible] ، فإذا كان الرومان قد قهروا الإغريق ، وإذا كانت فاتح [illegible] قد خرجت من حروبها فصحت [illegible] الإغريق [illegible] ، ثم [illegible] قد [illegible] ، [illegible] هؤلاء [illegible] إلا [illegible] من [illegible] أكثر من [illegible] ، والتربية هي أقوى [illegible] من القوى

[illegible] الذي هو أظهر صفات الهندوس [illegible] على [illegible] الهندوسي [illegible] على كل [illegible] لا [illegible] [illegible] مقدر لا [illegible]

[illegible] الهندوسي [illegible] الأوربيين ، فالهندوسي [illegible] الحياة و[illegible] الموت ، ولا يحاول اجتنابه ، لما [illegible] من عدم استحقاقه لذلك ، ولما يراه من أن كل عمل للفرار منه لا يُجدي نفعاً .

[illegible] الهندوسي لا [illegible] في هذه [illegible] يؤدي إلى عدم [illegible] [illegible] في الأوربي [illegible] أناس لا يبالون بالحياة ولا [illegible] شيء من [illegible] عليها قوانيننا ولا سيما السجن ، ولا [illegible] في كل [illegible] الهندوس [illegible] هذه [illegible] من [illegible] بلادهم ، فقد العامل الهندوسي [illegible] في وقت معين [illegible] أي عهد [illegible] لم يُنجز [illegible] عاهدت عليه ، [illegible] الهندوسي [illegible] مشكوك في أمره كثير

فلا يدور في خلده أن يُفكِّرَ فيه ، فالأوربيّ الذي احتقر الهندوسيّ قبلاً يعلم جيداً أنه يجب عليه ، إذا أراد أن يعتمد على خادميه ، مثلاً ، أن يكونوا حاضرين في الزمن المقرّر ، أن يحملهم على النوم ليلاً أمام بابه

ويجب على الباحث أن يدرس أحوال الهندوس عن كثب ليعرف حقيقة بعض مشاعر السمحة التي تعتبر إلى درجة ما كالدقة والضبط ، ومن ذلك أن الهندوس في مدن زحف خطوط الحديد إلى بلادهم كثيراً ما يصلون إلى محطاتها قبل ساعتين أو ثلاث ساعات من وقت قيام القطار ، [illegible] أن القطر [illegible] من غير أن تنتظرهم [illegible] يوم [illegible] إلى المحطات قبل قيامها بساعتين أو ثلاث ساعات ، ومن ثم نرى أن [illegible] هذا الضبط [illegible] على حسب تعبير هذه الجبر

وقد عاشرت هندوساً من جميع الطبقات ومنهم [illegible] الأوربية ، [illegible] أن [illegible] واحد منهم مرّةً واحدةً في الوقت [illegible] في الهند إنكليزياً واحداً يُخلِف الميعاد .

ونحن ، بعد أن درسنا أخلاق الهندوس العامة ، نرى ، للوصول إلى حكم صائب ، أن نبحث في صلاتهم بالأوربيين وفي علاقات بعضهم ببعض

[illegible] الأوربيون ذوو الصلات بالهندوس من مداجاة هؤلاء وعدم صدقهم ، وهم يظنون أن هذه النقائص من مقتضيات علاقات العبد بسيده ، فصلات الهندوس بعضهم ببعض هي على خلاف ذلك ، وإذا ما اتحدنا احترامَ المرء طبائع بلده وعاداته

وسر [illegible] يطوي عليه هذا الروح من التقوى وروح التسامح معاً أمكننا أن [illegible] الهندوس أفضل من عوام الأوربيين وإن كانوا [illegible] في السلم الاجتماعية بدا لنا العكس ورأينا فقدان الأخلاق في الهندوس الذين تخرّجوا على [illegible] الأوربية [illegible] ذلك [illegible] التعليم يرفع مستوى أخلاق الناس [illegible] إلى الإثم حتى جعلت أمة [illegible] سلكت طريقة أخرى في التطور.

[illegible] الهندوس [illegible] صفاته، ولا شك أن هذه من مقتضيات [illegible] على حسب أهمية ما تُلقى عليه، فمع أن [illegible] على أن أكثر [illegible] على الشودري من الأمة (١)

ولا [illegible] الإنكليزي مستر [illegible] وليم [illegible] عنوان [illegible] في أخلاق جمهور الهندوس [illegible] هذا الأسد

«لم أر في أية ناحية من أوربة [illegible] كالهندوس [illegible] لأوربة الأمر [illegible] والمر [illegible] الهندوس [illegible] الأوربيين [illegible] في [illegible] الهندوس [illegible] كما في طبقات الأوربيين التي تقابل [illegible]»

[illegible] صفات الهندوس الخلقية المشتركة على العموم، فنرى الآن أن نقدر مستوى [illegible] وتطلب هذا التقدير مقياساً [illegible] الأوربيين مثلاً

(١) [illegible]

ولكي تكون المقابلة ممكنة يجب أن نتناول عناصر متماثلة فنقيس بعضها ببعض فنقابل بين هندوس الطبقات الوسطى وأوربيي الطبقات الوسطى ونقابل بين هندوس الطبقات العليا وأوربيي الطبقات العليا .

ثبت في تلك المقايسة بين طبقات كلا الفريقين الوسطى تفوق [illegible] للأوربيين مهما يُوغل في التدقيق ، ثبت أن الهندوسي دون الأوربي مقدرة وأقل منه عقلا ، ولكنه يستطيع أن يقوم بمثل ما يقوم به الأوربي من غير عناء [illegible] أقل من [illegible] الأوربي ، فيصنع كالعامل الأوربي أنواع المصنوعات الخشبية والحديدية والمعدنية ، وما يؤدي إليه التخصص من إضعاف مستوى الأوربي [illegible] في الهندوسي أيضا ، والهندوس مثل الأوربيين ، إن لم يفوقوهم ، في التقدم ببعض الفنون كفن العمارة

والهندوس مساوون للأوربيين في أكثر الأعمال التي لا تستلزم غير أهليات عقلية متوسطة ، فتجد بين الهندوس محامين وأطباء ومهندسين [illegible] في المستوى المتوسط [illegible] ، فالهندوسي يستطيع كالأوربي أن [illegible] وأن [illegible] وأن [illegible] ، [illegible] الهندوس في الإدارات الإنكليزية [illegible] [illegible] وظائف البريد والمصارف والمالية والخطوط الحديدية ، إلخ

و [illegible] قصور الهندوس وعجزهم عند الصعود في أعلى درجات النفس [illegible] حيث قوة المبادرة وروح الإبداع والقدرة على النفوذ في الأفكار الكثيرة [illegible] [illegible] منها [illegible] ، فالهندوسي [illegible] أن [illegible] مشروعا صناعيا [illegible] وأن [illegible] وأن يقوم بأبحاث [illegible] وأن [illegible] الاكتشافات وما إلى ذلك

كله من الأعمال التي تتطلب استقلالاً وحرية تفكير ، فالمدوسي ، وإن سهل عليه أن يدير قاطرة أو مصنع نسيج ، يستحيل عليه اختراعهما ، وتقريباً فحص نفوس إذا ما حصل اتفاقاً أنه يوجد وحده بينهم ٩٩٥ على الأقل لا يعرفون ألف مسوحين يُخضعون عاقاً أبعد . ومن الذي لا تجده في المدوس هؤلاء هو واحد أو أكثر من ذوي المواهب العالية والأهليات النادرة .

٢٩ — منظر عام لمداخل القبور من الأحجار والمعابد التي تحت سطح الأرض في مصطبة ... تحتاج بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن السابع بعد الميلاد

هذه مسألة مهمة قد فحصناها في كتاب آخر ، فذكرنا أن الفروق بين الفرد العالي والفرد المتأخر لا تقوم على تفاوت في مستوى كلا ذينك الفردين الثقافي المتوسط ،

من تقوم على فضل العرق المتأخر من رجال قادرين على مجاوزة ذلك المستوى ، وهذا أمر أساسي تمكن الاستدلال عليه في العوامل النفسية ، وهذا أمر أساسي قد سعيت في استنتاجه من العوامل التشريحية أيضاً ، فقد أثبت ، عندما قمت به من مباحث في عدة جماجم من عروق مختلفة ، أن العروق العالية تحتوي على اليوم مالا تجده في العروق المتأخرة من الجماجم الكبيرة الواسعة .

ولنترك تلك المبادئ النفسية العامة ولنبحث ما تختلف به هندوسي الطبقات العليا عن أوربي الطبقات العليا ، لنبصر أن ذلك الهندوسي يفترق عن ذلك الأوربي ، على الخصوص ، في عطله من روح الضبط والدقة وروح النقد وخلق المثابرة وأصالة الرأي وقوة الإرادة ، وفي ميله إلى عدم رؤية الأمور كما هي عليه وما ينشأ عن ذلك من التناقض التي لا يقوم عليها قدرته على الإدغام وما فيه من منطق الذي لا يبدو به حد ، يستنبط عدة نتائج من الأمر الواحد فلا يستطيع أن يفرق بين الحقائق والخيالات التي تستخرج من مقايسة شتى الأمور .

عطل الهندوسي من روح الضبط والصحة ، فالأمور تتموج عنده ، كالضباب ، من غير ضابط ، فيبدو له كما لو كانت من خلال غلاف سابغ كالمرايا تشوهه التي تعرض عند الغرباء ، فترى نظمه الدينية وأقاصيصه التاريخية وعقائده القومية مبهمة متناقضة ، ولهذا التناقض وعدم الضبط تجد أديان الهندوسي ، ولا سيما البوذية ، غامضة لدى علماء أوربة الذين تعودوا دقة المنطق فلا يكون للكلمات عندهم سوى معان صريحة معينة ، ولذلك روح الإلحاد والشرك للأوربي ، مثلاً ، أمرين منفصل

أحدهما عن الآخر هُوَّةٌ عميقةٌ مع أنهما لا يبدوان للهندوسي إلا أمرين يمكن التوفيق بينهما فتقرأ في كتبه فرضَهما عليه

وأمورٌ كفقدان الضبط وتموّج الفكر ، وإن كانت تُحتمَل في الإلهيات والأشعار والقصائد الدينية ، تضحى ثقيلةً غير سائغة عند تطبيقها على الموضوعات التي لا بدّ لها من الضبط ، وأمور كتلك حالت دون مجاوزة الهندوس أدنى المراحل في العلوم الصحيحة ، أجل ، قد هضم الهندوس ما علّمهم إياه العرب في الماضي وما تعلّمهم إياه الأوربيون في الزمن الحاضر ، ولكنهم لم يهتدوا إلى اكتشاف واحد في ميدان المعرفة

ومن ثَمَّ عدم الضبط ذلك أنك لا تجد بين ألوف الكتب التي وضعها الهندوس في ثلاثة آلاف سنة من سنوات الحضارة كتاباً واحداً يشتمل على تواريخ صحيحة ، فالشعور لم يحدث إلا بعد بعض الطرق المصنوعة كي يُثبِت شيئاً تقريبياً الأزمنة التي ظهر فيها أشهر ملوكهم ، ولا سائل عن آبائهم التاريخية ، فيجب أن نعزو ذلك إلى استعداد الهندوس ، عن حسن نية ، لرؤية الأمور على غير ما هي عليه ورواية ما يشاهدونه مُحرَّفاً مُبدَّلاً

وإذا أردنا إجمال ما ورد في هذا الفصل عن الأخلاق المشتركة بين أكثرية الهندوس قلنا إن عواطفهم سواء دون عواطف الأوربيين ، وإنه ليس عندهم ما عند الأوربيين من أصحاب النفوس النابهة ، وإن معظمهم عاطلٌ من النشاط والثبات والإرادة ، وإنهم مقسومون إلى عدة طوائف مؤلفة من ألوف الزمر التي ترى كل واحدة منها جنسية خاصة ذات مصالح تختلف عن مصالح الأخرى ، وإن أحوالاً

كهذه تُفَسِّر الدور الذى مَثَّلَته الهند على مَسْرَح العالم والذى ستمثله ، فالهندُ ، إذ كانت أُمَّةً منذ الأزل كُتِب عليها أن تخضع لسادة من الأجانب على الدوام

ثُمَّ البحث فى البيئات والعروق التى هى عواملُ حضارة إحدى الأمم الأساسية ، وقد تجد عوامل أُخرى فى تطور هذه الحضارة ، ولكنها تستند إلى البيئات والعروق على الدوام ، ونحن ، إذ فَرَغنا من بحثنا التمهيدى ، ندرس الحضارات التى أينعت فى الهند والتطورات التى اعتورتها فى عصور الأجيال

الباب الثالث

تاريخ الهند

الفصل الأول

تاريخ الهند قبل الغارة الأوربية

(١) مصادر تاريخ الهند ـ نقص المصادر التاريخية ـ ليس للهند تاريخ ـ انحصار تلك المصادر في المباني والكتب الدينية والأساطير وأقاصيص الرحالين السياح ـ أهمية المباني والتماثيل والنقوش ـ لا يرجع تاريخ الهند إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ـ الأسس لتقسيم تاريخي ـ (٢) العصر الويدي ـ العصر الويدي هو عصر الهند الأساطيري ـ مصادر ذكره ـ كتب الويدا ـ
(٣) العصر البوذي ـ ظهور بوذا ـ ... ـ الغزو الإسكندري ـ علاقات الإغريق بالهندوس ـ أشوكا ووكراماديته ـ موقع الهند القديمة ـ
(٣) العصر البرهمي الحديث ـ ... ـ (٤) العصر الإسلامي ـ أهمية الروايات الإسلامية ـ لم يبدأ تاريخ الهند الصحيح إلا في هذا العصر ـ ممالك الدول الإسلامية في الهند ـ المغول ـ سقوط دولتهم ـ
(٥) تاريخ جنوب الهند ـ تاريخ جنوب الهند مستقل عن تاريخ شماله ـ ممالك الدكن الهندوسية القديمة ـ ممالك ... وبيجانكر ـ فتح المسلمين لجنوب الهند ـ سقوط دولة بيجانكر .

---

١ — مصادر تاريخ الهند

ليس للهند القديمة تاريخ ، وليس في كتبها وثائق عن ماضيها ، ولا تقوم مبانيها مقام الكتب ما دامت لا ترتد في القِدَم عن ثلاثة قرون قبل الميلاد ، ولولا ما في قليل من الكتب الدينية من أكداس الأساطير التي تُسْتَشفُّ منها بعض الحوادث التاريخية لظلَّ ماضي الهند مجهولاً جهلَ ماضي جزيرة الأطلنتيد التي مُحيت

بانقلاب جيولوجي فجاء ذكرها في الأساطير القديمة التي خلدها أفلاطون

وأقدم المصادر التي يرجع إليها في بحث أثر الماضي المفقود أشعار ويدا الدينية التي كتبت في أدوار مجهولة والتي يعاد في القدم إلى منتصف القرن الخامس عشر من التاريخ الميلادي ثم يأتي بعدها القصائد الحماسية المعروفة بمهابهارت ورامايانا وشرائع منو الدينية والاجتماعية .

وليس لدينا نصوص في عصر ما تعين ما في العصر الذي قبله ، والمصادر الوحيدة التي تمكن من معرفة الأمر هي المجموعات التي تدعى البوران وقد وضعت في دور مجهول لا يعدو القرن الثامن بعد الميلاد وملئت بالخرافات العجيبة ووضعت من غير تاريخ فعلا لا يستطيع المؤرخ الحديث أن يستنبط منه كبير شيء ، فالحق أن دور الهند التاريخي لم يبدأ إلا بعد الغارات الإسلامية في القرن الحادي عشر بفضل مؤرخي المسلمين

ويضاف إلى تلك المصادر الناقصة أقاصيص السياح الذين زاروا الهند في القرون القديمة ، وهذه الأقاصيص قليلة جدا ، وليس لدينا ما هو خاص بما قبل المسيح سوى شذرات من كتاب وضعه ميغاستين السفير اليوناني الذي أقام ببلاط ملك هندي قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ، ولم يصل إلينا عن الثلاثة عشر قرنا التي انقضت بين ذلك الزمن القديم والغارات الإسلامية غير قصتين للحاجين الصينيين فاهيان وهيوين سانج اللذين زار أولهما الهند في القرن الخامس وزارها الآخر في القرن السابع ، وتلك خلاصة ما ورد في كتب مؤلفين من شذور ، وتعد قصة ثاني هذين الحاجين على الخصوص أهم الوثائق التي وصلت إلينا عن الهند قبل الغارات الإسلامية .

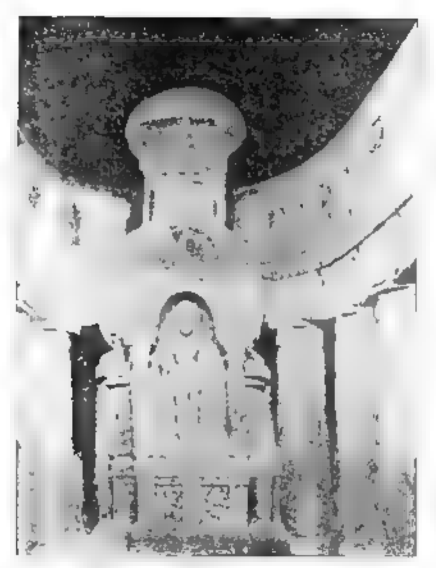

جـ ـ اسنا : محراب مسجد منحوت تحت الأرض (يبلغ ارتفاع المحراب مترا
ومترا و ٦ سنتيمترا)

ومما كشف التاريخ من غمض كبير عن الهند نُشير عن أهمية الآثار الماثلة كالمباني والتماثيل والنُّصُب[1] ، وأقدمُ هذه الآثار الأعمدةُ التي نقش أشوكا عليها مراسيمه قبل الميلاد بـ ٢٥٠ سنة ، ثم يليها في القِدَم نقوش المباني العظيمة كبهارُت وسانجي وغيرهما من التي أقيمت في القرن الأول من الميلاد أو قبله بقرنين أو أكثر ، فمن يُنعم النظر فيها يظفر بفوائد كبيرة عن طبائع الشعوب التي أقامتها وعاداتها ومعتقداتها وفنونها ويُعيِّن درجة تمدنها

ويلي تلك الآثار التي لا يكاد أقدمها يرجع إلى ما قبل ثلاثة قرون قبل ميلاد المسيح المعابد المصنوعة تحت الأرض والتماثيلُ والنقودُ التي تُلقي ضوءاً على تاريخ الأمم التي نشأت فيها ، ومن ذلك أن كشف من بقايا التماثيل والمباني تأثيرَ الإغريق العميق في بعض المناطق بعد الإسكندر بعدة قرون ، أي بعد طرد الإغريق من الهند بزمن طويل ، ومن ذلك أن نقوش المعابد تكشف لنا عن منشأ مذاهب الهند القديمة من المعتقدات وتطور هذه المعتقدات

وللدين أثر بالغ في النفوس على الدوام كما في أمم الشرق ، وبما أن الدين من الشأن العظيم في الهند ما قُدِّر أن تتخذ به تطور المعتقدات أساساً لتقسيم تاريخها .

ويشتمل ذلك التقسيم الواسع ، الذي لم تُحدَّد فيه الأدوار لتداخلها أو لوجودها معاً ، على الأعصر الآتية ١ — العصر الويدي ، ٢ — العصر البرهمي ، ٣ — العصر البُدّهي ، ٤ — العصر البرهمي الحديث أو عصر النهضة البرهمية ، ٥ — العصر الإسلامي ، ٦ — العصر الأوربي .

(١) النُّصُب : الصورة التي تُعبد

١ — العصر الويدي

ترجع أوائل العصر الويدي إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأثناء غزو الآريين للهند.

ويُعدّ العصر الويدي عصرَ تاريخ الهند الخرافيّ، فكلُّ ما نعرفه عنه من غير قليل هو ما نستكشفه من الكتب الدينية المعروفة بالويدا والتي أُلّفت في ناحية أهمُّ ربعٍ وبه استقرّ الآريون شمال الهند الغربي.

عاش هؤلاء الآريون الذين استوطنوا ما بين جبال هِمَالْيَة وجبال وِنْدهيا في البداءة رعاةً أعراباً، ومن المفروض أن نرى نموهم شيئاً فشيئاً، ونطوّر أقدم كتبهم وُضع قبل الميلاد بخمسة عشر قرناً حين كانوا لا يعرفون نظام الطوائف وحين كانوا يعبدون قوى الطبيعة غير مقيمين لها معبداً ولا هيكلاً، وهم الشعوب التي يتكون منها مجتمعٌ معه وديانةٌ جديدين ولم تأتِها من حضارة، فهؤلاء الآريون بدويون، وإن كانوا قادرين على وضع الكتب، لم يكونوا عارفين تشييد المباني الحجرية، ولا شيء يدل في أقدم كتبهم على أنهم أنشأوا معابد وقصوراً.

وسنعود إلى العصر الويدي في الفصل الذي خصصناه لدرس حضارة الآرية بالهند، فلا نرى أن نسهب في بيانه الآن كما أننا لا نُسهب في بيان العصر البرهمي الذي جاء بعد ذلك العصر فسنعود إلى دراسة حضارته، وهذا إلى أن وثائق هذين العصرين التاريخية الصحيحة مفقودة، وما انتهى إلينا من قصائد العصر البرهمي التي تُعدّ مُدوّنة ملحمية تُثبت أن الهند أخذت في العصر البرهمي تُغطّى بالمدن والمعابد والقصور، وإن لم يصل إلينا أيُّ طلل لمبانيه.

٢ — العصر البُدْهي

يرجع ظهور البُدهيّة في الهند إلى الأساطير أكثر منه إلى التاريخ ، ولا نعرف عن عصرها الأول غير ما ورد في الكتب البدهيّة من الأحاديث العجيبة ، ثم نجد صريح الحوادث نحو والاهتمام يحصل بعد مجيء الإسكندر ، ولا سيما حين أصبحت البدهية ديانة رسمية قبل المسيح بنحو ٢٥٠ سنة ، ثم عاد الغموض بعد زمن قليل مع الأسف ، وبقي على ما كان عليه عدة قرون .

وقع غزو الإسكندر في سنة ٣٢٧ قبل الميلاد ، بعد أن تم للإسكندر فتح بلاد فارس عزم على فتح الهند لكي يصبح سيد آسية .

وما كان من انقسام منطقة البنجاب إلى عدة دويلات مستقلة متنافسة يسّر للإسكندر فتحه للهند ، والإسكندر عبر إلى الهند على رأس جيش مؤلف من ١٢٠٠٠ مقاتل ، وكانت نواة هذا الجيش من الإغريق وسيافته من العرب ، وكان لديه أدلاء من الهنود ، وكان على اتفاق مع رؤساء سكان البلاد الأصليين ولا سيما مع ملك تكشيلا الواقعة بين نهر السند ونهر جهلم الذي كان يعرف بنهر هيداسبس .

زحف الإسكندر من خطريان إلى مدينة كابُل ثم سار إلى الهند فعبر نهر السند فاعترض له بورس ملك ما بين هيداسبس وجناب فهزم هذا الملك ثم صالحه تاركاً له مملكته فخضع له بعد ذلك عدة ملوك ولا سيما ملك كشمير .

ثم زحف الإسكندر بعد عدة وقائع ضد رؤساء من الأهالي إلى نهر هيفاسس (المعروف اليوم بنهر بياس) ، فلم يوافقه جيشه على السير إلى ما وراءه ، فأقام على

ضفافه اثنى عشر هيكلاً تذكارياً لتكون علامة على نهاية الغزو ، فلما عاد إلى ضفاف هيداسبس أنشأ أسطولاً فنزل به إلى حيث يصبُّ في نهر السِّند ، ولم يفتأ الإسكندر يحارب إلى أن وصـل إلى بتالة الواقعة على مصب نهر السِّند فأرسل أسطوله إلى خليج فارس بقيادة نيارك وسار على الشاطئ ، ثم قسَّم جيشه إلى فيلقين فعاد أحدهما من طريق كرمان إلى بلاد فارس بقيادة كراتر ورجع بالآخر من طريق جدروزيا (السِّند) ، ثم وصل ذلك الأسطول إلى الخليج الفارسي ولاقى الإسكندر وكرر فأقيمت الأعياد ابتهاجاً بالعودة من الغزو

ولو نظرنا إلى غزوة الإسكندر من ناحية الفتح لقلنا إنها غير ذات نتائج لتلاشي الحاميات الإغريقية التي تركها في الهند في بضع سنين ، بيد أنه كان لتلك الحملة نتائج علمية لوصفها أوربة بالهند لأول مرة

غنم ملك هندوسيٌّ جندرغبتا (المعروف لدى الإغريق بساندروكوتوس) فرصة رجوع الإسكندر ، وكان تابعاً لأحد زعماء الشعب الذين شتَّت الإسكندر شملهم ، فوسَّع رقعة مملكته في شمال الهند بالتدريج ، مستكملاً بالحاميات الإغريقية جاعلاً بالي بوتر (بتنه الحديثة) عاصمةً لمملكته تلك ، ولم يلبث أن دفع صيته فارس نيكاتور السلوقيَّ ، الذي ملك بعد وفاة الإسكندر سورية وبلاد بابل والولايات الواقعة بين نهر الفرات ونهر السند ، حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، سفيراً إلى بلاطه اسمه ميغاستين ، فأقام هذا السفير الإغريقيُّ زمناً طويلاً ببالي بوتر ، وفي القصة التي ألفها هذا السفير فانتهى إلينا جزء منها اطلعنا ، لأول مرة ، اطلاعاً صحيحاً على صنائع الهندوس وعاداتهم في ذلك الزمن .

ولم تقتصر علاقات الإغريق بالهـنـدوس على غزوة الإسكندر ولا على سفارة

معاصرين ، فاليوم نعلم ، مع سكوت المؤرخين ، وذلك من النقود و بقايا المبانى التى نبهت إليه ، أن خلفاء الدولة الإغريقية القطريانية التى أقامها سيكاتور السورى نحو الشمال وشدوا عدة ممالك ووصلوا إلى متر ، وأن أفاقا اسمه ميندر أسس سنة ١٢٦ قبل الميلاد مملكة بين نهر حفة ومصب نهر تربذا

والنقوش والنصب (١) والنقود هى كل ما انتهى إلينا من تلك ممالك الإغريقية فى الهند ، فنعلم منها أن هذه الممالك زالت أمام مغارى الشث حوالى الميلاد ، وأن هذه مغارى بدأت فى القرن الذى جاء قبل الميلاد ، وأن الشيث استولوا على شمال الهند الغربى فأقاموا مملكة اشتملت على قطربان وحوض السند والبنجاب وقسم من رحبوته ، وأن أجل هذه المملكة كان قصيراً ، فتمثل طرد الشيث من الهند فى أوائل القرن الأول من الميلاد .

وبسرع حان هذا الجزء الغامض من تاريخ الهند الذى صنه مباحث الحديثة ولنأت إلى جندرجبتا وخلفائه .

ادعى حفيد جندرجبتا أشوكا الشهير الذى تقلد الملك سنة ٢٥٠ قبل الميلاد مرتبة ، وجاء فى بعض الأساطير البدهية أن أشوكا هذا قتل إخوته المئة الذين ولدوا لأبيه من ست عشرة زوجة فأمن بذلك أمر منافستهم له فبسط ملكه على جميع شمال الهند ، وتتضح حدود مملكته من الكتابات التى لا تزال موجودة ، فنحن نرى أنها كانت بين أفغانستان والنيبال وجبالية وبرتما وأنها تاخمت مملكة الإغريق فى بقطريان من الغرب

(١) النصبة : الصورة التى تعبد .

ويبدأ تاريخ الهند المعماري بالملك أشوكا، ولا يزال كثير من الأعمدة التي رفعها تُنقش عليها مراسيمه قائماً، وأشهر هذه الآثار، كالموجودة في بهارت وسانجي وبدهگيا ذات النقوش البارزة المهمة في تاريخ البدهية، صنعت في أيام أشوكا أو بعده بزمن قليل، ولم يصل إلينا شيء من القصور التي أنشأها، ونعترف، مع ذلك، أنها جميلة جداً، فقد روى الحاج فاهيان، الذي رأى أطلاله وأطلال برج قصره في باتلي بوترا، أنها من الأعاجيب التي تعجز عن صنعها الإنسان.

وأشوكا ذلك هو الذي جعل من البدهية دين الهند الرسمي، وكان على جانب عظيم من الحمية الدينية فأرسل مبشرين إلى كل ناحية، حتى سيلان، حتى مصر بالقرب من بطليموس فيلادلف.

ونعلم أن مورية الذين كان أشوكا أميرهم حكموا نحو قرن ونصف قرن، أي بين سنة ٣٢٥ وسنة ١٨٨ قبل الميلاد، فنعتقد أنه بعد زوالهم انقسمت الدولة التي شادها أشوكا إلى عدة دول يسوسها ملوك مستقلون، واستطاعت البدهية أن تدوم، مع ذلك، إلى القرن السادس من الميلاد منتصرة على البرهمية التي تعرف في عصر بهاراتا، وتحدثنا القوائم التي وضعها البورانات عن عدة ملوك ملكوا في هذه الألف سنة، ولكن هذه القوائم غير موثوق بها.

والوثائق الوحيدة التي انتهت إلينا عن الهند بعد عهد أشوكا حتى الغزو الإسلامي هي المباني وأساطير البورانات، فهذه الوثائق وما يضاف إليها من أحاديث الحجاج الصينيين هي كل ما نستطيع أن نتمثل به حضارة الهند في ذلك الدور الطويل.

ولم يظهر في أثناء ذلك الظلام الدامس الذي دام اثني عشر قرناً غير قليل من رجال ذوي الخطر حفظت أحاديث الهند ذكراهم، وأشهر أولئك هو الراجا الأساطيري

وكرماديته الذي كان ملكاً لمالوا ومقيماً بالقرب من برنّدا ، وفي تلك الأحاديث أنه بسط سلطانه على بلاد الهند إلى أقصى جنوب الدكن ، وعلى ما في ذرعه من روح الأساطير نرى أنه مثّل دوراً مهماً فأرّخ الهندوس سنة جلوسه وافترضوا أنها سنة ٥٧ قبل الميلاد فاتخذوها مبدأ لتاريخ معروف بسَمْو

ومن دواعي الأسف أن حقائق تاريخ الهندوس من الضبط ، شأن الهندوس في كل أمر ، فإن البحث الدقيق في النقوش والكتابات المعاصرة يثبت أن وكرماديته كان يعيش بعد التاريخ المدوّن في الكتب بستمئة سنة

وفي هذا الظلام ترى الأساطير طرد الشق من الهند ، والشق كانوا قد أوقعوا بين الإغريق بعض الخراب قبل ميلاد عيسى وخصومهم ، ثم انقض أحد ملوكهم كنشكا الذهبي فأقام قبيل الميلاد دولة سيطرت على أفغانستان والبنجاب وراجبوتانا ، ولا نعلم عن تاريخ الشق في الهند غير أنهم نشروا الفن الإغريقي فيه ، كما يشهد بذلك بعض تماثيلهم

ويذكر من معاصري وكرماديته ، وذلك حسب الكتابات التي عثر عليها كسمها ، الراجه هرشاوردهن الذي دام ملكه من سنة ٦٠٧ إلى سنة ٦٤٨ فقص عنه الحاج الصيني هيوين سانج الذي زار الهند سنة ٦٣٤ أنه من أقوى ملوك شمال الهند ، وكانت مدينة قنوج التي هي من أقدم مدن الهند عاصمته ، وهي مدينة ظلت مهمة لأجيال عدة طويلة ، ونفترض أنها من مهود[1] حضارة الآريين ، وقد ذكرها بطليموس سنة ١٤٠ بعد الميلاد باسم قنوجيا ، وكانت المملكة التي عاصمتها قنوج في زمن هيوين سانج تمتد من كشمير إلى آسام ومن نيبال إلى نربدا

(١) مهود : جمع مهد .

وتقع قنّوج في غرب أگرا وبعد من نهر الگنج بضع كيلومترات ، واتصف لأبنيته على مدرج جلاله ، وعصف السلطان محمود الغزنوي بها أثناء فتحه وفي هجوم عقب سنة ١٠١٦ من الميلاد ... على رواية فرشته ، مدينة ناطحة السحاب ، محصونة وصناعها حذقوا فيها ... لا نظير لها .

ولم يبق من هذه العاصمة القديمة التي كان طول محيطها كيلو مترات ، على قول مؤرخي ... غير خرائب ... التي كانت قائمة قبل الغزو الإسلامي ... يقدر ... أن يجد طللاً على منوال ... من عهد ... ، وكل ما يستطيع ... أن يلاحظه من قديم في مدينة قنّوج القديمة هو كتابة يرجع تاريخها إلى سنة ١١٣٦ ميلادية ، أي إلى ما بعد الفتح الإسلامي بزمن طويل ، ... من أبنية ... أقرب إلى العصر الإسلامي ... في صنعة من أنقاض المباني الهندوسية القديمة .

وقنّوج هي من كثير من العواصم القديمة التي لا نعرف عنها إلا من بعض الروايات المبهمة وبعض الكتابات ، ولا يجوز أن نفرى في حسبان الأدباء وحدهم ما وصفت به عظمة هذه العواصم بعد أن شهدنا خرابها ... الذي مُحي من التخريب كمدينة كهجورا مثلاً .

كانت قنّوج وكهجورا وغيرهما من المدن المشهورة ، التي لم يبق منها سوى الاسم أو الأطلال ، عواصم لدول قوية ، وأشهر هذه العواصم ما كان يسكنه ملوك من العرق الراجپوتي الذي لا نزال نرى منه أسراً مالكة تحافظ على نظمه وعاداته إن لم يكن استقلاله ، ومن المحزن أن يبدأ أن يعظم تاريخ الراجپوت بعد أن

أفلم يصطدموا هم والمسلمون ؟ أجل ، استطاع المسلمون أن يخربوا عواصمهم وأن يدحروهم إلى مناطق وجوانب الهند الجبلية الوعرة ، غير أنهم لم يخضعوهم إلا ظاهراً ؟

ذلك العصر الذي دام من زمن خلفاء أشوكا إلى زمن النهضة البرهمية فإلى الغارات الإسلامية هو ، إذن ، كالعصر الذي جاء قبله غموضاً ، فقليلاً ما نعرف من مباحثه جهات أسره عرضاً

٣ – العصر البرهمي الجديد

ليس لدينا وثائق تاريخية عن عصر النهضة البرهمية أو العصر البرهمي الجديد ، فالنقود والمباني هي المصادر الوحيدة التي نرجع إليها في سيره

ومن المحتمل أن يرجع عود البرهمية القديمة ، الذي ما فتئ يتم ، نحو أيام آل كبتا الذين بسطوا سلطانهم على شمال الهند في القرن الخامس من الميلاد ، فعلى نقود هؤلاء الملوك وفي نقوشهم ما يشير إلى العودة إلى المعتقدات القديمة ، وفي القرن الخامس والقرن السادس لم تتخل البدهية عن الأحوال ، فمنذ القرن السادس بدأ شأن البدهية ، ومنذ القرن الثامن غابت البدهية عن الوجود تقريباً ، وسندرس في فصل آخر سير هذا التطور مستندين في ذلك إلى المباحث التي قمنا بها في الهند

وقد ظهر مذهب جديد اسمه الجينية حين بدأ ذلك ناسخ تضعضع البدهية ، ولكن معظم الهند قد تشطر بين ديانة وشنو وديانة شيوا ، ولم تعد غير البطن خالصة البرهمية الجديدة على الآلهة القديمة ، ثم إن بين هذه الديانة الجديدة والديانة القديمة من فرق عظيم جداً ، فالبرهمية الجديدة هي ، في الحقيقة ، مزيج من قديم المذاهب الويدية ومعتقدات البدهية ومختلف الخرافات الأجنبية

ولم تقطع عصر البرهمية الجديدة التي خلفت البُدْهِيَّة في الهند في القرن السابع أو القرن الثامن من ميلاد المسيح الغزوات الإسلامية، فالهند، وإن خضعت لأمراء مسلمين وكثيرٌ من الهندوس قد رضوا بالإسلام دينًا كما يدل عليه وجودُ خمسين مليون مسلم في الهند، حافظ معظم أهليها على دينهم القديم ولا يزالون يرعون شعائره حتى الآن

٤ — العصر الإسلامي

مارس المسلمون في الهند مثل النفوذ العميق الذي مارسوه في جميع أقطار العالم التي فتحوها، ولا أمة، كالمسلمين، تم لها من النفوذ التام ما تم للمسلمين كما يدل كتابنا تاريخ حضارة العرب، ولا عجب، ومع ذلك، مع مدة سلطان المسلمين التي دامت في الهند سبعة قرون غيّر فريق كبير من الشعب الهندوسي دينه ولغته وفنونه تغييرًا عظيمًا وظلّ هذا التغيير بعد زوال سلطانهم، فعلى ما تعلمه من عدم تأثير الأوربيين في الهند وعلى ما تراه من عقم النفوذ الإنكليزي في الهند تجد فيه خمسين مليونًا من الهندوس قد صاروا من أتباع محمد

ترجع غزوات المسلمين الأولى للهند إلى القرن السابع، ولم تكن هذه الغزوات سوى غارات مؤقتة، ولكنها لم تسفر عن استقرار دائم، وفي أوائل القرن الحادي عشر فقط بدأ غزوُ المسلمين الجدّيُّ للهند بقيادة محمود الغزنوي

محمود الغزنويُّ هو من سلالة أمير تركيٍّ أنشأ إمارة مستقلة في مدينة غزنة الحالية الواقعة في جنوب كابل الأفغانية، فلما زحف إلى الهند كان شمالها الغربيّ مقسومًا بين أمراء كثيرين من الراجبوت منصرفين براحة داخلية بالحب والتصوف، وكان

راجه قنوج الذى هو سليل راما تلك بإمارة أودهة و إمارة وادى نهر الكنج ، وكان من بال عسكوب الصالح و مهارة وكان حلفه ، وكم مدينة يملكون منه ، وكان جنوب الهند يشتمل على الممالك الهندوسية الثلاث التى سنتكلم عنها فى مكان آخر ، جير وچولا و پنديا .

ثم لم يوطد محمود الغزنوى سلطانه بسهولة ، فقد قاومه الراجپوت ، ولا سيما ملك لاهور أشد مقاومة ، ومع ما لاقاه من المصاعب الكبيرة غير التى لاقاها الإسكندر فى بعض الحملات التى قام بها بين سنة ١٠٠١ وسنة ١٠٢٦ لإخضاع شمال الهند عن سبع عشرة حملة ، ووصل فى غزوه إلى الكجرات حيث نهب معبد سومنات ، ولكنه لم يحتفظ بغير البنجاب ، فظل الراجپوت مستقلين قرونا ، ثم سار خلفاؤه على سنته فى التوسع فوجد الراجپوت فى منطقة راجپوتانا حصنا منيعا حيث أسسوا دولا لم تخضع لأحد ولا لمغول ، وهى لا تزال ملك كثير من الأسر الراجپوتية المالكة .

وما تم على يد محمود الغزنوى من فتح الهند طمح إلى مسلمين ، فمحمود الغزنوى كان مسلما متين العقيدة ، أتى إلى الهند ليبث الشريعة الإسلامية فأعمل فى كل مكان فيه مشركين من العرب وحصارهم فتح حديقة مسلمة عيبة ، عقب يحيى الدولة

وكانت الهند ، حين وطئ محمود الغزنوى فيها ، عالما لا عهد له بمثله من الغنى والنضارة ، وما لا يزال قائما فيها من المبانى والآثار يشف أن وصف أدباء الشرق لها بعيد من المبالغة ، وما كان يقع بين ملوكها المحليين من الحروب لا يؤدى إلا إلى تبديل موضع عواصمهم وكنوزها من غير أن يخرج منهم مع أن ما عرضت له مدن من المصائب المنظمة قد نهبتها تماما

وليس مما لا طائل فيه أن نُسهب في ذلك الأمر معتمدين على سرد بعض المباني التي نرسمها في هذا السفر فلم يعد مؤرخو الشرق ، حتى محمود الغزنوي نفسه ، من القدماء يعزفون به عن إعجابهم بها .

فقد فتح محمود الغزنوي مدينة متهرا سنة ١٠١٩ م ، ونرى ما كتبه قوله :

٢٣٠ — بهرت : صورة بناء هندوسي أقيم في القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً

« تحتوي مدينة متهرا المقدسة على أكثر من ألف من مبانٍ تشبه عقيدة أهل الإيمان ، ومصنوع أكثرها من الرخام ، وقد صُنعت لتبقى على الدهر ، وهذه مبانٍ تساوي ألوف الألوف من الدنانير فضلاً عن أنه لا يقام مثل هذه المدينة في أقل من قرنين ، ووجد جنودي في معابد المشركين خمسة أصنام من الذهب ذوات عيون من ياقوت أحمر تساوي قيمته خمسين ألف دينار ، ووجدوا فيها صنماً آخر مرصعاً

عن ومنه أربعمئة مثقال من الياقوت الأزرق، ووجدوا فيه، فضلاً عن ذلك،
نحو مئة صنم من الفضة يعدل وزنها حمل مئة بعير .

رأى محمود الغزنوي مثل تلك المعابد في جميع المدن التي دخلها، ولا سيما في الموضع الذي كان لها أن تبقى فيه مدة طويلة كما روى فرشته الذي ذكرناه آنفاً، فوجد في أثناء الحملة التي قام بها سنة ١٠٢٤ فهدم معبد سومنات بالكجرات على الخصوص، معبداً عجيباً ذا ست وخمسين سارية مصفحة بصفائح من ذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة، ووجد ألوفاً من التماثيل مصنوعة من الذهب والفضة ومحيطة به، ووجد صنماً من حجر قائماً في وسطه مشتملاً في جوفه على مقدار كبير من الحجارة الكريمة، ووجد خمسمئة من أبرهمي وخمسمئة راقصة وثلاثمئة موسيقي، وقدرت الغنيمة المأخوذة من الكنوز في ذلك الأثناء بنحو ٢٥٠ مليون فرنك أي بمبلغ عظيم جداً في ذلك الزمن .

وما فتئ دهش خلفاء محمود الغزنوي عند هذه الثروات والعجائب التي لا توجد في كل مكان بالهند، فقد هدم محمد الغوري أحد خلفائه معبد بنارس وحمل أربعة آلاف بعير من الغنائم التي استولى عليها، ولم ينقطع جنود المسلمين في حملتهم الأولى التي قاموا بها في الهند عن البحث عن الذهب الكثير، وكثيراً ما كانوا يبقرون بطونهم لكي يحصلوا على ما بلعوه من الذهب والجواهر، وكان الناس ليبلعوا ما عندهم من النقود تخبيئاً على عكس ما يقع في أيامنا .

ودام سلطان محمود الغزنوي الأفغاني في ترية لاهور من سنة ٩٩٦ إلى سنة ١١٨٦ حين طردهم محمود الغوري رئيس عشيرة لأفغان الأخرى، فسلك محمود الغوري هذا في فتوحه مسلكاً سهلاً كتب له التوفيق به كما كتب لخلفائه، ومنهم الإنكليز،

من بعده، فعمل ذلك على التدخل في كل نزاع بين الأمراء المحليين من نزاع وعلى الاستعانة من بعضهم ببعضهم ثم بالاستيلاء على ممالكهم، فهو بعد أن توسّط حيناً في نزاع كان يفرّق بين سوب دهلي وفتوح جميع ممالكهم وأنشأ منهم دولة واسعة تمتد من الشرق وعوالنار وكرمان من المغول جاعلاً مدينة دهلي مقرّاً للحكومة.

مات محمود الغوري فادعى أيبك قطب الدين استقلاله فأضحى قطب الدين هذا رأس الأسرة الأفغانية المعروفة بأسرة ملوك التي دام سلطانهم من سنة ٦٠٢ إلى سنة ١٢٩٠، وإلى قطب الدين هذا تعزى إنشاء منارة قطب في دهلي.

ولعل ألتمش هو أشهر ملوك هذه الأسرة، ومقبرته تعد من أشهر مباني دهلي، ودام عهده من سنة ١٢١١ إلى سنة ١٢٣٦ حارب في أثنائه عدة مرات ضد غارات المغول وفتن القبائل المحلية.

٣٠ [illegible] من [illegible] في القرن [illegible] الأول من الميلاد) (يبلغ ارتفاع القبة نحو ٩٢ متراً ويبلغ قطرها ٣٤ متراً)

أديل من الأسرة الغورية فقامت مقامها أسرة خلجي ومن علاء الدين من أشهر ملوكها (١٢٩٤ — ١٣١٣)، ولما اتسع به مدى الفتوح الإسلامية في عهده وما كان له من التفوق في الفن المعماري مثل ما كان لأسلافه كما يشهد بذلك [illegible] الذي تحتفظ به دهلي.

ومن سوء حظ هذه الأسرة اتخذ [illegible] أن [illegible] خطر المغول الذين [illegible] في

جيشه تنكيلاً شنيعاً فشتته ، ثم لبث زعيم هؤلاء المرتزقة أن أسس أسرة إسلامية مالكة حاكمة (١٣٢٠ - ١٤١٤) اشتهر منها فيروز وطوغلق ، وامتاز ملوكها بالطابع الذي وسموا به فن العمارة .

وفي سنة ١٣٩٨ ، أيام ثاني دست التغلقيين ، أغار تيمورلنك على الهند فنهب دهلي فخرب الهند كل تخريب وعاد إلى بلاده .

وكان هؤلاء يحاولون الاستقلال أيام سيطرة دهلي في الحروب موفقاً أكثرهم له في ذلك ، فتمكنت عواصمهم في البنغال وغيرها من تشييد عمائر في مدن الهند التي لا يزال عدد كبير منها قائماً .

سادت فوضى الهند عقب غزوة تيمورلنك ، فحاول ولاة الدين يتمتعون بالولايات الإسلامية أن يستقلوا ، فصار صاحب دهلي ، فتمكن آل لودي ، حكام لاهور ، من الاستيلاء عليها في سنة ١٤٥٠ فأسسوا أسرة ملكت فيها إلى أن ... سلطانها إلى سنة ١٥١٧

وفي تلك السنة ملك حاكم لاهور ... قرر الاستقلال فأراد لودي أن يحمله على الخضوع فاستنجد ببابر الذي هو من حفدة تيمورلنك وجنكيزخان فاستطاع بابر بعد أن زحف على الهند بجيش صغير مؤلف من ١٢٠٠٠ رجل أن يغلب جيش لودي المؤلف من ١٠٠٠٠٠ رجل فاستولى على دهلي وعلى جميع شمال الهند .

وبابر ذلك هو مؤسس آل الملك المغولي بالهند ، وهو الذي استطاع أن يدونه ، ثم مات في آخر سنة ١٥٣٠ بعد أن أصبحت أفغانستان وهندوستان في قبضته .

حافظ جنوب الهند على استقلاله في معظم الدور الإسلامي الأول الذي خصصناه به ، وذلك خلا القسم المتوسط المجاور لنربدا الذي استولت عليه الدول الإسلامية

مستقلة ، ولم تخضع الهند بأسرها لسلطان واحد إلا في الدور الأخير من الدولة المغولية ، وذلك لوقت قصير جداً ، في شمال الهند ووسطها ، إذن ، فلندع بابر وخلفاءه ملكهم .

خلفه همايون (١٥٣٠ — ١٥٥٦) ، ابن مؤسس الدولة المغولية بالهند ، إلى العهد الذي أكرهه الأفغان فيه على الجلاء عن أثره إلى السند حيث تزوّج امرأة فارسية فولدت منه في سنة ١٥٤٢ ابنه الذي شهر باسم أكبر فيما بعد ، ثم ثبّت دعائم مملكته فاسترد سلطانه ومات بالقرب من دهلي حيث لا يزال ضريحه ماثلاً

وفي زمن خليفة همايون ، الملك أكبر (١٥٥٦ — ١٦٠٥) ، بلغت عظمة الدولة المغولية بالهند ، فقد حاول هذا الملك إدغام الهندوس بالمسلمين فتزوّج أميرات هندوسيات واتخذ وزراءه من المسلمين والهندوس معاً ، وأراد مزج دينَيْ هاتين الأمتين ، ونستطيع أن نستبين مقاصده من سنن في عهده وإن سكت التاريخ عنه ، ويُعدّ عهده الذي دام خمسين سنة من أنضر العهود الجديرة بطيب الذكر ، ونرى النظم التي سنّها من أكثر النظم ملاءمة للشعوب التي حكمها ، وكُتب لكثير من هذه النظم البقاء بعده ، وقلّدها الإنكليز في الغالب

وأكبرُ ، وإن كان مسلماً وكان يعدّ الهندوس والمسلمين من المتعصبين ، احترم دياناتهم ، وشجّعهم بإنشاء معابد لجميع الأديان ، وخُيّل إليه أن تنصهر الأديان في دين واحد فحَبِط ما سعى إليه .

وملك جهانكير (١٦٠٥ — ١٦٢٨) من النوابغ أيضاً ، وإن كان دون أبيه أكبر أهمية ، وهو ، إذ كان مسلماً كأبيه متحلياً مثله بخُلُق التسامح ، سار على سياسته فتزوّج نساء مسلمات وهندوسيات فعامل هاتين الأمتين بإنصاف ، وكان

النصارى، فقد بلغ عددهم ستين شخصاً في عاصمته نصيب من رعيته

ولم يكن ابنه شاهجهان الذي حكم منذ سنة ١٦٢٨ عام سلطانه إلى سنة ١٦٥٨ متسامحاً مثله، فقد حذف من فن العمارة ما استطاع حذفه من المؤثرات الهندوسية كما يدل على ذلك ما شاده من المباني.

وفي سنة ١٦٣٧ سكن شاهجهان دهلي وأنشأ فيها القصر الشهير الذي لم يسمح لإنكلترا بعد نزع زخرفه، فعُدّ، مع ذلك، من أجمل مباني الدنيا.

وفي عهد شاهجهان أقيمت أشهر مباني المغول فنذكر منها تاج محل ومسجد اللؤلؤ بآكرا والقصر والمسجد الكبير بدهلي، الخ

وخلف أورنك زيب أباه شاهجهان في سنة ١٦٥٨ فدام ملكه إلى سنة ١٧٠٧، فكان يقيم بآكرا مرة وبدهلي مرة أخرى، وقد كان له فيها حكم تعسفي نحو الهندوس، وأدى تعصبه إلى سقوط الدولة المغولية بالهند، وذلك أنه قضى على مملكة بيجابور ومملكة غولكنده الإسلاميتين فكان قضى على الحاجز الأخير القائم أمام أعدائه الذين كان يراقب أحوالهم، فعُدّ بذلك محلل دولة المغول، فبلغ في عهده ذلك أهمية دولة مغولية ... عن الدولة المغولية ... حتى لا وجود لعهد أورنك زيب، غير أنه كان ... هذا لا ... دور الانحطاط الذي ... أن نخصصه، فحسبنا أن نشير، بخصوصه، بعد ... الذي ...

دام العصر الإسلامي الذي أجملنا تاريخه كل عدده نحو سبعمائة سنة، ولم يكن وحدة الهند في معظم هذا العصر الطويل الذي امتد إلى زمن أورنك زيب في غير الظاهر، فقد أقام ولاة المسلمين ممالك مستقلة كمملكة غور ومملكة غولكنده ومملكة بيجابور وغيرها من الممالك التي لا نرى البحث في أمورها، فالحق أن الهند لم تصبح قبضة سيد واحد إلا في أيام أورنك زيب، وذلك لوقت قصير

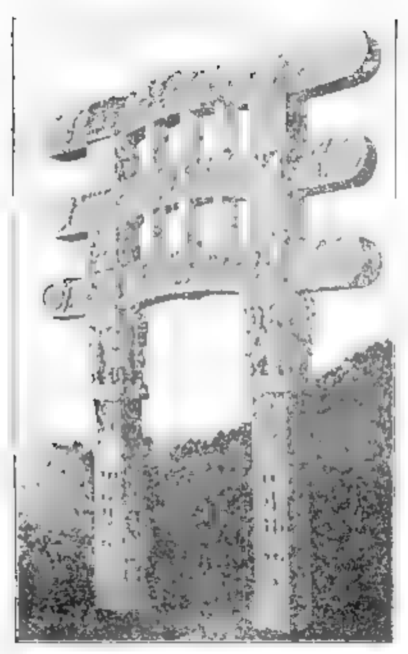

٢٣ — سانچي : مصراع باب عند [illegible]
(ارتفاعه [illegible] متر و٢٥ سنتيمتر)

ولم تدم تلك الدولة الموحدة زمناً طويلاً ، فكان موت أورنغ زيب نذير تمزيقها ، فلم يكد أورنغ زيب يتوفى حتى وقعت الهند في الفوضى السيئة، فأخذ مراتها والأفغان والسكه والجات والراجبوت وأمراء مسلمون يقتطعون بالنهب وبالاقتطاع ممالك مستقلة من الجثة الضخمة ، ولم يبق لخلفاء أورنغ زيب الضعفاء سوى سلطة اسمية ، وسعى الدكن إلى استقلاله فأنشأ الوزير نظام فيه دولة لا تزال قائمة باسمه حتى الآن واتخذ مدينة حيدر آباد عاصمة لها .

وفي سنة ١٧٣٩ أغار شاه الفرس نادر على دهلي فنهب جميع ما جمعه ملوك المغول من الكنوز ، فذهب بما تقدّر قيمته بأكثر من مليار فرنك ، وفي سنة ١٧٤٧ استولى الأفغان على لاهور والبنجاب ، وعم المراتها الفوضى فنزعوا من الدولة أحسن ولاياتها .

ولم يكن زوال ملك المغول كله وليد يوم واحد ، فقد ظل جالساً على عرش دهلي حفدة أولئك الملوك ١٥٠ سنة أخرى ، بيد أن سلطانهم أصبح اسمياً بالتدريج فكانت حالة أمرهم أن أصبحوا موظفين لدى الإنكليز ، ولما أسر آخرهم في سنة ١٨٥٧ كان سلطانه أقل من ظل في المدينة التي كانت مقراً لآبائه .

وتعد غزوات مراتها من أقوى الأسباب في سقوط دولة المغول بعد موت أورنغ زيب وتقسيمها في عدة ممالك ، ونكاد نستدل على هذه الغزوات نوعاً من النسيان ، فكانت غزوات شبيهة بالتي قام بها الفرس والأفغان ، لا مغازي فتح ، فقد كان الهندوس الذين باشروها تحت سيادتهم لو تم لهم النصر عادت الهند عندئذ وثنية هندوسية لأول مرة منذ قرون كثيرة ، فيتطلب الفتح الأوربي حينئذ جهوداً

[illegible]

وكان المراتهيون يسكنون المنطقة المعروفة قديماً بمهاراشترا والواقعة في الشمال الغربي من الدكن وفي جنوب ولاية بمبي الحاضرة مبتدئة من جبال ست بورا ، وتجوب تلك المنطقة عدة فروع من جبال كهات وجبال وندهيا فكان لهم بها معاقل حصينة لم يخضعوا للمسلمين إلا ظاهراً .

بدأ المراتهيون أعداءً أشداء للدولة المغولية في سنوات أورنك زيب الأخيرة ، فقد أظهروا منذ ذلك من الميل إلى التسامح حملهم على شق العصا ، فجمع زعيمهم سيواجي ألوفاً في جيوش كانت من الأتباع ، بعد أن قضى عمراً في قطع السابلة ، فاستطاع أن يقتطع مملكة في الشمال على غير مرة من مملكة بيجابور في بدء الأمر ثم حيث أن توسع رقعتها في وسط جنوب الهند ، فمات أورنك زيب قبل أن يقهره مع ما قام به من الحروب الطاحنة .

ومملكة بيجابور الإسلامية هي إحدى الممالك التي كان تقي الدولة المغولية من المراتهيين ، فبعد أن أورنك زيب هدم هذه المملكة فاستطاع المراتهيون أن يقوموا بالمغازي والغارات أحراراً في كل مكان .

فتح المراتهيون بعد موت أورنك زيب أكثر الولايات الهندية بالتدريج ، وظل أمراء المراتهيين يستحوذون دوراً عظيماً في نصف قرن ، وإنهم حاذوا في تدويخ الهند تأثيرهم ، إذ قهرهم مغازي الأفغان الذين كسروهم سنة ١٧٦٠ في معركة پاني پت الشهيرة حيث قُتل ٢٠٠٠٠٠ رجلٍ كما روي .

ومن نتائج غزوات الأفغان وما عانى أمراء المراتهيين وما اضطرَّ به هؤلاء من محاربة أمراء المسلمين المستقلين أن ذهب الضعف فيهم ، فاغتنم الإنكليز ذلك فاستطاعوا أن يقهروهم ، والإنكليز وجدوا بين أولئك من قاتلوهم بعنف مع ذلك .

ولم يتم الإنكليز إخضاعهم إلا بعد أربع حروب نشبت في أوائل هذا القرن، ولا يزال بعض أمراء المراتهة مالكين لإندور وغواليار على الخصوص، ولكنهم لا يتمتعون بشيء من السلطان السياسي على ما عندهم من جيوش كثيرة

٦ — تاريخ جنوب الهند

جنوب الهند منطقة لا ترتبط بتاريخ شمال الهند إلا عرضاً، ونحن بذلك لم نستطع أن نلقي عليه غير نظرة عامة نرى أن ندرسه في مطلب مستقل

ثم لقد قسمنا الهند إلى منطقتين كبيرتين: الهند الشمالية أو هندوستان والهند الجنوبية أو الدكن، والحد الفاصل وادي نربدا في الغرب [illegible] على خط السرطان [illegible]، واليوم لا نطلق اسم الدكن إلا على الهضبة الوسطى التي تحدها نربدا وجبال [illegible] شمالاً ووادي كرشنا جنوباً وجبال غهات الغربية غرباً وجبال غهات الشرقية شرقاً

وقد عددنا الشعوب وفصلنا من الآدميين القاطنين ببعض الغابات [illegible] وحدت سكان الدكن القدماء من ذوي الجلود السمر الذين هم [illegible] [illegible] والأمر [illegible] من البحث لا ريب والشعوب الذين أتوا من الغرب، وهذه [illegible] في عصور أقدم من عصرنا بكثير، واليوم يعد سكان جنوب الهند، وإن شئت فقل [illegible] من أكثر عروق الهند تجانساً، فهم [illegible] منذ اثني عشر قرناً مدنية واحدة و[illegible] واحدة و[illegible] لغات تكاد تكون واحدة

ويظهر أنه لم يكن للبدهية أثر كبير في سكان جنوب الهند ، وفقد الأثر ، عند الترس وجوده ، فلا يزال منزعه ، فلا ترى بعد نهر كرشنا مباني بُدْهية

وللجينية أثر أكبر من أثر البدهية هنالك ، فلا تزال تجد هنا أشياعاً في جنوب كانره وزنم وفي ميسور ، وللإسلام أتباع غير قليلين هنالك أيضاً ، والبرهمية هي ديانة الأكثرين من سكان جنوب الهند ، وينقسم هؤلاء بين الشيفيين والوشنويين ، غير أن معابدهم متماثلة غير مختلفة في سوى أمور صغرى ، لذلك ، أن نعلم من الناحية المعمارية ، أكثر مباني جنوب الهند في فصل واحد بدلاً من أن نصنفها بحسب الملل والنحل كما نضطر إليه في أمر مباني شمال الهند ووسطها

وتاريخ جنوب الهند ، قبل دوره الإسلامي ، أي إلى القرن الثالث عشر من الميلاد ، أشد غموضاً من تاريخ شمال الهند ، فلا نجد فيه من آثاره الكتب الهندية ، ولا نعثر فيه على أي من الكتب مثل الحوليات أو الأحاديث المدونة الأخرى قبل القرن الثامن بعد الميلاد تقريباً ، ولا نعثر على أقدم من مباني حجرية ولا نقش من الكتابات يرجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد تقريباً

ونستنتج من قصص ملوكه وفتوحاتهم التي أشير إليها في الكتابات الحجرية ، وورود أسماء لملوك جنوب الهند في مراسيم أشوكا قبل الميلاد بثلاثة قرون ، وذكر أسماء مدن في كتب قدماء المؤرخين ، وجود ممالك في جنوب الهند قبل الميلاد بخمسة قرون أو ستة قرون وإن كنا لا نستطيع قول شيء عن خصائصها ، ومما لا مراء فيه ، مع ذلك ، أن جنوب الهند لم يتمدن إلا بعد شمال الهند بزمن طويل

ويمكن تلخيص ما نعرفه عن ممالك جنوب الهند قبل الغزوات الإسلامية كما يلي:

كان جنوب الهند مقسوماً، قبل الميلاد، إلى ثلاث ممالكَ كبيرة: مملكة بنديا ومملكة جولا ومملكة جيرا، وذلك بحسب أساطير الهندوس التي جاءت الكتاباتُ الحجرية مُصَدِّقَةً لها، وكانت مملكة بنديا تقع في أقصى جنوب الهند، وورد ذكرها في المهابهارتا وفي مراسيم أشوكا وأحاديث ميغاسثينس، ويُرَى، على العموم، أنها كانت موجودة في القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً وإن لم ينته إلينا شيء من تاريخها، وجُعلت مدينةُ مدورا عاصمةً لها، ومما لا شكَّ فيه أن كان لسكان مدينة مدورا هذه علاقاتٌ بالروم كما تدلّ عليه النقود الرومانية التي وُجِدَتْ بالقرب منها.

ثم استولى ملوكُ جولا الثلاثةُ على مملكة بنديا حوالي القرن الحادي عشر من الميلاد فظلّ أمرها ضعيفاً إلى منتصف القرن السادس عشر تقريباً، فلما كانت سنة ١٥٥٩ استولى عليها راجه بيجانَگر، وشيدَ في عهد الملك تيرومل (١٦٢٣ـ١٦٥٩) ما في مَدُورا من المباني.

وكانت مملكة جولا تقع في شمال مملكة بنديا وشرقها فتمتدُّ من وادي كولرون ووادي كاويري إلى مستوى مدراس، ومن اسمها اشتُقّ اسم جول مَنْدَلَم الذي حرّفه الأوربيون كورومندل.

ومن المحتمل أن تكون هذه المملكة قد قامت في الزمن الذي قامت فيه مملكة بنديا، فقد ذُكِرَتْ في مراسيم أشوكا وإن جهلنا تاريخها مثل جهلنا تاريخَ بنديا، ونعلمُ، مع ذلك، أن ملوك جولا كانوا، كما جاء في الكتابات الحجرية، في

عظم شأنهم وجاء بين القرن العاشر والقرن الثانى عشر من الميلاد ، فقهروا جنوب الهند ومدوا سلطانهم إلى سيلان التى كانوا قد استولوا عليها فى سنة ٢٥٠ قبل ظهور المسيح على حسب ما جاء فى التواريخ السيلانية ، وبلغت فتوحهم الشمال وممالك الدكن فى الشمال ، وحكموا ممالكهم فى القرن الحادى عشر لأقوى ما عرفته جنوب الهند من ممالك ، ... ... ، فقد كان أولاً قبل الغزو الإسلامى الذى وقع سنة ١٣١٠ .

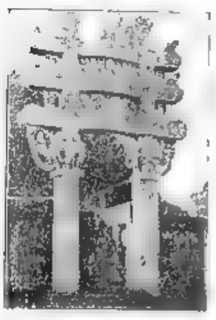

٣١ ـ ... ...
... ...
(...)

ويظهر أن عاصمة مملكة جولا فى القرن الثانى من الميلاد كانت مدينة أورايور القريبة من ترى جنابلى فانتقلت إلى مدينة كنجيفرم فى القرن الثالث فإلى مدينة تانجور فى القرن العاشر .

وكان الجنگ يمتلكون ناحية الغرب من مملكة جولا وناحية الشمال من مملكة بنديا وجزءاً كبيراً من ولاية ميسور الحاضرة ، وكانت مملكتهم قائمة قبل الميلاد ، فقد ورد ذكرها فى مراسيم أشوكا الملك ، وكانت هذه المملكة على جانب عظيم من القوة فى القرن الرابع والقرن الخامس من الميلاد كما تشهد بذلك ... ... سموشه قدمة على الحضارة ، وبلغت فتوح ملوكهم مدى بعيداً فى الشمال فافتخر مملكهم كوعى راجه الثالث فى إحدى الكتابات بوصول جيوشه إلى نهر ... .

وتمّ هــذا الفتح حوالى القرن الثامن من الميلاد ، فاشتُقَّ عنه من معبد قائم على الطراز الدراويدى فى إيلورا

وكانت مدينة بلاكاد ، الواقعة على نهر كاويرى والممتدة اثنى عشر فرسخاً من شرق ميسور ، عاصمةَ جيرا .

ويُضاف إلى تلك الممالك الثلاث مملكةُ هالوكَا التى مثّلت دوراً مهماً فى فن العمارة على الأقل ، وكان ظهور هــذه المملكة منذ ذلك الزمن الطويل ، فقد قامت فى القرن السادس من الميلاد ، ثم غابت حقبة بعد ستة قرون ، وضُمّ أسر جالوكي الثالثة إلى بيت جالوكي الشرق وبيت ملوك الغرب على حسب ما كان ملوكهم يقسّمون الملك .

وكان سلطان [illegible] مبسوطاً ، فوق تلك الممالك الثلاث ، على أملاك واسعة مشتملة على مملكة ميسور الحاضرة وجزء كبير من مملكة نظام الحالية ، وكان [illegible] من طرف [illegible] الذى هو مزيج من طراز الهند الشمالية وطراز الهند الجنوبية [illegible]

ومن [illegible] ، ومن المحتمل أن يكون ذلك قد نجم عن [illegible] أن كان [illegible] ، [illegible] ، [illegible] فى [illegible] ، وتختلف [illegible] مع ذلك ، فقد رأى بعض المؤلفين أن [illegible] بالطراز الجالوكياوى

وفى ولاية ميسور طُبع ذلك الطراز [illegible] بين سنة ١٠٠٠ وسنة ١٣٠٠ من الميلاد ، فنجد أحسن نماذجه فى هَلّابيد وبلور ، ومن المحتمل ألا يكون قد أُنشِئت قبل القرن الثانى عشر من الميلاد ، ونذكر ما فيها من فيض الزخرف بمبانى الجينيّة ،

وليس ما يميزها من النقوش التي تمثل الآلهة الهندوسية شيوا وباروتي وويشنو الخ ، فارق من نقوش المعابد البراهمية ، ونعدُّها مرحلة انتقال بين طراز شمال الهند وطراز جنوبها أكثر من أن تكون عنوان طراز جديد

وطفق جنوب الهند يعرض للعمارة الإسلامية منذ القرن الثالث عشر من الميلاد ، وحاول المسلمون عدة قرون افتتاح أقسام الدكن المختلفة ، ولم يوفقوا لتدويخ جميعه إلا لوقت قصير ، وفي الدكن أقاموا ممالك قوية وإن لم تكن من الشوكة بما يعادل سلطانهم في شمال الهند ، وتلك كما يبدو لنا ، عند سكوت التاريخ ، من قلة تأثيرهم الديني والمعنوي والفني فيه ، ولم يصبح فن العمارة إسلامياً ، مع ذلك ، إلا في المدن التي خضعت لحكمهم مدة طويلة ، أو على ، ساد ملوك من الهندوس ، كما حدث ملوك مدور ، قصوراً على الطراز الإسلامي ، ولكن تأثير هذا الطراز ظل في المعابد الهندوسية كالعدم تقريباً .

ووقعت غزوة المسلمين الأولى للدكن سنة ١٣٠٦ في عهد علاء الدين ، فبلغ الجيش الإسلامي شاطئ مليبار في سنة ١٣١٠ وخربت هلابيد ومنصورة في سنة ١٣١١ ، وكان لورنكل مثل مصيرهما في سنة ١٣٢٣ ؛ واستطاع من ثم فتح شمال الدكن مع عدم تأمين حكومته ، في الوقت ، وولاة مسلمون بمعونة ملوك دهلي متحدون دولة آيلة مقراً لهم.

لم تلبث أولئك الولاة أن ينشدوا الاستقلال لأنفسهم فكانت دولة مستقلة إسلامية ، مالك مستقل بيت ملوك بهمني الذي دام سلطانه من سنة ١٣٤٧ إلى سنة ١٥٢٦ فاستطاع في أثناء ذلك أن يضم إليه ساحل أوريسه بعض الزمن ، ولم تلبث هذه المملكة أن قسمت إلى خمس ممالك إسلامية مستقلة متحاربة على الدوام ، وهذه

ممالك هي مملكة بيجابور (١٤٨٩ – ١٦٨٩) ومملكة أحمد نجر (١٤٩٠ – ١٦٣٧)، ومملكة غولكوندا (١٥١٢ – ١٦٨٧) ومملكة برار (١٤٨٤ – ١٥٧٤) ومملكة بيدر (١٤٨٩ – ١٥٩٩). وقد كان من أعمال هذه الممالك منعها من التوسع في جنوب الهند أو التغلب على جنوب الهند أو المحافظة على استقلاله

٣٥ – خريطة للهند الإسلامية في عهد الملك أكبر
(القرن السادس عشر من الميلاد)
( )

والواقع أن جنوب الهند كان مقسوماً بين منطقتين مختلفتين في القرن الخامس عشر وفي النصف الأول من القرن السادس عشر. فأما المنطقة الأولى فكانت واقعة شمالي نهر كرشنا تابعة للسلاطين، وأما المنطقة الثانية فكانت واقعة جنوب ذلك

النهر تابعة لراجوات من الهندوس معدودين من عمّال راجه بيجانغر ، وما في بيجانغر هذه من المباني الرائعة ، الخربة الآن ، شاهد على ازدهار دولتهم في مضى

وفي سنة ١٥٦٤ فقط وُفِّق أمراء الدكن المسلمون متحدين لتقويض سلطان الهندوس في جنوب الهند وعرش بيجانغر ، ولم يكن فتح جنوب الهند هذا إلا ناقصاً مع ذلك ، فقد قامت فيه عدة دول ثلاث ، كدولة تنجور ودولة مدورا وغيرها من الدول الثلاث التي حافظت على استقلالها بين الابقاء الى أن وقعت في قبضة مراتها ثم الإنكليز .

فتحتْ فرنسة تنجور سنة ١٦٧٤ واستولى المسلمون على مدورا سنة ١٧٣٦ ، ثم استطاع الإنكليز الذين قضوا أمر فرنسة في مدراس سنة ١٧٣٩ من تملك أملاك أمراء جنوب الهند بالتدريج ، ولم تخضع سلطنة ميسور من الهند الا سنة ١٧٩٩ في زمن تيبو صاحب أسد على ... الإنكليز لبسط السلطة العليا في جنوب الهند وعلى بسط نفوذهم عامة ... ، ... ، كما تم لهم هذا الفتح وما هي العوامل في جعلته ممكناً

الفَصلُ الثاني

صلات الهند القديمة بالغرب

فتح الطرق الأوربيـة

كيف فُتحت الهنـد

---

(١) صلات الهند بأوربة في القرون القديمة والقرون الوسطى — كيف كانت الهند تصل بأوربة في القرون [illegible] — [illegible] — صلات الهند [illegible] — صلات [illegible] بعد غزو الإسكندر — صلات الهند بإيطاليا [illegible] الرومان — طريق بحر [illegible] [illegible] إلى الهند — رحلة ماركو بولو — اكتشاف طريق رأس الرجاء [illegible] [illegible] الأوربيين [illegible] في [illegible] [illegible] الإنكليز في [illegible] [illegible] (٣) [illegible] الإنكليز [illegible] [illegible] الإنكليز [illegible] [illegible] الإنكليز [illegible] (٤) كيف فتحت الهند — اتصال الإنكليز [illegible] كيف فتح الإنكليز الهند [illegible] [illegible] — الصلات [illegible] في استيلاء الإنكليز على الهند — نتائج فقدان الشعور القومي في الهند

١ صلات الهند بأوربة في القرون القديمة والقرون الوسطى

كانت أوربة والهند تتبادلان الصلات بينهما منذ أقدم القرون [illegible] وسلكت طرقاً عرضية،

وحدث العالمان ، وإن كانا تحدثا [illegible] تجارة ، وتلك الصلات كانت تتم إما بطريق آسيا الوسطى بعد أن [illegible] السفن [illegible] بلاد التتر وبلاد فارس وإما بطريق مصر حيث تقطع هذه السفن البحر الأحمر مارة من خليج العارس وسواحل بلاد العرب ، والعرب وحدهم كانوا [illegible] وعلى سكان [illegible] كانوا يعرفون [illegible] وكان [illegible] الإسكندر ١٥٠ سنة ، ينالون سلع الهند بواسطة هؤلاء العرب .

وطرق [illegible] كانت [illegible] والآخريان [illegible] بواسطة القوافل أعظم [illegible] شرقي [illegible] ودمشق [illegible] بلاد الفرس وكشمير ، [illegible] فكانت [illegible] الأحمر [illegible] سواحل بلاد العرب ، ومن بحر الأحمر كانت تلك السفن [illegible] الإسكندرية حيث كان الصقليون ثم [illegible] والبندقية [illegible] من [illegible] ، فكانت مصر [illegible] وصل بين الشرق والغرب وكانت تلك التجارةُ مصدرَ ثروتها المهم .

صلاتُ العرب [illegible] كانت [illegible] الصلات [illegible] على ما ذكره هيرودتس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد [illegible] وأراد أن يعرف البحر الذي يصب فيه نهر السند فأرسل بعثة بقيادة سيلاكس فسارت هذه البعثة من [illegible] الواقعة على [illegible] السند مع هذا النهر إلى البحر ثم أبحرت إلى الغرب

فوصلت إلى البحر الأحمر بعد سفر دام ثلاثين شهراً ، وبعد أن بثت هذه الرحلة البحرية أخضع دارا الهنود وبسط سيادته على ذلك البحر .

ولم يكن الهنود الذين حكى عنهم هيرودوتس من سكان سهول [illegible] الأناوى(١) ، كما يتبين من كتابه [illegible] إلا من الشمال الغربي من نهر السند ، فلم يرو هيرودوتس أن من عاداتهم أكل آبائهم وأصدقائهم إذا مرضوا وعدّ [illegible] من الأمم [illegible] ، ومن المحتمل أن [illegible] الصلات في عهد [illegible] ، ويدل على ذلك وجود فيالق في جيش ملك الفرس دارا [illegible] حين غزاه الإسكندر سنة ٣٣٠ قبل الميلاد .

[illegible] غزا الهند [illegible] الإسكندر سنة ٣٢٧ قبل الميلاد ، وكاد هذا البطل المقدوني لا يفتحها ، حتى يُوغِلَ فيما هو أبعد من نهر السند ، ولم يبق أحد من جنوده في الهند بعد عشر سنين من غزوته ، فأسفرت هذه الحملة عن لفت الأنظار إلى الهند بعد أن كان أمرها مجهولاً [illegible]

[illegible] الإسكندر [illegible] ، [illegible] الزروبة(٢) التي [illegible] أن [illegible] ، [illegible] الصلات التي ربطت الهند بدولته [illegible] بعد موته بالمرة ، فعادت الهند [illegible] من الفاتحين الأجانب بعد عشر سنوات

على أن صلات [illegible] بالهند دامت مواصلة [illegible] الإغريقية كما [illegible] ذلك [illegible] الذي أرسله سلوقس [illegible] السلوقية [illegible] إلى [illegible] ([illegible]) حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، وهي الرحلة الأولى التي تعد

(١) الأناوى : جمع الإناوة وهي الخراج — (٢) الزروبة : [illegible] عند الفرس

الأوربيون وهي قبل الهند فكانت أحدوثة ميغاستين التي انتهت إلينا المصدر الوحيد عن أحوال الهند في ذلك العصر

ومما لا شك فيه أن الهدف المقصود من الوفد هو أن يحوّل عن مصر في تدمر ودمشق وأنطاكية مجرى التجارة التي كان يتملكه العرب فيؤدي إلى نضوب العظمة كما أدى ... ... ذلك ... علاقات بين قطر بلاد وشمال الهند العربي ... ... عليه من ... في ... ... العربي

أصبحت مصر ولاية رومانية سنة ٣٠ قبل الميلاد فعمد أغسطس، كما كان الناس يعتقدون، أن بلاد العرب هي مصدر التوابل، والأمر ومع أن العرب كانوا يأتون بها من الهند، فوجه إلى بلاد العرب حملة لم تكتب لها النصر، وفي زمن القيصر كلوديوس، أي في القرن الأول من الميلاد، دفعت ريح سفينة إلى سيلان صدفة فعلم بذلك أن من الممكن الوصول إلى الهند من طريق البحر بفضل بعض الرياح بدلاً من محاذاة السواحل كما كان ... قبل ذلك، فصار عدد من ... ... من مصر في ستين يوماً على رواية ... ... الواقعة بين ... وكاليكت، وفي ذلك الحين ... ... الإسكندرية ... ... رحلة في بحر أريترة[١] ما نجد فيه جميع معارف الجغرافية

ومما عرفه القدماء عن الهند في القرن الثاني من الميلاد نعلمه من كتاب بطليموس في الجغرافية، وما في هذا الكتاب من المعارف فسطحي مقصور على وصف السواحل

(١) بحر أريترة هو ... المسمى الآن، وفي العصور الأولى ... ... على المحيط الهندي وخليج العرب والخليج الفارسي (المترجم)

وظلت الصلات بالهند في دور انحطاط الدولة الرومانية ثم قُطِعَت تماماً حينما فتح عرب العالم القديم بقيادة خلفاء محمد ، وظلت مقطوعة عن العالم النصراني أكثر من ألف سنة ، فمن أراد الاطلاع على حال الهند في القرون الوسطى فليطالع ما جاء في كتب سُيّاح العرب من الأنباء ، ومن هؤلاء السياح نذكر المسعودي الذي زارها في أواسط القرن العاشر وابن بطوطة الذي طاف فيها سنة ١٣٣٠ م .

وزار الهند ، قبل سياح العرب ، حجاج من الصينيين البوذيين ، وما رواه هيوِن سنغ عن الهند في القرن السابع من الميلاد هو أهم ما انتهى إلينا عن الهند في ذلك الدور .

وأول من وُفِّق من الأوربيين لدخول الهند رحالان من البندقية ، أحدهما ماركو بولو الذي زارها في القرن الثالث عشر من الميلاد ، والآخر ، وهو من أسـ [illegible] ، زارها في القرن الخامس عشر من الميلاد بعد أن نزل من الفرات والخليج الفارسي فوصل إلى كنبي (كمبيات) .

وكذلك كانت الهند غاية عوامل الطمع في الشعوب الأوربية في القرون الوسطى ، فكانت كل دولة منها تبحث عن طريق للوصول إليها عبر الطريق التي يسلكها المسلمون منها ، ومن المعلوم أن كرستوف كولمب وجد أمريكا في طريقه إلى الهند ، فاعتقد ، حين وطئ جزر الأنتيل أنه نزل في الجزر القريبة من شواطئ الهند ، فمات هذا الملاح الكبير قبل أن يعرف خطأه .

والبرتغاليون هم الذين وجدوا الطريق المنشودة فكان لاكتشافهم أهم النتائج ، ففي سنة ١٤٩٨ جاوز فاسكو دوغاما رأس إفريقية الجنوبي متوجهاً إلى الهند فبلغ كاليكت الواقعة على شاطئ مليبار من جنوب الهند .

والبرتغاليون ، حين وُفِّقوا لهذا الاكتشاف الكبير ، وصلوا أوربة بالهند رأساً فقضوا بذلك على تجارة مصر التي ظلت مستودع السلع الهندية عدة قرون ، ولم تنقطع علاقات أوربة بالهند منذ ذلك الحين فأصبح كلٌّ في أوربة يعرف ثمة استطلاع ، ووصل أوربة بالهند فقط كُشف أمر الهند العسكرية وزالت النقاب عمية عن الهند بالمعلم فكُشف عن الهند ذلك الغطاء الذي كان يحجبها عن أوربة فكانت تبدو مكاناً لكل عجيب .

٢ — إقامة الأوربيين الأولى بالهند

وصل فاسكودوغاما إلى سواحل الهند حيث تملك زعيمٌ صغيرٌ اسمه زاموري الكاليكوتي . فاستولى بوكرك على غوا فتُعد عاصمة ممتلكات الهند البرتغالية ، ولم يمتد البرتغاليون سلطانهم فكان لهم قسم كبير من الساحل الغربي الممتد من ملبار إلى جزيرة كاتهياوار .

والبرتغاليون ، وإن ظلوا أسياداً ، سيطروا محافظة على ما فتحوا ، لم يلبثوا أن برزوا أمام أوربيين آخرين حتى زال سلطانهم .

والهولنديون أول من بدؤوا بمنافستهم ، فكانت حملتهم الأولى في سنة ١٥٩٦م ، ولم ينقض نصف قرن حتى طردوهم ، والهولنديون لو لم يزاحمهم الإنكليز على ممتلكاتهم لأقاموا في الهند إمبراطورية عظيمة ، ولكن موارد هولندة إذ كانت ضعيفة في أوربة لم تقدر هولندة على محافظتها باستمرار فتخلت عن مكانها لهم .

وفي سنة ١٦٠٠ ، أي في عهد الملكة إليزابيث ، تألفت أول شركة إنكليزية

للتجارة في الهند فتذبذب وضعها في أوائل الأمر، وبقيا وكلاؤها الذين بعثوا إلى بلاط مغول خفقا؛ وفي سنة ١٦٠٨، حين ظهر هوكينز الإنكليزي سفيراً لملك إنكلترة جيمس الأول وشركة الهند الإنكليزية لدى بلاط الملك جهانكير [illegible] قال له وزراء هذا الملك إن ملك إنكلترة ليس غير سيد جزيرة صغيرة يسكنها [illegible] صيادون، فلم يحصل هوكينز [illegible] على إقامته هنالك من غير أن يظفر بشيء، وعند طلب مغول [illegible] إلى مولاه فقال له الوزير الأول [illegible] لا يناسب قدر ملك مغول أن يكتب إلى أمير صغير كملك إنكلترة

[illegible] الشركة الإنكليزية [illegible] بالدسائس [illegible] من الملك مغولي تجيز لها [illegible] في سورت، فاتسعت دائرة أعمالها بالتدريج فكان لها في أقل من ستين سنة فروع في كل مكان [illegible]، فاشترت في سنة ١٦٦١ مدينة بمباي من البرتغاليين، ثم استقرت في سنة ١٦٧٧ بمدراس، ثم عيّنت في سنة ١٦٨١ [illegible] نائباً بالهند، ثم أرادت في سنة ١٦٨٦ أن تقاوم كتائب ملك مغولي بالسلاح فهُزمت.

[illegible] الإنكليز منافسيهم البرتغاليين والهولنديين شيئاً فشيئاً، ولكنهم لم يلبثوا أن [illegible] في نهب الهند وجهاً لوجه، [illegible] أن يزيحوهم من طريقهم [illegible] أولئك المنافسون الجدد هم الفرنسيون الذين أخذوا يشقون أعمالهم في الهند [illegible] وهم متأخرون، فقد أنشأوا في سنة ١٦٦٤ شركة فرنسية للتجارة في الهند تحت رعاية كولبير.

[illegible] تفكر دولة أوربية ثانية في بسط سلطانها، ولو قليلاً، على جزء من داخل الهند [illegible] دولة مغول قائمة، مكتفية بما لها من المؤسسات في سواحلها، ولكن

أوائل عظائم فتخضب بوفاة أورنغ زيب الذي كان موته بدء انهيار سلطان المغول ،
فلما تم انحلال الدولة المغولية العظمى قامت على أنقاضها عدة ممالك فصار من
الممكنات لدولة أوربية حديثة في الهند بالتدخل فيما يقع بين أمرائها المتكثرين
من المنازعات الداخلية ، وفي الهند كان الفرنسيون والإنكليز وحدهم على
الأساس قادرين على وراثة تلك التركة التي تنازعها كثير من الخصوم ، فسرعان
ما اصطرعوا .

٣ — الصراع الفرنسي الإنكليزي في الهند

أول نزاع بين الفرنسيين والإنكليز كان في جنوب الهند ، ففي جنوب الهند
كانت الفوضى عظيمة ، فكان نظام الملك يملك مملكة حيدر آباد مستقلاً ،
وكان أمير أركت [illegible] ، وكان أقصى جنوب مقسوماً
بين ممالك هندوسية [illegible] ، وكان الفرنسيون يملكون
بوندشيري و[illegible] ، وكان الإنكليز
يملكون مدراس و[illegible] كثيرة على الشاطئ ، وكان قراصنتهم يشنون الغارات
على كل مكان .

ووقعت الحرب بين فرنسة وإنكلترة في أوربة سنة ١٧٤٠ فحسن لدوبليكس
الذي عين سنة ١٧٤١ حاكماً عاماً للمستعمرات الفرنسية في الهند أن يطرد الإنكليز
من الهند وأن يحولها إلى إمبراطورية فرنسية ، فوفق سنة ١٧٤٦ لإجلاء الإنكليز
عن أكثر مراكزهم ، ولا سيما عن مدراس بعد وقائع كثيرة ، فلم يلبث أن أصبح

سيد صاحب الهند الشرقية ناصره، وهو إذ رأى أنه لا يقدر أن يبذل من حكومته رجالاً ولا أموالاً عقد عزيمته على عدم مطالبتها بأي مدد وعلى فتح أعظم ممالك الهند وجرّد جميع الإنكليز منذ الأول بين الذين هم كانوا من أقوى عنده منصباً نائبه بوسي.

وعيّن دوبليكس فرصة وفاة نظام حيدر آباد فأجلس أحد أنصاره على عرشه وتمكن من نصب أمير موالٍ على أركت، ونال دوبليكس ذلك عيّن ، ل معاقل ما ساعده به كثير من الأمراء، أميراً على جميع البقاع الواقعة جنوب نهر كرشنا، أي على بلاد تعدل فرنسا مساحة ويزيد دخلها على خمسة عشر مليون فرنك، وهكذا تنعقد أمر دوبليكس وعظم نفوذه من غير أن تكلفت فرنسا شيئاً، فلما رأى الإنكليز أنهم كادوا يطردون من جميع ما يتمسكون في الهند مدّوا حوت الدسائس في قصر فرساي فاستطاعوا، ... أن يحملوه بعد خمس عشرة على استدعاء دوبليكس وعلى ترك جميع ما فتحه، فكان هذا أحرى عهد ضعف ملك فرنسي.

... دوبليكس فعاد إلى فرنسا ليموت فيها بائساً. ومن المؤسف أن أطاع أمر استدعائه بعد أن أصبح، بالحقيقة، أمير عدة ولايات واعترف ملك المغول بإمارته وعاد لا يخشى شيئاً، فلو خالف أمر مولاه ذلك لأسدى إلى فرنسا خدمة لا تقدّر بثمن، ... تلك المعاهدة المشئومة لم تحل دون محاربة إنكلترة ثانية في سنة ١٧٥٧، ولم تكن فرنسا ... على تجديد مشروعات دوبليكس بعد أن قضى على الهند هذا الرجل العظيم فخاصة الأسيف لالي الذي ... بوسائل ... دوبليكس ... في أي زمن مع ... هذه الوسائل ما عجز من ...

كان دوبليكس ضروريًّا لتمام النصر له ، فقد غُلب فى كل مكان فخسر فى سنة ١٧٦١ حتى بوندشيرى فعاد إلى فرنسة فحُكم عليه بالقتل فقُتل مع أن الإنصاف يقضى بقتل أولئك الذين استدعوا دوبليكس فضيعوا على فرنسة إمبراطورية الهند

تخلص الإنكليز من مزاحمة الفرنسيين فخلا لهم الجو واتسعت فتوحهم بفضل سياستهم التى كان تقوم على ضرب الأمراء المحليين من منافسات وضرب بعض هؤلاء الأمراء على بعض ، فكانت هزيمة سلطان ميسور الأخير تيبو صاحب فى سنة ١٧٩٩ ثم فى أواخر القرن الثامن عشر ، وكانت محارباتهم الطويلة للمرهتا فى أوائل هذا القرن الصفحات الأخيرة المهمة لفتحهم الهند ، ثم صارت ، بعد ذلك ، تقتضى حاجة حفظه التى استولوا عليها إلى صدر عين للوصول إلى هذه الغاية فرصة ، وعاد الأمر الذى لم يتزعزع أملاكهم الحاضرة من أحد ، لا تدرسون سلطة سياسية وضعوا محدودة من بقاع كثيرة ، ومملكة نيبال وحدها هى التى حافظت على استقلالها التام فى أيامنا

٤ — كيف فُتِحت الهند

ليس من مقاصدنا أن نمثل فى هذا الكتاب الوقائع التى قام بها الإنكليز لفتحهم الهند ، ولكن من المفيد أن نشير إلى المبادئ العامة فى سير الإنكليز عليه ، وذلك مبادئ قد هدى إليها دوبليكس الذى هو من أكبر دهاة التاريخ ، فاتبعه الإنكليز فأفلحوا ، وتنفيذهم لأساليبه أدى إلى فتحهم الهند التى لم تخضع لشعوبها فى أى زمن ، فاسمع ما قاله المؤرخ الإنكليزى الكبير ماكولى عن دوبليكس :

هو أول من أدرك إمكان إقامة إمبراطورية أوربية في الهند على أنقاض مملكة مغولية، فقد وضع هذا الداهية ذو النظر الثاقب خطة ذلك حين كان أمهر موظفي الشركة الإنكليزية لا يفكرون في غير مصير الأوساق[1] وحساباتها، ولم يقتصر دوبليكس على انتهاز فرص، فقد قدّر ببصره الحديد الوسائل المؤدية إلى بلوغ ذلك الغرض، فرأى أن [illegible] الهند أن يشهدوه من جنود في [illegible] لا تقدر على مقاومة [illegible] من الجنود [illegible] [illegible] أن تحولها إلى كتيبة [illegible] [illegible] كبير [illegible] كان على رأسهم زعماء أوربيون، ورأى أيضاً أن أفضل ما يستطيع أن يمسك به أمراء أوربا ليصل إلى الحكم في الهند هو أن يؤلف الأحزاب والأهواء، وأن يكون [illegible] بإحدى القصب المحكمة التي تحمل ألقاب مغولية

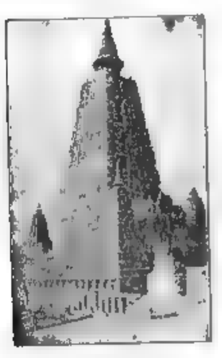

٣٦ ـ بدهه غيا. المعبد الكبير (يبلغ ارتفاعه ٥٢ متراً) (تمثل صورة هذا المعبد الذي انتصب الآن على حاله الحاضرة بعد ترميمه وإصلاحه وقد [illegible] البلاد ويرجع إلى بكرماديتيا [illegible] في هذه الصورة قد أقيم على [illegible] كان في القرن الثاني قبل الميلاد)

(١) الأوساق: جمع الوسق وهو الحمل.

أو الأمراء ، فكان دوپلكس أول من طبقوا فنون الحرب والسياسة التي سار عليها الإنكليز بعد سنوات قليلة موفَّقين .

ثم كرَّر الفيلسوف الإنكليزي ستيوارت ميل ما قاله دوپلكس حرفيًّا عندما بحث في أسباب فتح الإنكليز للهند فقال : « إن الاكتشاف الذي اهتدى إليه الفرنسيون فسهّل فتح الهند هو ضعف جيوش الأهالي تجاه الكتائب الأوربية المدرَّبة ، وسهولة تدريب من يستخدمهم الأوربيون من الأهالي على نظام الأوربيين الحربي » .

وإلى ذينك السببين يعزو الإنكليزي الأستاذ سيلي فتح الهند ، بعد أن ذكرهما في كتاب نشره حديثًا ، فيرى أن ذلك الفتح نشأ عن سلطة الإنكليز في الهند وعن ما تشدّق به بعض هؤلاء ، وعلى ما نراه من عدم قسوة على الإنكليز ، خلافًا للأستاذ سيلي الشديد في حكمه على بني قومه ، فيعيب على الهندوس [illegible] تقاعدهم للإنكليز وعزمهم على ألا [illegible] في هذين [illegible] سلطانهم .

وليس ذينك الاكتشافين وحدهما ما أسفرت عنه عبقرية دوپلكس ، فللإنكليز مدينون له ، أيضًا ، باكتشاف ثالث طبقوه ، فقد قام هذا الاكتشاف الذي هو مثل ذينك الاكتشافين أهمية ، على إمكان تدويخ مستعمرة بأموال أهلها ورجالهم ، ومن الغريب أن يفتخر الفرنسيون على العمل بهذا الاكتشاف الذي اهتدى إليه واحد منهم ، فقد أثبت مثالُ دوپلكس ومثال كلايف وغيرهما من الأمثلة درجة عجز مكتشفين لأحد المبادئ عن تطبيق هذا المبدأ في بعض الأحيان .

والإنكليز ، حين اعتمدوا مبادئ دوپلكس ، [illegible] ، وصلوا إلى فتح الهند

ورجال هندوس وأموالهم ، ومن شئت فقل بجنود عبر جنودهم ونقود عبر نقودهم[١]، فالحق أن الهند دانت للإنكليز بجيوش مؤلفة من الهندوس وبأموال أدتها حكومات من الهندوس .

وقد يتعجب الإنسان ، أول وهلة ، من قهر تلك الملايين الكثيرة بسهولة ، مع أنه يجب أن تكون جيوش الفاتحين مؤلفة من جنود كثيرين ، لا من بضعة آلاف من الجنود ، ولكن عجبه يبطل إذا قرأ فصول هذا الكتاب السابقة ، فهو يرى أن كلمة « الهند » ليست سوى تعبير جغرافي وأن هذه البلاد شعوب مختلفة أشد الاختلاف ، وأنها لا تحتوي على ما تدل عليه أوربة من معنى « الأمة الواحدة » ، أي وحدة عرق ولغة ومشاعر مؤدية إلى وحدة مصالح ، وأنها لا تشتمل على قومية هندية كالقومية الفرنسية أو القومية الألمانية أو القومية الطليانية الخ ، وأن بعض شعوب الهند غريبة أجنبية عن بعض ، وأن نظام الطوائف الذي يفرق بين مختلف طبقات العرق الواحد ، كما سنرى ذلك ، يوجب نظر الهندوسي إلى أكثرية أبناء قومه الساحقة كغرباء مثل الأوربيين كما ينظر الراجبوت سكان جنوب الهند من الغرباء .

ولا نطيل البحث في فقدان الشعور القومي في الهند فقدانا لا يدركه الأوربيون الذين لم يطوفوا فيها ، فإن الأستاذ الإنكليزي سيلي « صيب إمبراطورية الهندية

---

(١) لم يكن في معركة بلاسي [illegible] الإنكليز [illegible] في سنة ١٧٥٧ ، وكان [illegible] المقاتلين [illegible] الهند بأسرها [illegible] سوى [illegible] ولم يخرج منها سوى [illegible] رجلا ، وكان جيش العدو فيها مشتملا على ٦٨٠٠٠ مقاتل وكان جيش الإنكليزي لا يشتمل فيها على غير ٦٥٠ أوربيا عدا من فيه من الهندوس .

عن الوجود عندما يبدأ الشعور القومي يسود فيها وعندما يشعر الناس فيها بأن من العار مساعدة على دوام سلطان وما لم يسعوا جهد الأجنبي سبب بالفعل ، ما دام ثلث حاميات مؤلفين من سكان الأصليين .

وبما لا نرى من شعور القومي في الهند بعد سلطان الإنكليز قوياً فيه وعند ما يحدث فيه من الفتن غير ذي خطر ، ومن ذلك أن ثورة السپاهي التي اشتعلت سنة ١٨٥٧ كانت وليدة شكوى عسكرية محضة ، ولم تكترث لها شعوب الهندوس فاحتفظ كتائب هندوسية مخلصة بعهودها لله قبيلة من الإنكليز (ككتائب الغوركها وفرق البنجاب ومشاة نيبال)

وقد عددت مساوئ الأجنبية التي قد يقوم بها أوربيون وتجدت أن أكبر خطر على سيادة الإنكليز في الهند هو وجود شعور قومي فيها وإن كنت أرى منذ ذلك في الوقت الحاضر ، والإنكليز أنفسهم ، هم الذين سيعودون ، بما يتملكونه من أساليب التربية التي يدرس بها في الهند آخر نشوء ذلك الشعور ويُعِدّون بذلك انهيار إمبراطوريتهم العظمى .

البَابُ الرَابعُ

تطور حضارات الهند

الفصل الأول

حضارة العصر الويدي

وصف المجتمع الهندوسي قبل الميلاد بألف سنة

(١) عناصر [illegible] حضارات الهند [illegible] القديمة [illegible] العصر — الكتب الدينية [illegible] الأساطير [illegible] [illegible] التطور في الهند [illegible] تطور شعوب الشرق أطوار القرون الوسطى [illegible] تأثير [illegible] [illegible] أساسه [illegible] [illegible] الدينية و[illegible] على الدوام [illegible] كان الغرب [illegible] الدينية [illegible] أساس [illegible] [illegible] عناصر التقسيم لمختلف أطوار [illegible] في الهند [illegible] العصر — (٢) مصادر بحث [illegible] أصول [illegible] الآري [illegible] [illegible] شعوب [illegible] واللاهوتية — (٣) أصل الآريين [illegible] الآريين [illegible] أصل الآريين [illegible] المعمورة [illegible] الآريين في الهند — (٤) الأسرة [illegible] وربة كانت الأسرة [illegible] المجتمع الآري [illegible] الويديين في أحداث [illegible] — كانت الأسرة [illegible] أساس الوحدة [illegible] عبادة [illegible] والأسرة [illegible] الأجداد [illegible] الأرواح الأجداد [illegible] عند الآريين [illegible] الأسرة المثلى. (٥) [illegible] الآريين [illegible] والاجتماعية [illegible] الأسرة الكبيرة [illegible] (٦) الحياة عند الآريين [illegible] الميسر والملاهي و[illegible] الخ — (٧) مبادئ الآريين اللاهوتية والدينية — لا آلهة [illegible] عند الآريين — [illegible] مبادئ الدينية [illegible] — مبادئ الآريين [illegible] المعمورة [illegible] مبادئ اللاهوتية والمبادئ الدينية — الأخلاق عند الآريين — تقدير الحضارة الآرية في مجموعها

١ ـ عناصر بحث حضارات الهند ـ التقسيم إلى أعصر

ذكرنا في فصل سابق أنه ليس لدينا كتابُ تاريخ عن آثار الهند القديمة وأن أدوار ما تعرَّضت من ألف سنة تبقى مجهولة تماماً لو لم يُلقِ عددٌ قليل من المباني والكتابات وكتب القدماء نوراً ضئيلاً عليها.

وما عندنا من الوثائق التي نبحث بها حضارة الهند، في دورٍ تقرُب من أربعة آلاف سنة تشكل الهند في أثنائها شعوبٌ بلغت درجاتٍ متفاوتة من الحضارة، وإن كان غير كافٍ، لا يبعد مما يقتضيه رسمُ تاريخ هذا الدور، فما انتهى إلينا من الكتب الدينية ككتب الويدا، ومن الحماسيات كالرامايانا والمهابهارتا، ومن الشرائع القديمة كشرائع مَنُو، يكفي لتمثُّل الأحوال الاجتماعية في الأزمنة التي وُضعت فيها، وما وصل إلينا عن الهند القديمة من مئات الأقاصيص والأمثال والأساطير يدُلُّ على شعور الأمم التي أبدعتها وأفكارها ونظرها إلى الأمور، وما نشاهده من المباني وأحاديث الشهود، القليلة مع الأسف، كأحاديث السفير اليوناني ميغاستين والحاجَّين الصينيَّين فاهيان وهيوين سانغ، يُتمّ تلك المصادر إتماماً نافعاً.

ومن يبحث في تاريخ حضارة الشعوب الأوربية يَرَ التطورَ التدريجيَّ من صفحات هذه الحضارة، ومن يبحث في حضارة الأمم الشرقية، كالصينيين والهندوس على الخصوص، يبدُ له مثلُ ذلك التطور أمراً غامضاً وإن تعذَّر إنكاره، وذلك التطور، وإن لم يُبصِره الباحث، نشأ خفاؤه عن قِلَّة معرفتنا لماضي تلك الأمم وعن عدم مجاوزة تلك الأمم الطورَ الذي يكون التطور فيه بطيئاً، فلو وقفتْ حضارة الغرب في أواخر القرون الوسطى فجأةً غيرَ تاركة لنا سوى وثائق ناقصة نقصَ التي نحكم بها في

أمر الشرق الأقصى لاعتقدنا، عند عدم التدقيق التام، أن الغرب لم يتطور، مع أن أُسُس حضارة الغرب وضعت في ذلك الزمن الطويل فقامت على هذه الأسس بعدئذ بسرعة.

جاوزت شعوب الشرق طورَ نصحيه الأولى كما جاوزناه، وارتقت إلى دور يشابه دور قروننا الوسطى كما ارتقينا، ولكنها إذ قيَّدت نفسها بسلسلة من العادات والتقاليد والمعتقدات أقوى مما قيدنا به لم تستطع أن تتخلص منها كما استطعنا، فلم تخرج من ذلك الدور كما خرجنا، فظلت في الدور التمهيدي الذي لا يتم تطور إحدى الأمم فيه بسرعة.

ونُعدّ جمودَ معتقدات الشعوب الشرقية من أهمّ الأسباب المختلفة التي يُفسَّر بها بطوء تطورها كانتقال مدنية وحرف المعاش ومزاج النفس والعروق الخ، ونجد كون الغرب قد تمت وحدته في أحد الأزمان لا ريب، بيد أن معتقدات الغرب لم تعد تمد التعاليم الدينية مع أن معتقدات الشرق نسيجٌ من الشرائع الدينية والاجتماعية، فالشرائع الدينية إذ عُدَّت ثابتةً غيرَ متحولة على الدوام وجب عدُّ الشرائع الاجتماعية المشتقة منها ثابتة غيرَ متحولة أيضاً، فيكون ما نراه من بطوء تطورها، وهنا نقول بما حين درسنا في كتاب آخر «تاريخَ حضارة العرب» ذكرنا أن القرآن الذي هو دستور دينيّ واجتماعيّ ككثير دساتير الشرق، وإن أنعم على العرب بالوحدة التي جعلت منهم أمةً واحدة ذات مشاعرَ واحدة ومعتقداتٍ واحدة ومقاصدَ واحدة، أدّى، فيما بعد، إلى انحطاط الحضارة العظيمة التي نشأت على أساسه[1]

والمعتقدات الدينية في الهند هي أساس جميع النُّظُم الاجتماعية، فما في الهند من نُظُم اجتماعية ليس، بالحقيقة، إلا نُظُماً دينية، ونحن، حين نرى الدور المهمّ الذي

---

(١) أخطأ المؤلف في رأيه هذا، فرددنا عليه في مقدمتنا لكتاب «حضارة العرب». (المترجم)

مثّله الدين في جميع شعوب الهند على الدوام ، مذ تطورت الدين عنصراً أساسياً في تقسيم ما لحضاراتها من الوجوه ، وستكون هذه التطورات غير محسوسة عند النظر إليها بين قرن وقرن ، وتبدو كبيرة عند النظر إليها في أدوار تحتوي عدة قرون على الدوام ، وذلك كما نضطر إلى أن نعمد لعدم كفاية الوثائق ، ولا نعلم تاريخ مؤلَّف عن حضارات الهند ككتاب جغرافي يشتمل ، مثلاً ، على ما لأحد البلاد من تعاريج مترجّحة بين مسارب الشعب وشوارع المدن وطرق القرى ، بل ككتاب يصف سطح بلد من حيث المجموع من فوق جبل فيصوّره تصويراً عاماً مقتصراً على الإشارة إلى مُدُنه فيجدر على أن يمثّل أمره بعد تدبيره ما يسّر له أن يجوب بنفسه المدن التي أشار إليها مختصراً

فستحدد مقتضيات المنهجية ، إذن ، أساسَ التقسيم ، ولننظرْ إلى الأعصر الست الآتية في دراسة حضارات الهند وهي : العصر الويدي والعصر البرهمي والعصر البوذي وعصر البرهمية الحديثة والعصر الإسلامي والعصر الحديث الذي حسبناه موضوع بحث مستقل في هذا السفر ، ولا يقلّ العصر الحديث عن تلك العصور أهميةً ، ففيه تتجلى نتائج اصطدام حضارتين تفصل إحداهما عن الأخرى مثلُ هوّة ما بين القرون الوسطى والأزمنة الحديثة

٢ — مصادر بحث الحضارة الآرية

نرى أن نتفادى من التكرار فنبسُط في هذا الفصل وفي الفصول الآتية حضارة كلّ عصر بسطاً عامّاً على أن نعرض في فصول خاصة آثارَ كلّ عصر من تلك الأعصر ، كالآداب والمباني ، إلخ

تحلّى الحضارة الآرية في شمال الهند الغربي في عصر يرجع في القدم إلى خمسة عشر قرناً قبل الميلاد ، ولم تنته إلينا منها أي أثر حجري كأنه لم يجد ما يدلّ على إنتاجها مثل هذا الأثر ، وكان موروثها الثابت هو دائرة المعارف الهندية القديمة المعروفة بالويدا ، وتحتوي هذه الدائرة على شعر كُتب في أزمنة مختلفة ، وأهمّ الشعر المسمّى بالرِّج ويدا نفسه ، وترى مكس مولر أن سفر الرج ويدا [illegible] وضع قبل المسيح [illegible] سنة على الأقل ، ويشتمل هذا الشعر [illegible] [illegible] على [illegible] شعوب [illegible] [illegible] لا [illegible]

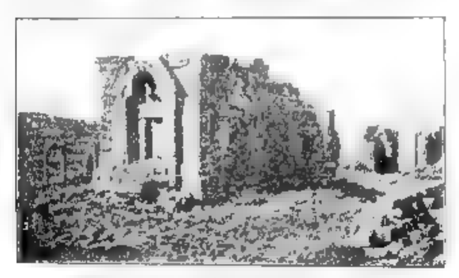

٣٢ — [illegible]
([illegible])

وما نعثر عليه من معرفة [illegible] تلك الأسفار ، [illegible] من التعجب مما لا يقلّ عن [illegible] في شكل أفكار [illegible] [illegible] ، ولا نرى أن نحكم [illegible] تلك الآثار الأدبية العظيمة التي لا شك في روعة من قرأه

بمصاف سوى قليل عجب بالحقيقة ، فهو يعترف ، لا ريب ، بأن من العبث أن يُبحث فيه ، خلافاً لما شُيّع حتى الآن ، عن أثر الأغارقة الفطر بين الذين يُقدّسون للآلهة حين يشرحون⁽¹⁾ أساطيرهم ، وليس بنا حاجة إلى نظر ثاقب أن نقطع بعجز الأغارقة عن وضع أشعار كالتي نراها في الويدا ، فكل شيء في الويدا مصنوع ، وهو من وضع أدمغة بُله ، ولا هوس أذكياء ، فمتى تقدمنا قليلاً لتطور في العلوم التاريخية سهل الاعتراف بأن أقواماً كانوا جداً مفترقين سابقين بعدد في قرون فلا نعتذر عن أدمغة أناس فطريين كالذي كسبه عوطيه لا نعتذر عن أدمغة أناس متحضرين معاصرين لماكس موللر[2] ولانغل المثال ، فلا نبحث في الويدا ، إذن ، عن الحضارة الفطرية ، بل عن حضارة أمة ذات ماض تليد

٣ — أصل الآريين

تطلق كلمة «الآريين» على شعب ، ذي جلود بيض وشعور سود ولغة خاصة معروفة بالآريات (فاشتقت منها اللغة المعروفة بالسنسكرت) ، هبط قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرناً إلى شمال الهند الغربي مارّاً من ممر كابل ، وكان الآريون هؤلاء شبه بدويين ذوي بيئة خشنة لم تعرف الزراعة ونحوها ، كالكثير من الأعراب ، بامتداد الجبال ، وشبيه بطرق معايشها قدماء الفرس الذين تحكي عنهم هيرودتس

وتقدم الآريون رويداً رويداً من نهر السند إلى نهر البنجاب ، ثم تقدموا من نهر البنجاب إلى نهر الجمنا ، فخصصوا في أثناء ذلك ذوي الجلود السود والشعور

(١) مرحه بصرحها مرة وحروب أرسطها تعرض ـ (٢) للأموم ـ الحين التالد

السِّماط[1] كما أخضعوا الثور بيض الذين ستقوم إلى الهند ، فتدرّج الآريون من البداوة إلى الحضارة

لا يزال أصل أولئك الغُزاة الآريين ، الذين مثّلوا ، لا ريب ، دوراً مهماً في تاريخ الهند خافياً ، ويُرى ، على العموم ، أن الآريين الفطريين كانوا يقطنون قبل ميلاد المسيح بأُلوف السنين في بُقعة من التركستان مجاورة لمجرى نهر أُكسوس[2] ، ثم سلكوا طريقين للهجرة ، إحداهما الطريقُ المؤدّية إلى أوربة والأخرى الطريقُ المؤدية إلى الهند ، فالآريون الذين سلكوا طريقَ إيران أقاموا ببلاد فارس وقطربان وتُصعّد ، ثم داوم مقدّمتهم على سيرهم إلى الجنوب فجاوزوا جبال هِندُوكُش ودخلوا الهند ، فإن صحَّت هـذه النظرية كان الأوربيون والهندوس فرعيْ دوحةٍ آسيوية هندوية واحدة .

بَيْدَ أن تلك النظرية ليست غيرَ فرضيَّة قائمة ، فقط ، على شبه أصول اللغات الأوربية (اللاتينية واليونانية والألمانية الخ) والفارسية والسنسكريتية

حقاً أن هنالك قرابةً لغويةً بين الهندوس والأوربيين ، ولكن نعلم اليوم أن شبه اللغات لا يعني ، دائماً ، قرابة العروق ، فإذا عَدَوْتَ هذه القرابة اللغوية لم تجد ما يؤيد تحدُّر الأوربيين من أصلٍ آسيوي ، ما أمكن افتراضُ العكس بأن يقال إن الآسيويين أتوا من أوربة

هـذا ما افترضه حديثاً علماء من الألمان مستندين إلى وجود أناس شُقْر قليلين في شمال الهند الشرقي ، وأرى أن فرضيَّة علماء الألمان هذه ضعيفة كتلك ما عُدّ

(١) السماط جمع السمط وهو من الشعر نصف المصراع (٢) هو نهر جيحون المسمى الآن أموداريا (المترجم)

هؤلاء الشُّقر الفضلون نبعةَ كثيرٍ من القرّاء الذين أتوا بعد ثلاثة آلاف سنة فاتحين لتلك البقعة من كلّ جهة ، لا من أوربة وحدها ، فإذا كان في العالم بُقعةٌ يندُر وجودُ الشُّقر فيها فهي بلاد الهند لا ريب ، فلقد طُفْتُ في جميع نواحيها ثم أصادف فيها بضعة شُقر ، وهذا يُلجئني إلى قول إن الشُّقر الآريين لا بُدّ من أن يكونوا قد وُجدوا فيها منذ قدومهم من شعب متأخر فحفظ زواج رجال الطوائف العليا بسمراواتهم « دون الشعور الشُّقر » .

ولا معنى سوى الرجوع إلى الافتراض القائل إن الآريين من أصل آسيوي بعد دحض الافتراض القائل إن الآريين من أصل أوربي ، فقد رُئي أن موطنهم الأساسيّ يجب أن يقع في المنطقة من نهر أكسوس إلى بحيرة بال كاش ، أي البقعة من بلاد بخارى كان مرتقى الأمم التي تسكنها منذ أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد على حسب ما في تحقيقات العلماء ، فأرى ، أيضاً ، وجوب استبعاد هذا الافتراض القائل بأن بخارى كانت هي مهدَ الآريين ، ما لم يُرْضِ برهانٌ ويدرأ الواهي القائل بأن الآريين من الشمال .

ولا أحاول هنا أن آتي بافتراض جديد في أصل الآريين ، بل أذكر أن المحتمل أكثر من سواه ، على ما يظهر ، هو أن الآريين كانوا سكان بلاد الأسيويين ، وأن جماعات منهم للهند هم الذين دخلوها على دفعات متتابعة لا ريب ، كما استولى أجدادهم على أوربة من قبلهم ، وأن تأثيرهم في دماء الشعوب المقهورة كان ضعيفاً بالنسبة كما يبدو لي خلافاً للرأي السائد .

ولا أعتقد وجودَ شعبٍ في الدنيا يستطيع أن يزعم اليوم أنه من سلالة الآريين ، وسببُ ذلك أنه انقرضَ منذ زمن بعيد الآريون الأول وأن ما فتحه الآريون من بلاد ،

ولا سيما الهند ، واسع آهل بأمم كثيرة فوقع ما أثبته البحث من أن شعبين متساويين في القدر إذا تقاتلا لا يثبت أكثرهما عدداً أن يبتلع أقلهما عدداً بتلاقح تمحى به مثال هذا الأخير بعد بضعة أجيال ، ووقع مثل ما حدث في مصر التي لم تمس القوم فيها من سلالة العرب الفاتحين ، بل من سلالة مصر في عهد الفراعنة ، كما تشهد بذلك شخصياتهم المشابهة لشخصيات قدماء المصريين التي حلت محلها ، وذلك مع اعتناق المصريين دين العرب وتعلمهم لغة العرب وفق ما ذكرت في فصل سابق

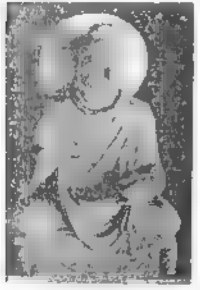

٢٠٨ — تمثال امرأة هندية بالقرب من جبالبور (صنع قبل القرن الخامس من الميلاد) (من صورة التقطها المؤلف)

وجب أن يكون شأن الآريين في أوربة مثل شأن هؤلاء في الهند ، فيكونوا قد أدخلوا إلى الأمم المغلوبة حضارتهم ولغتهم ، لا دماءهم ، وهم إذا لم يتوارثوا في الهند شرعة كالتي في الغرب ومصر فلأن عدم الطوائف الشديد حال دون امتزاجهم في الهند بالمقهورين زمناً طويلاً ولو أنهم امتزجوا بهؤلاء شيئاً فشيئاً ، ولكن هذا الامتزاج مهما كان بطيئاً أدى إلى حفظ الفاتحين تعاقب القرون ، فلم يجد في الهند الآريين إلا بعض منهم زمن طويل

ونحن إذ نذكر أن صحة اللغة والعادة عندنا من الشعب الغالب ترى أن من المحتمل أن الهند تشعب من البيض وأنه بدو من مثال الأوربيين من غير أن تساويهم بياضاً

ونحن، وإن لم يكن لدينا علمٌ قاطع بأصل الآريين، نعرف وجودهم من آثارهم الأدبية أو من آثار حفدتهم الذين دخلوا الهند من مضى، وفي تقدم الهند إلى حقيقة تلك الآثار، فعلينا أن نبحث في أحوال وأساليب الاجتماعية ودرجة حضارتهم، وهذا ما نفعله كما يأتي:

٤ الأسرة عند الآريين

كانت الأسرة والعرق في العصر الويدي أساس المجتمع الآري، ولم يُعرف بين الآريين أية وحدة كالقبيلة أو العشيرة أو الحكومة، والعرقُ عند الآريين هو الذي كان يسمو الأسرة، ولم يوجد شيء عندهم دون الأسرة، فالفردُ الآريّ لم يُعدّ مستقلاً عن أجداده ولا عن حفدته، فالوَحدة، لدى الآريين، لم تَقُم على الفرد، بل قامت على الأب والأم والأبناء والأجداد وعلى الذرية التي تخرُج من أصلاب هؤلاء، فتحافظ على ذكراهم واسمهم بتعاقب الأجيال.

ولم تكن الديانة عند الآريين سوى عبادة العرق والأسرة، وكانت آلهة الآريين تختلط بالأجداد، وكان النكاح والولادة لديهم من الأعمال المقدسة، وكانوا يرون أن انتقال الحياة من الأب إلى الابن بواسطة الأم هو انتقالٌ حقيقي لإله النار أغني الذي هو أصل الإلقاح وسيدُ الكون ومُبدعه من خلال أجساد البشر لتخليد الوجود الأزلي.

ومن أعظم المصائب عند الآريين أن يتزوّج الواحد منهم أجنبية أو أن يموت عن غير ذي ولد، فإفساد نقاوة العرق لدى الآريين كانت تقصي قطعاً أبدياً النسب الإلهي الذي تصل الآريَّ بأغني فيؤدي ذلك إلى تصامّ هذا الإله عن صلوات ذلك

الذى أوجب حربه ، وهو إله كلّ حياةٍ خفيّة في عروق شعبه الذى يكون قد أنقص عناصر عبيطه حيث منها العروق الفاسدة ، فالزواج بالأجنبيات ، إذن ، هو عند الآريين ، جناية يستحقّ مقترفوها اللعنة الدائمة .

وليس أقلّ فظاعةً من ذلك أن يموت الآرىُّ بلا عقب ، فالولد ، عند الآريين ، يُجدّد الأجداد بما يقوم به من عاداتهم وما يُقرّب من القرابين بينهم ، فإذا قطعت تلك العبادة وهذه القرابين تلاشت أرواح الآباء وفنيت وراثة الأسرة إلى الأبد .

والبنات الآريات [illegible] أزواجهن [illegible] أجدادهم وغير صالحات لتخليد ذكراهم ، فالرجل الآرىُّ الذى يموت غير ذى بنين مهدَّد من غير أن يُبعث من وراء القبر ، ويجرّ خلفه ، بذلك ، أجيالاً كثيرة من الأجداد إلى بوار لا يمكن تلافيه .

ونرى في الريج فيدا نصّاً على قرابة الإله أغنى وعلى شأنه في حفظ الأسرة وعلى قداسة العرق وأهميته وعلى ضرورة ولادة أعقاب قادرين على تقريب القرابين ، جاء في الريج فيدا :

« أغنى هو ربّ المعبود ، هو ربّ البيت ، فهو الذى ينعم بالأسرة القويّة ، فيا أيها القادر لا تؤاخذنا ، نحن عبادك ، بما تراه فينا من عدم العقب ومن التعطل من الخلف وفقد القرابين » .

« أيتشبث الضعوف أغنى بأفضاله ؟ أنأمل منه شفقة تمرّدت ؟ فيا أغنى [illegible] من أصلاب عرق أجنبيّ ولا من عرق كافر ، فلا تسلك غير السبيل المؤدية إليها » .

« ولو لم يكن الإله أغنى من أن يكتب لمكان من البيت تخشّه عن خصومنا وقرابينا ، فله عنب حق المأوى فنحفظه له ، فليدخل عليه هذا الإله القادر العاقل الحذر بأن نُستَعَدّ له »

والأسرة الموحّدة المشتركة الواقعة هي عند الآريين مصدر كلّ سعادة دنيوية وإنسية ، فلا شيء لديهم يعدل سرورها ، فهم لا يعنون يتمتّعون بها ، وهم إذ ما يردّدون صورة عند الآلهة أو شبهاتها ، يتمثّلون عبر جمال الزوجة ووفائها وقوة الأب سكّانه وجلاله وشرف الأولاد وتقديرهم ، فهم يرون في هذه الأمور كلّ خير ، وعلاً همّه الأمور مواهبهم ، فتجد فيها سرّ أغانيهم الدينية الكثيرة المتعلّقة بمواهبهم وبمن يحفل أخوتهم

ولا شيء يفوق أهمية عبادة كلّ أسرة قرابين إلى أرواح أجدادها ، وقد قلنا إن قوام هذه العبادة من أجل النار روح موت نطفئ الأسرة بين الأحياء ، والأب هو الذي كان يقوم بتقريب القرابين ، وكان لأمه ، كان عليها أن تنوب عنه في ذلك عند غيابه . ولأم كانت تجمع على ضوء القمر الأزهار من سفوح الجبال فتستخرج منها بدقة وتحضير ماء الشراب المقدّس المعروف بالسوما ، فكان الأب يفتتح التضحية بهذا الشراب . والنار إذ كانت تزيد اشتعالاً بشراب سوما الروحاني بعد أن تكاد تنطفئ ، وكان يلي ذلك يبدو بذلك أشد قوة وأسطع نوراً ، عدّ الآريون هذا الشراب كما عدوا النار فأبدعوا له مدائح وصلوات ، فيها حمد للإله وثناء .

« عظّموا بنشيد الأناشيد ذلك الإله النقي الذي يبدو كمثل بالأعمال المقدسة المُعَدّة للآلهة »

« هو منتشٍ على منخلٍ(1) من صوف ليُصفَّى، هو سند نعمة، هو ملاء صلاة الفجر الذي يُسبِّح الحكماء بحمده »

« لسكرة السوما الذي هو عتق الأذكار، ومنبع السعادة نسمة القربان، ويبدو بأثر الدعاء … النور الصبح في النجم(2) »

وكانت لحوم القرابين … صنعة معدة للأجداد، وكان الإله أعلى … إليهم، ولم تكن النار تحرقهم، لأن معظم … تقدم إلى الآكلين من الطعام الإلهي، وكان عدم تقريب القرابين إلى الأجداد عند الآريين … و… عنوان … على … ، ومن أكثر ما كانت الأسرة في كل … هي وعشيرتهم من مائدة واحدة حول الموقد الماحق.

والأم قد كانت تُشرك الأب شرف تقديم القربان وما تتطلبه هذه التقدمة من عمل بغرض … ، و… يتضح من كتب الويدا أن المرأة … كانت أم … أم زوجة أم والدة … مبعث … الشعور خلافاً لأحفاد … مشتهاه في … ، فكتب الويدا تحدثت عنها وعن شأنها … على النوم … في كتب الويدا:

« صلّي، أيتها الزوجة … ، صلّي يا أمنية الآلهة، على … [illegible] ذات القلب المحبوب والقلب … والصالحة لزوجها ولأسماتها وحملة ولادة الأطفال! ».

« إن امتياز المرأة هو مصاحبتها زوجها شرف تقريب القربان »

(1) المنخل: الوعاء المنخل وهو وضع الحب أو نحوه في خرق أو نحوه ليغط ماؤه —
(2) المقصود من النجم هنا النار

ويضاف إلى ذلك الامتياز نظم المرأة الشائد ، من الرابع و [illegible] أناشيد كثيرة منظومة [illegible] .

ويظهر أن الاقتصار على زوجة واحدة كان مبدأ أساسيًّا [illegible] على العموم ، ولكن [illegible] إلى الأمر [illegible] بعد ذلك وجدنا الأمراء والأعيان منهم كانوا يتزوجون عدة زوجات ، والذي حفز الآخرين إلى استحلال مبدأ تعدد الزوجات هو حاجتهم الماسة إلى الأولاد الذكور ، فالرجل الذي لا تلد له زوجته الأولى إلا إناثًا كان يتزوج امرأة أخرى بحكم الضرورة .

وكان للمرأة أن تختار زوجها ، وكان للفتاة أن ترفض [illegible] العذب في [illegible] وجهود غير [illegible] و [illegible] كما [illegible] ، و [illegible] كانت موافقتها على [illegible] لا [illegible] ، وفي كتب [illegible] وصف دقيق للمراسم [illegible] والأولى الملاءات من [illegible] و [illegible] ، والآخرون [illegible] مستعدة في الذهب والأحجار [illegible] ، كانت [illegible] أسباب [illegible] ومصالح دينية ، أي كل ما يمكن أن [illegible] في [illegible] ، في الاحتفال كل ما يمت إلى [illegible] بصلة .

وكانت حقوق [illegible] في ذلك العصر الديني الذي [illegible] شؤون الأسرة ، [illegible] بالصلوات و [illegible] والبخور و [illegible] ذات [illegible] الأرباب وكثرة [illegible] و [illegible] كما ورد في أنشودة طويلة من أناشيد الرابع و [illegible] أنشودة [illegible] يتحدث إليه أنه شهد عيدًا قديمًا من أعياد الأسرة [illegible] في بعض الأحيان [illegible] له أنه [illegible] الكاهن [illegible] التي خطبته

ونضيف إلى صفة الأب الرائعة في تقريب القرابين سلطته المطلق ، فيُطيعه

أسلوبه وطاعته للأجداد ، لا إطاعة العبيد للأسياد ، فإذا ما طعن الأبوان في السن وعجزا عن العمل تعهدهما أبناؤهم كما يتعهدون الأجداد بالقرابين ، وقد تضيع هذه القرابين شعائر فقط ، وكل ما كان الآري يتشدده هو أن يشيع بين أولاده وحفدته ومن كانوا يخافون البكر منهم أن يتذوقوا فيه شيئاً من نعيم سعادة الأجداد الأبدية الخالدة .

٣٩ — [illegible]

٥ — نظم الآريين السياسية والاجتماعية

لم تعد النظم السياسية ونشأة الطوائف والنظام الحكومي تتجلى في أول عصر الفيدي حتى كان الآريون يعيشون في سهول الهند الواسعة ذات الأنهار السبعة ، ورحلة شتى قبائل كانوا يعيشون قبل دخولهم وادي الگنج ، بالمنطقة التي ترويها مياه نهر السند وروافده .

وقد بدأت الأسرة هي أساس المجتمع الآدمي ، وفي هذا المجتمع كان يؤلف من [illegible] أسرة من عشائر وطوائف وطبقات . وفي الأسرة كان يحتشد في شخصه صفة المؤلف والزارع والمحارب ، أي جميع الوظائف التي تؤديها فئات منفصل بعضها عن بعض [illegible] هذه الوظائف [illegible] ولكن القمح الذي هو مصدر التفاوت الاجتماعي وجود في ذلك الحين [illegible] ، وكان الأطفال [illegible] وقت [illegible] ، وكان [illegible] [illegible] ، ولكن [illegible] [illegible] عنهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عنه [illegible] سوى الجيم في الماء [illegible]

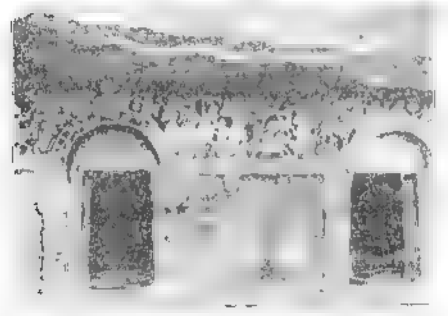

([illegible] منحوتة على صخر [illegible] [illegible] ، وذلك في [illegible] [illegible] (وهذه القوس هي من أقدم ما تشتمل عليه الهند وهي أم عالم الفن الهندوسي)

وكانت هذه قريبة على الأرض مسطحة ، وكانت [illegible] كل الابتدائية مصنوعة من تراب وسوق الخيزران وأوى الأشجار [illegible] على الأغصان بعد أن كان

بحسب تختلط ببعض في الحقول ، ثم ودّت كلُّ أسرة أن تنال قطعة من الأرض منذ بدأ التقسيم ، فلم يبق مُشاعاً بين الجميع سوى مراعي المواشي .

وما تغيّر شيء [illegible] الأرض القديمة وتقسيمها للحقول والأسهم عن نشوء [illegible] [illegible] أو جمعية بعد ، فالأسرة الكبيرة ظلت مدة الوحدة ، فكان أرباب الأسرة شيوخ يجتمعون لتوحيد النظام فيها وتقرير مسائل بينهم من غير أن يتخذوا سلطاناً سياسياً معروفاً ، وقد نشأت أول حصن حيث [illegible] على مكان مرتفع قريب من القرية مُشرف عليها ليقيم به الزعيم [illegible] وشيخ الأرض فيناط به أمر المحافظة عليها .

ولم توجد رابطة بين قرية وقرية ، ولم توجد مدينة عامة [illegible] على [illegible] ، فالحروب كانت [illegible] بين هؤلاء [illegible] أحياناً ، فلقد وجد من [illegible] عدة ممالك [illegible] مملكية إلا بعد استقرارهم بوادي النيل ، وذلك منذ [illegible] في أول عهد [illegible] فلا نرى في عصر [illegible] ممالك [illegible] بتحقق [illegible] باسمائهم وتقاليد شعبه [illegible] .

وإذا وجد بلا ريب [illegible] في عهد [illegible] فقد ، فقد كانت القرية الأولية في عهد [illegible] إلا جمهورية صغيرة متمسكة بمطلبه ، وما كان الزعيم لقيم بحمايته ومعروف بالراحة إلا سيداً ذا سلطان ، هذا هو النظام السياسي الذي كتب له الدوام في عهد تعاقب الأجيال ، وهذا هو النظام الثابت الأساس الذي احترمه الفاتحون على الدوام مهما كان جنسهم .

ومن ثمة نرى صورة دستور لا يزال باقياً بعد عدة قرون في مجتمع ناقص التكوين ،

ومن ثمّ نرى تدهور نظام الطوائف الذى نشأ [illegible] حين حاولت الطبقات أن [illegible] فى الحقبة [illegible] أمره بعدئذ بفعل المؤثرات الإثنولوجية فأدى إلى حفر هوّة بين الفروق يتعذر اقتحامها .

ويمكنك أن تتبين فى الويدا مسافة ضيقة بين الكهان و[illegible] ثم [illegible] إلى [illegible] لأسباب سندرسها فيما يأتى

[illegible] لأجل [illegible] كان [illegible] بعض أوقاته فى [illegible] وبعض أوقاته فى [illegible] حقوق [illegible] طبقة [illegible] طبقة الزراع

[illegible] فى إحدى أناشيد [illegible] [illegible]

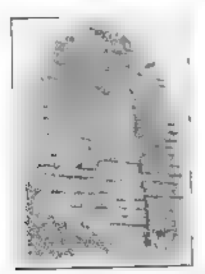

(١) [illegible] ([illegible]) نقوش معبد براشتورا ميشولر الصخرية (أنشئ فى القرن السادس من الميلاد)

« [illegible] إلى [illegible] الكبار والصغار [illegible] الطبقة [illegible] والقاعد [illegible] والبركة »

وتمّ ظهور الطائفة الرابعة ، أي طائفة الشودرا بعد حين ، فخُصّصت هذه للشعوب المغلوبة ، وذلك عندما دخلت دائرة الحضارة الآرية في آخر الأمر ، وكما وقع فتحٌ لم تعترف بسيادة لأجنبي سكان البلاد الأصليون الجاهدون حيناً أو المهاجرون إلى الجبال لمحافظتهم على استقلالهم الفطري

ومن أجل هؤلاء أوجد الفاتحون طائفة رابعة ، فنتجت الطبقات التي كان أمرها مبهماً غير واضح ، فكان بعضها يشترك مع بعض في الولائم وكان بعضها يصاهر بعضاً مع بعض عملاً بالنسب ، إلى طوائف مختلفة أشدّ الاختلاف

وذلك التقسيم هو الذي حدّدت فيه عبره تفرّق به بين الكهنة والمحاربين ، ثم بعث البراهمة الذين هم وسطاء بين الناس والآلهة أن صاروا يعدّون من غيرهم فعدّوا أنفسهم من الغالبين وحملوا غيرهم على اعتقاد ذلك

وما بين المحاربين والزراع من فَرْقٍ ثابت أول الأمر ووضحَ ، وقد دام على اختلاف في الآراء أكثر في الوصف

وكان القائد الذي يعود مُثقلاً بغنائم ثمينة وبجرصان(1) ذهبية وثياب جيدة وأسلحة لامعة ، يصبح راجه (أي سلطاناً) ، والراجوات ، وإن شاءت النفس ، لا يكترثون كثيراً ، شأنٌ كبير في كتب الويدا فكان الشعراء الذين ينظمون الأناشيد يتلقون منهم الحمد والعطايا فكان من الطبيعي أن يُشيدوا بذكر مناقبهم وكرمهم أو التنويه بعظمتهم وإحسانهم .

ولم يكن بين الطبقات حاجز في ذلك الحين ، فالصنف كان بعضه يختلط ببعض

(1) الجرصان : جمع الجرص وهو حلقة الذهب أو الفضة أو غيرهما

لتعريب القرابين وإقامة الولائم وما إلى ذلك من الأمور التي لا تكون عند وجود طوائف حقيقية

وسعوت أسلاف الأصنعة، إذ لم تظهر بعد، كان الآريون يعدونهم أسرى حرب، وكل [illegible] على [illegible] الآريين هؤلاء الأسرى [illegible] في الوسط

« فأسرع [illegible] يا سوما أن تهب لنا الغنى بالذهب والخيل والبقر والناس »

[illegible]
(أقيم في القرن السابع من الميلاد)

ولم يكن [illegible] الذي هي إحدى علامات النظام الطائفي قاطعاً عند [illegible] في العصر الويدي وإن [illegible] سهم، فهنالك أسر كانت تعزى إليها الأعمال

(١) جز القربان طعام آدمي شيء منه.

المقدسة ووظائفُ التضحية كابراً عن كابر ، وبهذا يُفسَّر حفظ كتب الويدا حفظاً عجيباً

وكان الأولاد ، على العموم ، يرثون أبويهم في الأعيان ، وفي الأناشيد المقدسة ذكرٌ لعادة إيصاء الإنسان بثروته لأبنائه

ذلك هو مجتمع آريي العصر الويدي الذي كانت تتفتح فيه ، مع القرون ، بذور النظم التي سنبحث أمرها في الهند في دور ظلت فيه سائدةً لا تبديل لها

٦ — الحياة عند الآريين

يمكننا أن نتمثل الآريين في أدقّ شؤون حياتهم اليومية حينما ندرس كتب الويدا :

كان شعراؤهم يبحثون مختارين عن صُوَرهم في الأشياء المألوفة البسيطة التي تبدو لهم عظيمة لاختيارهم بوحي ديني رفيع كوضعهم ، بيد أن ساحة موضوعات هذه التي نجد مثلها في قصائد أكثر الشعراء الفطريين لا تحطُّ من قدر أصحاب أناشيدهم ، فالشاعر الآري كان يعرف كيف يرفع شأن أكثر الأفكار سذاجة ، وأين يستخرج من المصادر المادية أروع النتائج ، والرقّ الآري إذ كان ذا خيال متّقد موهوباً سوق الكلمات كان يترنم من أناشيده التي انتهى إلينا منها عدد كبير وضعه مئات الأدباء ، ومن هذه الأناشيد نستطيع أن نحكم على الأدب السنسكرتي في العصر الويدي .

ويظهر أن فنّ الشعر هو الفنّ الوحيد الذي نجح فيه الآريون ، فكلّ شيء

تدل على أنهم كانوا يعرفون فن العمارة، وقد نستخلص لهم، مع ذلك، بعض الآلات الموسيقية الابتدائية وأنهم كانوا يصنعون من المعادن والخشب بعض الأدوات صنعاً حسناً وإن لم يحدثونا عن الصور الملونة أو المنقوشة

---

٣٤ ـ [illegible] مسجد وزراني (أقيم في القرن العاشر من الميلاد)

والمعابد التي كانوا يزورونها كثيرة، ويظهر أنهم كانوا على شيء من الحذق في النصب، فقد وصفوا به ثيابهم الزاهية وخواتمهم وجزماتهم وتنوراتهم وأزيائهم الذهبية ومراكبهم الحربية وزينة خيلهم وأسلحتهم اللامعة ودروعهم وسيوفهم وخناجرهم، ويثبت أنه كان عندهم حوكة(١) وصواغ ونجارون وصانعو أسلحة وعمال

(١) حوكة جمع حائك

قادرون على التصرف في الخشب تصرفاً دقيقاً فيصنعون منه أكواباً معدة لشرب الشراب سوما ، وليس قليلاً ما ذكروه من الأدوات الحربية كالملاعق والمراجل المصنوعة ، كأسلحتهم ، من الحديد على ما يحتمل

وكانت ثيابهم تُنسج من الصوف أو الكتّان مع خيوط من الذهب في بعض الأحيان ، والنساء هن اللائي كنّ يغزلن والرجال هم الذين كانوا يحيكون منسوجات

وكان الآريون يصنعون أحذية فيربطونها بكعابهم [illegible]

[illegible]

والآريون كانوا [illegible] في عددهم الحربية ، فكانت من [illegible] وكانت تجرها على عجل مدورة ذات محاور (1)

وكانت [illegible]

[illegible] وكانت [illegible] وكانت الأعلام تخفق فوق صفوف [illegible]

وكانت [illegible]

والآريون الذين سكنوا وادي السند عرفوا [illegible] في بعض الأحيان [illegible] كيف يرقبون الفصول ويترصدون قدوم الأمطار [illegible] البركات ، فكانوا يعدّون سُحُب الرياح الموسمية أبقاراً سماوية ترعى في سهول الفلك وينسبون

(1) المحاور ، جمع محور — (2) السكاكين جمع السكينة [illegible] — (3) الفوارق جمع الفارقة وهي أعلى السهم

رع إلهي حذرٌ من تدنيه التماثيل السعادة والرخاء على الأرض

وكان الآريون يثيرون الأرض بمحاريث تجرها بقر ، ويعودون إلى منازلهم في فصل الرياح الموسمية على مراكب تجرها بقر

وكانت المواشي من أهم منابع الثروة عند الآريين ، وكان الآريون يمجدون البقرة التي تجود باللبن المغذي ويعنون بتربيتها ويحترمونها ويكادون يعبدونها

وكان اللبن والسمن أساس الغذاء عند الآريين ، وكان الآريون يريقون منهما للآلهة ، وكانوا يوقدون بالسمن الذائب فيزيد النار سعيراً والآلهة أعلى نوراً ، وفي الويد مدحٌ للعسل في كل زمن ، فتتصف الفطائر والحلاوى في تلك الأغذية أهميته التي كانت تقدم إلى الآلهة

وكان الآريون يأكلون اللحم أيضاً ، وكانوا ماهرين في الصيد فيقنصون الفرائس بالسهام أو يصطادونها بالحبائل والأشراك ، وكانوا يصطادون السمك بالشباك

وكان الآريون على علم من الملاحة ، فلم يحرزوا في البداءة على غير السير في الأنهر التي يبدو أنها التي سنت لهم طرقاً طبيعية للمواصلات ، ثم اتسع نطاق تجاربهم فصارت سفنهم تجري في البحر حاملة سيلاً على الأقرب من الشواطئ ، مجاورة لمصاب نهر السند

وكان للآريين علم بالطب ، غير أن ثقتهم بالأدوية التي يقول بها الطب كانت دون ثقتهم بالرقى والتمائم التي كان الكهنة يزعمون شفاء المرضى بها

وكلما سار الآريون في ميدان الحضارة اتسع نطاق توزيع الأعمال عندهم ، في

أناشيد الدور الأخير بتغيير زيادة الهوة، فتجد لكل عمل عاملاً، وترى فيه وصفاً حتى لأخلاق القرية

وبدأ التفاوت بين الثروات يزيد في ذلك المجتمع الذي كان أمره بسيطاً، فأخذ يتدارس أمور التجارة، فبدا وصف أبهة الأغنياء وآلام الفقراء عيناً، فصار الفقر الكريه يُحتقر ويُضرع إلى الآلهة أن يُبعده، والعفافُ هو الذي كان يؤدي إلى الفقر في الغالب فيمرُّ أمام عيون الموسر الناظر، جاء في الريغ فيدا:

« وَيْحَه، أيها الفقرُ ذو العين المرعوكة والسير المتمايل، إلى الجبل السماويّ حيث تجد مخبأً منيعاً، فبأمواج السحاب ندعك »

« يضرُّ الفقر المدحور من هذا العالم ومن العالم الآخر فاسدو، فهو يرقص إلى أبعد حد الشرّ »

ونشأت عن تفاوت الثروات هذا فضيلةٌ جديدة، أي الإحسان، فتمر أسفار الويدا به كثيراً فتقول الكهنة:

« الإحسان الإلهيُّ الناصر جزء من القربان »

« الرجلُ المحسن هو الرجل الطيب نحو الناس الجائع، فيدخل نفسه ويجد سعادة في القربان ويجد أصحاباً بين الآخرين ».

وهنالك الآريين فانتشر من أسباب الفقر الشديد الفاحش ودهور الثروات عندهم، فقد بلغ ولعهم بالميسر، ولا سيما بالنرد، ما كانوا يخسرون به، أحياناً، في يوم واحد جميع كنوزهم وبيوتهم وحقولهم وأولادهم وأزواجهم وحرائرهم، وفي الويدا وصفٌ قائم لما يجرُّ إليه ذلك الولوع من المصائب، ومن ذلك الوصفُ الآتي الذي جاء في أنشودة رائعة منها

« فيدخل المقامر إلى مجلس الميسر فيقول في نفسه متحمساً « هذا كسب ! »
فسيعود النرد على زوجه فسيتمّ إليه كلّ ما يملك

« وسيعود [illegible] كيس من القبل المعطّر بكلّاب
يعطيه به ، يُلهب المقامر بالرغبة والحسرة
[illegible] بالنصر ويورع التيمسة ويوجب
سعادة الشبان ويورثهم اليأس و [illegible]
[illegible]

« [illegible] فيه عيب ولا
[illegible] »

« والنردُ إذ يتدحرج على الأرض
[illegible] الهواء يبدو عاطلاً من الأزمان
فيهيمن على من لهم دزمان ، والنردُ فحم
سماوىٌ يسقط على الأرض ، فيحْسد القلوب
[illegible] »

« وزوجه المقامر [illegible]
وأم [illegible] تتشنّج حين تجهل مصير ابنها ،
و[illegible] [illegible] حين [illegible]
[illegible] فلا [illegible] إلّا
ليلاً »

[illegible] (نقلت هذه الصورة عن دقائق التريج [illegible] وهي من رسم الهود [illegible] في كتاب [illegible])

(١) هنا يتوعناه وعنوا [illegible] وقل .

ولم تكن ملاهي الآريين كلها ذات خطر، فيها كان يسوده الطهر، كتمثيل لأمن على مسرح الخشبة التي أشير إليها في الويدا .

والآريون، كجميع الفطريين، كانوا يوقدون النار بدلك خطبتين إحداهما بالأخرى، وكانت تلك الخطبتان، اللتان يظهر من دلك إحداهما بالأخرى إله النار أغني، تُمثَّلان بالأرني، جاء في الويدا :

« هذا هو زمن هزّ الأرني وولادة أغني، فحيّوا ملكة الشعب (أرني) ولنعمل على إنتاج أبيها .

« فالإله الذي بيده خير هو في قطعتي الأرني، فهو فيهما كالجنين في بطن أمه » .

والآريون كانوا يدفنون موتاهم على الغبراء، وفي الويدا عبرٌ نصٌّ على ذلك، وفي نصٍّ آتٍ تصويرٌ شعريٌّ لوداع حيٍّ ميتًا

« اذهب نحو الأرض الأمّ الكريمة الرؤوم ذات الواسعة العطوف، كانبساط على من ... لآلهة مصونا

« فلتنبسط الأرض ... ولا تؤذي عظامه، ولتكن سهلةً عليه رؤوفةً به، ولتحتضنه الأرض شبيهة كما ترمي الأمُّ طفلها بذيل ثوبها

« فلتنهض الأرض له، ولأجمع هذا التراب سكيلا تؤذى عظامه، وليحرس الأجداد قبره، وليحفر يما هنا منزله .

« ... الأيام عندي كالسهام التي تذهب بالريش » .

فأين نجد ما هو أشدُّ وقعًا على النفس من سرعة الحياة التي تذهب بها الأيام كما تذهب السهام بالأرياش ؟!

٧ – مبادئ الآريين اللاهوتية والدينية

مبادئ الآريين الدينية على شيء من الإبهام والغموض ، فلم تكن أمور الدين معينة تعييناً قاطعاً عندهم ، فكان للمشاعر والخيالات الشخصية شأن كبير في تكييفها ، وليس أدلَّ على ذلك مما نجده من ذلك في الويدا ، فمن ينظر في الأمر يبدو له أنها تتكلم طوراً بعد طور أن ديانة الآريين كانت ديانة توحيد خالص وديانة وحدة وجود راقية وديانة شرك غليظ .

حقاً أن قواعد المنطق التي شغلت التربية أمرها في أذهان الأوربية بتعاقب القرون جعلت أمثال تلك المشكلات المعقدة فيها معنى من معانٍ متحكمة لا يوفّق بينها مع تصميم يؤدي تجمعه بين ما يدل عليه من المعتقدات ، بيد أنه ليس هذه المبادئ غريبة عن مقررة في أدمغة الشرقيين التي لا يكون فيها للأفكار والعقائد والعادات غير معانٍ محدودة متغيرة على الدوام ، ولم يكن للتناقض مكان في دماغ الآري ذي الفكر المتقلب بسرعة تقلب السحب التي كان يراها في الفلك ، فالإله الذي تذكره في الأنشودة يبدو الأهم ما حُدِّث عنه ، فلا تكاد تقلب الصفحة حتى تجد إلهاً آخر نفسه ، والإنسان يرى أحياناً أن الشعراء الذين وضعوا الأناشيد أرادوا الحديث عنه مع أنهم ، كأكثر الشعراء ، لم يكترثوا لموضوعات الأناشيد إلا قليلاً لا ريب ، فكانوا يبحثون مختارين بالرأي في سبيل خيال ووصف .

إذن، تبدو الأناشيد الآرية مشبوحة من أشد المبادئ الدينية اختلافاً ، فنجد

فيه عبادة قوى الطبيعة ونجد فيها وحدة الوجود ونجد فيه الشرك ونجد فيه التوحيد .

ولا شيء أصعب من وضع تقسيم لآلهة الآريين ووضع سلسلة لها .

وأكثر الآلهة أو الرموز مقدسة ذات الصفات والمقامات غير المستقرة على الدوام ، فنجد الأسماء تتوالى مجموعة بها ، هي ما يأتي :

(١) إن أغني والشراب المقدس سوما الذي يحثه ، فأغني هو موجب الآلهة وهو موجب النور وهو موجب الحياة الكونية ، وسوما يمجد الآلهة ويهب الناس القوة والشجاعة ، وسوما يجب منه السماء والأرض ، إندرا وفشنو ، وسوما حين اتحد بأغني صوّر السماء والكواكب .

وملك السماء إندرا هو من أكثر الآلهة ذكراً لدى الآريين فهو الإله المحارب واقف على مركبته الحربية يحمي عشيرة آريه .

ويجتمع حول الإله إندرا آلهة لا تحصى عدة تضاعف سلطانه وتمده في نصابه ، ومن الآلهة التي تعرف بماروت ، أي آلهة الزوابع والأعاصير والبروق وتوزيع الأمطار ، والتي هي أولاد رودرا الذي هو أخو أغني والذي يرسل الصواعق ويقضي الأمراض ويشفي المرضى ، ومن بين الآلهة الإله الذي يعرف برهسبتي الذي ينقل الشكوى ، ومن الآلهة وارونا الذي ينظر إلى أعمال الناس والذي هو ملك السماء كالإله إندرا ، والذي تصوره بعض الأناشيد خاضعاً للإله إندرا هذا وتصوره بعضها سائداً له ، وتصوره بعض أخرى منها متحداً به .

ثم يجيء الإله سوريا ، الشمس ، وفشنو الذي يجوب الفضاء بثلاث خطوات ، والذي قفز ذات يوم إلى الصف الأول من الآلهة بعد أن كان ذكره خاملاً في الويدا[1]

ويضاف إلى تلك الآلهة الكثيرة التي لا فائدة من عدّها جميعها ، أشخاصٌ مجردةٌ كشرادها (الرجاء) وأرماتي (الإحسان) ومرتيو (موت) ، الخ

وتمثل الآريين للآلهة يختلف عن تمثل الأوربيين لها اختلافاً عظيماً ، فلا نرى أحداً يستطيع أن يحيي أفكاراً ميتة عن عقلية شعب ميت ، فما في مذاهب العصرية من كائنات متخيلة لا يقرّب به عن آراء أولئك .

ولا يمكن أن نعبر معنى الأمور الخاصة [illegible] إلى الأبد إلا بالبحث العميق في آثاره الأدبية ، فمع أن قصائد المهابهارتا والرامايانا أحدث من الأناشيد الويدية الأولى [illegible] بحقيقته ، فمن مراجعته يسهل علينا أن نتبين الفروق بين ما دار حول الآلهة عند الآريين من الأفكار وما يدور حولها عندنا ، فيسهل [illegible] الآلهة [illegible] في تلك القصائد ، في الغالب ، إذ تخرج هذه الآلهة ظافرة في كل مرة من [illegible] ولا [illegible] أو الحق ، والأدب [illegible] حافل [illegible] الأقاصيص التي هي من هذه [illegible] ، ومن ذلك أن [illegible] ، [illegible] معروفين بالزكشة [illegible] ، وهو خاطب [illegible] ، فهزمه الإله [illegible] والإله [illegible] ، ومن ذلك ما ورد في صفحة أخرى من أن [illegible] الإحسان [illegible] ، [illegible] عن [illegible] ووقوعه في [illegible]

« من المستحيل أن [illegible] الأشرار جميع الآلهة ، حتى الإله [illegible] ، حتى »

ومن ذلك أيضاً ما ورد في رواية شكنتلا التي نظمها الشاعر كاليداسا في القرن السادس من الميلاد ، على ما نعتقد ، من أن « ملك الآلهة » [illegible] أرسل رسولاً إلى ملك [illegible] ، الذي هو رجل ، يرجو منه أن [illegible] على [illegible] العفاريت [illegible] « [illegible] » . فوافق ذلك الرجل على ما طلب منه

فانتصر على أولئك معبودات الذين لم تستطع تلك الآلهة أن تشبعهم

ظهر مما تقدم أن من الصعب حصر المعتقدات الدينية المجهولة التي نشأت من الوثنية في دور من أدوار التاريخ معينة، وهذه المعتقدات تشبه تلك الموجودات المتقلبة غير المحدودة التي كانت عناصر الطبيعة يتخذونها من الحيوانات تارة ومن النباتات تارة أخرى، ونحن، مع محاولتنا القيام بهذا العمل الخطير، نستخرج، عرضًا، الأمور الآتية من مجموع المعتقدات التي جاءت في الويدا

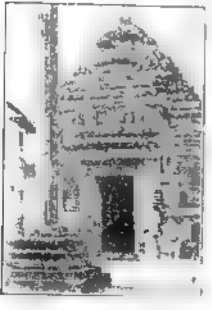

٤٥ - هيكل ناجه (ساحل أوريسه، مدخل معبد السكجر (القرن الثاني عشر من الميلاد)

(١) عبادة قوى الطبيعة

(٢) تشخيص هذه القوى بأسماء الآلهة

(٣) اعتقاد خلود الروح

(٤) عبادة الأجداد

(٥) الميل إلى إخضاع الطبيعة والناس والآلهة لإله واحد أقوى منهم، وهو الإله إندرا على العموم

(٦) هذه آية الدين الثالثة التي ينحصر بها أمر الدين في تبادل الإنسان والآلهة الهبات، وذلك بأن يقرّب الإنسان قربانه ويقدّم مواكبه وأن تمنح الآلهة الكثير والثمر ونظير الثمار والصحة والكنوز.

والآن نبحث في هذه المسائل مستندين إلى بعض النصوص

علانية قوى الطبيعة وعبادتها الزرع ونما

وعرض عبادة كتلك على نصب جاهل فتى ساذج هلوع(1) في قطر ، كالهند ، ذي عصمة زنيه وجمال عالٍ وذي يسر لم يسمع به أحد مرة وذي عسر مرهوب مرة أخرى ، ففي الهند عُبدت الشمس والريح والأنهار والجبال والنباتات قوى قادرة ، وعبدوا الشمس للأثر من مرة مخفرة للعقول ، وشغف لعطائف القمر وهدوئه الشفق وتعاقب الفصول أحدرهم فلا شعراؤهم حضرة قدسهم بآلهة وصفوها

وسكن القوم في وادي السند حيث تكون الحرارة والجفاف خانقين كانوا يضرعون سبيع الموت ، في الغاب ، إلى إله الريح والنار وإلى أعوانه ورسله ماروت وإلى البقرات السماوية التي هي سحب تحمل المطر .

وإليك بعض الأناشيد التي تتعلق بالشمس ، فتعدّ مثالاً حسناً للشعر الويدي

« تقدم الشمس ، سوري بالنجم الساطع الذي يزيغ(2) عن الضوء كله ، فالشمس تُحيي بأشعتها السماء والأرض والهواء »

« يحيي بالشمس جيادها الحمر ، فيتلألأ القمر المنير بعد الذي تُدهش الجميع هيبته ، فتدعى الآلهة على مركبه لحمته فترفظ الإنسان يقوم بعمل بالغ »

« كيف هذه الشمس التي لا دليل لها وكيف تغيب الشمس التي لا رابط لها من غير أن تسقط ؟ ومن عرف القدرة التي تمسكها ؟ في صفحة زرقاء ، في حافظة القبة الخضراء وعمادها »

والنار التي تعرف بأغني من أعظم الآلهة الويدية ، ولا تفوق النار سوى الخالق الأعلى الإله إندرا ، فالنار موجودة في كل مكان ، وتسري النار في كل مكان .

---

(1) الهلوع : المصور الذي لا يصبر على المصائب — (2) يزيغ يبزغ بزغ وبزوغاً : طلع

يسري في شرايين الأحياء، وفي جوف الأرض وفي عروق النبات وفي أشعة الشمس، والنار تنمحي إذا ما ألهب السكاهنُ الحطبَ، جاء في الويدا

«حين أرى هذا السكارى المنير في قلبي تدوي أذناي وتختلج عيناي وتهيم نفسي في رغباتها، فماذا أقول؟ وبمَ أفكّر؟»

«يا أجني، تحدثك جميعُ الآلهة واحدة[1] ما تواريتَ في الظلام».

ومعتقدات حول اليوم الآخر مبهمة متفشية في الويدا، ففي الويدا يعود الشخص بعد موته بين العناصر، وتمشي روحه حتى [illegible]، فلم نجد أي [illegible] لمذهب التناسخ[2]، وفي الويدا نجد الاعتقاد القائل بخلود الروح وبأن الروح أسمى من الجسم وأنها أساس شخص الإنسان، جاء في الويدا

«لتذهب عين الميت إلى الشمس ولتذهب روحه إلى الريح ولتعد إلى السماء والأرض ما دامت مديناً لهما، ولتقطن الماء والنبات ما دامت هي من الأخرى أي لهما

«وفي المكان جزء خالد، وهذا الجزء هو ما يجب أن تدفئه بشعاعك وتهبه حرارتك يا أجني، وأن تحمله يا جاتا ويدس، ذلك الموجود السعيد، لدى الصالحين، إلى عالم الأتقياء الأبرار.

«وروحك حين تزور هنالك نعمة الموت ندعوها إلى مسراتك هنا، إلى الحياة

«وروحك حين تزور هنالك السماء والأرض ندعوها إلى مسراتك هنا، إلى الحياة

«وروحك حين تزور هنالك الشمس والفجر ندعوها إلى مسراتك هنا، إلى الحياة الخ»

(١) الويدا [illegible] (٢) التناسخ: انتقال النفس الناطقة من جسد إلى جسد آخر ويعرف «بالتقمص» والذين يعتقدون ذلك يسمون «بالتناسخية».

ونشأت عقيدة الأجداد عن ذلك الإيمان بخلود الروح ، ورأيت في مكان آخر أن الأجداد الموتى ، عند الآريين ، لا يموتون ولا يبتعدون في المثوى الأبدي بل إنهم يسيرون في السماء فتقدم إليهم القرابين وتصلي من أجلهم ، وفي الويدا

« يا أجنى [illegible] مع هؤلاء الأجداد القدماء الأنقياء العظماء ، [illegible] مع أرواح عبدة الآلهة هؤلاء الذين يركبون وإياها مركباً واحداً ويشربون مع الآلهة [illegible] و [illegible] القربان و [illegible] بالقرب من الندر »

ويعتقد في الويدا بفكرة الإله الذي خلق كل شيء وكل دائم مهيمن على الناس و [illegible] الآلهة ، ويحتمل [illegible] كل [illegible] هو أحد الآلهة أو الإله الواحد ، وقد جاء في الويدا أن عدد الآلهة ، في بعض الأحيان ، إلهاً واحداً ذا أسماء متنوعة ، وفي الويدا :

« أن الروح الإلهية التي تسير في السماء تسمى إندرا وميترا وورونا وأغني ، فالحكماء هم الذين يطلقون على الموجود الواحد عدة أسماء ، فيقولون عنه أغني (النار) ويما (الموت) ، الخ . »

ومن هذا نرى أن للموجود الواحد خواص مبهمة فيدعى تارة بالنار وتارة بالموت أو ما إلى ذلك من المخلوقات الأخرى ، وفي العبارة الآتية نجد ما هو أدق من ذلك

« ذلك الذي هو أزلي ، ذلك الذي هو سبب كل كائن ، ذلك الذي هو محيط بكل موجود بشكل عام ، فالإله الواحد هو موجب الآلهة الأخرى ، وكل ما في الكون يقر بسلطانه » .

بَيْدَ أنك تجد ، أحياناً ، ما يكسو ذلك القولَ المؤكد ثوباً من الالتماس مصدرُه شعورُ الإنسان بعجزه عن معرفة أصل الأشياء ومصيرها ، في الوقت

« يعلمون حقّ كلِّ شيء ، هو ذلك الذي تَرَوْنه أمامكم ، ولكن كل شيء عنده مستورٌ مغطى من ثلج ، فأحكامنا غامضة ، والناسُ غضوب مُقرَّبين للقرابين وقُرُبين لا تبيد »

وكان عُنْفُ في تلك الأدعية النظامية مبحثُ الأرباب التي نَماً بعدئذ في كتب هذا نموذجاً ، ودلت على ذلك العصرَ الآتي الذي ورد في ... وقد فاستشهد به مكس مولر في كتابه « أصل الأديان ونشوؤها »

« فمن يدري ، من يعرف من أين نشأ الكون ؟ فالآلهة ظهرت بعد ظهوره ، فمن يستطيع أن يُخبرنا بمصدره ؟

« من أين أتى هذا الكون ؟ هل هو من صنع صانع أم لا ؟ يعلم ذلك من ينظر من فوق الفلك ، وقد لا يعلم . »

ويظهر أن الجمهور كان لا يبالي كثيراً بمثل هذه الأفكار التي كانت تُساور بعضَ المفكرين ، فالذي كان يُهمُّ الجمهور هو أن يداوم هو والآلهة على دوام عيش بتقديم الهبات القرابين والأدعية والأناشيد في مقابل أُسَرٍ عزيزة وكنوز وافرة وقطعان كبيرة وانتصارات مؤزَّرة ، وفي الريك فيدا عبرٌ شاهدة على ذلك ، والشواهد فيها من نمط واحد ، فيها أن أي إله يُضرَع إليه متشوِّقٌ بوعده بسيول من شراب السوما وأنهار من عسل ولبن وبالصلوات والأدعية والتسبيح ، ويُعرب بالقرابين أحياناً ، على أن تحمي الأسرة وتقي من الأمراض وتُنزل على الحقول المطرَ وتجعل البقر كثيرة النسل والدَّرّ

وقد كان يختلط بتلك الأمور الغليظة الصادرة عن الحرص والطمع روحُ التوبة والندم على ما فرط من الذنوب والرغبة في إصلاح الحال

ولا تكاد تجد في الويدا مبدأ الحب ، فالآريُّ كان لا يبغي ... ، ويعزو ما يقترفه إلى ضعف الطبيعة البشرية ، جاء في إحدى تلك الأناشيد

« يا ورونا ، لا توجد ذنوب ، فهي نتيجة ضعف طبيعة البشرية »

وما عند الآريين من مبادئ الأخلاق مبين الجو قليل الصرامة ، فيكاد ... في أسماء الصدقات و... بالحيوانات والوفاء للأصدقاء.

حتى عند المقصين ... بإخلاص فاعتمد فيه على ... ، محاولين فيه إظهار حضارة ... ونشوئها ، فنقول ، من غير أن ... معترف هو ... مهما ... بوصفهم ... أمرهم ولا عما عُزي إليهم من الشأن في ... من كل ... في ... لا ... حضارة تساوت هي وحضارتهم في النشوء فاستطاعت أن تتخلص مثلها من بقايا الهمجية الأولى ، وإنك إذا قابلت بين الشعب الآري والشعب اليهودي الذي مثّل دوراً كبيراً في العالم وجدتَ ذلك أعلى من هذا ، ففي سفر بني إسرائيل نرى ما لا نرى له أثراً في كتب الآريين

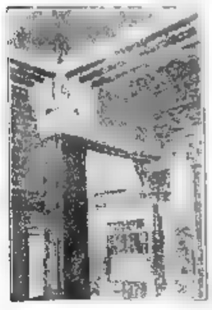

٤٦ — هيكل ... في محل ... (القرن الثاني عشر على ما نخمن)

من الأكاذيب وكفران النعمة والحنق والنذالة والتجبر والهمجية وسخف العقل والخرافية الصارمة

وغيرُ ذلك تكون مقدرتنا عند المقابلة بين ذينك الفريقين في الأسلوب الشعري، فليس الرِّغْ ويدا بأجلّ من سِفْر أيوب

ونعترف عند النظر إلى المناحي العلمية للديانة بصورة مستأنية في كتابي كلا الفريقين بأن الشوق إلى معرفة الحقيقة والمجهول وغير المحدود وأن مشاعر النفس البشرية وأن دقة خطاب الأدب أظهرُ بيانًا وأكثرُ حظًا في التوراة منه في الويدا

وإذا نظرتَ إلى الأمر من ناحية الحياة وجدتَ، على العموم، أن التوراة أكثر من الويدا تشاؤمًا، وتبدو الويدا أكثر من التوراة تفاؤلًا، فالآريُّ متفائلٌ بطبيعته ويسهُلُ أن تجده راضيًا عن قسمته، وقد عرفت أن الآريين في بدء الأمر يغتبطون بأنسالهم ومواشيهم ومراعيهم الموضعية فلا يطلبون من السماء الصافية أكثر من هذه الأشياء، فيصعبُ عليك أن تصدّق أنهم أحداث، بل نحن نرى بين ذوي الحاجات التي لا تقف عند حدٍّ فيصعُب قضاؤها، نحن العربيين الذين لا نعيش إلا بين مآرب الأزلية والرغائب الأبدية

الفصل الثاني

حضارة العصر البرهمي

وصف المجتمع الهندوسي قبل الميلاد بثلاثة قرون أو أربعة قرون

[illegible]

١ - الوثائق التي يستعان بها في بحث المجتمع الهندوسي كما كان قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون

كان وادي السند مقراً للحضارة الآرية التي وصفناها في الفصل السابق، وكان وادي الگنج محلّ نشوء الحضارة البرهمية التام.

استمرّ غزاة الهند على زحفهم إلى الشرق في الدور الذي دام نحو ألف سنة فصل بين دَوْرَيْ هذه الحضارة الآريَّيْن، فأصبحوا سادة جميع هندوستان، أي جميع القطر الواقع بين بحر عُمان وخليج البنغال، وبين جبال هملايه وجبال وندهيا، وخضع سكانُ هذا القطر الواسع الغنيّ القدماء لقاهريهم مهابةً وكانوا على مقاتلتهم راضين بسيرهم مختلطين بهم، ورأى الآريون أن يحصروا هذا الاختلاط الذي بدا في الصميم فصار يؤدي إلى انصهار بعض الفروق في بعض بعد أن كان سطحياً، فوضعوا، ووضع نظمٌ، نظامَ الطوائف الذي ذكرنا صوره الأولى في العصر الويدي.

بعث الحضارة البرهمية دوّنها قبل الميلاد بثلاثة قرون أو أربعة قرون، في ذلك الزمن، لا ريب، أُلّفت مجموعة شرائع منو (مانوا — دهرما — شاسترا) التي صارت دستور الهند المدنيّ والسياسيّ.

وظُنَّ في بدء الأمر أن تلك المجموعة أقدم من ذلك بزمن طويل، فرجّعها جونس إلى القرن الثامن قبل الميلاد ورجّعها آخرون إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ثم أُبدي حديثاً رأيٌ أقومُ من ذلك كما يظهر، فلم يُرجعها إلى ما قبل القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد.

بين مانوا سا دَهرما — شاستراً أوثقَ مصدر لدينا عن العصر البرهمي ، وهو ممثِّل الرأي وحده عن العصر الويدي ، وما وصفناه في أمر الويدا يصح مثله في أمر شرائع منو فنستنبط من هذه الشرائع الأساسية جميع الشواهد التي نستشهد بها ، بالضبط ، ما نشير إليه من الأزمنة .

وليست الكتب المقدسة وحدها هي التي نستجلي بها العصر البرهمي مع ذلك ، فقد أمدّ التاريخ ، أيضاً ، بنُتَفٍ ضعيفة ، ولو صحيحة ، على الهند القديمة بعد غزوة الإسكندر .

أجل ، إن غزوة الإسكندر لم تُسفر عن كبير معرفة للغربيين ، غير أنهم أبصروا من الهند الحافل بالأسرار الواقع فيما وراء نهر السند فوجَّهوا إليه منذئذ أفكارهم وأنظارهم في الغالب ، حتى إن سيلوكوس السوري ، الذي هو أحد الأمراء المقتسمين لدولة الإسكندر بعده ، أراد أن يوطد بنفسه هذا الفتح راجياً أن يكون أوفر حظاً منه بحسب أمله ، فقد كان لدى ملوك الهند الشمالية من الحرس والجيوش الكثيرة ما لم يجرؤ معه على مقاتلتها مخاطراً .

وبدلاً من ذلك الأمير الفتح بمصاهرة فأصبح صهراً لأولئك الملوك فترك من عنهم أن يتفاوض هو وإياهم ، فصالحه جندراغوبتا (المعروف لدى الإغريق بسندروكوتوس) الذي كان من أعظمهم سلطاناً فتزوج هذا الملك الهندوسي ابنته مضيفاً إياها إلى نسائه ثم غدا صديقاً للعاهل عند الإغريق والهندوس على السواء ، فصحب هذه الأميرة لمّا عادت إلى عاصمة زوجها بالي بوترا الواقعة على ضفاف الكنج وغير البعيدة من رأس الدلتا سفيرٌ به ، فرضي إليه السفير مجاستين فقضى هذا السفير أوقات فراغه في وصف ما كان عرضاً عليه من طبائع الشعوب التي أصبح بين أظهرها

ومن المؤسف أن رحلة ميغاستين الكاملة المفصلة، كما نظن، لم تصل إلينا، وتبدو نُبذُ مرويةُ المجموعةُ التي عزاها أبيوس الفيثري في القرون الوسطى إلى ذلك السفير تستوق على أسس صحيحة، غير أن مؤرخي الإغريق واللاتين وجغرافييهم المعاصرين لهذا السفير والذين ظهروا بعده قد استشهدوا برحلته في الغالب فاقتطفوا منها فصولاً كاملة، فجعل أسترابون، مثلاً، يستند إليها كثيراً في جزئه الذي درس فيه جغرافية الهند، فنشأ عن ذلك أن انتهت إلينا منها قطعٌ واسعة بعض الاتساع هذا، بالإضافة إلى شرائع منو، الأساسُ الذي نعتمد عليه في بحث الهند البرهمية.

حقاً أن رحلة ميغاستين وشرائعَ منو هي الوثائق الوحيدة التي نستنبط منها معارفَ، على شيء من الصحة، عن العصر البرهمي، وأن القصائد الحماسية الكبرى، كالرامايانا والمهابهارتا، محشوةٌ بالأساطير فهذه مدة مرت لا ريب، فلا تنبئ بمعرفة الزمن الذي وضعت فيه ولا نتبين ما نسبت إليه من الحوادث بالضبط، وإن كانت تُدرك فيه حقيقة نرجع إليها أحياناً بحظ كبير.

٢ — تقسيم المجتمع الهندوسي إلى طوائف

حقوق كل واحدة من هذه الطوائف وواجباتها

رأينا في أواخر العصر الويدي تقسيم الوظائف وظهوره لتكون الرئيسة، وذكرنا أن ذلك وجب نظام الطوائف وإن كان لا يؤدي وحده إلى ظهور هذا النظام.

كانت ضرورة المحافظة على نقاوة العرق واحترام الأنساب وتقاليد الأسر القديمة تشغل بال ... في العصر الويدي، فصار التفكير في ذلك من مشاغل الآريين

عندما دان للآريين الفاتحين شمالُ الهند تفرّق هؤلاء القليلو العدد بين سكانه المغلوبين الكثيرين.

وكانت الحقائق الإنثولوجية، التي هدت إليها التجارب، موضحة في نصوص من الكتب المقدسة عند الآريين، فالآريون كانوا يعلمون، لا ريب، أن الغزاة لا يلبثون أن يفنوا في الشعب المقهور إذا امتزجوا به فلا يبقى لهم أثر بعد بضعة أجيال، وكانوا يعلمون، أيضاً، أن تزاوج رجل وامرأة من عرقين متفاوتين يؤدي في الغالب إلى ولادة أولاد متوسطين خَلْقاً منحطين خُلُقاً.

فاسمع ما جاء في شريعة منو:

« لا يلبث كلّ بلد يُولد فيه أولاد من عرق متوالد مُفسد لصفاء الطبقات أن تُقوَّض دعائمه وينحطَّ سكانه.

« وأسرة الرجل مهما تكن شريفةً ممتازة لا بدّ هذا الرجل، إذا كان وليدَ طبقات مختلطة، من أن ينتقل إليه بالإرث شيء من سجيّة أبويه وسوء خلقهم.

« ويبين في الرجل من فقدان المشاعر النبيلة وغلاظة الكلام والعنف وإهمال الواجبات موروثٌ عن أمّ جديرة بالاحتقار ».

والآريون قد نحتوا تلك المبادئ على حسابهم الخاص لا ريب، فلما راعهم، على الأرجح، هبوط عرقهم أقاموا الحواجز الوقيه الشديدة التي لا تزال باقية.

ولا مراء في أن ما في شرائع منو من التعاليم على سلامة العرق الآري قبلها، وإن دلّ على تقدير الآريين لضرورة سلامة عرقهم، فتوالدُ الآريين وغيرهم قد حدث حتى لم نعثر لمثال الآري أثراً، فلا نجد شريعة قادرة على مقاومة بعض الضرورات الفيزيولوجية.

ومما يؤيد هذه النظرية ما في المباني القديمة من النقوش ، فتدل نقوش ذلك العصر ، كنقوش بهارُت مثلاً ، على مثال نجده في القرون الآتية وفي مناطق الهند البعيد بعضها من بعض [illegible] كبيراً ، كما يجيء وبيانها على خصوص ، فلا نرى بينه وبين مثال [illegible] وجه شَبَه ، فهو ذو وجه [illegible] صحيح نَشَأت [illegible] العصر [illegible] ، والأ[illegible] [illegible] إذا ما وُجِدوا في ذلك الحين كانوا أمة صغيرة منتسبة إلى طائفة البراهمة وحدها لا ريب .

و[illegible] درس مجتمع في ذلك العصر على [illegible] [illegible] [illegible] أصحاب [illegible] هذه الطوائف الذي وضع لإتقاد [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] الذي تُعرب فيه خصائص قدسيته ولا تخرج [illegible] [illegible] الآلهة [illegible] وعلّت تعاليم منو [illegible] [illegible] الآري [illegible] يبدأ أنه أضحى أسمى شيئاً مقيّداً لا تستطيع [illegible] التي لا حد [illegible] من [illegible] [illegible] .

والطوائف التي ورد ذكرها في شريعة منو أربع : طائفة البراهمة (الكهنة) وطائفة الأكشتريه ([illegible]) وطائفة الويشيه (الزرّاع والمرابين والتجار) وطائفة الشودرا ([illegible] الذين ليس لهم مهنة خاصة [illegible] [illegible] عمل غير خدمة الأعلين)

وعلى الرجل أن يتزوج بامرأة من طائفته أو من طائفة أدنى منها ، ولكن الرجل الذي يتزوج بواحدة من الشودرا يصبح معصوماً [illegible] ويطرد من طائفته ويصبح حرياً في [illegible] والآخرة ، فلا تخرج [illegible] الشودرا إلا [illegible] من الشودرا .

ويمكن البرهمي أن يتزوج امرأة من الأكشترية أو من الويشية، ولا عكس، فمن معتقدات الآريين أن الأب الذي هو من طائفة أعلى من طائفة زوجته يستطيع أن يرفع نصف صفاته إلى ابنه، وأن الأب الذي هو أدنى من طائفة زوجته ينزل هذه الزوجة وأولاده منها إلى مستواه، فيُنظر في عدم التكافؤ الطبقي في الزواج إلى زواج المرأة حيث القرار

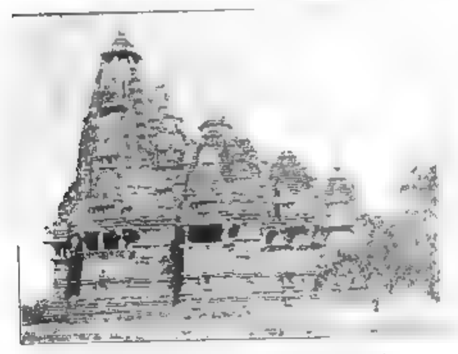

١٧ — كهجورا: معبد شيوا (القرن العاشر من الميلاد) (ارتفاعه نحو ٢٠ متراً)

وسنت وحددت كلٌ واحدة من الطوائف ومبادئ النكاح كما جاءت في شريعة منو تأثراً بالرمز البرهمي المشهور القائل إن كل طائفة خرجت من جزء من جسم براهما

«وأراد الرب نمو الجنس البشري فخلق من فمه وذراعه وفخذه ورجله البراهمة والأكشترية والويشية والشودرا وأراد دوام هذا الجنس فجعل لكل واحدة من هذه الطبقات أعمالاً خاصة

«فعهد إلى البراهمة في درس أسفار الويدا وتعليمها وتقريب القرابين وإدارة ضحايا الآخرين والعطاء والأخذ

«وفرض على الأكشترية حماية الشعب وممارسة الإحسان والتضحية وتلاوة الكتب المقدسة وعدم الانهماك في الشهوات

«وفرض على الويشية تربية المواشي وإيتاء الزكاة والتضحية ودرس الكتب المقدسة والتجارة والربا والحرث.

«وأوجب على الشودرا عملاً واحداً فقط، وهو خدمة تلك الطبقات من غير أن يحطوا من قدرها.

«وليعرف أمر الرجل الذي ينتسب إلى طبقة دنيئة والذي وُلد من أمٍّ حقيرة ولم يظهر أمره جيداً فيُستدل على الفطرة بأنه رجل شريف وما هو بذلك

«فيمكن المرء الذي وُلد من أب شريف ومن أمٍّ حقيرة أن يكون بمرتبة أبيه، ويمكن الذي وُلد من أمٍّ شريفة وأب حقير أن يُعدّ حقيراً كما هو حكم القدر

«ولا يحصل الرجل الشودري الذي يتزوج امرأة من طبقته سوى ولد غير أدنى منه، كما أن كل واحد من هؤلاء المولودين الأدنياء يتزوج واحدة من نساء الطبقات الأربع الخاصة لا ينسل إلا ولداً أدنى منه

«إن جحيم هي دار البرهمي الذي يتزوج امرأة من الشودرا، لا من طبقته، فإذا وُلد له ولد منها طُرد من طبقة البراهمة»

وكان نفوذ رجال البراهمة على بقية الشعب عظيماً، وما كانوا يتمتعون به من السلطان والنفوذ والاحترام يجعلهم من سلالة الآلهة أكثر من أن يكونوا من البشر، وقد نالوا هذا المقام بحكم مصدرهم الطيب، وبما يحملونه من التأثير المزعوم في عالم الآلهة وبما يكتسبونه من العلم في جميع أيامهم.

وكان البراهمة يقومون ببعض الواجبات، في الحقيقة، في مقابل ما يتمتعون به من الامتيازات، وبيان الأمر أن حياة البرهمي كانت تقسم إلى أربعة أدوار: دور الرهبنة وفيه يتخرج البرهمي على أساتذة مخصوصين في دراسة الكتب المقدسة والاطلاع على أسرار الدين، ودور الفتوة وفيه يتزوج البرهمي فيصبح أباً ورب أسرة من كسب ووظائفه ورزقه ومن كان واجبه الأول أن يكون ذا ولد، ودور الكهولة وفيه يمضي البرهمي أيامه منفرداً منعزلاً زاهداً، ودور [illegible] وفيه يصبح البرهمي كاملاً منعزلاً لأنه أصبح متأملاً منقطعاً بموت.

ويجب أن يكون هذه الحياة، التي تنقسم على هذا النحو إلى هذه الأدوار الأربعة (الرهبنة والفتوة والكهولة و[illegible])، شكل هندوسي وليد مرتين، أي شكل هندوسي مقبول، ويعد جميع رجال الطوائف الثلاث الأولى من الذين ولدوا مرتين، والذي يحصل منهم بعد أن يخرج من دور المراهقة ويضع حول عنقه حبلاً رمزياً في احتفال يكون علامة على الولادة الروحية وعلى أنه ابن برهمي، غير أن البراهمة وحدهم هم الذين يمارسون بدقة الوظائف الأربع: وظيفة مرشح للرهبنة ووظيفة رب أسرة ووظيفة الناسك ووظيفة القديس.

وفي حالة الفقر يؤذن للبرهمي في القيام ببعض الوظائف، وبالتجارة أيضاً، ويمكن القول إن البراهمة يعيشون، على العموم، من جود الأكثرية وكرمهم، فإنه

الحيث للبراهمة هو أفضلُ عمل يقوم به هندوسيّ ، جاء في شريعة منو

« يُؤجر الواهب مرةً على هبته للسائل غير البرهميّ ، ويُؤجر مرتين على هبته لرجل يزعم أنه برهميّ ، ويُؤجر مئة ألف مرةٍ على هبته لبرهميّ متبحّرٍ في كتب الويدا ، ويُؤجر أجراً لا حدّ له على هبته لبرهميّ متّصلٍ إلى علم اللاهوت »

وإليك أهمّ ما جاء في شريعة منو من النصوص على حقوق البراهمة :

« إذا وُلد البرهميّ وُضع في الصف الأول من صفوف هذه الدنيا ، والبرهميّ إذ كان السيدَ الأكبر لكل مخلوق وجب عليه أن يحافظ على كنز الشرائع المدنية والدينية .

« والبرهميّ محلٌّ لاحترام الجميع والآلهة بسبب نسبه وحده ، وأحكامه حجة في الدنيا ، والكتاب المقدس هو الذي منحه هذا الامتياز .

« كلُّ ما في هذه الدنيا مِلْكُ البرهميّ ، والبرهميّ محقٌّ في كل موجود بسبب مكانته ونسبه .

« والبرهميّ إذا ما احتاج حقَّ له أن يغتصب مال الشودريّ الذي هو عبدٌ له من غير أن يجازيه الملك على ما فعل ، فالعبدُ وما يملك لسيده .

« وإن تدنّس البرهميّ صاحبُ الزكي ويبقى مقدساً ولو قتل أهل العوالم الثلاثة وتناولَ طعاماً من أسفل رجل .

« ولا ينبغي للملك أن يجبي خراجاً من برهميّ عالمٍ بالكتاب المقدس ولو مات الملك عن حاجة ، ولا يجوز له أن يسمح على جوع برهميّ في ولايته .

« ويجتنب الملكُ قتلَ برهميّ ولو اقترف جميع الجرائم ، وليطرده ، إذا رأى ، من مملكته على أن يترك له جميع أمواله وألا يصيبه بأذى .

«ويعرفُ البرهميُّ المختص به ما ترك خُصلة شعر رأسه فوق يافوخه، على حين يُعفى الأئمة المخصوصون من أبناء الطبقات الأخرى»

ومن حقوق البراهمة أن يكونوا مشيرين للملك، وعلى الملك ألا يقطع أمرًا مهمًا قبل أن يستشير أكثرهم دراية، فكان يجمع بانتظام مجلسٌ يدعى بالمجلس الكبير للبحث في أهم الشؤون.

وشهد ميغاستين ما كان يتمتع به البراهمة من ضروب العزّ والشرف وحدّث عن فلسفتهم معجبًا فقال إنها قريبة من فلسفة سقراط وفيثاغور.

وكان الأكشترية (المحاربون) يقومون بشؤون الحرب وحدهم فلا يمارسون حرفة أو مهنة أخرى، وكان وقت السلم لهم وقت بطالة، وكان يجب عليهم أن يستعدوا للحرب على الدوام وأن يعدّوا أنفسهم لذلك ما دامت رسالتهم على حماية الشعب وما أركن الويشي (الزارع) إلى من يحميهم في الثغور فحرث حقله مطمئنًا.

وكان الأكشترية والبراهمة (الكهنة) عمادَي المجتمع يتمم أحدهما الآخر، وإن كان الأكشترية دون البراهمة درجات، جاء في شريعة منو:

«لا فلاح للأكشترية بغير البراهمة، ولا ارتقاء للبراهمة بغير الأكشترية، فباتحادهما يُكتب لهما الفوز في الدارين»

«يجب أن يُعدّ البرهميُّ أبًا للأكشتريّ ولو كان عمر البرهميّ عشر سنوات وعمر الأكشتري مئة سنة، ويجب أن يعامل الأكشتريُّ البرهميَّ على هذا الأساس»

ومن ثَمَّ ترى الفرق بين تينك الطائفتين الأوليين، وهذا الفرق ليس بالذي يذكر إذا ما قيس بالهوّة التي تفصلهما عن عامة الشعب، ويبدو الأكشتري بد

للبرهمي من بعض الوجوه كما يُستشفّ من ذلك النص الدالّ على الصلة الوثيقة بينهما ، ويبدو مالاً بتصوره العقل من الوهاد العميقة بينهما وبين الويشية ، ولا تقول الشودري الذي يكاد يكون غير موجود في المجتمع

وكانت طبقة الويشية تشتمل على الزراع والتجار والمرتهنين ، وكان هؤلاء يعدّون من الذين يولدون مرتين ، وإن كان قومهم تنزّل عند الأكثرين بمدة كما أن قبول الأكثرية هؤلاء كان متأخراً عن قبول البراهمة

وما كان الويشي ليهبط إلى درجة الأجراء مهما رأى من ضياع مهنته ، فكان الويشي مهنته وأسرته في هو رتبة عندهم ، ولا شيء كان يجذب النظر لدى هندوسي البرهمي كبعد كل ذي مهنته من الآخرين ، فاتخذه من شأن الويلب والشودرا .

وإليك بعض نصوص وردت في شرائع منو عن الويشية :

٤٨ — كهوف ... معبد كوندريا (كما ... كنيهم) الطرف الباطن من ليلاد)

« يجب على الويشي بعد أن يقلّد الحبل المقدس وبعد تزوج امرأة من طائفته أن يتّخذ مهنته ويرعى المواشي على الدوام .

« وليعلم جيداً كيف يبذر الحبوب ، وليفرِّق بين الأرض الجيدة والأرض الرديئة وليطّلع على نظام الأوزان والمكاييل اطلاعاً تاماً

« وليعرف أجر الخدم ومختلف لغات الناس وما يحفظ به السلع وكل ما يمتّ إلى البيع والشراء بصلة » .

ولا ريب في سريان قطرات من الدم الآري في عروق الويشيه وإن كان دم الويشية كثير الاختلاط بغيره، وأما الشودرا فهم سكان البلاد الأصليون الأدنياء الذين لا يخالطهم الإنسان من غير أن يهبط من مرتبته، وهم بمنزلة حيوان وأحقر من البهائم، وليس في هذا ما يصعب إدراكه عند النظر إليه من الوجهة المذهبية، فليس في سكلب أو الخصاص أي خطر على مستقبل العرق الآري، مع أن الشودرا كانوا يُعدّون، على السواء، فاعتبرتهم بمرهم واستلاءهم، فلو نقص المقربون منعة الأولى لأدى عروج الشودرا إلى زوال ما بقي من العرق القديم حتى تسحر البرهمية بالأسباب نفسها، ولو انقطع القراح(١) عن السيل في قرية يسود فيه لأصبحت حمأة(٢) مستنقع واسع.

ويمكن القارئ أن يطلع على درجة الذل العظيم الذي كان يصيب الشودري مسكوداً بعضاً من النصوص الآتية الواردة في شريعة منو

«لا يجب على الشودري أن يشتغل أموالاً مطلقاً وإن لم يرهبه ذلك البراهمة الذين يتأذون بأسكث نفسه ويشمئزون بالمضايقة، فيوشك أن يعده أسمى).

«خدمة الشودري للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه، ولا أجر للشودري على عمل آخر يقوم به.

«ولا يجوز للشودري أن يجمع ثروات زائدة، ولو كان على ذلك من القادرين، فالشودري إذا جمع مالاً آذى البراهمة بقحته

(١) القراح: الماء الخالص — (٢) الحمأة: الطين الأسود

«ويجب على من في الطبقة الدنيا الذي تحدثه نفسه بأن يستوي رجلاً من طبقة أعلى من طبقته وأن يوسم تحت الورك.

«ويقطع يد من علا من هو أعلى منه بيده أو عصاه ويقطع رجله إذا ركله برجله حين الغضب.

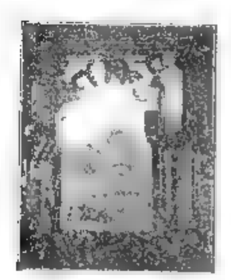

١٩ — كهجور ... في
(أخذت هذه الصورة من داخل المعبد).

«وإذا ما دعاه باسمه أو باسم صنفه مستخفاً أدخل في فمه خنجر محمى مشوك النصل طوله عشرة قراريط.

«ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنيه إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم.

«ومن مسَّ ذا علامات رجس ... يتطهر في نهاية ستة، ولا يكون هذا محظوراً فقط، بل التقرب منه أو نظراً منه للكتب المقدسة أو تخالف يؤدي إلى السقوط حالاً، بل يجب البعد عن الذهاب معه في مركبة واحدة أو الجلوس معه على متكأ واحد أو الأكل معه حول خوان واحد»

٣ — المدن والمباني

أقام الهندوس في العصر البرهمي مباني ضخمة ومدناً زاهية على ضفاف الكنج،

مسكناً وسالك على عكس آريي العصر الويدي الذين لم ينشئوا غير قرى حقيرة

وأطلال مشاهد الهندوس في العصر البرهمي قليلة جداً، ونشأت ما بقي منها، كمعبد بهارهت وأعمدة أشوكا، أن الهندوس كانوا ماهرين في فن العمارة

ومن المحتمل أن تكون أبنية الهندوس الأولى من خشب والآجر، وأن مباني الحجر لم تكن غير نسخة عنها، وليس ما فاه به ميغاستين من الوصف وحده هو الذي نستند إليه في هذا، بل نستند أيضاً إلى مشاهدتي في بتنه التي حافظت على صلة هذه المدينة، فقد وجدت بين أعمدة حجرية عثر عليها الأنقاض تعوضها من عوض الأعمدة خشبية شبهاً تاماً

والأمر مهما يكن من شيء فالذي لا ريب فيه هو أن الهندوس كانوا متسكنين مدناً مهمة في عهد ميغاستين، وقد وصف به هذا السفير اليوناني مدينة بالي بوتر التي يكثر من القول بدلالة على اتساعها وقوتها وعظمتها

وكانت تلك المدينة، كما روى ميغاستين، على ضفاف الغنج وكانت مستطيلة من شكلها، وكان يحيط بها سور، وكان يوجد في أسفل هذا السور خندق عريض، وكان يرى فيها قصر الملك وأسواقها ونحو ستين شرفة تسمح الثمينة و ... التي كانت تحف شوارعها

ويمكن وصف ذلك السفير كلاً من الوثائق تثبت وجود مدن هندوسية في القرن الثالث قبل الميلاد، وبلغ وصفاً أكثر تفصيلاً مما ورد في رحلة ذلك السفير جاء في شعر الرامايانا الحماسي الذي وضع في زمن أقدم من تاريخه لا ريب

« هي بُقعة واسعة ذَهِبيّة ناعمة وافرة الرّيّ مملوءةٌ بالحبوب والمواشي واقعة على ضفاف شواطئ مُسَمّاة كوسلا ، هنالك كانت مدينةٌ مشهورةٌ في جميع العالم أشادها سيد البشر منو ، فكانت تدعى بأجودها

« يا جمال تلك المدينة ويا لسعادة تلك البلدة التي كان عرضها ثلاثة أوذحات وكان طول سورها الرائع اثنى عشر أوذحاً !

« كان لتلك المدينة أبواب تفصل بعضها عن بعض مسافاتٌ متساوية ، وكان معظم شوارعُ كبيرةٌ عريضة ، وكان يَقطع من هذه الشوارع شارعُ الملكي حيث يُرَشّ ماء فيُسكّنُ ثائرَ الغبار

« وكان تجار كثيرون يترددون إلى أسواقها ، وكان كثيرُ الحلي يزخرف حوانيتها ، وكانت منيعة، وكان كثيرُ البيوت يُغطّي أرضها ، وكانت مُزيّنةً بالرياض والحدائق العامة ، وكانت تحيط بها الخنادق العميقة التي تتعذر اقتحامها ، وكانت دور صانعيها طافحة بأنواع الأسلحة ، وكانت الأقواس المدهشة تتوّج أبوابها وتخزن سهام النبّالة على الدوام

« وكان الملكُ المنصور العالي الشأن دَشَرَتْها تثبتُ تلك المدينة كما تثبت الإله إندرا مدينةَ الخالدين أمراوتي

« وكانت البنودُ الخافقة ترفرف فوق حنايا مذابحها المنقوشة ، وكانت تتمتع بكلِّ ما تشتهيه مختلف الصنوف والملهى ، وكانت زاخرة بالمراكب والخيل والفيلة والعدد والمدافع وآلات الحرب ، وكانت طرقها ذواتُ الأبواب الثابتة وأسواقها المقسمة التوزيع على أبعادٍ محسوبة حساباً دقيقاً تعجّ بالباعة والتجار والسُّيّاح ، وكانت

أنوف الجموع تغدو وتغدو فيها ، وكانت تحفّها البيوت الضخمة والبساتين العامة وبرك الماء للجالس وصحن ... بسور ... كاملاً ، وكانت تبدو عظمة مركب الآلهة حيّة في هذه المدينة ... من بين كل هذه الآلهة .

٤ — الحكومة والإدارة

كان نظام الحكم في العصر الذهبي ملكيةً مطلقةً ، فكان الملك يُطاع كإله ، فإذا ما ارتقى الملكُ العرشَ ، ولو بعد حياة يقترفها ، نُظر إليه ممثلاً مشيئة ... وقدرة إلهية ، جاء في ... منو

« يجب ألا يُضعف ... ولو كان طفلاً ، وذلك لأن ... ، فالألوهية تتجسّم في صورة الملك البشرية » .

ويتضح أن حكومة ذلك العصر كانت ذات طابع قوي ... على الرعية ، وكان ... على رأسهم ... مركزهم ... ، فكان على الملك أن يعمل برأيهم وأن يجزل لهم العطايا ، وكان أصحابهم من الجنود ما كانوا يعدون ... قادرين على جعل أيام حكمه سعيدة مجيدة أو على صب ضروب الغضب وجميع اللعنات السماوية على رأسه .

ومن الأكثرية كان يتعصب للملك ، و... على الأكثرية ، وقد كانوا رفقاءه في الجيش ، احترامُ الجنود لقائدهم .

إذن ، كان سلطان الملك المطلق يتجلّى على الرعية ، ولم يعدّ رجال هذه الطائفة إلا من أشياعه ومزارعيه ، فكانوا يزرعون الأرض ويشتغلون لأجله ،

وإن شئت فقل لأجل الدولة ، فالضرائب ، وإن كانت تُجبى للملك ، كان على الملك أن يعطي جيشه ووزراءه وأن يقوم بكلّ ما ينفع الرعية من الأعمال

وكان في الولايات وفي المدن وفي أحقر القرى مفتشون لمراقبة إنتاج الأراضي وتقدير النفع والأتعاب التي تسمح بها كي تُجبى ضرائب الملك منها بعد أن تُعيَّن

ونرى مما تقدم أن نوع الإدارة ذلك مرجَّحٌ حاذق ، بيد أن احتماله كان سهلاً على الهندوس كما يظهر ، وهم الذين سيتهم متأسّين بالأولاد الذين الاستعباد فصار منهم أكثر شعوب العالم دماثة وتسليماً شأنهم في الزمن الحاضر .

والملوك ، مع ما كانوا يتمتعون به من السلطان المطلق ، لم يكونوا قادرين على إساءة استعمال مقامهم ، فهم ، إذ كانوا منزوين في قصورهم ملازمين ، مع انتظام في العيش ، بتطبيق شرائع منو والسنن بعاداتها الكثيرة في واجبات الملك كان همهم الكبير مصروفاً ، على ما يظهر ، إلى الخلاص من الضجر والشرّ ، على ما كان يخاف بعضهم من الأخطار

كان محلَّ رغبة وطمع ، والقاتلُ المُوَفَّق الذي يخلف الملك إذ كان يَعُدُّ موجوداً نهيأً فوزه بعمله على التاج والصولجان وإذ كان لا يخشى سوى الإخفاق وجب على الملك أن يتذرع بالحذر وحدَه لإنقاذ حياته ، والحذرُ ما توصيه به شريعة منُو أيضاً ، فترى أن مؤلِّف حاشية الملك من أناس ضعاف ذوى حياء يخشون حوزة الدسائس حوله والائتمار به وأن قصر الملك مكان ومه في الغاب وألا يسكر لاحتمال قتل إحدى زوجاته إياه في أثناء سُكره ، طمعاً في الزواج بغيره

ولم يكن من حق إنسان ، مع ذلك ، أن يتنقّل داخل القصر غيرُ الملك وأزواجه ، فكان على حرس الملك أن يمنعوا مخارجه

وكنت ترى بين حين وحين موكباً رائعاً مشتملاً على الملك وزوجاته مؤلفاً من فيول مجهزة بأفخر جهاز ومن نساء متلفعات ومن نبالة وحرس سائرٍ بأبهة من شوارع إلى الصيد بين حبال ممدودة على الجانبين وقفاً على الاستطلاع

وكنتَ ترى الملك حين يذهب ليقرّب القرابين الرسمية أو ليحكم بين الرعية أو ليقود الكتائب .

وفي شرائع منو أن الملك الحكيم الرشيد هو الذي يَعُدّ متأهباً للحرب على ألا يخوض غمارها إلا إذا كان موقناً بأن النصر يكون حليفه ، فعلى الملك الذي يودّ النصر ألا يعشق الصدام قبل المفاوضات وبثّ العيون والأرصاد وتدبير عوامل الشقاق بين الأعداء ، جاء في شرائع منُو :

« ويجتذب الملكُ من يستطيعون أن يساعدوه على نوع من أنواعه ، كأقرباء الأمير المدعوّ الطامعين في عرشه أو وزراء هذا الأمير الساخطين ، وليعلم جميع ما

بعضه الأعــداء ، فإذا ما آنس من السيد عطفاً حارب ، غير هيّاب ، فيصبح ملاذاً » .

ولم يكن التجسس موجهاً ضد الأعداء وحدهم ، بل كان يُعد أداةً حكومية صالحة، فالعيون كان منها يكتشف الأشرار منه ، ومنهم كان يعد مدى نزاهة موظفيه وإخلاصهم ، ومنهم كان يراقب الفلاح الأسواق دقة لكلّ غش وتدليس في جباية الخراج .

وكان الخراج يزيد وينقص بحسب جودة المواسم ورداءتها ، فكان يزيد في الخصب وينقص في الجدب . ومن جملة ما جاء في شريعة منو حول هذه التحولات

« يمكن الملك العسر به ضريبة على التجار في زمن العسر إلى ربع الغلات ، وإلى ثمنها ، وإلى واحد من عشرين من ربح النقدين بعد أن يكون في زمن يسر واحداً من اثني عشر من الغلات وواحداً من خمسين من ربح النقدين ويجب على الشودر والعمال والمحترفين أن يؤدوا عمل يوم واحد في الشهر من غير أن يؤتوا ضريبة

« ويأخذ الملك سُدُس الدخل السنوي من اللحم والعسل والسمن والأعشاب والعقاقير (١) والشجر والعطر والزهر والجذر والثمر »

ومن ثم يُبصر أن الشودرا ليس لهم ثروة غير العمل فلا يؤدون إلى بيت المال ضريبة سوى عمل يوم واحد في الشهر .

وكانت المراقبة العامة في البلاد مُحْكَمة التنظيم ، فكان لكل قرية ولكل مدينة مفتشها الذي يرفع تقريره إلى المفتش الأعلى لمجموعة من مدن ، ثم يرفع هذا

(١) العقار : ما يتداوى به من النبات

لنفس قرى ، ويلي رئيس الولاية ، ثم يرجع مفتشو الولايات التي تُحكم رأساً إلى وزراء الملك الذين كانوا يختارون من أعيان البراهمة .

وكان للجيش أيضاً مفتشون من مراتب مختلفة على حسب أهميتهم .

٥ — إقامة العدل ، الشرائع والعادات

الأصل هو أن يقيم الملك العدل ، ولكن الملك إذ كان يتعذر عليه ، بحكم الطبيعة ، أن ينظر في جميع الدعاوى كان يُنيب عنه البراهمة في ذلك ، قال منو :

« على الملك الذي يود أن ينظر في الخصومات أن يذهب إلى مجلس القضاء متواضعاً هو وأناس من البراهمة ومستشارين محنكين .

« فالملك إذا لم يفعل ذلك وجب عليه أن ينيب عنه برهمياً متعلماً .

« وإذا دخل هذا البرهمي إلى المحكمة المعروضة للفصل فيها مستصحباً ثلاثة من عدول [illegible]

« ويجوز للملك [illegible] رجلاً من طبقة الكهنوت فلا [illegible] في القيام [illegible] وبعدالته عليه إلى غير سببه ، أو ليختر رجلاً يبدو من البراهمة وإلا فمن الكشترية أو الويشيه ، ولكن يتجنب اختيار مفسر ما من الطبقة السفلى » .

ولم يوجد قانون شامل لجميع مناحي الحياة الاجتماعية ، فترى من قول منو الآتي أن للعادة حكماً يعلو على العموم :

« يجب على الملك العادل أن يدرس قوانين الطبقات والولايات الخاصة ، وأن يدرس نظم شركات التجار وعادات الأسر ، وأن يعطي لها قوة القانون إن لم تكن تلك القوانين والنظم والعادات مخالفة لمعاني الكتب المنزلة » .

والخصومات من الناس كانت قليلة، فكان [illegible] الدعاوى حلاً [illegible] الشاهد في [illegible]، وكان التحقيق [illegible] يعمل بعد عناية كبيرة واحتمال عظيم

والصبر هم الذين كانوا يكشفون أسرارهم في الغالب، فكان التحقيق شاملاً للعقل والسياسة، [illegible] على الخصوص، لأن [illegible] كان [illegible] التحقيق،

وكان [illegible] من غير أن [illegible] حتى [illegible] كونه

وكانت هذه [illegible] من [illegible] مقترفي [illegible] في هذه [illegible] كشفت [illegible] في الآخرة على كل حال، [illegible] منو

« يجب على كل عاقل ألا [illegible] ولو [illegible] أمر [illegible]، فإنه [illegible] في الدنيا والآخرة [illegible] الكاذب.

« وإذا شهد [illegible] أمام [illegible] أو [illegible] أو [illegible] والذي [illegible] صدق والذي [illegible]

« [illegible] في [illegible] على [illegible] بشهود الزور عند سؤاله من قبل القضاة »

وكان [illegible] في أمر الشهادة، كما في [illegible] ألا يكون الشاهد [illegible] للخصوم أو ذا علاقة [illegible] به، وكان [illegible] قبل سماع شهادته، قال منو

« يجب أن يحضر الشهود للقضاء في جميع الطبقات من أناس موثوق بهم عالمين [illegible] خالين من الغرض، ويجب أن [illegible] من [illegible] يكونوا من هؤلاء.

« لا يجوز أن تقبل شهادة من هو متهم، ولا شهادة الأصدقاء، ولا شهادة الأخرين، ولا شهادة الأعداء، ولا شهادة من اشتهروا بسوء السيرة، ولا شهادة مجرمين »

وكان لا يُشدَّدُ في أمر الشهود إذا كان الجرم كبيراً وأُمسِكَ المجرمُ متلبّساً به وكان إثباته سهلاً ، جاء في شريعة منو :

« لا تُعرِض تقصّي أمر الشهود في جرائم الغصب والسَّرِقة والزنا والشتائم وسوء المعاملة »

تُثبت تلك النصوص وغيرها ، مما لا نرى سَرْدَه في هذا الكتاب ، درجةَ حرص واضعة الهندوس على إحقاق الحقّ بتدقيق ووضوح

ونجد بين تلك التحقيقات الحكيمة الدقيقة التي وُضِعت لإظهار الحقّ عاداتٍ جزائيةً شاذةً للنظر قريبة من أحكام الربّ في قرون الغرب الوسطى ، جاء في شريعة منو

« ليُحلِّف القاضي البرهميَّ بصدقه ، وليُحلِّف الأكشتريَّ بخيوله أو فِيَلَته أو سلاحه ، وليُحلِّف الويشيَّ ببقره وحبوبه وذهبه ، وليُحلِّف الشودريَّ بكلِّ الجرائم

« أو ليأمُر القاضي ، بحسب أهمية القضيّة ، من يريد امتحانه بأن يُمسك النار بيده أو يُغطَّس في الماء أو يَمسّ رأسَ زوجته ورأسَ كلِّ واحد من أولاده على انفراد .

« فالذي لا تحرقه اللهَب أو لا يَطفو فوق الماء فلا يناله أذىً يُعَدُّ صادقاً في يمينه » .

ومن يتصفّح السِّفْر الثامن والسِّفْر التاسع من شرائع منو يجدْهما مملوءين بما يجب عمله في تحرّي الآثام والجرائم والعقوبات التي تُفرَض على المذنبين

وترجع تلك الأحكام رأساً إلى الملك الذى هو قاضى محكمة الأعلى والمسؤول عن جميع ما يقترف فيها من الجرائم الصغيرة والكبيرة

ومما ذكرناه أن الملك مُقدّس الأحكام ، ومن نصّ المصرى فى الأثرين الآتيين نطّلعُ على ما كان من التضامن بين الملك وشعبه مادةً ومعنى

« مقدّس ثواب حلّت الأعمال للملك الذى يحمى رعيّته ومقدّس جزاء سيّئة الأعمال تقع على الملك الذى لا يسهر على مصالح رعيته

« ومقدّسٌ ثواب ما يُقدّم إلى الآلهة من القرابات الصالحة والقرابين والهبات والتسبيح للملك الذى يحمى رعيّته »

ومما قدمناه أن مصريى ذلك العصر كانوا يرغبون عن رفع الدّعاوى ، فقد أوصوا بأن يتّخذوا مع غرمائهم صلحاً وأن يلجأوا ، عند الاقتضاء ، إلى بعض تدابير القسرية ، قبل أن يطرقوا أبواب القضاء

« يمكن الدائنَ أن يتخذ جميع الوسائل المألوفة لإكراه مدينه على رد

ما استدانه

« وعلى الملك ألا يؤزّر دائناً أكره مدينه على رد ما استدانه » .

والمقصودُ من عبارة « اتخاذ جميع الوسائل المألوفة لاسترداد ما استدانه المدين » هو اتخاذ طرق الإرغام والإرهاب وتوسيط الأصحاب نحو المدين وتعقّبه فى كل مكان وفى بيته والقبض على زوجته أو أولاده ووقف هؤلاء فى بيت الدائن والالتجاء إلى الحيلة فى هذه الأمر

ولم تكن أبواب النشر مُوصدةً دون المدين ، فكان يمكنه أن يوفى ما عليه من الدين بأن يرسل مقداراً فمقداراً ، وإذا ما عقد مقايضةً أو مصالحةً أو مبايعةً أمكنه

الرجوع عنه في خلال عشرة أيام ، فذلك النقد لا يصبح باتًا لا يُنقض إلا بعد انقضاء عشرة [illegible]

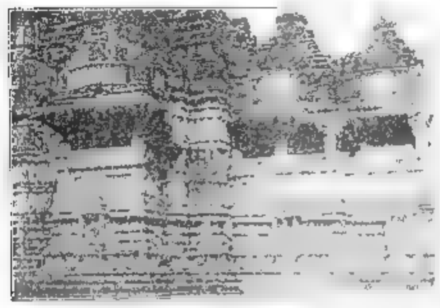

٥١ — [illegible]

[illegible]

و[illegible] ، وكان هذا النقد [illegible] الطوائف ، في كل [illegible] من [illegible] الأكثرية ، ومن كان [illegible] أقل [illegible] الشيء

ومن قديم [illegible] أن كل شيء كان يتم [illegible] ووضع في علاقات بعض الأشخاص ببعض ، فكان هؤلاء القوم المصريون [illegible] يكرهون أخذ [illegible] ، وكان أول ما يجب على الملك أن يقسمه هو أن يمنع الظلم وتجري المناصب بشدة

[illegible] يجب على الملك الذي طمع في سيادة العالم وفي السعادة [illegible] الأبدية

لا يُمثل طرفة عين عن مجاراة الذي يعرف أعمال الغش كالحرق وقطع الثياب

«ولْيَعدّ الذي يعرف أعمال الغش عموماً أكثر من قمّار[1] ونهّاز[2] الثلّاب[3] الضرّاب السرّاق.

«وما ملك العادل على مقترف أعمال الغش إلا بالذي يُنجي نفسه في هدايته فلا يبالي بغير نُعمى الناس»

وكانت أهمية الجرائم التي تُقترف والعقوبات التي تُفرض تختلف باختلاف طائفة مقترفيه، لا باختلاف الضرر، بل كانت العقوبات التي تُفرض على البرهمي من الشدة كالتي تُفرض على أبناء الطوائف الثلاث الأخرى

«فإذا اقترف برهميّ معروف بكرم المحتد[4] جناية عوقب، وإذا كان ذلك عمداً نُفي من البلاد وأُذن له في أخذ أثاثه و[illegible]

«بيد أن من يقترف من أبناء الطبقات الأخرى تلك الجناية غير متعمد يخسر أمواله ويُنفى من البلاد، ومن يقترفها عمداً يُقتل».

وتقوم العقوبات المنصوص عليها في شريعة منو بمصادرة الأموال أو النفي أو القتل عند اقتراف الجنايات الكبرى كالقتل أو زنا الأزواج، وبالغرامة أو قطع العضو أو السجن عند السرقة

ويُعد خطف البنات وغصب الفتيات وزنا الأزواج من الجنايات الكبرى بما يؤدي إليه ذلك من خلط الطوائف الذي حرّمته شرائع منو، وسنعود إلى هذا الموضوع في المطلب الذي خصصناه للبحث في أحوال النساء

وإني أختم قولي الإجمالي في النظام القضائي بكلمة عن المواريث فأقول إن

---

(1) القمار: المقامر ـ (2) النهاز: النهاب ـ (3) الثلاب: المثالب ـ (4) المحتد: [illegible]

الأولاد كانوا يقتسمون ميراث أبيهم بالتساوى حين وفاته ، وما كان يحدث أن يخصص الأب ابنه البكر بالمزايا الجيدة بجميع التركة فيقوم مقامه بعد موته ، وكان نصيب البنت وأمها أن ترثاه عند ما يتوفى بلا ولد ، وكان الملك والبراهمة يرثونه إذا مات بلا وارث .

٦ — الجيش وفن التعبئة

كان جيش زعماء الهندوس يؤلف من طبقة الأكشترية ، وكان مما يخالف الشريعة أن يتعاطى أكشترى غير مهنة الجندية ، والشريعة كانت لا تأذن لأكشترى فى تعاطى مهنة أخرى إلا عند أقصى الضرورة ، والأكشترى كان يمسى جندياً حتى فى زمن السلم .

وقد روى ميغاستين وجودَ معسكر جامع لجيش الهندستين مقدّراً عددهم بأربعمائة ألف ، فكان هؤلاء يقضون أيامهم فى تمرين قواهم وجدّهم فى اللعب والشرب والنوم ، وكان الملك يرضيهم من حين وحين .

وتعجب ميغاستين من نظام ذلك المعسكر المحتوى على أربعمائة ألف مقاتل ونظافة هندوس ، وروى أنه لم يسمع من الأخبار السيئة عنه سوى سرقة جندى منه بعض ما عند جندى آخر .

وكان الفرسان يحتشدون عند أول نداء ، وما كان عليهم أن يتخذوا عدة ولا أن يجهزوا حصاناً أو مركبة ، فكان الملك يقوم بجميع ذلك ، ولذلك كان يخصص معظم نصيب هذه الحصص كما أسلفنا ، وكانت قوة الجيش وأهميته تتجلى فى فيلته من الركبان والمشاة والخيل ، فكان يركب كلَّ فيل أربعة رجال وثلاثة نشابة وسائق ، وكان يركب كلَّ مركبة ثلاثة رجال ونبّالان وسائق

« قوة الجيش في الفيل على الخصوص ، فلا شيء تعدل الفيل ، فمثله أعضاء الملك وعدته أسلحة تامة ، وفي الحصان تتجلى قوة الجيش أيضاً ، فالحصان حصن متحرك ، فالملك الذي يملك خيولاً أكثر من عدوه يكون النصر حليفه في ميدان الوغى

« لا بد لمن يقاتل في السهول من المراكب والخيول ، ولا بد لمن يقاتل في أماكن المياه من سفن والفيول ، ولا بد لمن يقاتل في الأدغال من الأقواس والنبال ، ولا بد لمن يقاتل في الميادين من السيوف والتروس وما إليها من الأسلحة »

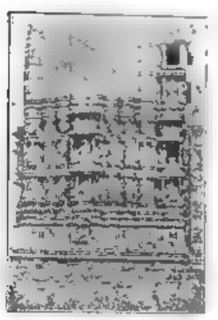

٢٠٢ — كهجورو . دقائق نقوش معبد موردها

لم نقتطف ذلك القول من شريعة منو ، بل أخذناه من مختارات الأقاصيص التي جمعت بعد زمن عرفت بالهند حديثاً ما رأينا فيه من دقائق الطبائع الحربية موافقة لعادات العصر البرهمي

ومن تلك المجموعة نقتبس الأسطر الآتية التي تشير إلى حرب الاستيلاء أكثر من أن تشير إلى إحدى الحملات العادية ما ذكر فيها النساء وما يرافق الجيش من كل نحيف .

« يجب أن يكون القائد العام وأشجع الجنود في مقدمة الجيش ، وأن يكون النساء والأمير والمال وكل نحيف في القلب ، وأن يكون الخيل والمراكب والفيول والمشاة في الميمنة والميسرة

« ويجب على القائد الساعد أن يكون في المؤخرة وأن يشدّ عزيمة كلّ تعِب ، ويجب على الملك ، ويعضده وزراؤه وأعوانه ، أن يقود الفيلق المهمّ من الجيش »

وإذا نظرنا من أمر الجيش من حيث فنّ التعبئة أبصرنا الوصايا الثلاث الآتية التي اقتطفنا أولاها من المهابهارته واقتطفنا الأخريين من شرائع منو وعرفنا أنها تأمر باتباع تلك السنّة :

« يجب على من يرغب في النصر المؤزّر أن يحوش جيش العدو فيبيده بالتدريج ، ومن السهل قهر العدو إذا ما أنهك مدةً طويلة »

« وإذا أحيط بالعدوّ وجب عليه توطيد معسكره وتخريب أملاك العدو وإتلاف ما عنده من الكلأ والقوت والماء والوقود »

« وليهدم أحواض العدوّ وحصونه وخنادقه وأسواره نهاراً وليبتعد عنه ليلاً »

وقد وجدت في كتب الهندوس نصوص على ضروب الخدائع الحربية والحيل السياسية ، ووجدت فيها أيضاً شعائر تنمّ على رحمة فيها ، مثلاً ، تنهى عن استعمال الأسلحة الغادرة التي تحدث جروحاً بليغة خطرة كالسهام السامّة ، وهي تنهى عن الإجهاز على عدوّ عاجز عن الدفاع كأن يكون قد سقط صريعاً أو أن يكون مبارزاً مجاهد آخر ، فإليك ما جاء في شريعة منو :

« لا يجوز لمحارب أن يقاتل أعداءه بأسلحة غادرة كالعصيّ ذوات الخناجر المكنونة النُّشب أو النِّبال ذوات الأسنان أو السهام السامّة أو الحِراب الملتهبة

« ولا يجوز لمحارب أن يضرب عدوّاً ماشياً إذا كان هو راكباً مركبةً ، ولا رجلاً مخنّثاً ، ولا مستكفّاً طالباً الرحمة ، ولا من يُفلت شعره ، ولا من هو جالس ، ولا من يقول : أنا أسيرك . »

وأوصى [illegible] الأعداء [illegible] على أن [illegible] من [illegible] السياسة فقال

« لا [illegible] إلا [illegible] من الضعيف الذى [illegible] أملاكاً »

و [illegible] كثيرة على أن يُعطى البراهمة [illegible] حق الشعوب التى أصبح [illegible]

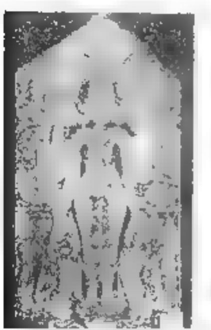

٣٣ ـ [illegible]
([illegible] (القرن العاشر من الميلاد)

« [illegible]
إلى الحقد أوسع [illegible]
[illegible] القلوب قد [illegible]
[illegible] »

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الشعوب

« [illegible] على [illegible]
[illegible] الشعب [illegible]
من [illegible] ، [illegible] النعم ،
[illegible] ، وليحترم [illegible] كما هى ، وليقم على أموره وأعوان
[illegible] »

وكانت الحرب تُعَدّ أمراً خطيراً سيئاً ، فعلى وليّ الأمر ألا يلجأ إليها إلا بعد أن يعدل منها فى خاتمة من الوسائل السلمية لاجتنابها ، قال منو :

« يجب على الملك أن يبذل جميع جهوده فى حمل أعدائه على الخضوع فلا يُقصّر فى مفاوضتهم ولا فى تقديم الهدايا إليهم ، ولا فى نشر بذور الشِّقاق بينهم ، وليَعمل ذلك دفعة واحدةً أو على انفراد مُتجنّباً القتال .

« ولمّا كان لا يُعلَم تماماً من سيخرج من حرب منصوراً ومن سيخرج منها مقهوراً وجب أن تُجتنب ما استُطيع

« فإذا لم يستطع أن يجد واحدة من تلك الوسائل الثلاث وجب عليه أن يحارب ببسالة ليغلب العدوّ » .

٧ — الزراعة والتجارة

الويشية هم الذين كانوا يمارسون الزراعة والتجارة ، بيد أن أبناء هذه الطائفة كانوا لا يستغلون لحسابهم الخاص وإن استطاعوا أن يملكوا وأن يثروا ، فالملكُ هو مولاهم ، وهو مالك الأراضى الحقيقىّ ، وكان الزارع المهمل يُجازى لإضراره حقوق المالك فضلاً عن الفقراء ، قال منو :

« تُغرَّم الزارع الذى تُتلف مواشيه حقله أو الذى لا يَبذُر الحبّ فى الوقت الملائم غرامة تعدل ثمن حصّة الملك من الغلّة عشر مرات إذا حدث هذا بإهماله ، أو نصف هذه الغرامة إذا نشأ الإهمال عن أُجرائه من غير أن يَعلم »

وكان الملك ينظم بنفسه أمور البيع والشراء ويحدد أثمان السلع وقيمة الضرائب
ويراقب الموازين والمكاييل [illegible] ؛ جاء في شريعة منو
« يجب على الملك أن يضع قواعد لتسعير أمور البيع والشراء بعد أن ينظر في
مسافة [illegible] التي تجلب منها السلع الأجنبية وإلى مسافة التي [illegible] السلع المحلية وفي
[illegible] وفي [illegible] ما يمكن أن يربح منها وما [illegible] من نفقات
« ويجب [illegible] أن [illegible] أثمان السلع علنية في كل خمسة أيام أو
خمسة عشر يوماً
« ويجب [illegible] ، وللموازين والمكاييل [illegible] ، [illegible]
في كل ستة أشهر مرة »
وأكثر [illegible] والمكاييل استعمالا ما كان مصنوعاً من الذهب والنحاس
والفضة ، وكانت [illegible] من أقسى العقوبات على من [illegible] في [illegible] أو نوع
سلعة ، ففي شريعة منو
« يغرّم من يخدع في أمر الضرائب أو من يبيع ويشتري في غير الأوقات أو
من [illegible] في ثمن السلع ثمانية أمثال القيمة
« ويجب ألا تباع سلعة مخلوطة بغيرها على أنها غير مخلوطة ، ولا أن
تباع سلعة رديئة على أنها جيدة ، ولا أن تباع سلعة أخف من مقدار وزنها ، ولا
أن تباع سلعة غير مختومة ، ولا أن تباع سلعة مع إخفاء عيوبها »
وما كان [illegible] الكفاية [illegible] المشتغلين بالتجارة والضرائب الثقيلة على
البيع والشراء [illegible] ذلك من القيود الشديدة [illegible] ذلك الشعب [illegible] هندي
الذي [illegible] الذي [illegible] فضلاً عن الاستبداد الإداري ، وما كان لذلك الشعب أن

[illegible] من هذا ، فقد كان يرى تُقابل ما سمع به من السلام الذى هو أحسب الأموال .

وكان مُنْظِر [illegible] ، على شئون الحرب ، وكان الويشى [illegible] عسكرية [illegible] هذه الخدمة على [illegible] ، و[illegible] الأكثرية عن الثغور [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وكان الويشى [illegible]

[illegible]

وكان الويشى [illegible] مربين ، فكان له بهذا حق [illegible] الشودرا ، وما كان له أن يقوم بالأعمال الدنيئة .

[illegible]

[illegible]

[illegible] الراية أو أسير المعركة ، والأجيرُ بشرط [illegible] أو الموهوب ، والعبدُ الموروث ، [illegible]

« ولا يملك الولد والزوجة والرقيق [illegible] »

« وعلى ما نراه من [illegible] لا تخلو هذه الشريعة من رحمة ، فمن [illegible]

« لا يجوز [illegible] على الأعمى [illegible] والأكسح [illegible]

ومن [illegible] »

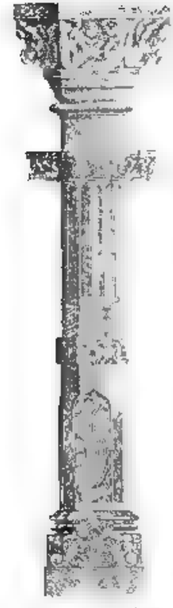

٤٤ — كهجورا : عمود في معبد شيوا القائم في معبد كالنجر الجبال كهجورا نحرق (يبلغ ارتفاعه ستة أمتار و ٩ سنتيمتراً)

وكان لصاحب القصير لا يُطالب بغير عمل يوم في الشهر ضريبةً.

والمرء يحتار حين يقرأ بين نصوص تلك الشريعة ، الواضحة الدالة إجمالاً ، نسبة الربا الفاحش الذي كان يترجّح ، بحسب الأحوال وفي العالب ، بين ٢٠ و ٢٤ و ٤٠٠ و ٥٠٠ في المئة ، ٠٠٠ في شريعة منو

« ويقبض الدائن المرتهن في كل شهر واحداً من ثمانين في المئة أو واحداً وربعاً زيادةً على رأس ماله .

« وليقبض ، عند عدم الرهن ، اثنين في المئة في كل شهر، ذاكراً أهل الخير والصلاح ، فهو إذا ما قبض اثنين في المئة لا يُعدّ مقترفاً لذنب الربح غير الشرعي .

« ويقبض ، فقط ، في كل شهر اثنين في المئة من البرهمي وثلاثة في المئة من الأكشتري وأربعة في المئة من الويشي وخمسة في المئة من الشودري ، وذلك بحسب الترتيب الطائفي

« ولا يجوز أن تزيد الرباء على رأس المال إذا قُبض مع رأس المال من غير مشاهرة ولا مياومة ،

ويُضيع [illegible] من الماشية أصحابه عند [illegible] الحبوب والفواكه [illegible] والسَّبيب [1] والموت [illegible] من ذات القيمة .

ولا نستطيع أن [illegible] الصيغة الشائعة والتجربة في [illegible] في العصر [illegible] لأن [illegible] في [illegible] شريعة حمو[illegible] .

« [illegible] على [illegible] أن يقوم ، كادحاً ، بمهنته وبتربية المواشي

« [illegible] الوشي ليقوم بتر[illegible] ولا [illegible]

ولا يتبع ويشى هواه [illegible] تشاغل عنها وتجب ألا يقوم آخر مقامه عنها .

« و [illegible] على [illegible] والشيح والعطور والتوابل

« [illegible] والأضحى [illegible]

« [illegible] على [illegible]

« [illegible] على [illegible] ح [illegible] عند البيع وما تزيد به المواشي من الوسائل

« [illegible] إلى [illegible]

---

(1) السبيب : من الفرس شعر الذنب والناصية والعرف .

« ويستبدل بجوده في إنعامه [illegible] حلالاً ، ويُمَن بإطعام ما عنده من الخلائق الحيّة »

٨ — أحوال النساء

لم يكن للمرأة في العصر البرهمي ، كما كانت في العصر الويدي ، المقام [illegible] في [illegible] ، ولا [illegible] روحها شرف تقريب القربان ، فقد [illegible] ، وفي [illegible] كما يأتي :

[illegible] أولادهن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

« [illegible] فلا ينبغي لها أن تسير كما تريد »

[illegible] على نظام الطوائف الجديد القائل بالتفريق [illegible]

[illegible]

[illegible]

كل [illegible]

[illegible] لتحلشها ، جاء في شريعة منو :

« [illegible] يراقبوا سلوك نسائهم [illegible]

[illegible]

« فالحق أن الزوج يصون بحرمته وتقاليده وأسرته ونفسه وحقه بدا ماصان زوجته

« ويجب على المرأة الصالحة أن تقدس زوجها على الدوام كإله ، وإن كان فاسد السيرة متعلقاً بصاحبات الخيدة منهمكاً في ضروب العشق والغرام

« والمرأة إذا سكن وفية لزوجها غدت عرضة للخزي في الدنيا ، وبعثت بعد موتها في بطن ابن آوى أو أصيبت بعده بالجذام والسل » .

ولا حُرم تبدل زناء الأزواج، في شريعة منو :

« يؤدي زناء الأزواج إلى اختلاط الطبقات ، وهذا الاختلاط يؤدي إلى انتهاك الواجبات وهلاك النوع البشري وخراب الكون »

والعقوبات التي تُفرض على المرأة الزانية وشريكها في الدنيا هائلة ، وتبدو هذه شدة عندما تكون الزوجة من طبقة رفيعة على الخصوص ، جاء في شريعة منو

« إذا كانت المرأة المحفوظة بأسرتها وصفاتها غير وفية لزوجها خانته وجب على الملك أن يدع الكلاب تفترسها في مكان عام

« وليحكم على الزاني منهما بالحرق على سرير من حديد مُحمّى على أن يزيد منفذو الحكم النار سعيراً بالحطب إلى أن يُحرق الفاجر »

وودّت شريعة منو ، التي قدّرت ضعف المرأة الشديد وتقلب سجيتها فتكلمت عنها برحمة مع الازدراء ، أن تتساوى معها فخففت نتائج الخطيئة تلك التي لم يعرف أن يصونها وتلك التي أغواها فقالت

« إذا حدث أن اقترف الزوج في عداً جنيتي وجب عليه ألا يحرّم زوجته وسائل العيش قبل أن يعيب ، فالمرأة التي نغصها البؤس قد تأتي المنكر ولو كانت صالحة

ويقف حيالك من عوامل [illegible] الآخر من حيث تقطيع بعض أعضائه

[illegible] مسرحه [illegible] على [illegible] من [illegible] روحه والمعه [illegible] مثل [illegible]

[illegible] على [illegible] ، [illegible] سعادة العرب في [illegible] و [illegible]

[illegible] على [illegible] [illegible] روحه [illegible] فلا يستطيع

[illegible] معه [illegible] وكان [illegible] لا [illegible]

٥٥ ــ مثل آخر ، داخل مسجد وعلا شاه
(القرن الحادى عشر)

« [illegible] أن الزوجة الطيبة المتصفة بالأخلاق الصالحة لا تحق زوجاً آخر تحبه [illegible] ولو كان [illegible] مريضة ، ولا يجوز أن يتزوجها [illegible] »

ويجب على الزوج أن يُدخل السعادة إلى قلب زوجته قبل كل شيء ، فما [illegible] المرأة [illegible] أن لا تكون موضع احترام ممن يحيطون بها ، جاء في شريعة منو :

« [illegible] لا تحترم [illegible] ، ولن يكون للعمل الصالح ثواب [illegible]

« والسعادةُ كلُّ السعادة في الأسرة التي يتحابُّ فيها الزوجان .

« يجب أن [illegible] الزوجات [illegible] [illegible] بضروب الاحترام [illegible] إذا رغبوا في الفلاح »

ويجب ألا [illegible] احترام الأولاد وإطاعتهم لأمهم عن احترامهم لأبيهم وإطاعتهم له إن لم يزد ، فقد جاء في شريعة منو

« يجب [illegible] ما يروق أبويه ومعلمه و[illegible] على الدوام وفي كل حال ، فإذا [illegible] ذلك [illegible] نواماً

« والمعلم أجدر بالاحترام من عشرة مربّين ، والأب أجدر بالاحترام من مئة معلم ، والأم أجدر بالاحترام من ألف أب »

ولم يكن النكاح تجارة ، فليس لوالد الفتاة أن يتلقى مالاً ولا أن يُعطي عطاءً ، ومن كان [illegible] عليه أن يبحث عن أخلاق الخطيب ، قال منو

« يجب على والد البنت ألا ينال مالاً عندما يزوجها ولو كان شيئاً يسيراً ، لما يدل عليه ذلك من بيعها [illegible] .

« وأحرى بالبنت الصالحة للزواج أن [illegible] »

[illegible] لأعلاه [illegible] »

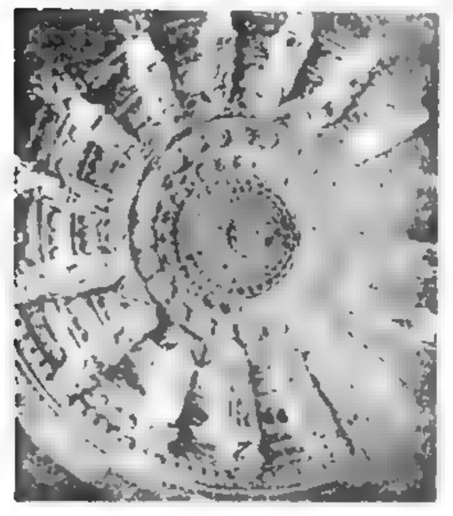

٥٦ — [illegible] آخر [illegible] قبة المحراب في مسجد وعلا شاه
(مجموعة [illegible] النقوش)

والخلاصة أن شريعة محمد ، إذا تمت [illegible] لا [illegible] في مسائل النساء ومكانة

أحلامهن ، وربما كانت قد تحدثت عنهن مثل ما جاء في الزرع وبعد من القول الشعري والكلام العذب ، وقد كانت المرأة تشغل مكانة كالذي كان لهن عند قدماء الآريين ، فعدت هي ، مع ذلك ، مكانة مهمة في المنزل والمجتمع ، فالأسرة في تؤسس على حسب شريعة منو ... وسكون ... وحياتهم ... ، جاء في تلك الشريعة :

« أمر واجب على الزوجين أن يبقى أحدهما للآخر وفياً حتى الموت ... » وما على الزوجين من ... .

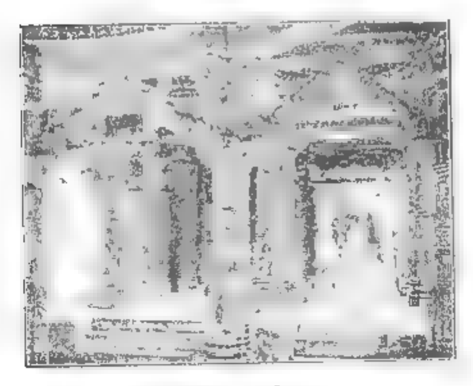

٤٧ — تل آبو ـ معبد ورج بال تيج بال المعبد
(القرن الثاني عشر من الميلاد)

وليس في شريعة منو ذكر لعادة حرق الأرامل على موقد زوجها التي لم تزل عن بلاد الهند إلا في أيامنا ، وكانت العادة أحدث شيء في ذلك الزمن مع ذلك ، فقد روى خبرها مؤرخو الفتح المقدوني من اليونان

٩ — معتقدات الهندوس الدينية

قبل الميلاد بثلاثة قرون أو أربعة قرون

ظهرت البدهية في الهند في العصر البرهمي ، وكاد يكون لا شأن فيه ، فقد تحدثت مباحثنا عن رهبان البدهيين وعن مذاهبهم الحديثة التي كانت حديث القوم في زمانه وعن معارضة البراهمة لها ، غير أن البدهية لم يستفحل أمرها فتصبح دين الهند الرسمي إلا بعده قليلاً ، أي في عهد أشوكا الذي ظهر قبل الميلاد بقرنين ونصف قرن كما نرى ذلك في فصل آت ، وأما الآن فإنا نبحث في الديانة البرهمية قبل المسيح ببضعة قرون

ظل دين القوم ، من الناحية النظرية على الأقل ، كما هو منصوص عليه في كتب الويد ، فقد ثبتت هذه الأسفار الكتب المقدسة المعتبرة التي يحتج بنصوصها على العموم ، بيد أن المعتقدات تطورت تطوراً شاملاً مع هذه الآلهة القديمة ، فترى من جهة ظهور تصورات فيما بعد الطبيعة جديدة حول مقادير الإنسان ومصير الكون وأسبابه ، وترى من جهة أخرى تحول الدستور الكهنوتي من دستور شديد إلى الدين ، وبلغ أمر الطقوس وتقريب القرابين من الآلهة ما تحول معه إلى قدرته السحرية غدت تفوق قدرة الآلهة ، وإقامة الشعائر هي التي تهم قبل

كلّ شيء [illegible] شعائر خافية مُعقدة كثيرة ، و[illegible] عاصر مصر ؟ قد عمت في عهد [illegible] القديم [illegible] إلى الأبد على الآلهة الحقيقية التي وصفتها كتب [illegible] بالقول الرائع والخيال الساطع ، فصرت لا تبصر في الشرق ذلك [illegible] اللطيف ، ولا ترى كوكب [illegible] فوق مركب النصر ، وصرت لا تشاهد [illegible] سوق [illegible] الإلهية إلى مرعى السماوية [illegible] الأرض [illegible] ، [illegible] تقدمت هذه الأساطير [illegible] كانت [illegible] في الغموض من الخيالات .

ولا ندرس في هذا المطلب بالتفصيل علم اللاهوت البرهمي القديم الزاخر بدقائق الشعائر وتقريب القرابين ، وإن كنّا نعود إلى ذلك ، مع تعديل ، في الفصل الذي [illegible] البحث في ديانات الهند الحديثة ، وكلّ ما نعنيه الآن هو أن [illegible] المعتقدات منتشراً في ذلك الحين ، وهي ما نرى عرضه بوضوح في [illegible] عبر تكرار ما يقوله الويدا والأوبانشاد [illegible]

٥٨ — [illegible]
(أنشئ في القرن العاشر من الميلاد على ما يحتمل)
([illegible] ارتفاعه نحو ٣٤ متراً)

ثم [illegible] الآلهة المعقدة الأمر في [illegible] ، فتجمعت مؤخراً في شخصي شيو وفشنو [illegible] كانت عليه في العصر الويدي ، فأمست هذه الآلهة غير

مظاهرَ مجردةً تاركة للإله الأعلى برهن الذي عمّتْ الحياة في كلّ موجود ، وتبقى الإله برهن ، مع ذلك ، الربَّ الأسمى الخالقَ لكلِّ شيء ، ولكلِّ موجود والمهيمن على العالم الذي خلقت به كيب ونوت ، فهذا الإله ليس مستقلا منفصلا عن عدم مديره للكون ، فهو يوجد كل مُوزّعٌ في جميع المخلوقات المترجحة بين أصلها وأحطها شطرها [illegible] من أسمها وكلامه [illegible] وتحوله [illegible] [illegible] العسير ، [illegible]

« [illegible] الروح الطيب في [illegible] المخلوقات وأسفلها

« في جوهر تلك الروح الطيب [illegible] ، كالتشرير ، [illegible] لا يخشى من أصوب [illegible] هذه الأصوات الصادرة [illegible] على الدوام »

[illegible] الروح الطيب في جميع المخلوقات ، [illegible] على الإنسان أن يحترم كل هذه المخلوقات ولو كانت من الحيوانات الضارة أو الحشرات [illegible]

« والإنسان ، حين تعرف حقّ الروح الطيب في روحه خاصة وفي جميع المخلوقات ، [illegible] [illegible] أي بأحسن مصير .

« [illegible] العقوبة عن [illegible] من [illegible] أو مخلوق آخر [illegible] ، [illegible] له [illegible]

« و[illegible] ، أيضاً ، [illegible] حيوان صغير ذي عظام وقتل من غير ذوات [illegible] مركب [illegible] عند ما يقتل شودرياً » .

[illegible] الروح [illegible] على [illegible] روح في كلّ حيّ [illegible] من سكان الأعلى ،
[illegible] الروح [illegible] من مجموع أرواح الآلهة والناس والحيوانات ، والله ، متعدد وعين [illegible] ، هو مصدر كل عمل وكل حياة وكل [illegible] .

« ألا إن الروح هى مجمع الآلهة ، وإن الروح العليا هى مقر الكون ، وإن الروح هى مصدر أعمال ذوات الحياة »

وليس رب الكون الأعلى بالذى تصوره العين ، فهو غير الهيولانى القاهر الذى ينتشر فى الكون فيهب له الحياة كما هو شأن الأثير القديم ، وهو النور القوى الموجود فى كل مكان ، وهو الذى يحدث الترجح له مرجعة فتستمر سريانه فى عروقه ، جاء فى شريعة منو :

٥٩ — [illegible] (يبلغ ارتفاعه الآن نحو ٢٦ متراً ، وقد كان ٣٠ متراً قبل أن يهدم أعلاه فى الأرجح)

« يجب على الإنسان أن يعلم أن الموجود الأعظم هو رب الكون الأعلى ، وأنه أدق من الذرة وأنه أسطع من الإبريز[1] وأنه لا تدركه الأبصار إلا فى منام على وجه مجرد »

(١) الإبريز : من الذهب خالصه

« فبعض الناس يعبده في عنصر النار ، وبعضهم يعبده في شخص سيد المخلوقات [illegible] ، وبعضهم يعبده في البدن ، وبعضهم يعبده في عنصر الهواء الخالص ، وبعضهم يعبده في روحها الأولى .

« ذلك هو الله الذي [illegible] جميع المخلوقات [illegible] مؤلف من العناصر الخمسة [illegible] المخلوقات بعد أن ولدها ثم [illegible] ذلك كله بحركة تشبه دوران الشعلة »

وخلاصته أن ذلك هو مذهب وحدة الوجود ، ويشكل ذلك نص مذهب وحدة الوجود [illegible] الظاهرة التي عرفها الأريون ، [illegible] عقيدة [illegible] على [illegible] من الشعب والأمة وعلى [illegible] ، أي هو مذهب وحدة الوجود الأكثر حرية وقولا بالقضاء والقدر ، هو مذهب وحدة الوجود الذي [illegible] الله [illegible] [illegible] ، هو مذهب وحدة الوجود الذي يجعل الله يسير في العناصر ، هو مذهب وحدة الوجود الذي [illegible] على [illegible] [illegible] يعيش فيه

وعلى [illegible] أن يحيى ذي حياة رحمة لا [illegible] سوى [illegible] هندوسي [illegible] ، فذي حياة لإنسان ليس [illegible] الصور ، فالولد الذي يولد لا بد من أن يكون قد حاور عدة أطوار قبل أن يولد ، والأشخاص الذي يموت لا بد من أن يولد ويموت أيضا عدة مرات في عدة أجسام .

ونجد في شريعة منو تفصيلا واضحا لمذهب تناسخ الأرواح الذي هو أساس

تنجم عن العقد النفسية ومن النفحية ، وتجد فيه رأياً ، متصلاً بمذهب الكرمه متى يرى أن عمل الإنسان في هذه الحياة يجب بعض الحين التي تولد مرة أخرى [illegible] مرة ، كذلك ، جميع المذاهب الهندية التي انتشرت في الهند فيما بعد

والحياة التي تعقب الحياة الأولى تكون طيبة أو خسيسة بحسب حسن أعمال الأولى وخبثها ، فيولد الشخص [illegible] برهمياً أو هندياً أو [illegible] أو جندالا[1] أو قرداً أو خنزيراً أو حية ، جاء في شريعة منو

« [illegible] على السوء وقليلاً من السيئات فتقمصت جسماً من [illegible] خمسة تمتعت بطيبات [illegible]

« [illegible] على السوء وقليلاً من الحسنات [illegible] من عناصر خمسة وتقمصت [illegible] من [illegible] في هذا الباب الأمر كما [illegible] جسماً من العناصر الخمسة ، أي تكتسي بدناً

« [illegible] أن نوع التناسخ يكون على حسب [illegible] من [illegible] على الدوام

« [illegible] في جهنم [illegible] عنهم [illegible] المراحل الآتية تكفيراً عن خطيئاتهم

« [illegible] بحسب أهمية جرمه [illegible] كلب وخنزير وحمار وجمل وثور [illegible] وكبش ووحش وعصفور وجندالا .

---

(1) الجندالا هو [illegible] الشودرا [illegible] الشودرا [illegible]

« والرهمن الذي [illegible] تتقمص نفسه [illegible] أجساد العناكب[1] والأفاعي والحرابي[2] وحيوانات الماء [illegible] الأشرار »

وفي شريعة منو [illegible] مصير الإنسان على جميع أعماله في الحياة الدنيا [illegible] في [illegible] كثير [illegible] الأعمال [illegible] لا كما في النصرانية التي [illegible] الإنسان في يوم الآخر على [illegible] أو [illegible] مع النظر إلى التوبة في الساعة الأخيرة [illegible] في شريعة منو

« [illegible] فيكون طيبًا أو متوسطًا أو [illegible] »

[illegible]

[illegible] الشديدة

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible]

ومن عجائب ما في شرائع منو من الأوامر الشديدة يتبين ثقل النير الذي كان مفروضاً على الهندوس وأثره في أدق شؤون حياتهم في العصر الذي نحاول بحث وجهه، و [illegible] الفرق بينه وبين أدب آريي العصر الويدي السمح اليسير، فالحق أن الأمر تغير وأصبحت شعوب الأجيال القديمة الحرة السعيدة قطيعاً من الرعايا الخوف الذين يسحق قلوبهم الذعر والألم إذا ما ساروا على الدوام

ذلك أمر المجتمع البرهمي القديم، وهذه مبادئه الأساسية في المجتمع البرهمي [illegible] حتى في الهند الحديثة، [illegible] أنك ترى شدة [illegible] قد خففت بعض [illegible]

و [illegible] البرهمية [illegible] حول النفوس ما كانت تقضى به [illegible]، وكانت وطأة النير شديدة على النساء في أدق أعمالهن [illegible] سوى [illegible] حية [illegible]، فيبدو لهم كل شيء [illegible] هو وحده [illegible] في [illegible] في [illegible] في [illegible] لا [illegible] يصورها خيال إلى أن يتذوق [illegible] في السكون، و [illegible] في [illegible]، ومن طبيعة الأمور أن تنبثق فجر الأمل في تلك الأمم المشقية من خلال الضغط المشتد عليها، ومثل هذا حدث [illegible] في [illegible] حين ظهر المسيح [illegible] الأسباب

[illegible] في الهند أيضاً [illegible] الذي جاء [illegible] كانت النفوس الشقية منتظرة من

القول العذب ، فكان لهذا القول صدى بعيدُ المدى في أرجاء آسيه ، فوجدت به ملايين البشر ، الذين حنا كواهلَهم نيرُ الطوائف وأثخنتهم قيود الدين الشعبية وأوهمتهم أنواع العذاب الأبديّ المنتظر الذي لا مفر منه ، ريحاً طيبةً مفعمة حناناً ورحمة وإحساناً .

كان بُدّهة شكيه موني ذلك المنقذ ، وكانت البُدّهيةُ تلك البُشرى الطيّبة .

الفصل الثالث

حضارة العصر الذهبي

[illegible]

١ — الوثائق التي يُستعان بها في تمثُّل المجتمع الهندوسي

حول القرن [illegible] أو القرن الخامس قبل الميلاد

[illegible] العصر الفيدي من القرن الثالث قبل ظهور المسيح إلى القرن [illegible] بعد ظهوره، فتحتوي هذه العصر على مدة ألف سنة تقريبا [illegible] ظهور [illegible] في [illegible] الألف هذه [illegible] في أن [illegible] المحبة [illegible] بقائه من خلال هذه المباني وما كُشف عنه من المسكوكات القديمة [illegible] على شيء [illegible] الهندوسية في ذلك العصر، غير أن [illegible] ذلك العصر [illegible] طبقة [illegible] دفينة تحت طبقة من الظلام الدامس.

[illegible] على كل [illegible] أن كتب [illegible] هذه [illegible] وكانت [illegible] تكون [illegible] كل شيء عن شأن الذهنية [illegible] أمرها مع أن الشريعة [illegible] من [illegible]

[illegible] كثيرة الوثائق التي تؤدي إلى [illegible] أسطر عن [illegible] السنوات الألف من تحت [illegible] ومن هذه الوثائق [illegible] في [illegible] الأولى [illegible] التي [illegible] الفنون [illegible] ومن أقدم هذه الوثائق وأكثرها قيمة [illegible] الأعمدة التي ملأ [illegible] ولاياته الواسعة بها [illegible] الميلاد بثلاثة قرون أحكام [illegible] جديدة لدى الهندوس

ومن الوثائق التي يستعان بها في ذلك نذكر أيضاً مجموعة مخطوطات نيبال السنسكريتية الخاصة بالديانة البُدْهية تقريباً، ومنها « زهرة الشرع القويم » و « للتيا وستارا » أهمّ ما نُقل إلى اللغات الأوربية منها، وتُضاف إليها « تواريخ ملوك كشمير » التي هي، بالحقيقة، أقاصيص خرافية لا تمتُّ إلى التاريخ الصحيح بصلة، كما تضاف إليها رحلة الحاج الصيني فهيان الذي زار الهند في القرن الخامس ورحلة الحاج الصيني هيوين سانج الذي زارها في القرن السابع من الميلاد .

٢ — القصة البُدْهية

من ختام العصر في القرون الأولى المذكورة آنفاً، أي في كتابات أشوكا التي نُقشت قبل الميلاد بقرنين ونصف قرن، وجود تحول عميق في العالم البرهمي القديم، وبيان الأمر أن من مطالعة شريعة منو تكشّفت لنا استعباد أحيان كثيرة من الناس غير ذي رفق دقيق شديد، ومن مطالب تلك بمقدار الضيق لدى كل مستعبدٍ على كثير من الآدميين الذين كان أقلّ دنس فيهم أو حسن نية الواحد منهم يؤدي إلى أخطر تكفير، والذين لم يكن بينهم اشتراك في أحسن البيئات، فكان بعضهم ينظر إلى بعض من فوق الحواجز الطائفية، فإذا تناول الواحد منهم، بحسب الأحوال، كأس ماء من آخر أو قال له قولاً ليِّناً مروحاً فطيب القلب غدا مقترفاً جرماً لا يُمحى إلا بالتوبة والتكفير الطويل، فبينا كان القوم على ذلك أسهم ريح طيبة فيها حنان ورحمة، فسقطت القيود وتفتحت القلوب وصار وجه الأرض سعيداً ،

فقد صلح مصلح كبير مُصلح (١) فكان شرعُ عطفٍ وكان شرعُ محبةٍ شاملٍ لجميع الخلق مؤلفٌ لما بين الطوائف .

لم نعرف حياة المصلح الشهير الذي تُقدّس اسمه وذكراه [illegible] من البشر، لأن من الشعر الأسطوري ، فمن خلال هذه الأساطير [illegible] أن نستخلص [illegible] [illegible] التي وُضعت في [illegible] في أوائل [illegible] الميلادي ، [illegible] هذه الأساطير [illegible] [illegible]

[illegible]

وهاهم النقّاد المعاصرون [illegible] المصري [illegible]

(١) [illegible] .

ويعدو دون الأسطورة البوذية [illegible] ولا أن [illegible] شاكيه موني [illegible]
[illegible] القديمة التي [illegible] من أسطورة وشنو وأسطورة كرشنا ، فالحق أن معظم
[illegible] بوذا هو ، كما [illegible] من الأساطير القديمة وأن من
الممكن [illegible] عقائد [illegible] كانت موجودة فيه

[illegible] محمد [illegible]
[illegible] على [illegible]
على [illegible] مع ذلك ، هو أن
[illegible] سواء أكان
[illegible]

[illegible] بوذا على [illegible] لا [illegible] قبل [illegible] ،
[illegible] بوذا ولد [illegible] قبل ظهور المسيح بخمسة قرون في كبيلا وستو الواقعة في
جنوب نيبال [illegible]
[illegible] أصبح [illegible] بوذا [illegible] ولد [illegible]
[illegible] فلقب بشاكيه موني كان
[illegible] ومع ذلك ، [illegible]
في [illegible] عرش كان [illegible]
[illegible] عجيبة من كل
وجه بين صيام عيسى في البرية حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات وصيام
شاكيه موني في الأجمة حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضاً ، وقد [illegible]

ما حدث عند الحكيم الهندوسي مع المرأة التي طلب منها أن تسقيه بما حدث لعيسى مع السامرية وما قاله لها

وتزيد أوجه الشبه تلك أهمية عند الوقوف على تشابه تينك الديانتين موضوعاً فضلاً عن الشكل، فكلتاهما تأمر بالإحسان والمساواة والزهد، وكلتاهما تمقت الخطيئة وتنهى عن التمسك بالأعمال، وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية، وكلتاهما اعتنقها ملايين من البشر بروح واحدة ووسائل واحدة، فصلح الغرب بالنصرانية وصلح الشرق بالبوذية، وكلتاهما عنوان أمل سماوي واحد وما يكونان سوى وجهين لحادث مهم واحد في تاريخ أدب العالم، وليس مما يبالى به كثيراً أن تكون إحداهما مدينة للأخرى أو أن تكون كل واحدة منهما قد نشأت نشوءاً ذاتياً حراً مستقلاً عن نشوء الأخرى، فلا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب.

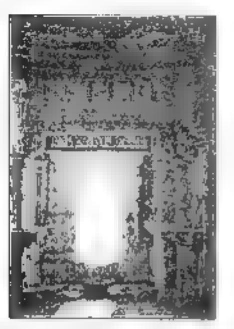

٦١ ـ [illegible] معبد بوذي في الصخر (القرن الحادي عشر من الميلاد) (أخذت هذه الصورة من غرنفل)

ذاع عن بوذا بعد أن كان طفلاً في قصر أبيه كل ما يمكن أن يجود به الجاه والثراء والجمال والصحة والفتوة من أطايب النعم، فلما بلغ سن الرجولة تزوج بفتاة حسناء كان يحبها فوضعت له ذكراً، في ذلك الحين الذي بلغ فيه أوج السعادة اتفقت له

[illegible] ثلاث مصادمات [illegible] مصيره وهي أنه [illegible] شيخ [illegible]
الأيام [illegible] فلا يكاد [illegible] من [illegible] ، وأنه [illegible] لا [illegible] بالدعوى [illegible]
[illegible] من الآلام ، و [illegible] مشوهة [illegible] والدماء [illegible]

[illegible] ؟ [illegible] ؟ [illegible] ؟

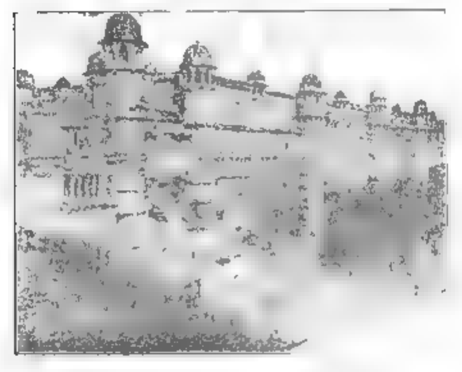

[illegible]

[illegible] من الثروة والقوة
لا [illegible] ومن [illegible] وعصابات من [illegible]
[illegible] ، وكيف [illegible]

بكنوزي وصحتي وزوجتي الفتاة الحسناء وولدي وأنا عارف بما ينتظرني ؟ أَخُنْ ، عندي من السعادة أقصى ما يطمع فيه رجل ، ولكن ما هو عيش أولئك الذين هم عاجزون ، أولئك الذين هم بائسون ، أولئك الذين هم مُسْتَضْعَفون ، أولئك الذين هم جائعون ؟

أسفرت هذه التأملات عن وصوله إلى النتيجة القائلة إن العالم ليس إلا مجموعة آلام فقال :

من أين يأتي الألم ؟ ما هو سببه ؟ كيف يكافح ؟

هنالك عزم بُدَّهة على اكتشاف مصادر الألم الملازم لكل موجود ومداواته ، ورأى أنه لا يستطيع أن يكون سعيداً ما دام أن للسعادة نهايةً وأن ما يتمتع به من سعادة زائلة أمر شاذ فترك زوجته العزيزة وولده الطفل وأباه الشائب وقصره وأجراءه وكنوزه ولبس ثوباً حقيراً وحمل بيده كَشْكُولاً وصار يجوب القرى ماشياً حافياً من الصدقات مفكراً في الحياة مُقَلِّباً لجميع وجوهها مداوماً على تأملاته

بيد أنه لم يصل بتلك التأملات إلى الحل المنشود فأراد اعتزال العالم فأوغل في الأدغال البعيدة مفكراً سابحاً في بحر من الرؤى ليالي سهاد

مرت السنون ، وكانت كلما مرت رأى شكه يقوى تُبعده من الغاية الغامضة التي يسعى إليها ، ورأى أن من العبث ما عرّض روحه وبدنه له من ابتلاء قاس وأن من العبث ما قام به من الصيام إلى أن فقد وعيه وكاد يقضي نحبه وأن من العبث أن يبحث في صميم الطبيعة ومصير الأمور بحثاً مجرداً ، فهو لم يصل ، بُدَّهة ، إلى درجة بُدَّهة ، إلى الدرجة التي يصبح فيها المخلوق الذي فوق البشر فيقدر على إنارة الناس وكشف الكروب عنهم .

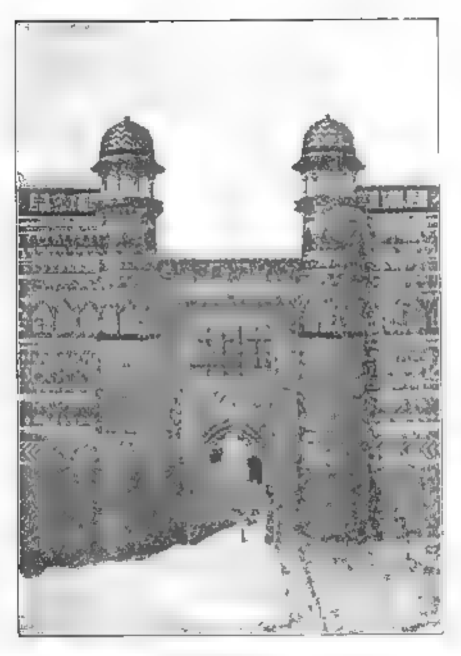

٣٠ . مدخل قصر كو [illegible]

[illegible] في الوصول إلى [illegible] الأسمى [illegible] العبارات [illegible] الشرعية [illegible] عليه [illegible]

[illegible]

وبيان الأمر :

[illegible]

وكما لم تسمع به أذن من وعود اللذات .

[illegible]
[illegible] التي نشرناها في هذا الكتاب

قالت بنات الطاغوت الساحرات لذلك الحكيم «تعالَ ، يا صاحب الوجه الذى يحاكى القمر وتطلّع إلى ذوات الوجوه التى تشبه الزهر النَّضِر والأصوات العذبة التى تسعد القلوب والأسنان البيض التى تحاكى الثلج والفضّة ، أتجد لك مثيلاً حتى فى معبد الآلهة ؟ أترى مثلنا فى منازل الإنسان حتى اللاتى ترغب فيهن آلهة الدرجة الأولى على الدوام ؟» .

ولكن شاكيه مونى صبّر على هذا الامتحان الساحر فأجابهن ، كما جاء فى الأسطورة التى نلخصها بما يأتى :

«أرى البدنَ الدنِسَ الرِّجسَ النَّجِسَ ينمو دوداً والسريعَ الالتهاب والزوال ومُدثّراً بالآلام ، فسأنال المجد الخالد الذى يقوم عليه سعادة العالم الثابت والمتحرك بأجمعه حتماً» .

فسمع شاكيه مونى القولَ العذبَ الآتى :

«لقد أبدين شعور الشهوة الأربعة والستين وأطلقن نُطُقَهُنّ وجرصانهن[1] وخلاخلهنّ وحللن ثيابهن ثملات ضاحكات ، فمن أى شىء أنت الذى يحتقرهن ؟»

غير أن شاكيه مونى قاوم المحنة بشجاعة فقال

«الخطيئةُ موجودةٌ فى كلِّ مخلوق ، ويعلم أمرها من جمع عقله بعد أهوائه ، ولا أعرف الشهوات إلا كالسيوف والسهام والحِراب والمُوسى المدهون بالعسل ورأسِ الأفعى والأخدود[2] النارية .

وفى الأسطورة أن شاكيه مونى «لم ينظر إلى تلك المخلوقات عشقاً ولا استحساناً ،

(١) الجرس : حلقة الذهب أو الفضة أو غيرها ـ (٢) الأخدود : الحفرة المستطيلة

فلا تزحف(1) الجبالُ وتُسخَّر(2) البحارُ وتُكوَّر(3) الشمسُ والقمرُ أقربُ من أن [illegible] ذلك لمن رأى سور [illegible] العهود الثلاثة »

[illegible] كبيرُ العفاريت ، [illegible] مع [illegible] مستمع [illegible] عن طلب الحكمة

قال العفريت : « أنا ربُّ الشهوة [illegible] »

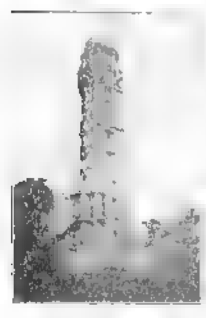

٩٤ — جتور . برج النصر (القرن الخامس عشر) (ارتفاعه نحو ٣٦ متراً)

[illegible]

فلما تم النصر [illegible] ، وابلٌ من الزهور جبينه فسمع صوتاً من السماء يقول له :

(1) [illegible] (2) [illegible] (3) [illegible]

« فتمنح الآلهة معظمَ من اللآلئ ، وتُغنّي ربات وأعلامٌ ، وتُمطر أزهارٌ وتنشر من الصندل ذرٌّ وعطورٌ على أقدام موسيقى . أيها البطل ، غلبتَ كتائبُ العدوّ بعد أن أحاطت شجرتك .

« أيها المظفّر ! اليوم ستبقى على حسن ذكرك ، الشعب حتى من سقط تبعه مسبوه ، واليوم تفتخر ملائك بمذهبه بعد أن هوت في حرب الشيطان »

وشجرة بوذا المذكورة هي التي كان يجلس تحتها بوذا ساكيه موني في أثناء غرسه ، وكانت تلك الشجرة مغروسة في شكل نعرف اليوم بذهنه عياناً والواقع أمام المعبد الذي نشر صورته في هذا الكتاب ، ولا يزال القوم يقدّسون ذلك المكان كما يقدّس اليوم بيت لحم الذي ولد فيه عيسى المسيح الدامي ، أجل ، تحولت تلك الأغصان ، التي كانت تقي بوذا حين تأمله ، إلى غبار منذ زمن طويل ، ولكن قوى الطبيعة حفظت ، على الدوام ، نسل تلك الشجرة وفي تمسكت

جاوز ذلك الحكيم تلك المحنة صاحياً فلقي الأمنية فانتهى إلى حل ما كان يساوره من المعضلات الهائلة ، فغدا « البدّا وشاكر »

« فجمع إذ ذاك أفكاره خالصة كاملة بريئة منزّهة عن الرجس عالية من الصدمة مرنة مهيّأة لأن أعدّت له ثابتة محافظة على العهد مستعدة لتلقي الحكمة الربانية »

« فرأى بالعين الإلهية الخالصة التي هي أرقى من العين البشرية كيف تحل أن الخلائق ترحل وتُبعث من طبقة طيبة أو من جمعة حقيرة وفي طريق قويم أو طريق ردي‌ء جائرة أو ناقصة تجربة ما أعمالها »

وتمثّل له مدى البؤس البشريّ من جديد فتبيّن له أن يكتشف ، في هذه المرة ، سببه والوسائل التي يزول بها زوالاً تاماً .

وعاد [illegible] يفكر في سلاسل العلل والمعلولات فرأى أن الشهوة أو [illegible] هي [illegible] الشرور ، وأن الوهم على رأسها . فالشهوة مستحوذة على الإنسان منذ ولادته و[illegible] نفسه كالعطش [illegible] بؤس الدائم الحياة الذي لا يروى له [illegible] ، وكيف نُرَوّي غُلّة هذا الظمأ ؟ [illegible] التي [illegible] والم [illegible] والروح والقوة و[illegible] إلا [illegible] ، و[illegible] إلا [illegible] ، و[illegible] كل شيء في سكون [illegible] ، و[illegible] كل شيء في السكون [illegible] ، و[illegible] كل شيء في السكون [illegible] الأوهام التي هي [illegible] ، [illegible] الا [illegible] إذا ما قتلنا الرغبة في أنفسنا وبدّدنا بذلك الأوهام فالآلام ؟

« هكذا [illegible] الذي ، الجهول [illegible] ، على الدوام ، [illegible] [illegible] فيصدر عنه الرأي والرؤيا والعمل والفهم والذكر [illegible]

« وهكذا [illegible] ، أيها [illegible] ، ما هو الألم وما هو [illegible] وما هي الوسائل التي [illegible] ، وعرفت ، أيضاً ، ما هو بؤس الشهوة و بؤس [illegible] و بؤس [illegible] و بؤس [illegible] وكيف [illegible] هذه الأبؤس وتزول فلا يبقى له أثر ، وعرفت ، أيضاً ، ما هو الوهم وما هو [illegible] ، وكيف [illegible] و يزول فلا يبقى له أثر »

[illegible] ، [illegible] مذهب [illegible] كنه [illegible] ، الذي أراد أن ينشره بين الناس [illegible] من تحت شجرة الحكمة وعاد إلى إخوانه ، على [illegible] الرغبة والتجرد من أمور

[illegible] كامل علي والدخول في مسكوت [illegible] الشعر [illegible] .

[illegible] موقى على [illegible] الى [illegible] [illegible] من [illegible] الصامت حيث [illegible] كثير من أحباب [illegible] . [illegible] الجوع ، والجوع [illegible] فيها صوت الشاعر وحده .

[illegible]

[illegible]

[illegible] الذي كان [illegible] فأصبح ، [illegible] كيف [illegible] كيف [illegible]

اشتهر ، وتذهبه ، كما هي ، [illegible] آلام الشر ، ومنحهم إياه وعلمهم قيمة محبة والأمل ، فلم يزل سيدهم .

[illegible] على حسب ما جاءت في القصة ، وسنتكلم عن ديانته كما [illegible] وكما [illegible] في الكتب التي [illegible] ، لا كما [illegible] لأول مرة [illegible]

٣ — الديانة البُدّهية

[illegible] جديد في الحقيقة ، بل جاءت بأدب جديد ، وليس [illegible] على [illegible] أمر [illegible]

[illegible] أمر [illegible] نفسه ، [illegible] على [illegible] وعلى [illegible] ، [illegible] الآلهة والعذاب [illegible] والشدائد [illegible] بالأحوال [illegible] متحولة فلا [illegible] تعالى [illegible] أن يكون [illegible] ، أي أن يصير صاحبه الحق [illegible] سور [illegible] للموجودات [illegible] ثم يدخل في سلام [illegible] الأمل الأبدى

ذلك هو هدف الذي [illegible] النباتات والحيوانات والآلهة والناس وجميع [illegible] لا يحصى له عدد من التناسخات والتقمصات

والقسمة [illegible] في كل [illegible] وكل [illegible] جوهر كل شيء ، عدمت عدماً لا أساس له [illegible] خلاء لا حد [illegible] ، [illegible] هذا قد تجلى ، [illegible] مرة ، على صور [illegible] إحساس وتصور وإرادة ، أي [illegible] واحد [illegible]

[illegible] الأعلى [illegible] أن [illegible] على هذا الوجه [illegible] قادراً على [illegible]
[illegible] الأعلى [illegible] على الأخذ [illegible] إلى جوهره [illegible]
[illegible] الأعلى من [illegible]
[illegible] في [illegible] كل حياة [illegible]
[illegible] فإلى درجة يؤدّي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] لينال الراحة [illegible]

[illegible]
[illegible] ومن الأعمال [illegible] والأقوال والأفكار

[illegible] كل [illegible]
[illegible] الأدب في البدائية [illegible] في البرهمية ،
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا تستطيع أن تمنع صدور
[illegible] الفرق الأساسي بين البرهمية
[illegible] التي تحيى [illegible] الأدب
[illegible]

و [illegible] كبير [illegible] الإصلاح [illegible] [illegible] النظر [illegible] [illegible] لقوى [illegible] [illegible] الأذ [illegible] [illegible]

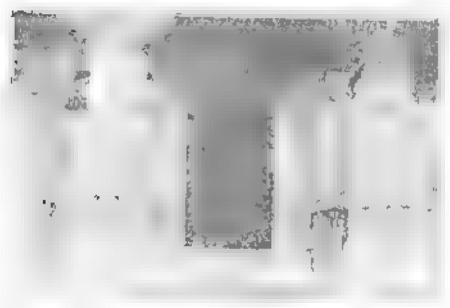

[illegible]

ذلك الإصلاح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مذهب [illegible] [illegible] [illegible] الشعب [illegible]

الشعب هو سيد الأمة وتحبه [illegible] وقصده [illegible] من [illegible]

ومن الأسباب التي أدت إلى انتشار البدهية ما هو مادي أيضاً، فقد كان يتأتى من قسم عند الشعب [illegible] يعدون [illegible] حقة [illegible] عرس [illegible] عرب، وكان أشوكا مالك هذه [illegible] وكان [illegible] لأ [illegible] الدين وعشيره

[illegible] كثيرٌ من المؤمنين في سنة أشوكا متمسكين [illegible] البدهي

وما [illegible] من الوثائق [illegible] التي تركها أشوكا، أي [illegible] المنقوشة على أعمدة وصخور في جميع أنحاء دولته الواسعة، [illegible] في مصر تلك البلاد [illegible] في هذه مبادئ من [illegible] الشعبية السائغة ومن الأدب الكريمة وروح محبة [illegible] على السواء

تعد جذور الفلسفة البدهية في المذاهب القديمة [illegible] للبرهمية الأولى، ولم تتم نموها إلا بعد طويل زمن، ولم يكن أثر في بدء الأمر [illegible] البدهية وما [illegible] من المجالس الدينية ومبدأ الاعتراف ودعائم الأديرة، و[illegible] أمواله، ولم تكن أسطورة بدهية [illegible] شائعة، وما كاد أشوكا [illegible] ذلك [illegible] لأمرة [illegible] والثورة الوحيدة التي قد [illegible] تاريخ حدوثها إلى عهد هذا الملك، أي الثورة الأساسية التي أعانت على وقوعها [illegible] من قوة، هي [illegible] الأخلاق والوجهة الجديدة الذي [illegible] وانصراف بعض الناس نحو [illegible]

التي [illegible] دور [illegible] والجزء الذي [illegible] العصر الآسيوي القديم من الأساس .

وأصبحت الديانة بالتدريج [illegible] تحت الأساس [illegible] وعادات [illegible] ومن سوء حظ انتصار الديانة [illegible] فتركت [illegible] الديانة الآلهة [illegible] الذي [illegible] ذلك أن [illegible] الآلهة الدينية [illegible] مع الرهبية

[illegible] الأرض [illegible] في [illegible] مع موكب من الآلهة الرهبية التي [illegible] على انتصارها

[illegible] على الهند أحقاباً [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المسيحية [illegible]

ونرى مما تقدم أن البُدْهية لم تكن سوى وحدة لم يكن سوى حق في العدد فسيصير هذه البدهية بوذات حامدين أو حديثة وقوى حديثة مرشدين إلى أقصر طرق نيل السكون ، ... لا بد من ... لا نُفرّق بين ظهور البُدْهة والبُدْهة ... أن تكون البُدْهة من ... لا ... سوى ... التي لا ... ولا عهد للتصورات الغربية بوضعه مثله

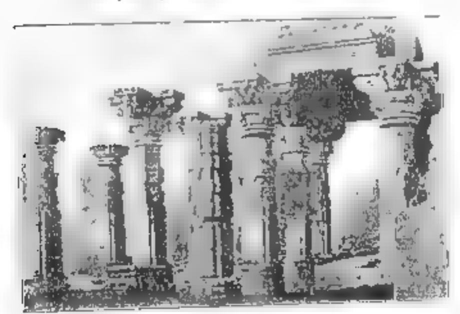

٦٢ - أونكاري ... معبد ... (القرن الثاني عشر على ما يحتمل)

والرهبان ... وسيلة لنيل حال البُدْهة ، ومن هنا ... النظام الرهباني الذي لم يعمَّم ... ملأ الهند بالأديار ، وأقوى طريقة ... الإنسان به يكون البُدْهة هو أن يعيش في هذه العزلة التي هي علة الحياة والألم ، وهذا ما يهدي إليه الحقائق الكبرى الأربع التي هي أُس الشريعة البُدْهية والتي تخص رجال الرهبان ، لا الجمهور ،

ما تتطلبه إدراكهم والسمو بها من التقدم في سبيل الكمال ، حتى في الحياة ، وشعر ما يلي :

« أيها الرهبان إليكم الحقائق الأربع المكرمة : الألم ومصدر الألم وردع الألم وسبيل ردع الألم .

« فما هو الألم ؟ الألم هو الولادة والهرم والمرض والموت وفراق الحبيب والاجتماع بالبغيض ، والألم هو أن نرغب في شيء ولا ننال ما نرغب فيه ، والألم أيضاً هو أن [illegible] في [illegible] ولا [illegible] ، والألم باختصار [illegible] كل موضوع للحواس [illegible] هذا هو الألم .

« وما هو مصدر الألم ؟ مصدر الألم هو الرغبة التي تتجدد بلا انقطاع ، هو الذي يذهب مع الهوى واللذة ، هو الذي [illegible] هنا وهناك .

« وما هو ردع الألم ؟ ردع الألم هو السكون من غير [illegible] ، هو الرغبة في [illegible] بلا انقطاع ، هو الذي يذهب مع الهوى واللذة ويتجزأ هنا وهناك ، هو الذي يتعطل و يمحى .

« وما هو سبيل ردع الألم ؟ سبيل ردع الألم هو الصراط المستقيم المؤلف من ثمانية فروع كالبصيرة السكامية تؤدي إلى ردع الألم .

« تلك هي حقائق المكرمة الأربع أيها الرهبان » .

وهنالك سبب آخر ، غير رغبته في قتل الألم والوصول إلى حل مذهبه الجديدة [illegible] التامة ، أوجب انجذاب كثير من المريدين لحياة العزلة في الأديار ، وهو تحقق [illegible] في الأديار فلا بد أن أعلنتها المذاهب [illegible] في الأديار [illegible]

يسودها ونسل [illegible] والجوع إلا الرهبنة، و[illegible] يكون معه إذا ما كان أعضاء [illegible]
وكان للنساء أيضاً أديارهن حيث يعشن غير مسيئات ولا خاصمات لما أمرن به
منه من الوصايا الدينية

و[illegible] شأنه في تلك الأديرة مشهورة في الجبال [illegible] في الهند في أقصى سنة
لبعض الصحف من علاماتها في الزمن الحاضر، ولكن لا بد من يريد أن يعيش فيها
أن يوجب على نفسه الفقر والطهر، وأن يمتنع عن حياة العائلة ويهجر [illegible]
[illegible]، ويكون على الراهب ألا يملك شيئاً وأن يعيش من الصدقات على ألا يطعم
وألا [illegible] من أيدي شخص أكثر من أكله، وأن [illegible] السلام [illegible]
وأن يمشي [illegible] وملاحظ للعراة والمساكين، وأن [illegible] عروسه [illegible]
[illegible] لأدنى [illegible] ناقته للمحبة [illegible]
من الأولاد [illegible] على [illegible] متمثلا [illegible] الذهبية على
[illegible] لأشكال [illegible] أمه على إحدى كتفيه [illegible] على كتفه الأخرى
[illegible]

و[illegible] الآسيوي [illegible] روح [illegible] هذا النظام من
الأدب الديني [illegible]
[illegible] إلى الأخلاق [illegible]، فمن ظهور المسيح [illegible] الناس اعتقدوا أن الآلهة
[illegible] لم يعبدوا شكلا حتى الرب غير معروف.

و[illegible] الأخيرة من هذا القول [illegible] الأوروبيين الخاطئة في البوذية،
و[illegible] فإني أراك لا تجد ديانة، كالبوذية، دعت [illegible] متعددين مستندا

[illegible] ومن الصحيح [illegible] الأ[illegible] [illegible]

فلا نجد بالحقيقة [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]

[illegible]

[illegible] وهو [illegible] تلك [illegible] لا [illegible]

[illegible] وهو الذي [illegible]

[illegible] وهو الذي [illegible]

[illegible] وهو الذي ألا [illegible]

[illegible] ومن هؤلاء [illegible]

[illegible]

وغاية القول أن [illegible] على [illegible] ....

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مؤدة بالشرح [illegible]

[illegible] الذي هو الأصل [illegible]

[illegible] والفعل [illegible] السكون [illegible]

[illegible] والسكنى ذلك [illegible]

[illegible] الأصول [illegible]

والأعداد الصحيحة

ولم تشعر أمة [illegible] ، الذين [illegible] بملايين [illegible] القرون فكانت أكثر [illegible] من الدهماء والعلماء والشعراء والوصفاء ، تلك التأملات [illegible] التي [illegible] ، فكان هؤلاء [illegible] مفتخرين بالسجود مع [illegible] صورة [illegible] والاحتفال بأعياده الرائعة [illegible] ، وكانوا لا يعرفون عنه سوى [illegible] القدسية [illegible] (١) [illegible] ، وهي [illegible] على [illegible] قطرة [illegible]

« [illegible] »

[illegible]

« [illegible] ، [illegible] ، [illegible] »

ذلك أمر بسيط في [illegible] ، [illegible] معجزة [illegible] لدى نوع من الخلائق البشرية .

تلك هي [illegible] ، [illegible] في [illegible] من [illegible] في طقوس [illegible] ورموزها [illegible] كانت [illegible] في تاريخ الإنسان .

---

(١) [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] . (المترجم)

٤ — البُدْهِيَّة كما جاءت في المباني

[illegible] على [illegible] أوروبة [illegible] عظيم [illegible] أمر البُدْهِيَّة من كتب [illegible] التي [illegible] قرون [illegible] إلى [illegible] لأوروبة [illegible] لا يعرفون [illegible]

ومن الطبيعي أن كنتُ لا أعرفُ عن البُدْهِيَّة، قبل زيارتي الهند، غير ما ورد في الكتب التي أشرت إليها آنفاً فأتكلم عنها في فصل آخر، وكنت أشكّ، مع ذلك، في إمكان [illegible] فأرة، [illegible] [illegible] على [illegible] في [illegible] الذي [illegible] البُدْهِيَّة [illegible] البُدْهِيَّة [illegible] في النقوش التي [illegible] البُدْهِيَّة التي [illegible] في [illegible] عن [illegible] من الوثائق المكتوبة.

وفي [illegible] لأني الكتب ، بحث دراسة تاريخ البوذية ، في [illegible] شيئاً غير [illegible] في الكتب الأوربية ، [illegible] أن البوذية التي أراد [illegible] [illegible] [illegible] الدين [illegible] ولا تعدد الأرباب

[illegible] البوذية [illegible] الأولى التي [illegible] في [illegible] وشانجي وبذهه غيا وغيرها ، إلا رمزاً ، [illegible] التي طبع تحتها درجة الحكمة العليا ، [illegible] في [illegible] الأمر [illegible] [illegible] وكان [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] البوذية عن الهند

[illegible] حدوث [illegible] في [illegible] [illegible] الكثيرة [illegible] القرن الثالث قبل المسيح والقرن السابع بعده ، وظل البوذية [illegible] في [illegible] هذا الدور الطويل كأنه قادر على كل [illegible] [illegible] وهو [illegible] وفي رحلة [illegible] الذي [illegible] في القرن السابع [illegible] البوذية [illegible] في [illegible] [illegible] في الهند

[illegible] البوذية [illegible] البحث في البوذية [illegible] [illegible] التي [illegible] في [illegible] الحاضر ، ومن المؤسف أن أهمل [illegible]

أوربة دراسة مبادئ الهند حتى الآن لم يزوروا الهند فاقتصرت دراستهم للمذهب على الكتب ، ومن المؤسف أن عثروا على كتب المذاهب الفلسفية التي وُضعت بعد وفاة [illegible] بخمسة [illegible] فكان بعضه من الأدبية المقدسة

على أنه لا [illegible] في التأملات الفلسفية المذهبية التي أثارت عجب الأوربيين كبير [illegible] وُجدت [illegible] كتب [illegible] في [illegible] في كتب [illegible] التي [illegible] في العصر الذهبي ، في كتب [illegible] التي وُضعت في مختلف الأدوار ، وُجد منها [illegible] دقة و [illegible] وجود والأدب [illegible] على معتقدات [illegible] و [illegible] ابن العالم [illegible] في بعض [illegible] الكتب ، في الكتب المذهبية الفلسفية [illegible] وكان [illegible] مذهب [illegible] الذي هو أساس المذهب و [illegible] [illegible] [illegible] الناس [illegible] في [illegible] [illegible] . و [illegible] غاية هذه البحوث هي [illegible] في أصل الأشياء [illegible] الذي [illegible] عنه [illegible] عند المذهبيين ، [illegible] ذلك [illegible] من البحوث .

والإنسان [illegible] يسعى إلى ذلك [illegible] ، [illegible] ، كما [illegible] المذهب والرهبنة ، أن [illegible] وأن [illegible] في [illegible] وأن [illegible] [illegible]

[illegible] أن نظريات العصر المذهبي الفلسفية [illegible] العصر [illegible] ، وهي [illegible] الذي [illegible] الكهان [illegible] [illegible] وإن [illegible] أشد الاختلاف ، [illegible] كالمذهبة [illegible] من [illegible]

كخط نظريات الأوبنشاد بالرحمة ، والبوذية إذا لم تعرف في أوربا إلا تأملات بعض أتباعها الفلسفية عُدّت هذه التأملات البوذية [illegible]

ومن [illegible] [illegible] [illegible] لا تقوم على مبادئ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أعمارهم في [illegible] الكتب ، لا [illegible] [illegible]

وتبدل مركز الحضارة [illegible] كتب [illegible] من [illegible] أن نكشف بعض [illegible] [illegible] [illegible] الكتب ، [illegible] الأصول الأولى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في القرن التاسع عشر [illegible]

ومن [illegible] [illegible] البحث عن هندوس [illegible] أنهم استطاعوا ممارسة دين بلا آلهة ، فكيف تجد هندوسياً لا يعبد آلهة والعالم عنده [illegible] ؟ فالهندوسي ، بالحقيقة ، يُصلّي للإله الذي يعترض أمامه ، ولجسم الخط [illegible] الذي [illegible] [illegible] ، وللأوثان [illegible] [illegible] [illegible]

حقاً ، قد يحفظ الهندوسي على ظهر القلب كتاباً من كتب بدعيّي الجنوب ، [illegible]

[illegible]

كالذي [illegible] تحت شراف لجنة من الأوربيين ، يعلمه أنه لا خالق للعالم وأن كل

[illegible] ، ولكن هذا لا يمنعه من أن يشير [illegible] إلى عبادة البرهمية الأعظم وجميع مختلف الآلهة الذي [illegible] البرهمية هذا ، [illegible] كتاب [illegible] الذي هو أقدم كتب البرهمية [illegible] [illegible] [illegible] في الأوهام و [illegible] أمور [illegible] ، ولكن [illegible] أولاد الآلهة [illegible] التي [illegible] وكل [illegible] من [illegible] الكتب [illegible] ولادته وعن [illegible] [illegible]

أجل ، إن ذلك الكتاب محشو [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيه أفكارنا .

لا [illegible] الهندوس [illegible] الأوربي ، ولا [illegible] التي [illegible] بين [illegible] روايات ومعاني [illegible] التي [illegible]

[illegible] ويجد في هذه الكتب ، ليس سوى منطق [illegible] [illegible] لا يعبأ معه بالمتناقضات .

[illegible] على [illegible] لا [illegible] عن الآلهة ، وذلك [illegible] التي [illegible] فوق البرهمية ، [illegible] الآلهة البرهمية ، كما أنه لم [illegible] هذه الطوائف ، [illegible] أي [illegible] به [illegible] نظام [illegible] الاجتماعي [illegible] ذلك .

ومع عدم دلالة شيء على أن البوذية لم تكن غير طور بسيط للبرهمية ، وذلك لاشتمالها على جميع آلهتها ولأنها لم تختلف عنها سوى أدبياً ، ومما لا ريب فيه أن البوذية حلت محل البرهمية قليلاً قليلاً بعد مرور عدة قرون ، ومن المشكوك فيه أن تكون قد غدت ديانة جديدة في البداءة ، ولا شيء يدل على أن أشوكا غير ديانة جديدة ، ولا نكاد نعثر على ذكر أو ذكرى للبوذية في مراسيم هذا الملك التي ملأ بها الهند [illegible] عدداً كبيراً منها ، ففي هذه المراسيم أوصى بالتسامح تجاه جميع المذاهب الدينية التي كانت البوذية واحدة منها والتي هي جديرة بالتكريم لما كانت تتحلى به من روح [illegible] ابن الملك الشهير ، بالمودة محبة

٧ — برج سانى بورى
(القرن السادس عشر)
([illegible] ارتفاعه ١٧ متراً)

وسنرى بعد قليل أن البوذية غابت عن الهند بعد أن ذابت في البرهمية القديمة مقداراً فمقداراً ، وفي خارج الهند من البلاد ، كبرمة [illegible] وكمبوج التي استقرت البوذية [illegible] فيهما كدين برهمي ، ولكن هذه [illegible] البلاد منطقة من [illegible] تبعث على [illegible] العودة [illegible] ، ومن الحدث الكبير ما دار حول مباني أنكور الشهيرة [illegible] من أن البوذية [illegible] لاختلاط ما نشاهد فيه من [illegible] بوذية والبرهمية ، وما كانت هذه التحولات لتحدث لو درس [illegible] ، ولا سيما [illegible] في [illegible] كمبوج أيضاً ، لأن [illegible] اختلاط المذهبين كما أنهم كانوا يبصرونه في الهند غابر الأزمنة ، في

اطلع عليه موظف الإنكليزيّ سابق في ترجمته منه ووجد أن الترجمات التي لم

يدققوا كما هو معلوم ، فمفقود منها الأصلية الواردة ولا سيما

بلاط قالت ترجمته تحتوي على واقعة ، وقد اطلع عليه ذلك الموظف الإنكليزيّ ،

أيضا بأن ... ... الأمة الوحيدة في حوار ...

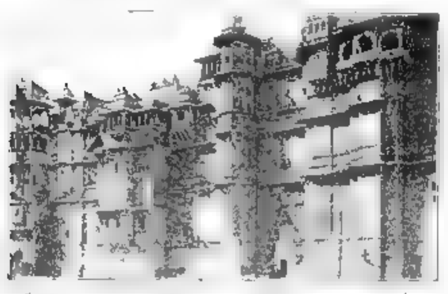

٧ ... ... عشر) (... ... ... الإنكليزي

و ... ... أنه لا ... ... التي ... وجودها من مذهبة

والبرهمية ... ... على اطلاع ... على المذهبة من ... الكتب ، ... ...

هؤلاء ... من رأى هو الذى حال دون ... من ... ، وقد حدث ...

البعثة الأوربيّ ... الذى عاش في الهند أشار في بعض الصور ... الى

... في ... الهند ... فاجتهد ... في ... ... ووجدها ... ...

لا ... على امتزاج تلك المذاهب التي تنفصل ... عن الأخرى انفصال

تمشى على الأرض ، وهو عيسى . هذا كان مقبولاً بسكليرياً ميالاً ، وما كان عليه إلا أن يجد في ما حوله ما يزكى درجة اختلاط الآلهة البُدّهية بالآلهة البرهمية في معابد ذلك البلد ، حتى أن الصينيين تمادوا في ذلك الحين من اعتقاد خلاف بين الديانتين حتى لا ترون معه وجود شيء مشترك بينهما .

و [illegible] بالملاحظة وجود رأي مشابه عند صاحب الحقيقة [illegible] عند العرب [illegible] الإسكندرية التي [illegible] بحث في الشبه بين كثير من الرموز البدهية والبرهمية ، فذكر كاتب [illegible] أن كثيراً من كتّاب الهند أنفسهم يخلطون [illegible] في معابد القديمة من الصور البرهمية بالصور البدهية مستنداً في ذلك إلى كثير من الأمثلة[١] ، مع أن عقب ذلك الكاتب الإسكليري كان يحاول أن يوضح ذلك ما أوضحه [illegible] مزج البدهية بالبرهمية

٥ — توارى البُدهية من الهند

لا يجهل أحد أن البدهية التي تدين بها اليوم خمسمائة مليون من الآدميين ، أي ثلث البشر ، توارت تقريباً عن الهند حوالى القرن السابع والثامن من ميلاد [illegible] بعد أن كانت الهند مهدها [illegible] في هيئة [illegible] الصين وبلاد التتر الروسية

(١) [illegible] بين صور [illegible] ورموزها في أحوال كثيرة جداً ، ومن ذلك المثال الذي [illegible] في صورة [illegible] في القرن السادس [illegible] وهو [illegible] الأصل [illegible] لصورة [illegible] موجودة في [illegible] في القرن الخامس أو القرن السادس [illegible] وهو [illegible] ونرى [illegible] قدم وشيو [illegible] قدم [illegible] ، فهو مثل [illegible] على خلاف [illegible] ، وهو [illegible] في الهند .

[illegible] وهي [illegible] كُتب لها [illegible] في الهند يسكنون ذلك في أقصى حدَّيْ الهند، أي في نيبال شمالاً وفي سيلان جنوباً.

ونرى كتب الهندوس صامتة صمتاً تاماً عن توارى البدهية عن الهند، ونعزو ذلك حتى الآن إلى ما نفترض حدوثه من الاضطهادات الشديدة، ونرى مقدماً أنه يمكن التوفيق بين مبدأ تسامح الهندوس ومبدأ الاضطهادات الدينية وبأن الاضطهادات تقوض دعائم الدين بدلاً من تسهيل انتشاره خلافاً لما تؤكد حوادث التاريخ [illegible] إلى هذه من الاعتراضات التي لا تدفع وجدنا أنفسنا تجاه المشكلة الآتية وهي [illegible] تجزئة أمر الهند، التي كانت مقسومة إلى مئة إمارة صغيرة، عن الكفر [illegible] أجدادهم عدة قرون وحملوا [illegible] على [illegible] دين آخر جديد [illegible] مذهبه [illegible] في مباني الهند، ثم اتضح لي ذلك [illegible] درجة الأغاليط في الأدب [illegible] ذكرت [illegible] تفسير ذلك، وبان الأمر أني درست أكثر مباني الهند [illegible] البدهية [illegible] عن الهند لم تطورات [illegible] تدريج في [illegible] التي [illegible]

وعلى [illegible] ذلك التطور [illegible] وسكن الذي [illegible] يزول [illegible] هو [illegible] الهند [illegible] ومن ثمّ وجود [illegible] خمسة قرون أو ستة قرون [illegible] تحولاتها، [illegible] ذلك في حال كحال [illegible] الأرض [illegible] الذين كانوا يرون تحولات طبقات الأرض وسكانها المتعاقبة، [illegible] من الأدوار المتوسطة، [illegible] ذلك إلى الانقلابات [illegible]، ثم [illegible] العلم فأثبت لهم أن هذه الانقلابات وليدة تطورات غير محسوسة

[illegible] من النصوص [illegible] والتماثيل بتاريخ تطور البوذية، [illegible] كيف أن مؤسس هذه [illegible] التي [illegible] جميع الآلهة أصبح [illegible]، وكيف أنه [illegible] في جميع [illegible] أن كنت لا ترى له صورة في [illegible]، وكيف [illegible] الآلهة الهندية القديمة [illegible]، وكيف أنه تحول [illegible]، وكيف أن [illegible] الآلهة [illegible] في [illegible] أخرى.

[illegible] لا [illegible] من القرن [illegible] من [illegible] أو [illegible] التطور [illegible] كانت [illegible] في القرن [illegible] مذكور [illegible] في [illegible] المذهبية [illegible] التي [illegible] في كل مكان [illegible] التطور [illegible] الآلهة [illegible] والآلهة البوذية [illegible] في [illegible] الآلهة في [illegible] في كل مكان من [illegible] إلى إحدى الديانتين مرة وإلى [illegible] الثانية مرة أخرى.

[illegible] ذلك [illegible] في [illegible]، وهو أمر [illegible] وجينية [illegible] في [illegible] واحدة، [illegible] التطور الذي [illegible] أن [illegible]، [illegible]

[illegible] كما كان [illegible] أحد [illegible] في القرون الوسطى [illegible]
[illegible]

و [illegible] سوى [illegible] الصيني [illegible] الهند في ذلك
[illegible] ونزع [illegible] بين البوذيين في اليوم الأول من [illegible]
[illegible] في اليوم [illegible] ، فتلك الدور الذي كانت فيه [illegible]
[illegible] هو [illegible] في [illegible] و [illegible] ومن [illegible]
[illegible] هذا الإدغام من البحث في [illegible] في الوقت
[illegible]

[illegible] البوذية [illegible] قديم جداً ، والقصة تقول إن [illegible]
والأمر مهما يكن فإن أقدم المخطوطات البوذية وجدت في [illegible] القديمة ، وفي
القصة أن أسوكا الذي كان [illegible] في القرن الثالث [illegible] لم [illegible]
[illegible] وفي القصة ، [illegible] أسوكا هو
هو مؤسس [illegible]
هذا الأمر [illegible] أسوكا في [illegible]
[illegible] المخروطة الشكل التي [illegible] إليه منذ القديم

[illegible] من [illegible] البوذية ، ولا [illegible]
منذ ألفي سنة ، وإذا [illegible] دون [illegible] البوذية عنه [illegible] في
بلاد الهند ، فإنها لم تقل دون [illegible] الذي [illegible]
[illegible] الفنان [illegible]
عليه من الأحوال خاصة [illegible] البوذية [illegible]

نستطيع أن نتصور [illegible] كانت عليه البوذية في الهند في القرن السابع والثامن من [illegible] مع [illegible] في [illegible] عنه ومع عودة الكهنوتية فيه إلى [illegible] ومع [illegible] أهله البوذية فيه إلى سلطانها السابق .

[illegible] البوذية و[illegible] في [illegible] مختلفتين أيما كما بدأنا في الهند

٧٩ – أودييور ، المقبرة الملكية

في [illegible] والبوذية [illegible] مختلفين كل [illegible] في [illegible] فوق البوذية [illegible] [illegible] من القوة ما كان [illegible] مشتركة كما سنرى ذلك .

[illegible] البوذية [illegible] على أتباعها عقيدة تثليث عالي ، بدلاً من أن

[illegible] مذهب البرهمية [illegible] فترى العالم متولداً من هيولى أزلية قادرة على السكون [illegible] وتعد هذه الهيولى [illegible] السكون [illegible] ويشمل ذلك الثالوث [illegible] الذي هو الأصل، وعلى [illegible] وعلى [illegible] [illegible] الذي هو [illegible] هذا الثالوث [illegible] الثالوث [illegible] [illegible] الأولى [illegible] الأمر.

وحين [illegible] ذلك [illegible] الأعلى لآلهة البرهمية القديمة [illegible] [illegible] الأعلى [illegible] [illegible] [illegible].

ولا [illegible] البشرية عن المبادئ البرهمية القديمة [illegible] محسوسة، [illegible] جميع الحيوانات، صادرة عن [illegible] الأولى الذي بوذه [illegible] الأولى [illegible] الذي بوذه، هو الهدف الأسمى [illegible] [illegible] عدد هذه التناسخات وطبيعة هذه التناسخات على سيرة الإنسان في حياته، وتُعيّن أعماله مصيره.

ويَعُدُّ مؤسس البوذية نفسه، كإخوانه الذين انقرضوا [illegible] قبله [illegible] لاسم بوذه، [illegible] ساعة فأوشك أن يصل إلى الفناء الأسمى.

و[illegible] أكثر [illegible] ولا سيما معبد [illegible] تقديساً لآدي بوذه، ومثل الثالوث البوذي (بوذه ودهرما وسنغه) في تماثيل [illegible] على

زهرة [illegible] ، وفي هذه التماثيل [illegible] ذا ذراعين و[illegible] ودهرما ذوي أربع أذرع ، ومن ذلك الثالوث [illegible] دهرما وحدها ، الإلهة [illegible] ، على شكل مرأة

و[illegible] بعد الثالوث البوذي ، كموضوعات للعبادة ، تمثال مؤسس البوذية وأسلافه من الآلهة [illegible] ، ثم [illegible] الآلهة [illegible] منها تماثيل [illegible] ، وكالى و[illegible] ملك [illegible] ، و[illegible] لإله ذو الأنف [illegible] ، و[illegible] لإله ذو [illegible] ، و[illegible] وهذا الإله الأحمر هو من أعظم الآلهة [illegible] في مدخل جميع المعابد ، و[illegible] هذا الإله [illegible] من [illegible] جميع الشعائر البوذية .

[illegible] على [illegible] [illegible]

ويحترم البُدّهيون نيبال "الرمز المقدس" مع تحريف مدلوله ، فهم قد عدّوه الرمز البُدّهي الذي تجلى به آدى بُدّها على صورة لهب بدلاً من عدّه رمزاً إلى قدرة سيفا على الإبداع

وقد تبدّل شكله مع ذلك ، فنُقِشت أرسمة وحروف لبُدّهة على جوانبه ، كما عدّه حارس البُدّهية

ومما تقدم نرى درجة اختلاط البُدّهية نيبال بالبرهمية ، وتقدم البُدّهية أيضاً في البرهمية كذلك ، فيتمثل بُدّها في المعابد التي أنشئت حديثاً لشيو ، وتقصد أتباع كل الديانتين كثيراً من المعابد ذوات الآلهة المشتركة

ومما شاهدناه من مزج تينك الديانتين في المعابد نجد مثله في الأساطير التي تكثر في نيبال ، ونجد مثل هذا الامتزاج في الأعياد الدينية التي يحضر كثير من البرهمي والبُدّهي فيها ، ويزور الحجيج معابد تينك الديانتين ، على السواء ، زيارة مؤمن مخلص

تلك هي حال البُدّهيّة في نيبال في الوقت الحاضر ، ويمكن الناقد البصير أن يبصر منذ الآن انصهارها في البرهمية قبل انقضاء قرنين أو ثلاثة قرون مستنداً إلى ما ذكرناه ، وقد يبرز المؤرخ ، الذي يعيش في المستقبل دور التطور الذي يحاوره الآن كما يعزو مؤرخون معاصرون بطور البُدّهيّة السابق في الهند ، أفول البُدّهيّة عن نيبال إلى نبذه الاضطهاد مستشهدين بأطلال المعابد التي ستبقى إذ ذاك

بيد أن المؤرخ الذي أتمثل ظهوره في المستقبل إذا لم يقتصر على درس نقطة واحدة من بقاع الهند فقط فجاب جميع أرجائها وعرف مبادئ التطور الديني عصمته عن مثل ذلك الخطأ ، ومن أجل هذا نرى أن تقصّي الهند أخصب من مزاولة

[illegible] الذي يمكن [illegible] فيه [illegible] التطور [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بدعية مشابهة التي ظهرت في العصر الذهبي ،

[illegible]

[illegible] السماء والأرض ، والموجودات

[illegible]

[illegible] هي مشابهة [illegible] مشابهة لكل ما هو [illegible] ،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

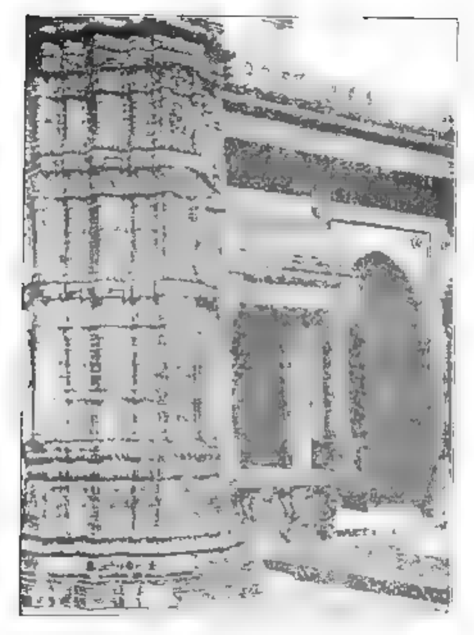

والنفس متحولة التي هي معلولاتٌ والمعلولاتِ المتحولةِ التي هي عللٌ والحوادثِ التي لا أولَ ولا آخر لها

والفلسفةُ البوذية، بعد أن أنكروا مبدأ التكوين، أنكروا مبدأ القضاء والقدر السائد لجميع الأديان البرهمية، فهو يردّ وجودَ قدرٍ مسيطر على مخلوقات، فصيرُ كلِّ مخلوقٍ عندهم منوطٌ بسَيره، والناموسُ الأدبيُّ هو الذي يربط الحوادث بعضَها ببعض، والأعمالُ وحدها، أو نتائج هذه الأعمال، هي الخالدة، والمخلوق يمكنه بالفضل أن يصل، بعد سلسلة من المواليد، إلى نعمة العدم فلا يبالي بالجوع ولا بالآلام فيمضي في نِرْوانا فلا تبقى ضرورة إلى تقمّصه صوراً أخرى.

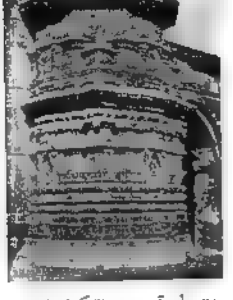

٢٥ ـ أحمد آباد مسجد الملكة في سارنغ بور
(القرن الخامس عشر من الميلاد)
(يبلغ ارتفاع قسم المئذنة الظاهر في هذه الصورة خمسة أمتار و ٦٠ سنتيمتراً)

وفي كتب الفلسفة البوذية من التأملات التي تُثبت بُطلانَ الأشياء، فالبوذيُّ، بعد أن يجتازَ منطقة الصورة والصلاة والخليقة ينتهي بتأمله إلى منطقة اللانهاية في الفضاء، والبوذيُّ بعد أن يجتازَ منطقة اللانهاية في الفضاء ينتهي إلى منطقة اللانهاية في الذكاء، والبوذيُّ بعد أن يجتازَ منطقة اللانهاية في الذكاء ينتهي إلى منطقة العَطَل من

موجودات ، والبدهي بعد أن يجاوز منطقة التعطل من الموجودات ينتهي إلى منطقة العطل من الخيالات وعدم الخيالات ، والبدهي بعد أن يجاوز منطقة التعطل من الخيالات وعدم الخيالات ينتهي إلى منطقة الانقطاع عن الخيالات والإدراكات ، فهنالك يصبح مجرداً عن الأفكار ، مجرداً عن إدراك الخيالات فيكون غير ذي خيال ، أي غير مؤكِّد عدمَ الوجود بما يدلّ عليه هذا التوكيد من الوجود ، فإذا ما بلغ هذه [illegible] التي [illegible] أصبح [illegible] كله وأصبح [illegible] وَهْماً أو عدماً » .

وهذه [illegible] التي [illegible] في بعض الأحيان ، إلى السفسطة ، والتوكيد أول ما يهرب به فلاسفة البدهية عن جميع [illegible] ومن ذلك أنهم يجيبون عن السؤال : هل يوجد بدهة أو لا يوجد بعد الموت ؟ : [illegible] موجود بعد الموت ما دام غير موجود بعد الموت » .

[illegible] على [illegible] ، [illegible] الأكثر [illegible] مناقض لذلك [illegible]

وذلك الكتاب الصغير إذ اشتمل بأسلوب واضح على ما يمكن استنباطه من مسائل الفلسفة البوذية وكل ما يرمي به مذهب بوذي مهم معروف مذهبه [illegible] فإن [illegible] الغربيات [illegible]

« ٥٧ — ما هو النور الذي [illegible] هو [illegible] [illegible] البوذية [illegible] الأربع الكريمة

« ٥٨ — ما هي هذه الحقائق الأربع الكريمة ؟ هي (آ) بؤس الوجود — (ب) علة البؤس [illegible] التي لا [illegible] تجددها — (جـ) هدم الرغبة — (د) وسائل هدم الرغبة

« ٦٥ — [illegible]

« ٦٦ — وما هي [illegible] كل [illegible] تتكون [illegible] [illegible] والأوهام والآلام وكل [illegible] الإنسان [illegible] [illegible] فهذا [illegible]

« ٦٩ — [illegible] في الصورة التي [illegible] [illegible] ولكن [illegible] في حال [illegible] في حال [illegible]

« ١٢٢ — وبأي شيء يختلف كهنة البوذية عن كهنة الأديان الأخرى ؟
كهنة الأديان الأخرى يزعمون أنهم وسائط بين الله والناس ليعينوا الناس على نيل الغفران ، وكهنة البوذية لا يعترفون بالقدرة الإلهية فلا يمثلونها ، ويجب عليهم مع ذلك ، أن يقضوا حياتهم على مذهب البوذية وأن يهدوا الآخرين إلى الصراط المستقيم ، ويرى البوذيون أن الله ظل عظيم [illegible] به خيال الجهّال في الفضاء

« ١٢٨ — وبأيّ شيء تختلف البوذيّة اختلافاً جوهرياً عن التي تسمّى ديناً بالمعنى الصحيح؟ البوذيّة الجنوبية تعلّم الصلاح من غير إيمان بالله، وتقول بدوام الوجود من غير الذي يسمّى الروح، وبالسعادة من غير جنة ذاتية، وبالسلامة من غير رسول منقذ، وبالنجاة من غير طقوس وصلوات وتوبة ووسطاء من الكهنة أو القديسين، وإن شئت فقل بمراحل الصلاح في هذه الحياة وفي هذه الدنيا.

٧٦ ـ أحمد آباد: مسجد محافظ خان (أغلب الظن القرن الخامس عشر من الميلاد) (يبلغ ارتفاع قسم المئذنة الظاهر في هذه الصورة ١٢ متراً ونصف متر تقريباً)

« ١٣٥ — أتنفي البوذيّة وجود الروح؟ إنّ مذهب الجنوب: « الروح » كلمة يضرب بها الجاهل عن رأي خاطئ، فإذا كانت الأشياء عرضة للتغير، وكان الإنسان منها، وجب أن يتغير كل جزء منه، فلا دوام مع التغير، ولا خلود مع التحول.

« ١٣٦ — إذا طرح المبدأ القائل بالروح البشرية جانباً، فما الذي يوحي إلى الإنسان بدوام وجوده؟ الرغبة في الحياة التي لا تروى غلتها، فالموجود ذو الرغبة الذي يصنع ما يكافأ به أو يعاقب عليه في المستقبل تتناسخ تأثير كَرْمَا.

« ١٣٧ — وما الذي يُبعث؟ هو سكَنْدَا أو شخص جديد صادر عن سكَنْدَا الشخص الميت تصدراً أدبياً.

« ١٤٤ — وهل سكَنْدَا الجديد هذا أو هذا الشخص الجديد هو الموجود

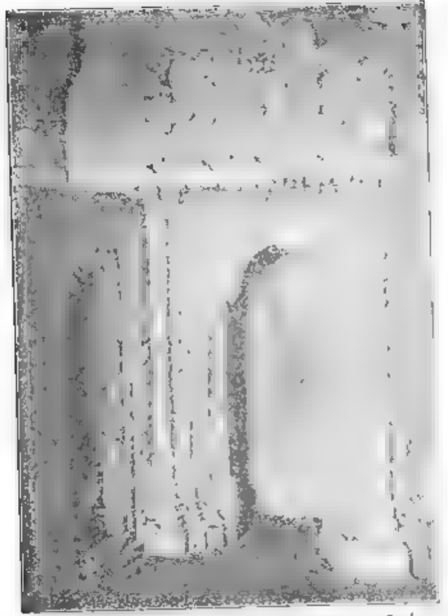

٧٢ — تدمر: محراب حجري مطوي في مسجد سابق (يبلغ مجموع ارتفاع القسم العلوي
نحو ثلاثة أمتار)

الذين عنه [illegible] من جهة ، ولا [illegible] من جهة أخرى . ففى أثناء حياتنا الحاضرة [illegible] فهل [illegible] أن ابن الأربعين فلانا هو الشخص نفسه الذى كان ابن الثامنة عشرة [illegible] جسمه وذكاؤه وأخلاقه من التغير ، ويجرى [illegible] مع ذلك [illegible] وما اخترع من [illegible] وهو شاب . وشخص [illegible] الذى ولد [illegible] الشخص السابق مع تبدل فيه فى الصورة ، وقد يمكن [illegible] فى حالته الأولى .

وفى حين [illegible] تلك [illegible] أقوى [illegible] البوذية التى [illegible] فى هذا العصر البوذى [illegible] عن المذهب [illegible] المذكورة [illegible] البوذية [illegible] اليابانية [illegible] البوذية الصحيحة هى [illegible] كما [illegible] آلهة جديدة فى الآلهة البرهمية ، [illegible] البوذية التى [illegible] البوذية المذكورة فى الكتب التى وضعت بعد ظهور [illegible] على الأقل هى مذهب فلسفى ، [illegible] بين تلك [illegible] وهذه [illegible] من الهوة العميقة مثل التى تفصل التوحيد عن الإلحاد

٧ — المجتمع البوذى

من يرد أن يتحقق [illegible] كان الأدب البوذى من الأثر الطيب فى المجتمع فليطلع على مراسيم أشوكا ، فهو يجدها مملوءة بالتعاليم التى أريد بها سيادة الوئام والسلام والمحبة بين الأنام ، وليست تلك المراسيم شريعة سياسية كما [illegible] فى أيامنا ، بل هى مواعظ ذات صبغة دينية أرادها ولى الأمر [illegible] رعاياه ، لما فيها من

السلطة والحلم وبذل الحب للآلهة وجميع المخلوقات

وتختلف مراسيم أشوكا عن شرائع منو في ثلاثة أمور ، وهي :

١ — [illegible] الشامل للحيوانات أبداً وحظرُ ذبح هذه الحيوانات

٢ — روح [illegible] التي دُعِي بها جميع الطوائف إلى سماع الوعظ الديني والعمل بموجبه

٣ — التسامح الذي يُرى منه أن في كثرة مذاهب الديانة سيرَ البشرية إلى الكمال المطلق فيوجب احترامها جميعاً .

كانت الحيوانات تُحترم في المجتمع البرهمي [illegible] الروح [illegible] بعضٌ [illegible] أيضاً ، ولا [illegible] الآدميين فتقتصر عليهم في الغالب ، بسبب [illegible] ، [illegible] كان لا [illegible] خرج في قتلها ، فكان الصيدُ من وسائل تسلية الملوك والأكاسرة ، ثم وضع أشوكا حداً لذلك فجاء في مرسوم له ما يلي :

« [illegible] الحيوانات تُذبح في كل يوم لأغراض محمودة وإن من [illegible] ، و [illegible] الثبة و [illegible] صعبٌ فإن من الخير أن [illegible] ، ومن ثَمّ يجب ألا يُذبح حيوانٌ في بعد »

ويجب [illegible] رفاهية الحيوانات والآدميين ، كما في ثالث المراسيم

« ستغرس الأعشاب والأشجار المثمرة التي تفيد الناس والحيوانات وتُزرع في الأماكن التي لا تكثُر فيها ، وستُحفر الآبار وتُغرس الأشجار في الطرق العامة ليستفيد منها الناس والحيوانات » .

وفي البرهمية الأولى نصٌّ على أن الناس يُولَدون مرتين ، والطوائفُ الثلاث

الأولى وحدها هي التي كانت تدعى التسامح بين الدين وجميع المواعظ ، فكان يُصبّ في أذني الشودري الذي يستمع إلى وعظ برهمي أو إلى عرافة تكتب مقدسة ستُحارب ، بحيث ما قاله أشوكا في ذلك .

« سيعظ الواعظون البراهمة المحزونين والبائسين والمحرومين وغيرهم من عبد عاتق ، ويُدخِلون السرور إلى من يريد ويخلّصون من هو موثق ويحررون كل أسير ، وسيحيي الواعظون جوامع الحكم ومبادئ البر إلى ... ويُعلون ... كل فن ويسعدون كل شيء في أرجاء دولتي »

وفي مراسيم أشوكا أروع مبادئ التسامح ، فقد جاء فيها

« يقوم أصل مذهبنا وجوهره على أن يمجد دينه ولا ينتقد دين غيره أو يحط من قدره ، وأن يحترم الأمور الدينية مع ما بين العقائد من الاختلاف إذ في ذلك من زيادة دينه وعون لغيره ، في كل دين وجه يجعله يحظى بالعطف ... ولا شيء ، عند الآلهة المحبوبة ، يعدل زيادة الإيمان وعون الكمال الذي هو هدف جميع الأديان »

ومن يتق البدهية ، على ما ظهر ، دين ... كما كان في عهد أشوكا ، فلم تكد قرون ... تمضي على وفاة هذا الملك حتى رجع بعض حكومات البرهمية ، وعدت البُدهية ، مع ذلك ، دين الشعب المسيطر في ستة قرون أو سبعة قرون ، فكانت زاهرة حينما ساح الحاج الصيني فاهيان في الهند من سنة ٣٩٩ إلى سنة ٤١٤ بعد الميلاد ، ثم زار الحاج الصيني هيوين سنج الهند بعد ذلك بتاريخ تقريبي فأبصر الانحطاط الذي أخذ إليه البدهية وشاهد في كل مكان

فجز الناس معابدهم وأديرتهم وذلك حتى عهد كنشكا ، حين عُقد آخر مجمع على عهد أشوكا كانت البرهمية ظاهرة الضعف باهتة ، وكانت البدهية عالية ، كديانة ، عن عهد ، ولم تكن البدهية تلقى كثيراً أذى ، فلا تزال ذات نفوذ إلى الآن ، وهي التي أوجبت ظهور البرهمية الحديثة التي هي ديانة الهندوس الحاضرة فندرسها في الفصل الآتي

وبلغ الصيني هيوين تسانغ ذلك قد قدم رحلته في الهند بعد ميلاد المسيح بسبعة قرون يزور الأماكن المقدسة التي ولد فيها بدهه وعاش وتعلّم ووعظ ، ويباحث أئمة البُدهية ويَنسخ الكتب المقدسة .

كانت البدهية في تلك الأيام بالغة ذروتها ، فكان البنجاب ووادي الغنج حافلين بالأديار التي يقصدها ألوف الرهبان ليتعلموا أسرار الدين وينقطعوا إلى التأمل العميق الدائم قبل أن يصعدوا ... ، وتلك الأديار كانت تقوم على صدقات المؤمنين وهبات الملوك ، وكانت مراكز معرفة ومقراً لحل المعضلات ، وكان يسودها ضبط ، فقد كانت الأمور اليومية فيها نظام مطلق ، وفي تلك الأديار حلّ نالندا ضيفاً فوجد ثلاثة آلاف راهب يسكنونه فيجتمعون حول الموائد من غير أن يُسمع لهم صوت ولا نَفَس ، وتكثر فيها الصحب من وقارهم وصمتهم وأدبهم

وظهرت عدة مذاهب ينقسم بعضها إلى فرقتين ، فرقة عجل الكبير وفرقة عجل الصغير ، فتمثل الأولى فلسفة البدهية وتمثل الثانية أدناها ، وكانت الأساطير وضع وسمو ... تصبح من أصول الدين ، وكانت الطقوس تعظم والأعياد والمواكب تزداد وكانت الصور والهياكل والزهور والعطور تكثر في هذا الفصل الذي يتعذر على العامة أن تتخيله ، فكان بذلك قيام الطلعة البدهية

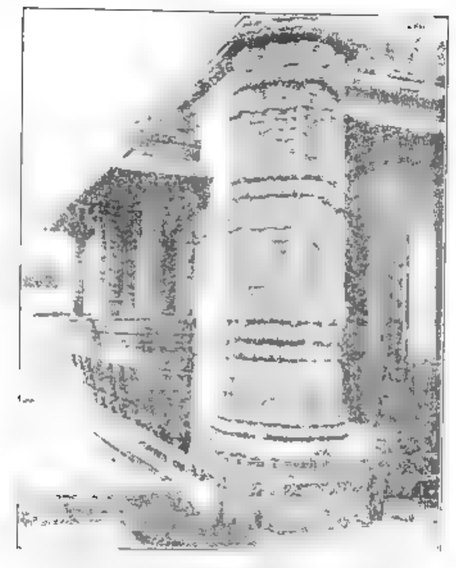

[illegible]

وإذا نظرنا إلى البدهية من ناحية الدستور الاجتماعي والطبائع رأيناها تنحل في تخفيف الآلام وتقليل الضرائب وتسهيل العلائق ونشر السعادة وتعميم السلام، فلا تلائم طبيعة الهندوسي.

أجل، ظلت الطوائف طائفة مختلفة عملاً كما في الماضي، ولكنها بدت متحدة سمحة ودودة فكثرت الكروب وأنشئت المشاق وأقيمت الروابط رمزاً إلى الإيخاء الذي يجمع بين جميع الموجودات.

وتقوّمت طبيعة الهندوسي تلك، وهي التي أبصرها فاهيان، هي التي تسود جميع الأقطار البدهية، وتجلت في أحد معالم البرهمية التي نهضت بعد زمن فكانت خاسرة روعتها الأولى حينما أتمّ هيون سانغ حجّه في القرن السابع من الميلاد، وكان نصر البرهمية الراغمة على مبدأ البدهية القائلة بالمساواة، وما قام به هؤلاء من مكافحة البدهية كان يعود عليهم بالفائدة، وما في الشعوب، ولا سيما شعب الهندوس، من جنوح إلى الآلهة الشخصية المنظورة جذب الجموع إلى الدين القديم بالتدريج، فأسفر ذلك عن خراب المعابد والأديار البدهية في كثير من الولايات، وأخذ البدهيون يجلون عن المعابد مكاناً دون مكان وشُرّدوا وشُتّتوا، وأضحت عاصمة البدهية السابقة باتلي بوترا خربة، وصار المكان المقدس بُدهَغَيا نفسه لا يأوي إليه سوى البراهمة.

وتطورٌ كذلك حدث في النظام الاجتماعي، فبعد أن تكلم فاهيان عن حرية الزرع وقلة ما كانوا يؤدونه من الضرائب في زمانه روى هيون سانغ أن

مقدار خرج لدى أحمدو توبه واحدة من سنة أي مثلما كانت في زمن هيو لا ريب

وظلّت المعونات جميعه مع ذلك ، وكان يُصار في الغالب إلى ... والنذر ونحوه في الاحتفال ، كما كان يُصار إليه في عمالقة الأديرة في القرون الوسطى

ورأى هيوين تسانغ من أخلاق الهندوس ما أعجب بشرفهم وبتسامحه البدهية من الرفق و... بين جميع طبقاتهم ، فذكر ، على سبيل المثال ، الأمير ... الذي كان يجمع من آلاف الأديبين من جميع المذاهب والطوائف فيوزّع الهدايا في أثنائها عطايا متساوية على الجميع ، لا فرق في ذلك بين البراهمة والشودرا ، ولا بين البدهيين والملحدين .

وسنحت لهيوين تسانغ فرصة الاطلاع على الكتب البدهية أيام ... لدى كل أمير ... عدد ... منها نحو عشرة آلاف ... ثم جاب ... الجنوبي ... فوصل إلى سيلان ، ثم قطع ... ثانية راجعاً إلى بلاده فكتاب رحلته ... كما ... قريباً

ووجد هيوين البدهية ... ... من بلاده ... ... فكانت مذاهب البدهية التي ... فيها ... فلسفة جداً ، ومن الأسباب التي أوجبت ذلك الأفول ... كثرة الفرق التي انقسمت إليها ، فقد عدّ هيوين تسانغ ... عشرة فرقة ... وشبّه ... في مجادلة بعضها لبعض بأمواج البحر ، ورأى البدهية في هذا

العرب [illegible] ، كذلك ، [illegible] من الوصول إلى وحدة [illegible] و[illegible] ، فنجد [illegible] في [illegible] والأخرى في [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

و[illegible] في [illegible] الأسباب التي [illegible] من هذا الفصل فنقول :

[illegible]

[illegible] الأمل قبل ظهور بُدهة .

[illegible] عصلاً من أي مذهب [illegible] [illegible] البرهمية [illegible] العصر [illegible] أحدث [illegible] [illegible] اليوم [illegible] [illegible] ، سوى طور من البرهمية غير قريب من مذهب الأول [illegible] بعيدة من [illegible] البرهمي أي من العالم الهندوسي ، [illegible] الفروق [illegible] مع الزمن باختلاف

العروق التى اعتنقتها ، وإن هذه العروق تتدرّج إلى الزوال لدى العرق الذى لاحت له الرهبنة ولاح له إصلاحُها .

ولا يمكن الاعتراض القائل إن الاضطهادات السيئة هى التى أدّت إلى [illegible] [illegible] الدينية عن [illegible] بعض أمم أوربة التى عرضناها فى هذا الفصل ولا أمام ثبوت الحماسة العرقية التى صدرت الثورة الدينية بها عن الرهبنة وسوغت ظهور الناموس البطىء الذى عادت به إليه

الفصل الرابع

حضارة العصر البرهمي الجديد

وصف المجتمع الهندوسي حوالي القرن العاشر من الميلاد

[illegible] (٢) المجتمع الهندوسي [illegible] (٣) [illegible] السياسي والاجتماعي حوالي القرن العاشر [illegible]

١ — المصادر التي يُستعان بها في بحث العصر البرهمي الجديد

[illegible] العصر الذي نسميه الآن حوالي القرن الثامن من الميلاد [illegible] حين ورثت البرهمية [illegible] البُدهية عن الهند [illegible] فالبُدهية ، بعد أن سيطرت على الهند [illegible] ، حصرت سلطانها على نفوس [illegible] ، فكان [illegible] دليلاً على [illegible] المجتمع ، و [illegible] القرون الأولى هي التي حلّت محلّ البُدهية ، ولكن مع ما عتورها من تطور بالغ [illegible] تلك البُدهية .

وفي العصر الذي نبحث فيه كان النظام السياسي الذي أعان على انتشار البدهية، أي على اتحاد معظم الهند تحت سلطان واحد، قد زال منذ زمن طويل، فقد تقسمت الهند إلى دويلات كثيرة متمسكة مطلقة مستقلة متناحرة في الغالب.

وتاريخ العصر الذي ندرسه في هذا الفصل فيمتد من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد، أي الذي دام منذ أفول البدهية إلى دور الغزوات الإسلامية، من أكثر التواريخ غموضاً، فلولا ما وصل إلينا من مبانيه التي تنطق بعظمة المدن التي ازدهرت فيه ما علمنا من أمره إلا قليلاً، والمباني الأثرية وبعض الكتابات والنقود والكتب الأدبية التي لا يُعرف تاريخها هي كلّ ما بقيَ من وثائق ذلك العصر، وهذه الوثائق تكفي، مع ذلك، لإثبات أن ذلك العصر الجديد ليس أقلّ ازدهاراً من الذي جاء قبله.

ولكن وثائق عصر جميع الهندوس حتى القرن العاشر قليلة جداً، وهي تؤدي، مع ذلك، إلى رسم خطوط الحضارة التي ندرسها في هذا الفصل.

وما لا ريب فيه أن المباني العجيبة، فلا نقيس بها ما نشئ في القرن الأول من الميلاد، هو أهمّ وثائق ذلك العصر، فقد رأيت في الفصل السابق درجة وضوح هذه الكتب الحجرية التي تتلو صفحاتٍ هائلةً فوق أرض الهند، فالمبتدئ نفسه يستطيع أن يقف على ما عنوا به أديان الهند من التطور الدائم.

فأسس المعتقدات الجديدة التي نبحث فيها الآن على أسس المبادئ القديمة التي تستند إليها البدهية عدة قروب، فهي تمتّ إلى الدين القديم، ولكن مع تبدل عميق في مذهبه من جهة وتمثل روح الأجيال الجديدة من جهة أخرى، وهذا الدين

الذي [illegible] « النهضة الجديدة » هو الدين السائد اليوم ، وهو الدين الرسمي لمعظم [illegible] على الدوام ، وهو وإن خولته الأجيال [illegible] أصوله ، و[illegible] [illegible] من هذه الأصول كما [illegible] اليوم ، [illegible] كانت عليه منذ ثمانية قرون [illegible]

[illegible] ذلك العصر [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] على حال [illegible] في [illegible] إلى [illegible] ، ومن [illegible] الأسف [illegible] كبير في [illegible] ذلك [illegible] [illegible] والاجتماعية ، [illegible] التي لا تزال [illegible]

٧٩ [illegible] من مقدم [illegible] [illegible] تحت الأرض (في القرن السادس من الميلاد) (يبلغ ارتفاع [illegible] المقدم [illegible])

و[illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] السياسية والاجتماعية في ذلك [illegible] والكتب [illegible] لنا ، [illegible] ذلك ، سوى البحث عن [illegible] في [illegible] ، [illegible] ، عن المؤثرات الأجنبية [illegible] على النظام القديم من غير تغيير كبير

ومن حسن الحظ أن وُجِدَت تلك البُقعة فاستطعنا أن ندرس نظامها في زمن أوشك أن نغيب فيه، فبعد عَدَوْت بعض أجزاء الدكن التي سكنها عروق متأخرة لم ير في جميع الهند سوى بُقعة واحدة تمتّعت بفضل موقعها الجغرافي من مؤثرات الأجنبية فحافظت على نظمها وعاداتها القديمة وما فُطر عليه أهلوها من حب الحرية

٨ — [illegible] منحوت تحت الأرض ([illegible])

والاستقلال، وتلك البُقعة هي المنطقة الجبلية الواسعة التي نعرفها باسم راجبوتانا، وتلك البُقعة هي البلد الهندي الوحيد الذي لا يزال يمسكه حفدة قدماء الملوك ولا يزال مُتمسكاً بتلابيب النُّظم الأولى وآثار الماضي مع تعاقب القرون، ونحن، إذ ندرس هذه النُّظم كما تبدو اليوم للباحث نتمكّن من رسم صورة صادقة عن نظام ممالك الهند التي كان يسكنها أعقاب من الآريين حوالي القرن العاشر من الميلاد.

٢ — المجتمع الهندوسي حوالى القرن العاشر من الميلاد

يمكن أن نعين الحضارة الهندوسية التي دامت من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد [illegible] الأوربية في أواخر القرون الوسطى، وذلك عند النظر في [illegible] وفي بعض الكتب الأدبية التي [illegible] من تلك العصور، فقد [illegible] الشعوب [illegible] في الهند [illegible] في كهجورو [illegible] وغيرهما من المباني العجيبة التي ندرسها في مكان آخر [illegible] من الموطن من الأدب [illegible] كذلك إلا في مجموع على مذهب مقدار [illegible] على [illegible] من كثير [illegible] ومن المجهول [illegible] تاريخ [illegible] ذلك العصر، وهي كثيرة في شمال الهند [illegible] أوربة، ويؤلف أصدق [illegible] عن ذلك العصر [illegible] من كتب ذلك العصر الأدبية [illegible] إلا [illegible] كثيراً [illegible] الذي [illegible] فيه في الغالب [illegible] سبعة قرون أم نحو عشرة قرون [illegible] الأمور [illegible] في الهند [illegible] لقرون [illegible] الكتب [illegible] منها.

وعلى ما نقوله [illegible] من أن القصائد الحماسية الهندوسية الكبيرة معروفة [illegible] هي [illegible] كل دور [illegible] وأكثر ما أضيف إليها في [illegible] عشرة قرون نرى أصلها أقدم من الميلاد وأنها لا تصلح جيداً لاستنباط المعارف التي تنطبق على العصر الذي ندرسه في هذا الفصل. وكل ما نرى الاعتماد عليه في

هذا المصدر هو القطع التمثيلية التي تُعَدّ كاليداسا وسُدْرَاكا أهمّها ، ولا نعرف تاريخ هذه القطع التمثيلية بالضبط ، ويلوح لنا ، مع ذلك ، أنها وُضعت بعد القرن الأول من الميلاد وقبل القرن العاشر من الميلاد ، وإذن ما يُستنبط منها لا يختلف عما يُستنبط من المصادر الأخرى مقتصر على الحدس وصف موجز لإحدى المدن الهندوسية الكبيرة وللمجتمع الهندوسي ، وهذا الوصف يوجد في رواية سُدْرَاكا «مركبة الصلصال»(١) التي تمُرّ من أوجَين عاصمة مالوا ذات المباني الفخمة في الزمن الخالي :

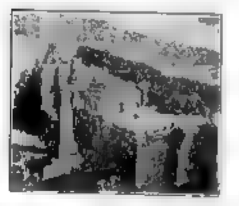

(٥٦) ـ إلورا : معبد كيلاس المنحوت من صخر واحد (القرن الثامن من الميلاد) *

وما جاء في تلك الرواية من وصف القصور والبيوت والمعابد تقضي بالعجب وينال الباحث منه الأرَب ، وليس في هذا الوصف ما يُوهِم بالمبالغة ما شَهِد به من زار مباني غواليار وكهجورا وجبل آبو ، فقد وَصَف واضع تلك الرواية أمسية ، بوصف ساحر ، صورة قصر رخامي مُرصّع بالحجارة الكريمة ذي رواق مُحَفَّرة بصفائح ذهبية مُوَشّاة بالألماس

(١) الصلصال = الطين اليابس الذي يصل من يبسه أي يصوّت

* يرى أن معبد كيلاس هو أشهر معابد الهند ويدرسه فريق كبير من علماء الآثار ويرى أنه لا مثيل له من نوعه فلا غرابة أن نجد أمثاله في كتب كثيرة ، ومن دواعي الأسف أن وجدنا خلافاً كبيراً في ذلك بين هذه الكتب فلم نستطع أن نجمع بينها ، وأن أبعاد المبنى التي ذكرناها في هذا السفر فقد اعتمد في حصولها عليها ما كان حديثة وصححناها في مذكرة خاصة عنوانها «الهند الأثرية والمنهاج» فلا يبدو لنا أن نجمع هذه الأرقام بجمع مستعرض ، فهذه الأبعاد لم تنل منا آلياً يجتنب به ما تؤدي إليه القراءة وحساسية الأغلاط الناشئة عن الطرق المعتادة التي لا يستفاد منها ، مع ذلك ، في قياس الآثار الخاصة بالأبنية العامة من قياس الأساس

وذي قناطر من [illegible] منقوش وذي حُجَر تحيطه حدائق وأزهار زاهية مشتملة على [illegible] ، [illegible] الخمية منعكسة على مياه النهر [illegible] على [illegible] بالأسر [illegible] دون كوب ومعاصر [illegible] [illegible] يرقص [illegible] الآلهة بانسجام

[illegible] الكبرى [illegible] التي كانت من [illegible] ، [illegible] في [illegible] العصر [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] الآلهة التي [illegible] ، [illegible] في [illegible]

[illegible] وحومس وكباش [illegible] ، وفي [illegible] من كل نوع [illegible] لأوامر [illegible] الكبرى ، [illegible] الآلهة مقربا [illegible] ، [illegible] ومصانع للحلي

[illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible] (٤) [illegible] والعصد . (٥) الأصابل : جمع الإصطبل .

فيها منها سوق ، وفيها كتيبة من القرود أو الأُمْيس (1) الذين يتنادرون ويضحكون ويلوكون [illegible] ويتشكون التُّتُل (2) ويتعممون (3) ، وفيها حياض ذات مياه مرغرغة (4) ، وفيها حظائر الطيور مُدهِشة حيث تُرى السماوات والرزريق والطواطي والخطلان (5) والنُّوَى (6) والطواويس والإوزّ ، وفيها حديقة نضرة عُلّقت فيها [illegible]

ويجتمع في [illegible] ، كما في [illegible] ، قائم على نظام الطوائف ، [illegible] الراحة في كل حين ، ونجد [illegible] شهوات [illegible] في مقامهم

ويكون [illegible] على الدوام ، ولا شيء [illegible] فلا يستطيع حارسوه من [illegible] في كل مرة [illegible] بالصدق على ألا يكون أحد [illegible] ، كما في [illegible] ، فهي للعوي [illegible]

وفي مقدمة تلك الرواية ، التي وُضِعَت [illegible] ذكر لأكثر المعارف اعتباراً ، [illegible] لاطلاعه على كتب [illegible] والرياضيات والفنون الجميلة ومهارته في تربية الفيول

(1) [illegible] (2) [illegible] (3) [illegible] (4) [illegible] (5) [illegible] (6) [illegible] مثل [illegible]

وبذلك نستطيع أن نتمثّل جيداً حياة الملك اليومية وكبار الأمراء الذين يُقلّدونه بحكم الضرورة في ذلك العصر من تلك الرواية التي نستمثلها من الأقاصيص الهندوسية الأخرى ، ولا سيما الأقاصيص الـ ٣٢ المعروفة بأقاصيص « العرش المفتون » .

فالملك هو الذي يستيقظ صباحاً على صوت آلات الطرب فيقوم بواجباته الدينية ويوزّع الصدقات ثم يجلس على عرش السلاح ، ثم يجمع وزراءه ويُدبّر الأمور ثم يتناول طعامه على حدة ويقيل(١) ، ثم يتنزّه في حدائق القصر بين الغلمان محاطاً بنسائه وبفتيات مقطفات الزهر مُفترشاً ... فوق أرجوحة من حرير ، الخ .

ثم يحين وقت المساء فيدعو الحاشية ويمضي وقته في ضروب اللهو من غناء ورقص وموسيقى إلى أن يأوي إلى حرمه .

والبرهمية هي ديانة الهند التي ... على حسب ما جاء في رواية « مركبة الصلصال » ، والبوذية ، وقد وجدت حينئذ ... يسكن ... الرهبان البوذيين ، التي كانت في دور الأفول ، وفي هذا دليل على أن هذه الرواية نشأت من بعد ... في ... التي نفترض لها ، أي أنها وضعت حوالي القرنين السابع والثامن بعد الميلاد ، ونستنتج من ذلك أن التسامح بين سنن الديانتين كان تاماً .

على أنه لا يُعتمد إلى أي كتب تتعرف دين الهند حوالي القرن العاشر من الميلاد ما ... ذلك الدين ... بوضوح ، فالبوذية كانت آفلة وكانت البرهمية ... في محلها ، وأصبح السلطان للآلهة التي كانت ثانوية في العصر البرهمي الأول كشيوا وويشنو ، فصارت هذه الآلهة تعبد ، ولم يبق ... البرهمية ، مع ذلك ،

---

(١) القيل : النوم في (القائلة) أي في منتصف النهار .

ظلّ مذهب الجَيْنيّ القريب من البُدهيّة وبعدَ تطوّر، على ما نظن، دوراً مهماً في القرن العاشر كما تنطق به مجاميع معابده، وغدا مع الفوز إلى مذاهب الثلاثة، الجينيّ والشيويّ والوشنويّ، كائن على وئام وكانت متساوية في درجتها تدلّ عليه أطلال كهوف من تماثيل معابد هذه المذاهب الثلاثة التي [illegible]، بعضها بجانب بعض كالكهوف التي نُقشت في إلورا تحت ضروب القديسين

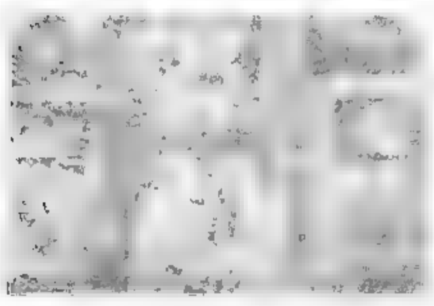

٨٢ ــ إلورا ، [illegible] قسم من نقوش معبد كيلاسا

ولا نُسهب الكلام في الدين الهندوسيّ في القرن العاشر من الميلاد، فما [illegible] الناس من مشابهة دين الهند الحاضر ما لا نرى معه فائدة فيه، فنحيل القارئ، [illegible]، على الفصل الذي خصصناه في قسم آخر من هذا الكتاب للبحث في دين الهند الحاضر.

وإننا بعد أن نُلقي نظرةً خاطفة على النواحي الخارجية من حضارة [illegible] الهندوسية القديمة التي دام أمرها بين القرنين الثامن والثاني عشر بعد الميلاد نرى أن نبحث في

نظام مُعظم الهند الآرية السياسيّ في ذلك العصر فسنجد، كما قلنا، صداه في دستور الممالك التي حافظت وحدها على نظمها القديمة، أي في ممالك راجپوتانة.

٣ — نظم ممالك الهند الآرية السياسي والاجتماعي حوالي القرن العاشر من الميلاد

تُغطي صحراء تهار المنطقة الغربية من المنطقة الواقعة بين السند ونهر جمنة كانهياوار وجبل والمنح ولسهلة راجپوتانة، وتغطي المنطقة الشرقية منه التلال المحدبة الكثيرة الآجام التي تقصي عنها سلسلة جبال أراولي، وفي منطقة راجپوتانة الجبلية هذه تقطن من افترضوا أنهم حفدة الأكثرية الآرية الذين يعرفون بالراجپوت أو أبناء الملوك فلا يزالون محافظين على استقلالهم القديم.

ويُعدّ من الراجپوت أجمل عروق الهند وأصفاها على الأرجح، ويرى حقيقة هؤلاء أهلاً لأن يقتبسوا فرسان القرون الوسطى الذين غادروا أوربة ليستولوا على القبر المقدس، وذلك بما اتصفوا به من طول القامة وحسن الملامح ووضاءة البشرة وشمم الأنوف وحسن المرأة ومضاء السلاح.

وإذا ذكرنا ما تزدان به الراجپوت حياتهم من حب الفخر وما شهدوه من السؤدد في ميادين القتال وما يحفظونه من رموز الأمجاد تبدت الاعتقدة وعقبه الأشراف عندهم، ولذا يسهل علينا أن ندرك السرّ في اعتقاد الأوربيين أن في دستور نظام راجپوتانة سبقاً اشتمل هذا النظام على صورة قرون الوسطى الإقطاعية غافلين عن الفروق العميقة التي تفصله عن نظامنا الإقطاعي القديم

ولا [illegible] الطبقة [illegible] والإقطاعيّ على [illegible]

[illegible] والكونتات والبارونات في أوربة

[illegible]

مولاه ، وتسمى هذه الطبقة الأريستوقراطية [illegible]

[illegible] عداوى(1) أوربة في القرون الوسطى .

[illegible]

بين الملوك المتنافسين

[illegible]

[illegible] لكي يعيش [illegible]

[illegible]

[illegible] ، فيتلقى [illegible] صروف [illegible] ، [illegible] العدو [illegible] إلى [illegible]

كانت [illegible] بعد [illegible] هم موقد [illegible]

[illegible] طائفة منهم [illegible] على [illegible]

---

(1) العداوى [illegible] [illegible] أصلهم [illegible]

وكانت مرأة الراجپوتية تتصف بالشجاعة ، فقد حاربت غير مرة بجانب الأبطال من بني قومها مفضلة الموت على التسليم ، ومن ذلك أن الراجپوتيات صعدن بالألوف فوق المواقد في أثناء حصاري جتور المشهورين لكيلا يتملكهن الأعداء.

ويقوم راجپوتانا تجنباً تعدد الزوجات كما تقول به مذاهب الهند الأخرى ، بيد أن إحدى الزوجات تكون مفضلة ، فكانت تحرق نفسها فوق موقد عند موت زوجها ، وقد كان يحدث أن تحرق الزوجات أحياناً ، في أيام كانت تعده ضماناً في سبيل شرف الأعقاب عند موته ، وقد كان الملك هو من كان من التقاليد أن تحرق جميع أرامله بعده ، ولا تزال ترى بين قبور أودپور حكاية ضريح يشتمل على قبر الملك سنغرام سنغ وزوجاته الإحدى والعشرين اللاتي حرقن أنفسهن فوق موقده في سنة ١٧٣٣

وقد تمتعت المرأة الراجپوتية من الاحترام بمثل ما كان لأخواتها الأوربيات في القرون الوسطى ، كما تدل عليه ما كان من حق الشعراء الجوالين بمثل تلك زملائهم ولأنهم أمراء الإقطاعيين والأحباب حرسة ومثلى حب وجمال جلب وامتثال خفية

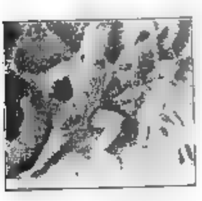

٨٣ - تمثال ماثل المعبد دوماريا المصنوع من الأرض (القرن الثامن)
(يبلغ ارتفاع التمثال الكبير خمسة أمتار)

إذن ، ليس من العجيب أن نرى الباحثين شبهاً بين مجتمع ذلك الماضي والمجتمع الإقطاعي أيام الحروب الصليبية ، وإلا أن نبين ما ينطوي تحت تلك المماثلات الظاهرة من فروق عميقة

يتصل تطور المجتمع الراجپوتي الراهن بتطور الحضارة التي تقدمه رأساً ، لا بالنظام الإقطاعي ، وما نراه في أوربة الآن من

الدول الكبرى فهو وليد مجتمع سار من طور الفرد المحض إلى طور الأسرة فإلى طور القبيلة فإلى طور الشعب فإلى طور الإقطاع فإلى طور الأمة

ليس النظام الراجبوتي قائماً على الإقطاع ، بل على النظام الشعبي

والشعب ليس إلا أسرة متكبرة ، ويستحيل على الأسرة أن تصبح شعباً قبل أن تجاوز الطور القبلي .

ولنفترض أن هنالك مجتمعاً همجياً مقسوماً إلى أسر وأنه ظهر من هذه الأسر شخص مقدام مقتحم حقيق بالقيادة وأن خصومة نشبت أو أرضاً ضاقت أو مطامع حول مكان آخر ثارت حتى بلوغ ذلك الشخص سن الرجولة فإن ذلك الرجل الجسور لا يسير وحده بحكم الطبيعة بل يصحبه رجال أسرته الذين اتفق له سلطان عليهم فيتبعونه بحماسة ، ثم ينضم إليه رجال من الجيران والأفاقين والصعاليك والمجرمين ، فيمضي هو وصحبه هؤلاء ، فإذا ما استولوا على أرض عنوة فيستقرون بها فيقيمون حولها حاجزاً فيتحصنون ، كعصابة ، أمرَ زعيمهم ويتخذونه إذا نصيراً لهم من المجاورين المعادين .

ذلك أمر رومولوس وصحبه ، وذلك أمر داود في مغارة عدلام .

ولا تصبح هذه القبيلة المصنوعة ، التي تألفت من اجتماع أفاقين مختلفي الأنساب تحت قيادة زعيم ، شعباً إلا بعد حين ، أي عندما تنسى فروق الأنساب بين هؤلاء الأفاقين فتستطيع حفدتهم أن يدّعوا أنهم من ذرية مؤسس القبيلة الأول ، فيكون زعماؤهم لأكبر أبناء هذا المؤسس

ومن ثمّ نرى أن عدّ أبناء الشعب الواحد أجمعهم ذرية جدّ واحد لم يقم على غير الافتراض الوهمي ، ومهما يكن من وهم في هذا الافتراض فإن قولنا ذلك يكفي

[illegible] من الإمارة الاقطاعية الأوربية ، مع أن أتباع الأمير الاقطاعي [illegible] بلا [illegible] فيه فلا [illegible] أبناء الشعب الراجبوتي [illegible]

ولما كانت قيادة الجيش ، التي هي [illegible] في دولة [illegible] ، [illegible] ممارسة الحكم لدى الشعوب [illegible]

[illegible] على هذا الاختيار .

[illegible] حدود امتيازاته .

[illegible]

، سكاكره مربوطة على بلاد هند [illegible] إلى [illegible] فلادة كوكب [illegible]
[illegible] من أحد [illegible]
واليوم [illegible] بين ملوك الشعوب الراجبوتية وفي جميع
[illegible] وصدقه مع عطله من أي سلطان عسكري [illegible] (1)

والراجبوت [illegible] من [illegible] الصغيرة ، والراجبوت لكي يحافظوا
على هذه [illegible] مطلق [illegible] لا [illegible] عادة [illegible]
[illegible] كانوا [illegible]

والراجبوت لكي يحفظوا بناتهم من الزواج بغير كفوء [illegible] عن [illegible]
من هم دونهن شرفًا ، وكيلا يكابدوا [illegible] الأعراس [illegible] ، [illegible] عادة
قتل طفلاتهم ، وقد أخذت هذه العادة الوحشية تزول في الوقت الحاضر

ومن [illegible] الراجبوت [illegible] استطاعوا أن يحفظوا [illegible]
عرقهم من [illegible] لا [illegible] كانت [illegible]
[illegible] الأجانب ، [illegible] الزوج

(1) [illegible]
[illegible]
بعد سقوط الدولة المغولية

[illegible] التي تحول دون نمو الروح القومية ، تلك الروح التي ظلت مؤثرة مع قلة أهميتها في دور اليقظة البرهمية العامة .

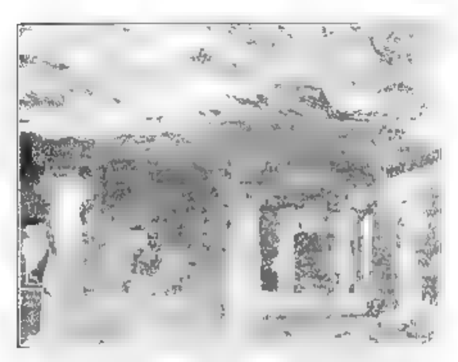

[illegible]

ولم تبق الدول الراجبوتية ، التي [illegible] الحرب [illegible] فوق بعض [illegible] متمسكة في [illegible] ، لأن [illegible] على [illegible] فقط ، بل [illegible] في الأعمال [illegible] اللاهوتية .

ومن السهل بيان ما للروح الدينية في بقية الهند من التأثير [illegible] في كل [illegible] الأمر [illegible] في كل شعب الأمر مثلما تكون

للمعلم [illegible] واحدٌ من العمل في نشوء الشعب ، فما نراه في الهند من تعدد الطوائف [illegible] ظهوره [illegible] ما [illegible] ظهور أحد الشعوب ، ومن ذلك أن [illegible] ورفع رايته (إصلاح الديني بإقدام [illegible] إنه [illegible] [illegible] كان [illegible] ويستطيع أن يقلب بعض المشاعر فغدا مؤسساً مذهباً جديداً ، وإذا ما ذاع أمر هذا المذهب الجديد انقلب إلى طائفة جديدة .

وبالوقت [illegible] الطائفة التي هي دائرة [illegible] جديدة وفي تطور [illegible] شعب الذي هو [illegible] الأولى [illegible] اختلاف [illegible] وكان [illegible] عميق [illegible] معاً ، ولا [illegible] من [illegible] من غير [illegible] في [illegible] لا [illegible] [illegible] الاجتماعي [illegible] الذي [illegible] هو ما [illegible] اختلاف الطوائف [illegible] الأمم الأوربية

وما [illegible] ذلك النشوء الذي تحوّل [illegible] من همج إلى [illegible] وما حافظوا عليه إلا بسبب الفتور الديني لدى [illegible] في مرحلته الأولى لدى بعض همج [illegible] كالهيبي ، و[illegible] الشعب عند هؤلاء [illegible] دائرة [illegible] ، وبقيت الأنكحة محصورة عندهم إلا ضمن دائرة القبيلة .

وكل [illegible] نرى معظم الهند الآرية في القرن العاشر من الميلاد على [illegible] ومن أجل ذلك [illegible]

مثلاً على نظام الهند السياسي والاجتماعي قبل الفتح الإسلامي .

ولا نستطيع أن نكمل ، كما فعلنا في فصل آخر ، ما ذكرناه آنفاً بما رواه السياح من الأجانب ، وما ورد في رحلة الرحالة العربي ابن بطوطة لا ينطوي على شيء كبير ، وليس أهم منه ما جاء في رحلة ماركو پولو السائح الأوربي الوحيد الذي قصد الهند في القرن الثالث عشر ، وهو من أجل ذلك يجب أن نذكر منه ذلك ، لأنه كل ما لدينا من الوثائق الأجنبية عن جنوب الهند في القرن الثالث عشر .

وما رواه ماركو پولو من المعارف حول حضارة تلك الدول في جنوب الهند على الخصوص ، وإذ نسكت عن هذه الحضارة في هذا الفصل بعض السكوت ، ونذكر منه هنا أن الرحالة الشهير أنه وجد في ساحل كوروماندل أناساً سوداً عراة عُبّاداً للبقر مقسومين إلى طوائف ، وأن السود وحدهم كانوا يأكلون لحم البقر وأن هؤلاء السود كانوا يستخدمون جزارين لذبح الحيوانات الأخرى ، لأن ذبح كلّ ذي حياة كان يُعَدّ جرماً .

وقد أعجب ماركو پولو بثراء الحجارة الكريمة التي كان أولئك السود يتحلّون بها والتي كانت تأتيهم من مناجم غولكوندا على ما يظن .

وكان أولئك القوم يسكنون مملكة المول ، وكانوا مقسومين إلى خمس ممالك نكاد نعين في الخلاصة التاريخية ، وكانت هذه الممالك واقعة في الدكن ، وكان يمسكها خمسة إخوة .

وكان ملوك المول يعنون بعدد نسائهم ، فكان لديهم نحو خمسمائة امرأة ، فكانت أزواج هؤلاء النسوة يحرقن فوق الموقد عند وفاة أزواجهن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الخامس

حضارة العصر الهندي الإسلامي

وصف المجتمع الإسلامي في الهند حوالي القرن الخامس عشر

(١) تأثير المسلمين في الهند [illegible] الإسلامية في الهند [illegible] العصر الإسلامي في الهند من القرن الحادي عشر [illegible] الثامن عشر [illegible] الشعوب [illegible] في الهند [illegible] المسلمين العميق في [illegible] المسلمين [illegible] في مصر [illegible] حضارة العرب [illegible] في بلاد [illegible] حضارة المسلمين بحضارة الهند [illegible] (٢) حضارة الإسلامية في [illegible] وصف حضارة [illegible] في الهند في عصر [illegible] الأثر [illegible] الروائية [illegible] والآثار المختلفة [illegible] شئون [illegible] العقل [illegible] النساء في [illegible] ملوك المغول [illegible] آثار ملوك المغول القديمة والأدبية [illegible] مزاج الأمم [illegible] مقابلة بين [illegible] مغول [illegible] في عصر النهضة .

١ — تأثير المسلمين في الهند ، الفروق الإسلامية في الهند

بدأ العصر الإسلامي في الهند في القرن الحادي عشر وينتهي من الناحية السياسية في القرن الثامن عشر من الميلاد ، وهذا العصر عُرِف أحسنَ مما عُرِف أيّ عصر جاء قبله بفضل مؤرخي المسلمين

والهند خضعت في القرون التسعة التي دام فيها سلطان المسلمين للفاتحين من العرب والأفغان والترك والمغول الفاتحين حملوا إليها دين محمد وحضارته ونُظُمهم

وكان هؤلاء الفاتحين الأثر البالغ في ثقافة الهند ومعتقداتها وفنونها ، ولا تزال تجد الآن مائة تجد في الهند خمسين مليونًا من المسلمين يتبعون شريعة القرآن وتجد الناس يتكلمون في قسم كبير منها لغة مشتقة من لغة الفاتحين

وفي الهند نشأ فن رائع ذو طابع خاص هو شاهد مؤكد لتأثير المسلمين العظيم في جميع البلاد التي خضعت لهم ، وفي مصر ، مثلًا ، قد تركوا أعمق الأثر في والرومان في أقدم عهودها في حين أن هؤلاء الفاتحين كانت به أقدم حضارات العالم وتحوّلها دينه وقوميته ، فلم تلبث أن الفاتحين ، حتى أن الأمة نسيت ماضيها الذي بلغ الأمر حدث حين كبيرة منه

والتحول الذي تم في الهند بفضل العرب هو دون التحول الذي وقع في مصر ، فقد كان بين الأمم الدينية ما لم يتحقق مثله في أي زمن خضع لأتباع محمد ، وقد كان للحضارة الجديدة التي جلبها الأفغان والترك والمغول وبين ذوي السنة وذوي المسيح فوق عظيم في الحضارة القديمة التي كانت فيها ثم نشأ أن أثرت فيها فأسفر هذا عن ظهور حضارة ثالثة مشتملة على عناصر تلك الحضارتين مستوى عربيًا ، ونسمي هذه الحضارة الثالثة بالحضارة الهندية الإسلامية

ولم يخلُ العصر الهندي الإسلامي من مؤرخين ، ولو لم تصل إلينا من هذا العصر مخطوطات كافية موثوقة لأمكننا ذلك من البحث في المباني الكثيرة التي شيدت فيه فدلت على اختلاف المؤثرات الإسلامية باختلاف الأقطار ، ففي هذه المباني علم

وكان أثر مسلمي الشمال وإن [illegible] عنه الصفة العربية المخصوصة، وما تحقق في تعدد والقصور من ضروب الفنون باديًا، كذلك، على مصدر الآثار الباكرة التي كان [illegible] على الهند [illegible] الذي من الطابع الفني الخاص بشكل واحد [illegible] ويمكن القارئ أن يبين روح المسلمين في الهند من الصور التي نشرناها في هذا الكتاب عن فن عمارتهم

ولم يكن المسلمون الذين استولوا على الهند غير مرة في عهد محمود الغزنوي وتيمورلنك وبابر وغيرهم من عرق واحد، فمن الغزاة المسلمين الأولين كانوا من الأفغان [illegible] المسلمين الآخرين كانوا من المغول مع شيء من المزج، وأما العرب [illegible] مستعمرات مهمة في الهند وإن كانوا يغشون [illegible] من بلادهم عابرين بحر عمان فينشئون مستودعات [illegible] عديدة على ملابار في السواحل الغربية نحو مصب نهر السند

[illegible] في الهند في ثلاثة فروع أولها [illegible] كأمثال [illegible] التورانية، ومن التورانيين، على الخصوص، أصحاب [illegible] المغول [illegible] والعيون [illegible] الأفقية [illegible] والشعور السود [illegible][1] والأعين [illegible][2]، [illegible] هؤلاء المغول [illegible] وكانت الأوائل [illegible] عن الأعراب [illegible] والأنوف [illegible] وعن الترك ذوي [illegible]

---

(١) [illegible] (٢) [illegible]

وكان نفوس [illegible] [illegible] [illegible] ومهدت لأوربا [illegible] إلى عهد ، ولم [illegible] دونه [illegible] سرعة كالتي شهدها ، وهؤلاء القوم الذين كانوا يرعون مواشيهم في سهول سيبريا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] طائفة فاقتضوا [illegible] على العالم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدورة وتعبئة الحرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] للشرق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعلى [illegible] الأكبر [illegible] [illegible]

٨٥ — [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] مسكنين ناجين من النار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وهي [illegible] [illegible]

[illegible] التصحيح [illegible] الذي كا [illegible]

[illegible] الذي كان [illegible]

[illegible] التي كانا [illegible] (١) [illegible]

للآداب والفنون والعلوم التي [illegible] كثيرون من قومهم الأجــلاف إلى [illegible]

كا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أمم مسلمة كالفرس والأفغان والترك [illegible] كانوا مشبعين من حضارة العرب [illegible]

على عرب [illegible]

[illegible]

في أيام دولتهم لدى الخاصة والفاطميين [illegible] المعتقدات [illegible]

[illegible] له مؤسس مذهب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأشراف في شعوب الى

(١) [illegible] العامة [illegible]

[illegible] والآن [illegible] عن [illegible]

الإسلامية

[illegible] العرب [illegible]

[illegible] في [illegible] الأمر [illegible]

[illegible] مع ذلك

[illegible] والتوفيق [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] الأمم والعرب [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] الأمم [illegible]

والشعوب المتحضرة

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible] الإسلام

[illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] الذي [illegible] التي

[illegible] أكثر عددا [illegible]

[illegible]

[illegible] العرق في [illegible]

(١) [illegible]

[illegible] الأدبي [illegible] ونقصها [illegible]
في [illegible] والمه ، كما [illegible] من [illegible] في [illegible]
[illegible] فصلاً عن هذا الفصل .

٢ — الحضارة الإسلامية في الهند

[illegible] في [illegible] الهند [illegible] الإسلامية في الهند ،
[illegible] الذي [illegible] على [illegible] سوى
مئتي سنة من السنوات الستة التي كان [illegible] ، في [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] في الهند [illegible]
في [illegible] الهند ، [illegible]
[illegible] في [illegible] الأ[illegible]
والأمكنة والاختلاط [illegible] ، و[illegible] على [illegible] ومع [illegible]
من التحول

و[illegible] في [illegible] العديدة السياسية [illegible] ،
وكانت هذه الأمم السياسية تختلف في [illegible] الدول
[illegible] في [illegible] التي أوجدت [illegible]

[illegible] جميع الدول الإسلامية في الهند وغيرها ، مطلقة على [illegible]
[illegible] جميع [illegible] و[illegible] في [illegible] ولاة لا [illegible] ،

فكانوا يشغلون في إعلان استقلالهم وتأسيس ممالك لهم من فوره ، وحقّ [illegible] ذلك [illegible] مملكته التي يكون جميع السلطات فيها قبضة رجل واحد [illegible] شعوب [illegible] يؤدي ذلك إلى الفتح ، فهذه الممالك لا تدوم [illegible] بالرجال [illegible] ظهورهم وقع ما هو من [illegible] الأسباب [illegible] في وقت قصير ، وذلك ما وقع لدولة المغول التي [illegible] كان على رأسها رجال [illegible] فسقطت عندما عطلت من مثلهم

والمغول ، حين أدخلوا إلى الهند حضارة العرب ، [illegible] في العلم والأدب و[illegible] ، وما شادوه في عواصمهم [illegible] [illegible] ملوك المسلمين [illegible] هؤلاء الملوك كانوا يشجعون الأدب والعلم [illegible] [illegible] وليس ذلك في [illegible] ، بل في [illegible] ، ومن ذلك [illegible] مملكة [illegible] كانت تزاول علم النبات والهندسة [illegible] ولا تفرط [illegible] العلماء والشعراء والمؤرخين [illegible] [illegible]

وعلى تلك [illegible] وهي التي كانت مشتركة بين جميع [illegible] الإسلامية في [illegible] كما أثبتنا ذلك في كتاب سابق[1]

ولم نستطع أن نرسم [illegible] تاريخ مختلف الحضارات الإسلامية في [illegible] فنقتصر على وصف حضارة المغول التي هي أكثر تلك الحضارات [illegible]

---

(١) [illegible] كتاب « حضارة العرب » ، وقد [illegible]

مؤرخيهم وأسوة الأوربيين الذين زاروا الهند في عصرهم يساعد على الحكم الصحيح في إدارتهم ونظام دولتهم، وما أنشأوه من المباني يساعد على الحكم الصحيح في الفنون أيام سلطانهم.

دولة المغول(١): الدولة المغولية في الهند عندما استولى بابر في سنة ١٥٢٦ على آگرا التي كان يملكها أمير أفغاني من أسرة لودي المالكة فأصبح بذلك مالكاً هندوستان وكابل، فلما مات بذل ابنه همايون جهداً في الصراع دفاعاً عن دولته، ولم تبلغ دولة المغول في الهند ذروة الرقي إلا في عهد ملكها الثالث أكبر الذي ارتقى العرش سنة ١٥٥٦ ودام سلطانه خمسين سنة، فهذا الملك الذي هو من أكابر رجال التاريخ سوى بين المسلمين والهندوس جاعلاً سلك الأمناء على الرواتب جاعلاً منه قدوة، وهذا الملك، وإن لم يوفق لتصيير ديانتي سكان الإمبراطورية ديناً واحداً، استطاع أن يخرّج قوى جديدة ملائمة للأمم التي خضعت لحكمه، وهذا الملك وسّع رقعة مملكته ودبّر شؤونها تدبيراً رشيداً كما يظهر ذلك من الكتاب الكبير الذي نشره وزيره أبو الفضل مشيراً فنرى أنه أحصى الأراضي ومسحها وقدّر أنواع ثروات الولايات وفرض الخراج على حسب الخصب فحمل ثلث الغلات للدولة وخفف عن المزارعين، وألغى كثيراً من الضرائب وصار يدفع إلى ضباطه رواتبهم نقداً بدلاً من الإقطاعات.

ودامت دولة المغول على الازدهار في عهد خلفائه جهانكير وشاهجهان وأورنگزيب، بيد أن ما صدر عن أورنگزيب من عدم التسامح وما شهره على ممالك الدكن الإسلامية من الحروب أعدّ دولة المغول للانهيار فلم تلبث أن هدمت بعد وفاته

---

(١) مغول الهند [illegible] أي شيء منه.

سنة ١٧٠٧ أن وقف في وحدة القومي ، كما ذكرت ذلك في فصل سابق

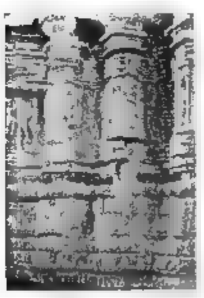

٨٦ — أبو الهول ، نقوش طرف جانبي من [illegible] القرن [illegible] على [illegible] [illegible] الظاهر في الصورة [illegible]

وفي أوروبة تعد كلمة سلطان الشرق مرادفة لكلمة السلطان المطلق والأثرة الباهرة ، ولا يخلو هذا من أساس ، فالحق أن ملك [illegible] كان مطلقاً ، وكان [illegible] سلطانه على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] عن ضروب العظمة التي لا [illegible] عظمة

وكنت تبصر بجانب الملك [illegible] [illegible] أنه [illegible] في شئون [illegible] المهمة ، مع أن هواه كان [illegible] [illegible] ،

وكان [illegible] [illegible] والحربية والدينية [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، فكان [illegible] [illegible] الرهوب وخدمه القدير في الأرض .

وكان [illegible] [illegible] [illegible] من أمراء [illegible] [illegible] [illegible] وخصصهم بكلمة [illegible] من [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عند [illegible] ، فالملك هو الذي كان [illegible] ويستردها كما شاء ، و[illegible] هو الذي كان [illegible] [illegible] [illegible] ، فإن [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] خضوعه لدى الملك وتصرف في أمور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لأصحاب النعم ، ترك زوجته وأولاده فقراء فقراً مدقعاً ، وكان من كان يعتمد على صدقة
هم في تربية حياته هو أن يدفعهم من البلاط ليشكوا حظاً لأفضال الملك الذي يدوم
منه عليهم ، فيحدثا ، بعد وفاة أبيهم أن يجري عليهم رزقاً قليلاً

وكان الملك شمول لا يختص في الحسد ، فهو إذ كان يسحب رعاياه في حب
آبائه ، فكلمهم بعد بأساع العيون ، فكان يبدو للناس على [illegible]

في الصباح كان يظهر في شرفته فيقبل الجمهور طلعته فيهتف به . وما كان
يتخلف عن الظهور في الشرفة إلا في حالة مرض شديد ، وإذا حان وقت الظهر عاد
إلى تلك الشرفة يشاهد صراع الفيلة ومختلف الحيوانات والعساكر [illegible]
في ساحة القصر ، وإذا كان وقت العصر جلس للاستقبال والاستماع لكل من يجدر
أن يقال له .

ومن حق أن [illegible] كان صعباً ، فكان يحط بعضهم [illegible] من
ذهب [illegible] الناس على [illegible]
أن [illegible] وملك الهند كان [illegible] الطلعة بين [illegible] كان [illegible]
[illegible] في [illegible] الاحترام العرب
من الفرح

وفي العاصمة كانت المعيشة تختتم أيام سلطان [illegible] كما كان الأمر في
أكثر الممالك الإسلامية ، والولايات إذ كان يضطلع ولاة [illegible] كانت [illegible] حياة
بؤس منتشر في الغالب

[illegible] في مذكرات الملك جهانكير ابن الملك أكبر [illegible]

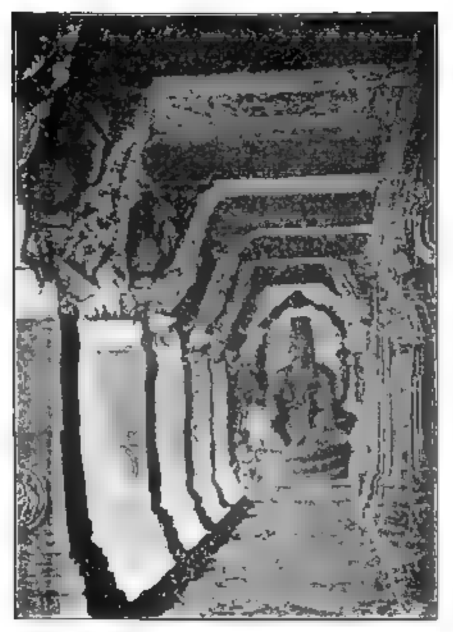

٨٧ — [illegible] وقاعة في معبد محفور تحت الأرض (القرن السادس من الميلاد)
[illegible]
[illegible]

[illegible] ودخل [illegible] قيمة [illegible] [illegible] الطف [illegible] فقد [illegible] عشرة آلاف [illegible] معظم [illegible] مسروقات [illegible] في شؤون الشعر [illegible] على [illegible] [illegible] ولا [illegible] شخص في [illegible]

وقد [illegible] ضرورة اطلاع [illegible] على [illegible] في [illegible] شؤون [illegible] في كل [illegible] وكان [illegible] على [illegible] من [illegible] العسلاك .

[illegible] في [illegible] في [illegible] التي [illegible] في [illegible] فرصة و [illegible] [illegible] مكان [illegible] كان [illegible] في [illegible] التي [illegible] في [illegible]

وكان [illegible] على [illegible] كل ما [illegible] في [illegible] عنه [illegible] معاشهم . [illegible] كانت الطرق [illegible] وعكس ذلك حال [illegible] الدولة

وكانت جميع أراضي الدولة معتبرة ملكاً شخصياً لولي الأمر ، وكان يقسمها صنفين : فالصنف الأول كان يشتمل على الأراضي التي يقطعها لقواده [illegible] على كتائبهم وأن يدفعوا إلى بيت المال مبلغاً معيناً في كل سنة ، والصنف الثاني كان يشتمل على الأراضي التي يستأجرها ملتزمون يدفعون سنوياً قيمتها ، فكان هؤلاء الملتزمون يكونون طبقة ذوي سلطان مطلق على من يعملون على أرضهم من الأهالي ، فكانوا يجورون عليهم في الضرائب ، فكان الفلاح [illegible] من العيش [illegible] في سبيل غيره [illegible] فلا حرث ولا حصاد إلا [illegible] وكان [illegible] في العراق [illegible] ترهات [illegible] ما عنده ظلماً وعدواناً .

ووصف [illegible] أنه دخل [illegible] عشر سنة في أواسط القرن الثامن عشر ، أي في عهد [illegible] هذه التفاصيل [illegible] .

كان [illegible] ، فكان تقوى [illegible] وراء ذلك [illegible] أكبر عائق في مصر [illegible] كل [illegible] يشكو [illegible] كانوا [illegible] من يصنع ذلك يكون عرضة [illegible] الوسيلة غير صالحة [illegible] .

وهكذا كان [illegible] شؤون ممالكه الواسعة [illegible] هؤلاء [illegible] الحكام أو عملاء الولاة الذين لم يشتروا حسن شهاداتهم لهم ومن كان أمر [illegible] من ذلك ، فقد عدل عن نظام أكبر في دفع رواتب

[illegible] الإقطاع [illegible] ، وأمرائهم [illegible] أورثت الأمراء في عهد الاضمحلال سرباً على حساب [illegible] شائع ، فإذا ما أريد الترضي أكثري [illegible] ، وما كان الملك ليحمل هذا الانقياد ، [illegible] والتفكير في العصيان .

[illegible]

[illegible] البراهمة أول المشككين [illegible] الاعتبارات في المشيئة الإلهية [illegible]

[illegible]

[illegible] ذلك [illegible] حروب وبحث عن [illegible] الإسلامية [illegible] في الحال التي [illegible] على حشد القواد وعدم [illegible] أكبرائهم

فنون ... ؛ وأصبحت تلك الجيوش أداة ناقصة في أيدي الملوك عندما أحدث الانس ... من الأهالي وشرع نواب الملك المسلمون يرفعون رايات العصيان فيخضعون أركان دولة المغول الكبرى

في تلك أورنغ زيب الذي عاش في ميادين الحروب ألا ... نادر معسكره ، فمعسكر كرسلالة الحق محاط بسه قوى كبيرة ومدفعية عظيمة وفروسية منظمة ، فكان يمضي أيامه من هذا الجيش الرائع الهائل فتنقل بنيه نساؤه وجواهره وثيابه الرصاصة على ظهور الفيول تحرسها صفوف مراصة من الحراس مع مدافع ويتقدمها فريق من عازفي الطبول

وكان ملك ... متى حط رحاله في مكان نصبت الخيام بسرعة عجيبة فيخيل إلى الناظر أن مدينة خرجت من الأرض ذات شوارعَ وميادينَ ومعارقَ وقصور حسب التخطيط ، وكان لكلّ خيمة من تلك مكانٌ منظمٌ على خريطة مرسومة قبلاً ، فتبدو قصور تلك المتحركة مشتملةً على ما في أروع المباني من وسائل الراحة ، والحق أن معسكر أورنغ زيب غدا العاصمة الحقيقيةَ للدولة

ومثل ... دوراً مهماً في انحلال ملوك المغول ، فحاول أوائل هؤلاء الملوك ، على الأقل ، أن يصهروا العرقين أحدهما بالآخر بزواجهم أميرات هندوسيات و... الحروب على الخصوص ، وغشّهم المسلمين على الاقتداء بهم في هذا المضمار

ولم يكن لملوك المغول عددٌ معين من النساء فكانوا لا يحترمون شريعة محمد في ذلك كما أنهم لم يحترموها في أمور أخرى ، فبلغ عدد النساء في دائرة حريم الملك

شخصين هو أي امرأة ، وما كان شخصين يكفي سد العدد ، فكان لا يخشى أن يبحث عن خليلات من بيت امرأته ، فاستمر هذا عن ضغط شديد لقلب الموت الأزواج .

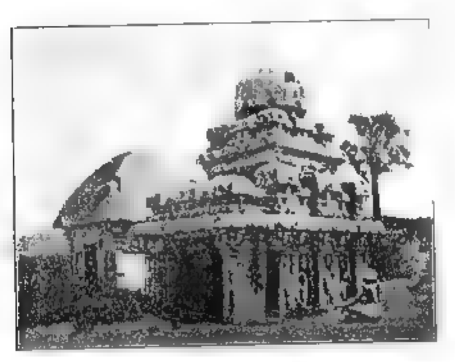

٨٨ — هيكل جنازي مصنوع من جلود (القرن السادس من الميلاد)

وإذا كان الأمراء يرتعون من تولع الملك بزوجاتهم فإنهم كانوا يتشرفون من جهة بناتهم ، فكان من أقصى أماني الموظف الكبير أن يرى ابنته بين حريم الملك ، فكان يمكن هذه الفتاة ، وهي خليلة للملك ، أن تكون عيناً عليه ، وكان يمكن هذه الفتاة أن تصبح مسكة ... مراقب الملك ، فينال بذلك نفوذاً مالياً وتعيير عامل سعادة لأسرتها .

وكان للمحنط اللاتى رافق الجرثم من النمود، فى المنب، ما يعمله بواب الملك وموت الأحباب، فيشترى هؤلاء، بسهولة، حاسبهم لهم بالبراطيل

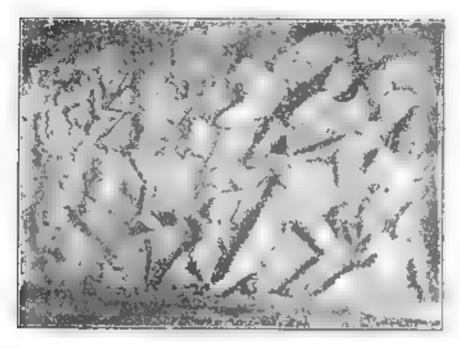

٨٩ — [illegible]
من الميلاد)

والإسب نفهى المحب من أنه جزء منك، فكان لكل واحدة من شوته خوير ورقصت، وكان كل واحدة منهن تنفس كل يوم ثوباً جديداً وحلياً جديداً.

وكانت طهاة الملك يطهون الكعكات المعروفات بين عرائس اللاتى

لا يبرح من الهم » ، وكانت الظلال تقص شؤون أصحابها عما يأخذه من البهجة والعجب

وكذلك شاهجهان أقام المزار الرائع تاج محل من أجل أحب زوجاته لديه وأعزهن عنده ، فعُدَّ هذا المزار من أعجب ما اشتمل عليه العالم من المباني

وسار المغول على غرار المسلمين الآخرين فأداموا حضرة هؤلاء محبين للآداب والعلوم والفنون حباً جماً ، ورحّبوا بالشعراء والعلماء ورجال الفن مهما كان جنسهم ، ولا تزال المباني التي شادوها ، لم يصنع العرب ما هو أروع منها ، تثير العجب ، ولم يكن العلوم دون الفنون حظوة في دولتهم فأنشأوا المدارس وأقاموا المراصد ، وحُبّب المغول لعلم الفلك ورثوه كابراً عن كابر ، فقد جلب خان المغول هولاكو إلى مراغة أشهر علماء العرب وأقام في مراغة مرصداً كبيراً سنة ١٢٥٩ ، ولما اتخذ تيمورلنك مدينة سمرقند عاصمة لدولته العظمى أحاط نفسه فيها بالعلماء ، ولما حلت أواسط القرن الخامس عشر بنى حفيده أولوغ بك مرصداً مجهزاً بآلات رصد رائعة يذكر منها ربع الدائرة التي يبلغ نصف قطرها ارتفاع كنيسة أياصوفية في القسطنطينية على ما يروى ، فأسفر ذلك عن نتائج ذات قيمة في الفلك فنشر أولوغ بك هذه النتائج في كتاب مهم مشتمل على أهم مسائل الفلك وعلى مواضع صحيحة للنجوم (١)

---

(١) لا تزال ... في دهلي مرصد أنشئ في العصر المغولي ، وهذا المرصد قد أقامه راجه جيبور ، حين سمح له بذلك السلطان محمد شاه حوالى سنة ١٧٢٤ ، وراجه جيبور هذا استعان بفريق من الفلكيين والمهندسين والرياضيين ، ويحتوي ذلك المرصد على ساعة شمسية يبلغ ارتفاعها ١٢ متراً و ٥٠ سنتيمتراً ويبلغ طول قاعدتها ٣٦ متراً و ٧٢ سنتيمتراً ، وراجه جيبور هذا أتم بناء مرصد

ولم تكن [illegible] للآداب والعلوم وحدها ، بل نرى الكثيرين منهم
قد [illegible] ، [illegible] الآداب ، ولا سيما الشعر ، كان [illegible] عندهم ،
[illegible] مهمة [illegible] من بين [illegible] الشهير الذي
[illegible] وكان [illegible]
[illegible] ، وكان [illegible] وغيرهما
[illegible]
في الآداب ، [illegible]
[illegible] ولا [illegible] أكثر من [illegible]
[illegible] الذي هو [illegible]
[illegible] من الرؤوس [illegible] ،
[illegible] ، وكان [illegible]
[illegible] ، وكان [illegible] على [illegible]
[illegible] ، وكان [illegible] لا [illegible] من أن تكون [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كان [illegible] لا في [illegible] نصف النهار ، ومن ثم على
[illegible] ، وعلى [illegible] أعظم [illegible]
[illegible] ٢٣ درجة و ٢٨ دقيقة كما وجد [illegible] نصف
النهار ، أي وجد وقتاً قريباً من الرقم الصحيح بنحو نصف دقيقة

ومزيناً معرفة وفيقاً ثبتاً وناصلاً وفياً لأصحابه مع استخفاف وتهكم ، وقد رُ
عد . مع عده كيف يبدو ملكاً كبيراً عند الاقتضاء ، كان يدعو السفراء الذين
يفدون على بلاطه ، إلى طرح الكلفة ترحيباً حاداً في بعض الأحيان يقضون معه
ساعة لهو ومرح ، وبالرغم هذا ما كان ليرى حرجاً في تخطي حدود مسألة عملية أو
معقدة أو لا عن وسيلة عند تهيه كه في السكر ثيملاً ، وفي كل صفحة من كتاب
من لمنه باذخة ضروب الفقد والنوادر نجد بينها اطلاع من عبر تقطع ، وفي هذا
الكتاب نجد أنه كان سمعنا بالنكتة أو الفكاهة لعبة أي وقت ، ومما حدث
ذات يوم أن أدركه ثلاثة فرسان حديثي قوميين على أثر معركة خسرها ، فوقف أمامهم
فقال لهم ساخراً متهكماً : أريد أن أرى ، أيها الشجعان ، أيكم يجرؤ على
تخطي حوض الأحرار ، فارسلت هؤلاء الفرسان الثلاثة يفعل ستطرته ... ه
مرتدين حالاً

حقاً أن فريدريك ، موهوب العالم الذي يعد من أقوى الدهاة في الـ... ،
كان يجمع في شخصه مساوئ عرقه ورقته وهمجيته ، فكان ... ، وهو
من حسن سنه ، ملك أعظم التي دوختها باثني عشر ألف جندي بعد أن ظهر على
قربة وهو في السنة الثانية عشرة من عمره .

وكل مقارنة بين شعوب الشرق وشعوب الغرب إذ كانت خادعة على الدوام
غدا من الصعب أن نقيس بين العصر المغولي وأي دور يجاوره أوربه كالدور
الإقطاعي مثلاً ، فالفارس مغولي والفارس النصراني ، وإن ماثلا ذوقاً وسمكاً ،

كان الأول منهم أعظم من الآخر ثقافةً وحبًّا للآداب والعلوم والفنون بدرجات ، ونرى ، مع ذلك ، أن لقبهما تكسبه بين العصر الأموي وعصر النهضة ، فالأمير الغوري والأمير الفرنسي كانا متوسطين ، لا ريب ، في حبهما لمخاطر الفارسية ولمبارزة بالسيف وأمور الشرف وحب مظاهر الفخمة والملابس الزاهية والأشعار البديعة وفي احتقار ذلك الجمهور الذي كان يدعى في أوربا بعد ذلك في العهد بالبرجوازي

الباب الخامس

آثار حضارات الهند

الفصل الأول

آداب الهند ولغاتها

(١) [illegible] الأدبية القديمة — [illegible] آثار الهند الأدبية [illegible] من الوجهة [illegible] — (٢) [illegible] والأسفار الدينية [illegible] — مختارات مختلفة — أنشودة [illegible] — أنشودة [illegible] — أنشودة [illegible] — أنشودة [illegible] — أنشودة [illegible] المعجبة — (٣) القصائد [illegible] [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — (٤) الأمثال والأساطير — [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — الأساطير — (٥) [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] — (٦) [illegible] — [illegible] — (٧) [illegible] — [illegible] — [illegible] — [illegible] بين الأمكنة في الهند .

١ - قيمة آثار الهند الأدبية القديمة

كشفت الهند ، وانتهى إلينا كثير مما كشفت

وظنّ ، حين أسرع بحث بعض الأوربيين في السنسكريت عن كشف نفائس

عن آداب الهند المجهولة ، أن عالمًا من العجائب والطرائف سيخرج من دياجير ماضي

الحافل بالأسرار ، وظُنَّ ، على الخصوص ، أنه اكتُشف مصدر جميع الحضارات وجميع الأديان وأنّا ، رجوعاً إلى [illegible] عرق الغمغمة ، نهتدي إلى العصر الذهبيّ الضائع وإلى سرّ مصيرنا .

وسرعان ما فترت تلك الحماسة ، عند عُرِف أن حياة شعوب الهند القديمة وأفكارها مهما كانت تُبهت هذه الشعوب ، منذ عهد ، إلى مُعْضِلات كبيرة من غير أن تحُلّ واحدة منها ، وأن كانت الحكمة الأخيرة التي تطمئن إليها نفوس تأتس من صنف المسح ، وما كان حبُّ الاستطلاع الشديد الذي أثاره مباحث الأولى في كتب الهندوس ، لا يعقب سرعة إلى عدم اكتراث .

وسنبادر بدرس كتب الهند في هذا الفصل من حيث قيمتها الفنية كدرس صادر من وثائق نافعة في البحث التاريخي ووصف نفسيتها ، ثم سنبحث لها من الناحية الأدبية فقط .

ونبدع في تقدير كتب الهند الأدبية في الدقة ، ولا نحرج في تفضيلها على غرار كتب اليونان والرومان ، ونوافق أن ما في كتب الإغريق والرومان القديمة من محاسن إلى حصص لاصحاب من الإعراض عن الكتب الهندوسية ، في شعر الإغريق والرومان وغيرهم من التقريب والوضوح والاعتدال والانسجام والاقتصاد مع التكامل جعل الأوربيّ يصاب بالياس ، في كل مذهب الأرستيّ حدث إلا يجد مقتاً للمبالغة والإغراب ، وما كان نَشْؤها على قواعد هذه هي حاجز أن يتذوقوا وصل ما يهم من آداب الهندوس الفصيحة المشوشة المبهمة المعوجة بالتحوير .

تتدفق في مقصود ، غير هذه التشابيه وهذا الغلوّ في الخيالات وتكثيف موضوعات

خفيفة السطحية والشعور الصادق الخالص وتموّج الأهواء والعواطف، تصوّر للروح والطبيعة ، هو حرف لا معنى له أحياناً ، ويرى منه ، طائفة ، الآداب الهندوسية تمهر شعراؤها على شذور من الشعر ، فيجب على من يرغب في استخراج بعض هذه الشذور أن يطالع عدة أسفار مكتظة من هذا الطين

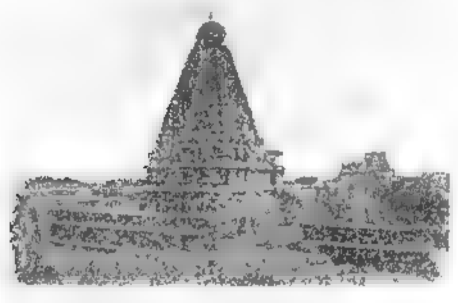

٩ ـ تانجور ـ منظر الزون الهرمي ومعابده (القرن الحادي عشر من الميلاد)
أخذت هذه الصورة من خلف الزون (يبلغ ارتفاعه ٦١ متراً)

ولا نعرض على القارئ في المختارات التي ننشرها في هذا الكتاب سوى شذور من النخب ، فإذا ما استنبط منها أن جميع ما أنتجته قرائح الهند هو من نوعها كان غافلاً عن أن هذه النسخ تحتوي على أكداس عظيمة ثقيلة مملة فيجب أن يكون مخدوعاً خداع من يحكم بأنه لم ير ذلك الديوان من شذور الشعر فقط

ويجب ألا نعد هذا الفصل الذي ندرس فيه آداب الهند بلا مقدمة إلى أمم

[illegible] هو معروف [illegible] فعلى الباحث الذى يريد أن يكون على علم [illegible] في هذا [illegible].

[illegible] الشعر [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والأسباب [illegible] وأبعدها من المنطق

[illegible] الأدبية [illegible]

مقتطفات قصيرة منها.

[illegible]

[illegible] — الأقاصيص

والأساطير — التمثيل — آثار [illegible]

٢ — الأناشيد والأشعار الدينية

[illegible]

[illegible]

[illegible] كثير

[illegible] يوافق

[illegible]

[illegible] والعلامة كوندروا [illegible] من [illegible] عم [illegible] وهو [illegible] مع ذلك ، من معرفة [illegible]

[illegible]

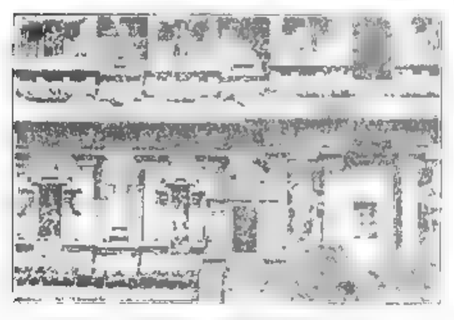

[illegible]

[illegible] على [illegible] مقداراً [illegible] وإن من [illegible] على [illegible] لاعلى »

ويبدو أنه وضع كتب الموتى قبل ظهور المسيح بألف سنة ، ولم يلبث أن أصبح في كثير من [illegible] قرون ، وكانت على [illegible] ، كتذكرة مرور مشتركة [illegible] [illegible] ويكتبونها في كل استنساخ [illegible] [illegible]

[illegible] في الأدب [illegible] هذا الشيء المطلق ، ولا نجد الأمر الذي [illegible] [illegible] في مخطوطة ، وقد كانت [illegible] بعض الأناشيد وأمثال [illegible] التي ذكرها وأصولها لا ريب فوق كتاب هيرودوتس : « إن المؤلف أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الأدبية ، [illegible] الأمر [illegible] [illegible] [illegible] المصرية لا [illegible] هذه المخطوطات ، ولا نقتصر على [illegible] في [illegible] أنشودة [illegible] الشاعر [illegible] عاش في القرن السادس من الميلاد وأنشودة [illegible] من مخطوطات [illegible] مذهبة [illegible] هوميروس ، وقد ترجم هذه الأخيرة إلى الفرنسية [illegible] ، ونجد فيها روعة [illegible] في [illegible] الذهبية [illegible] على [illegible] على خصوص

أنشودة إندرا الويدية

« إندرا هو الإله المولود الأول، هو الإله المجيد الذي رقَّى الآلهة الأخرى بأعماله، هو الإله الذي ترتعد السماء والأرض من قدرته وعظمته التي لا حدَّ لها.

« إندرا هو الإله الذي ثَبَّتَ الأرض المرتعشة، ويُمسك السموات ويُمدِّد السحب العاصفة ويوسِّع الأجواء.

« إندرا هو الإله الذي يهب الحياة لكل موجود، هو الذي يقذف بعدوه إلى الأسفل في أعماق مضجعه، هو الذي يقبض على خصمه كما يقبض الصائد على القنيصة.

« إندرا هو الإله ذو الوجه الجميل الذي يأمر الأغنياء والفقراء بالصلاة، هو الذي يستجيب للمتكاهن في أدعيته والشاعر في أناشيده، هو الذي يرمي [illegible]

« إندرا هو الإله الذي يملك الجياد والحقول والعجلات والمدن والمراكب المملوءة كنوزا، هو الذي يحيي الشمس والفجر، هو الذي يسيل المياه.

« إندرا هو الإله الذي ينصر الأمم، هو الذي يطلب المجاهدون منه العون عند القتال، هو الذي يبدو مثال السكون، هو الذي يهب الحياة للموجودات غير الحية.

« إندرا هو الإله الذي لا يقهر قوته، لا يجاري الخبث والكفور بلا انقطاع، هو الذي لا يعفو عن الطاغين المستبدين، هو الذي يدمر القبائل

« إندرا هو الإله الذي تسجد له الأرض والسماء ، هو الذي ترتجف أمامه الجبال ، هو الذي يرسل الصواعق .

« إندرا هو الإله الذي يتقبل الإراقة والقرابين والأناشيد والأدعية ، هو الذي يحمي الأتقياء ، هو الذي يسّر ضحاياه وهباتنا »

أنشودة الفجر الويدية

« الفجر هو [illegible] الكلام المقدس ، الفجر يفتح جفنيه فيفتح لنا أبواب السماء ، الفجر يمحو السكون فيقضى على كموره ، الفجر منبه الخلائق ، الفجر يدعو الناس الرقود إلى الحركة ببدء القدرة ، الفجر يطهر الإنسان إلى نهجة والسرور ويرى الصم بالشعر المقدسة وإلى الصلاة سبيل السعادة ، الفجر على عكس الظلام ، يبصر به كل بعيد ، الفجر ابنة السماء ، يحدوه الغد لأنه مقدر [illegible] ساطع [illegible] الأرض ، الفجر ينشر ضياءه كل موجود ويبعث كل جامد ، فتى تزور الفجر ؟ الفجر الذي يبرز الآن يكون كالذي جاء قبله ، ويكون [illegible] الذي في بعده ، هو [illegible] كهيئته ، عادوا عبر الناس أولئك الذين رأوا الفجر منالاً كما نرى اليوم ، والآن جاء دورنا لنراه ثم يجيء دور أناس آخرين يرون الفجر بعدنا من [illegible] الفجر في بحفظ من الهرم والموت ، فستقدم [illegible] شبابه عامر شواطئ السماء ، الفجر إله النور وهو يشدد الظلام النجس ، الفجر يظهر نفسه من فوق مركبته الرائعة التي تجرها جياد حمر ، أفيقوا ، إليكم روح جديدة تسرى فيكم ، الظل يبتعد والنهار يقترب ، فقد مهد الفجر الطريق التي تسير فيها الشمس ، هلموا إلى النور ، هلموا إلى الحياة ! »

أنشودة الشمس الويدية

« أشعة النور تظهر الشمس فتضيء للإله الذي يرى كل شيء ، تختفي بالشمس التي إذا ما بدت توارت النجوم كاللصوص وتبدد ظلام الليل ، أشعة الشمس الساطعة كالنار تسطع على جميع المخلوقات . الشمس تجري وتبدو للأعين وتبعث النور وتملأ بنوره الأجواء وتنهض أمام كتيبة الآلهة وأمام الناس والسماء فيراها كل واحد وتتعجب منها ، الشمس تزكي وتزيل المرء عيوبه الذي يمشي الأرض المموجة أمامك ، الشمس المشرقة تعبر السماء والأجواء وتبدع الليل والنهار وتبصر كل ذي حياة وتجر مركبتها سبعة جياد شقر ، الشمس إله يرى كل شيء وتكلل الأشعة شعره الجميل ... ونحن ، بعد أن يزول الظلام ونرى النور الرائع ، نسجد أمام ذلك الإله الذي يسطع بين جميع الآلهة ويظهر أنضر من جميع الكواكب »

أنشودة الروح العليا الويدية

« لم يكن شيء في البدء ، فلا وجود ولا عدم ولا عالم ولا سماء ولا أثير في خلاء ، فأين كان غلاف كل شيء ؟ وأين كان غوص الماء وموضع الهواء إذن ؟ لم يكن موت ولا خلود ولا نهار ولا ليل ، والكائن وحده كان يتنفس من غير أن يستنشق شيئاً غارقاً في ذاته التي لم يكن شيء خارجاً عنها ، وكانت الظلمات بعضها فوق بعض ولم يكن نفس منشأ فكان كل شيء ممزوجاً به ، وكان عرش الكائن الفضاء الذي يحمله ، ثم ترآ الكون بإرادته بعد أن نشأت فيه النزعة التي هي أصل كل شيء ، هذا ما قاله الحكماء الذين يفكرون بقلوبهم وعقولهم فينفذون ببصرهم

فلتحمده كل مرة في الأعلى وفي الأسفل وفي أي مكان ما كنت بينما تحدق. الفرح في عمق الأفكار ، سيبقى جوهر الشكل الأعلى [illegible] كل شيء ، كما كان [illegible] كل شيء ، ويمكن من [illegible] في هذه الأسماء [illegible] من يستطيع [illegible] ؟ ومن [illegible] في هذه الموجودات [illegible] في هذا الكون [illegible] الشكل الأعلى من الآلهة [illegible] يمكن [illegible] هذا الشكل الأعلى ومصدر [illegible] حق الجميع [illegible] »

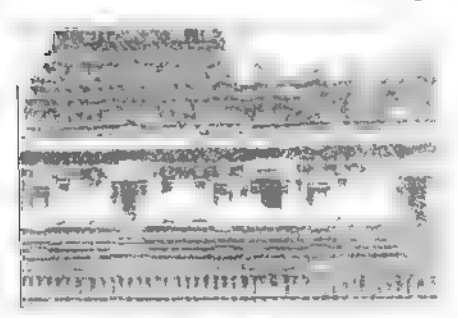

[illegible]
([illegible]) (القرن الخامس عشر)

أنشودة برهما لكالى داسا

« نحمدك أيها [illegible] ذو الصور الثلاث التي لم تكن غير ذي طبيعة واحدة قبل الكون ، [illegible] الكون انقسمت إلى ثلاث صور [illegible]

الثلاث ، القدرةُ والذكاء والخيرُ ، أحسن مما كانت عليه ، أيها الخالق غيرُ المخلوق ، منذ [illegible] أصلات [illegible] تصدر عنه كلُّ متحرك و[illegible] ، ونقدس لك لأنك [illegible] كل شيء ، وأنت [illegible] عظمتك على ثلاثة وجوه ، كنت السبب الواحد للحق و[illegible] و[illegible] والعنصرُ [illegible] أصلا طبيعيا و[illegible] يبثُّ كل موجود ، [illegible] ليل و[illegible] ومشهدت على هذا [illegible] و[illegible] ، [illegible] ولا [illegible] العالم [illegible] ، وكنتَ [illegible] و[illegible] كل شيء [illegible] ، ولا [illegible] و[illegible] كل شيء [illegible] تعرف [illegible] ، و[illegible] [illegible] ، وتصرَّ [illegible] بنفسك ، أنت أبو الآلهة [illegible] ومرموصه والعيرُ [illegible] »

أنشودة آدى بُدْهة البُدْهيَّة

« ١ — [illegible] كل شيء في [illegible] ، وكلُّ شيء كان [illegible] ، و[illegible] العناصر [illegible] موجودة ، هنالك [illegible] آدى بُدْهة [illegible] على شكل [illegible]

« ٢ — [illegible] آدى بُدْهة على الثوناب الثلاث ، وفيه يتجلى مهامورى و[illegible] (صورة كل شيء) ، هو بُدْهة الكبيرُ الذي أوجد نفسه بنفسه ، هو أدينانا ، هو مهيشور

« ٣ — آدى بُدْهة هو أصل [illegible] العوالم الثلاثة من الموجودات ، و[illegible] الموجودات كانت [illegible] ومن عميق تأمله انبجس الكون .

« ٤ — آدى بُدْهة موجود بنفسه ، هو أسوارا ، هو [illegible] الكمال [illegible] لانهاية له ،

هو لا أعضاء ، ولا عوطف [illegible] ، وجميع [illegible] صورة [illegible] له صورة ، هو [illegible] [illegible]

٥ — [illegible] لا [illegible] ، ولا [illegible] ، والإله لا [illegible] سبيلاً ، وهو مصدر قدرته الذاتية ، وهو [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] أ [illegible]

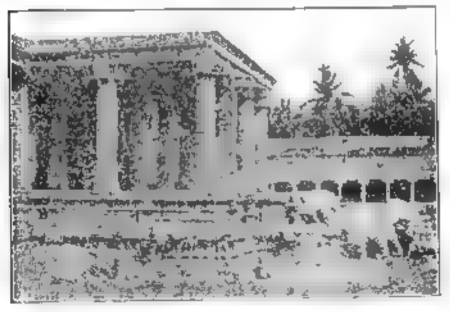

٩٣ — [illegible]

٦ — [illegible] لا [illegible] ، هو كامل ، هو [illegible] جوهر ، هو أصل [illegible] والقضية مطلقة ، هو [illegible] ولا [illegible] .

« ٧ — آدي بدهة لا شبيه له ، هو موجود في كل مكان ، هو شديد البأس على الأشرار مثل الأسد الذي يهجر الطنف الوديع

« ١١ — آدي بدهة ينعم على ذوات الحس بالسعادة ، وهو يحب من يحبونه ، وهو يملأ بعظمته القلوب محبة واحتراماً ، وهو يكشف الكرب عن مبتكريه

« ١٢ — آدي بدهة جائز للفضائل العشر ، وهو ينعم على من يحمدونه ، وهو علامة [illegible] العشر ، وهو رب العالم ، وهو ملأ بوجوده السماوات

« ١٥ — هو خالق جميع المذاهب وكثير من المذاهب [illegible] الذين يتبعهم ، وقد [illegible] (و [illegible] المذهب) ، وليس له حاجة ، وهو مبدع الفضيلة ، وهو يريد كل شيء [illegible]

٣ — القصائد الهندوسية الحماسية الكبرى

مهابهارتا — قصائد مهابهارتا [illegible] من [illegible] العهد الأدبي فصلاً عن آثار العهد الأدبي القديم ، وهي تشتمل على ٢١٥٠٠٠ بيت من الشعر مع أن الإلياذة لا تحتوي على أكثر من ١٥٠٠٠ بيت ، ولا تحتوي الأوديسة على أكثر من ١٢٠٠٠ بيت ، ولا تحتوي الإنيادة على أكثر من ١٠٠٠٠ بيت ، وتتألف من ١٨ جزءاً [illegible] عشر [illegible] مجموع صفحاتها ٧٥٠ صفحة

ومهابهارتا [illegible] أصبحت إلى مع الزمن شيء كثير ، فتعد مهابهارتا من عمل القرون ، لا من عمل رجل واحد ، ويقدر المدة التي انقضت بين وضع نصها الأصلي وآخر تصحيح فيها بعشر سنة ، ولا يمكن تحديد عمرها بالضبط ، ويمكن من المشكوك فيه أن يكون أحدث أقسامها قد وضع بعد القرن الثالث من الميلاد

وللمهابهارا عظيم أهمية لدى الهندوس ، فقد قيس إلى كتب الويدا الأربعة وضعت في كفة [illegible] ووضعت في الكفة الأخرى [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] قدسي [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] وتقديس [illegible] ، [illegible] [illegible] على الناس .

[illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] التي استقرت بمدينة هستنابورا القديمة الواقعة بالقرب من دهلي .

[illegible] بالأدعية [illegible] والأنساب ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] بالأساطير [illegible] [illegible] في [illegible] أجزائها ببعض .

وتقوم القصة على التنافس [illegible] الخمسة ([illegible]) وأبناء [illegible] ([illegible]) [illegible] ، [illegible] [illegible] في الأساطير [illegible] ، و[illegible] القرون الوسطى [illegible] ، [illegible] وأبقوهم من الصلاة [illegible] الأعمال ، [illegible] الأساطير [illegible] [illegible] على الظهور بمختلف الصور [illegible] الأحوال ، وأشد [illegible] الإخوة الخمسة ([illegible]) هؤلاء هو الصلاح [illegible] [illegible]

الموسيقى والبطل الذهبي» ، فقد استأصل [illegible] الذكور وأغوى [illegible]
ماثلاً للجوائز في جميع مسابقات الفروسية .

ومن أجمل [illegible] الإخوة [illegible] على [illegible] الكثير من [illegible] على [illegible] ، [illegible] على [illegible] ، [illegible] الإخوة [illegible] على [illegible] المعدة ، [illegible] الإخوة [illegible] على عدد الأرواح [illegible] في [illegible]
الأزمان

[illegible] الإخوة [illegible] أن [illegible] ، وذلك [illegible] الذي [illegible] وتصويره في [illegible] ، والإخوة [illegible] ، [illegible] رجعوا إلى [illegible] الساحة [illegible] ، [illegible] سماع ما يقصه النساك [illegible] على [illegible] الأساطير [illegible] ، [illegible] على [illegible] في صورة [illegible] ، [illegible] على [illegible] ، [illegible] على [illegible] على [illegible] رأى هيرودوت ، [illegible] الآلهة [illegible] ، كأطفال [illegible] ، إلى السماء ، [illegible] الذراعين الطويلتين والبطن الذهبي» بقوة [illegible] ، كما فعل أبو الهول [illegible] ، إلا إذا حل أتاتوه

ولم تبق أولئك الإخوة الخمسة أمام تلك الأعمال مرهوبة بفضل ذراعهم الساحرة ، فهزموا وحدهم جيشاً خرج على ملك كانوا جنوداً له كاتمين أسماءهم

ونجد بعض أعمال البطولة ممزوجة بخوارق في المهابهارتا ، ونجد اختلاط ما هو من عالم الطبيعة بكثرة فيها ، فترى في الكتاب السادس منها ، مثلاً ، مباحث دينية مطولة ، وتفسير كرشنا الذى تجسّد فيه الكائن الأعلى وشنو يحدث في وسط معركة أخاه أرجنا المسن ، الذى تجسّد فيه وشنو أيضاً ، عن بطلان متع الدنيا وعن مصير المخلوقات وعن عودتها إلى الفناء في براهما وعن وجوب قمع الرغبة وما إلى ذلك من النظريات الفلسفية من مبادئ البرهمية

وأدت الأهوية كنتيجة لا تنتج من صرامة السيف ، فمع أن وشنو تجسّد في واحد من الباندو لم ينتصر هؤلاء على أعدائهم الكورو إلا بعد قتال هائل دام ثمانية عشر يوماً ، والنصر بعد أن تم للباندو استطاعوا أن يسيطروا بسلام ، وهم بعدئذ شعروا بندم أنهم توهموا ، ومعهم زوجتهم المشتركة الحسناء دروپدي ، إلى جبال هملايه حيث صاروا بالتدريج ارتفعوا إلى مقر الآلهة الخالدة حالاً ، وذلك غير أن وشنو يتجسّد في الخمسة بعدئذ فقط ، بل حين تجسّد مختلف الآلهة في أعدائهم الكورو أيضاً ، فضلاً عن الإخوة الأربعة .

هذا هو الأساس الذى قام عليه ذلك الديوان الحماسي الذى لا تنضب ينابيعه ، وهو ، كما ترى ، ذو صبغة أرستقراطية كهنوتية ، فلا يذكر فيه سوى الآلهة والكهّان والملوك ، ولا نجد فيه إشارة إلى الشعب ولا إلى العامل ولا إلى التاجر ، الخ . وفي ديوان الحماسة ذلك شعر رائع يمكن قياسه بأجمل الأشعار الأوميروسية ، ولا ريب في أن أدبه أرقى من أدب الإلياذة والأوديسة ، ولكن ما فيه من شوائب

ظاهرة لا تُعزى لأوى على مطالعته ، فهو يصعد إلى سريرته بالقمة يختلف عن تفكيره وشعوره ، وعزمه إلى الأمور اختلافاً تاماً ، وهو يعترض علينا عالماً من مبادئ الوهمية سحر الإنسان في دور طفولته لا في دور كالدور الحاضر

وبعد عرض تلك الخلاصة مختارات ممتدة الخيال القطعة من [illegible]

هبوط يودهيشتيرا إلى الجحيم

« هبط يودهيشتيرا [illegible] التي من الطيب ، غطاً وسمة ، فماله من سقوط مشؤوم ، وما هذا [illegible] هناك ؟ ذلك هو مأوى الأرواح المجرمة الغارقة في صنوف حالكة ومتكررة [illegible] وتنبعث رائحة الإثم [illegible] واللحم والدم ، ذلك هو مأوى [illegible] بالخبث [illegible] والفاسد [illegible] والهوى ، ذلك هو مأوى الذي يرى [illegible] ويحتوي فوقه [illegible] والعقبات وغيرها من [illegible] التي تهبط منثورة متيمة فوق الجبال .

« [illegible] الشعر بين تلك الخبث [illegible] ورأى [illegible] من الأمواج [illegible] ذات الأغصان الحادة وصخور من الحديد [illegible] وعوسجاً [1] فلا أعذب [illegible]

[illegible] أحزنه [illegible] يودهيشتيرا [illegible] إلى [illegible] حتى سمع القول الآتي يخرج من مهالك الليل [illegible] [1] [illegible] أيها الملك [illegible] الشهير ، [illegible] لا [illegible] حوالك كرعد [2] ، [illegible] هذا

(١) العوسج [illegible] شجر شوك [illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible] الرم [illegible] التي لا تحرك شيئاً

[illegible] من طول ، [illegible] ، يأس [illegible] ، [illegible]

[illegible][1] [illegible] في [illegible] من [illegible]

[illegible] ، [illegible] مدعو [illegible] للعدل

[illegible] لنرجع إلى أولئك الذين تمثل

[illegible] إليها ، فنلتقي هنا عند من أحب .

[illegible] نحيب الآلهة .

[illegible] ارتفاع الأعمدة من أسفلها إلى [illegible] (يظهر أن المبد أنشئ في القرن الثالث عشر [illegible] التي تدل عليها هذه الصورة قد تمت في زمن أحدث من ذلك بزمن طويل)

[illegible] ذلك [illegible] رب الأرباب [illegible] وأحره [illegible] عزم هيبه

---

(١) [illegible] ـ جمع [illegible] وهي اسم بمعنى المصباح

[illegible] وقد شهدنا [illegible] في العذاب [illegible] وعبرناها من الآهة إلى [illegible] أنوارهم الظلام [illegible] العذاب على [illegible] ؛ [illegible] لا نرى [illegible] ولا [illegible] شائكة ولا صخرة من نار ولا صخر من [illegible] (١) ولا [illegible] ، بل صرت تجد ريحاً طيبة عطرة [illegible] أرضية الآهة ، [illegible] نرى النار منارة بنور السماء الساطع »

زيارة أرجُنا لجنة إيدرا

« [illegible] العتيق من قيود الأرض [illegible] وأقرع [illegible] إلى موكب الإلهي [illegible] في الأجواء [illegible] إلى [illegible] عن [illegible] الأرض [illegible] عشرات الألوف من [illegible] ، لا [illegible] الشمس والقمر وأى [illegible] ، [illegible] والتي [illegible] ، [illegible] ، فرأى أمامه مئات من [illegible] الذين [illegible] السماوات ، ورأى [illegible] الأوصياء [illegible] ، [illegible] عابة [illegible] تحت أشجارها الخضر ، وإن شئت فقل شاهد المأوى [illegible] للمؤمنين فلا [illegible] من لا يعرفون التوبة ولا [illegible] القرابين ولا [illegible] في [illegible] ولا [illegible] الضحايا ولا [illegible] إلى الزهد ولا [illegible] ولا يزورون الأماكن المقدسة ولا [illegible] بالعسل والصدقات [illegible] ، ولا [illegible] إيدرا فهي مجاورة [illegible] الربانية [illegible] .

(١) [illegible] الذى لا [illegible]

[illegible] وهو [illegible] عن الصوت [illegible] وهو على [illegible] [illegible] لانه [illegible] عن صوت [illegible] على [illegible] وعلى [illegible] الشموس دون [illegible] [illegible]

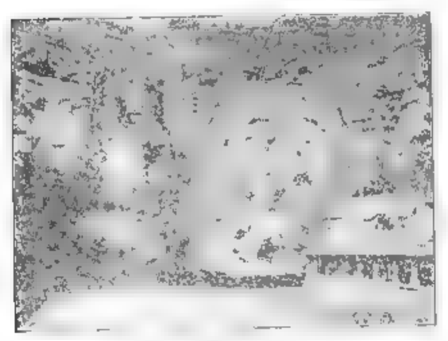

[illegible]

[illegible] [illegible] أعظم ما في الآداب [illegible]

[illegible] حدث من [illegible] على عمر ٤٨٠٠

[illegible] أصعر من الأخرى [illegible] ، [illegible]
وشو هو واصفها .

[illegible] على [illegible] الحروب التي [illegible]
التي [illegible] الأمراء [illegible]
والمروجين [illegible] .

[illegible]

[illegible] أدنيها ، فهزم سوورين كوها على الانتقام [illegible]

[illegible]

الوجوه المسحورة والأرواح الشريرة) لكي يخطف بنت ، فيجوب رأوه الهواء فوق مركبة سحرية ويجد في أحد سنا بالحيلة مستعيناً بصديقه الذي تقمّص في طير و [illegible] خارج [illegible] فيختطف [illegible] عسكراً [illegible] أحمد الزهاد و [illegible] معه فوق مركبة سحرية فيجد ملك الطيور وصديق [illegible] ل [illegible] حدث من القتال الذي [illegible] رأوه عن قتل ذلك الأشر ، [illegible] رأوه على سحره [illegible] ذلك الى [illegible] إلى [illegible] على غير [illegible]

و [illegible] مكان [illegible] القرد [illegible] مؤ [illegible] من [illegible] (١) و [illegible] لاسترداده و [illegible] عاصمة رأوه ، و [illegible] والصاب أخطرج فوق [illegible] أ [illegible] و [illegible] أ [illegible] في [illegible] و [illegible] كل [illegible] سحري فوق [illegible] على [illegible] في شيء [illegible] كان [illegible] ولده في البحث عن ذلك [illegible] جاهلاً [illegible] على [illegible] الأمير [illegible] سحري [illegible] القتال [illegible] كان [illegible] سحري [illegible] إلى [illegible] الآلهة [illegible] الذي أوجب عوده [illegible] إلى [illegible] و [illegible] على [illegible] رأوه ، و [illegible] أنه شخص [illegible] و [illegible] الطفل [illegible] مركبة سحرية [illegible] عاصمته [illegible] حيث [illegible] أحد عشر ألف سنة

---

(١) [illegible]

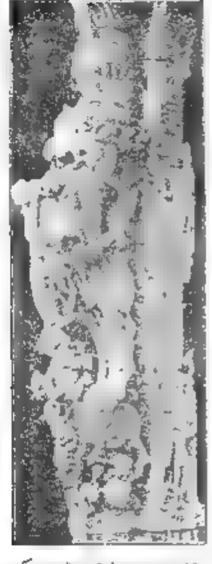

[illegible] (القرن [illegible] عشر [illegible])

وكما نلاحظ أن جميع أبطال ذلك الديوان [illegible] هم ممن تختلف عنهم الآلهة صدوراً من ذوى السلطان الخارق [illegible] من الاستعمال ، والمنطق المقدوس [illegible] كل [illegible] لا [illegible] كبيرة ، [illegible]

[illegible]

[illegible] فوق ذروة [illegible] الذى [illegible]

[illegible]

« هنالك [illegible] من كل جانب تخدقه حوضاً كبيراً شبيهاً بمار حبل ، فهبط [illegible] الإلهى من السماوات وألقى أمواجه متوالية فوق رأس شيوا العظيم ، فكانت على رأسه كدراً واسعاً [illegible] ، ثم أراد [illegible] إنقاذ [illegible] على [illegible] الذى [illegible] أوما الخالد ، فأجاب شيوا دعوته فأطلق مياه [illegible] صغيرة

من [illegible] النهر الأيمن [illegible] الظاهر [illegible] المجاري [illegible] الصحيح

« [illegible] هذا منظر [illegible] والفسحة [illegible] فوق [illegible] وقبو [illegible] . [illegible] ، وأي [illegible] ، فلعل أن [illegible] هنالك نشهد أعظم [illegible]

« وكان [illegible] مظر [illegible] خالدة [illegible] الرسة [illegible] كانت [illegible] النهر [illegible] شمس

« حرى النهر ، وكان يجرى سريعاً [illegible] ، وكان [illegible] ، وكان [illegible]

« [illegible] ، وكان [illegible] أرواداً [illegible] الحريف ، وكان الماء ينزل من رأس [illegible] الأرض [illegible] على [illegible]

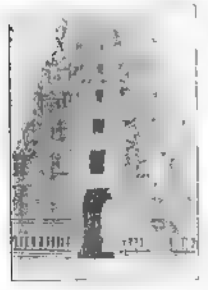

٩٧ — [illegible] (أنص [illegible] البلاد [illegible])

[illegible] ، وهو [illegible] على [illegible] (الكاتب)

« ورأى … أن العرش والقصر والمتطهروا الذين يسكنون فوق صدر الأرض يغتسلون مع الماء مجرى النهر الهائل ، ثم تتخذ هؤلاء الأمواج الصافية نبى خطيئة فوق جسم شيوا وشربوه فوقهم فتطهروا من كل دنس ، وعاد بنو القصور الأثيرية أولئك الذين سقطوا من السماء إلى الأرض فاستردوا طُهرهم بعد أن غطسوا في ذلك النهر ، وطاف … الإلهيون والسيدها وأعاظم القديسين بالدعاء خافق الصوت ، وكانت الآلهة والماندهروا تغنون ، وكانت جماعات الأبسرا ترقص ، وكانت كتائب الزهاد في حبور ، وكان العالم كله غارقاً في سرور »

طلوع القمر

« طلع القمر وحوله كسمه من الكواكب … من الأشعة فيغمر العالم بنوره الساطعة ، ورأى … الشهير صعود هذا الكوكب الدري الذي … الشموس الأثيرية فيبدو … أو من … الدرر … كلؤلؤة دون حيرة ، وأعجب بنوره اللامع … في الأفق من بعيد من المحوه كا … في فرح عجاب ، وأبصره وهو يطفئ … بتدريج ما طغى على الأرض من حر … النهار و… فيه البحر الواسع و… جميع المخلوقات »

صيدُ راما للغزال السحري ماريجا

« يجري الغزال حيناً ولا يُرى حيناً ، ويثير … رعباً خوفاً من أن يُصمى(1)

(1) أصمى الصيد : رماه فقتله .

فلما أبصر [illegible] ، ويظهر تارةً ويختفي تارةً أخرى ، ويَبْعُدُ مذعوراً مرّةً وينقضُّ [illegible] أخرى ، ويثب طوراً ويخرج من كناسه(١) راكضاً طوراً آخر

« وكان الغزال [illegible] حاذقة [illegible] الغابة ، [illegible] الشخص أمامه فشدّ قوسه [illegible] ، [illegible] هذا الغزال [illegible] محولاً [illegible] ، فكان يدنو قريباً منه حيناً وكان [illegible] منه حيناً آخر .

« [illegible] ، [illegible] الذي [illegible] في مكان [illegible] ، وكان [illegible] ، [illegible] وراء الغزال وقوسه بيده [illegible] ولا [illegible] في الغابة الكبرى كالقمر الذي [illegible] السُّحُب في [illegible] ، [illegible] الغابة الواسعة

« [illegible] كل [illegible] في كل [illegible] الأعشاب [illegible] بالقرب منه [illegible] على [illegible] فشدّ قوسه [illegible] ووضع أحسن سهامه على وتره

« [illegible](٢) [illegible] السهم [illegible] إلى شحمة أذنه ، ثم [illegible](٣) فأصبح ذلك السهم [illegible] الذي [illegible] فأصاب به [illegible] الغزال [illegible] »

(١) [illegible] — (٢) فوق السهم : موضع الوتر منه ، والفوقة [illegible] (٣) [illegible] ، [illegible] .

إعلان حب سيتا

« قالت سيتا لزوجها راما : سأذهب إلى حيث تذهب ، أقسم بحبك وبحياتك أني لا أرغب في سُكْنَى السماء بدونك . سيدةٌ مثلك بأسليل راعيهُ الشريف . فأنت مولاي وأنت سيدي وأنت دليلي وأنت إلهي ، سأذهب معك ، فهذا عزمي القاطع . أراك تدخلون هذه الغابات الكثيفة ، فسأسير أمامك لأحطم تحت قدمي الشوك والعوسج الذي تطؤه قدماك ، والزوج هو القائم على المرأة بصحبته ، لا والدها ولا أمها ولا ابنها ولا صديقها ولا نفسها ، فلا تنقض على سعادة السعادة ومشاهد الفكر كما تطرح القطرة الأخيرة من الكوب ، فخذني معك ... لأمير ... غير حذر ... شيء ... على ... لأرضت ولأعش معك في هذه الغاب التي تسكنها الأسود ... وحشيه ... فخذني ... كما ... والحدور ، ولن أكون عبئاً ثقيلاً عليك . ما أعظم سروري حين أقطف تلك النباتات الوارفة[1] ... المعطرة ، إني إذا ما عشت في غاباتك تركت ألوف السنين على ... يوم ... فالجنة ... وجهنم معك أحب منزل » .

٩٨ - ... معبد ... القرن ... (القرن الخامس عشر ...)

(١) ورف الظل يرف ورفاً ... اتسع ، وورف النبات : نضر واهتز واشتدت خضرته فهو (وارف) .

جنش شيوا

[illegible] كما [illegible] شيوا [illegible] تقذف النار من العيون والأفواه ، وهى [illegible] وهى [illegible] مرصعة [illegible] ، وهى [illegible] في [illegible] من هذه [illegible] [illegible] ، وأخرى [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]

٤ — الرموز والأمثال والقصص والأساطير

[illegible] في [illegible] مجموعة القصص [illegible] ، وهى [illegible] الأحداث [illegible] الأمثال [illegible] في [illegible] ، وكل هذه الأحداث [illegible]

(١) [illegible] وهو [illegible] في [illegible] ولا [illegible] كل [illegible]
(٢) [illegible] القصص وهو [illegible] (٣) [illegible] كلمة [illegible] (المترجم)

من الأمثال ما يشمل النعي على اللوم ، وما في صفحاتها من الحكم الكثيرة ، في القالب ، يثير في النفس حب الاستطلاع

ونرى أن وضع تلك المجموعة تم في زمن قديم جداً ، ونرى كثيرين ممن يعتقدون أن بعض تلك الأحداث القصيرة ... ، يدل أن الكتاب السنسكريتي الذي يشتمل عليه جمع في مدة دون ... ذكر فيه من عالم فلكي عاش حوالي القرن السادس بعد ظهور المسيح

٩٩ ـ بيجابور . مدخل مسجد وثوبا (القرن السادس عشر من الميلاد)

وذاع صيت أمثال الهند وقصصها بلاد فارس في النصف الأول من القرن السادس من الميلاد ، فأرسل كسرى أنوشروان الساساني (الذي دام عهده من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٩ م) عالماً طبيباً ليترجم البنج تنترا إلى اللغة البهلوية ، وحافظ

حتى ، بعد ذلك على هذه الترجمة إلى أن تمزّق العرب دولة الفرس في سنة ٦٥٢ ، فبعد نصف مئة سنة على زوال تلك الدولة وجد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور نسخة منها نجت من حرب نكبة الفارسية فأمر بنقلها إلى العربية.

والقرون كلما مرّت على تلك الأمثال عظم قدرها، فترجمت البنج تنتر في القرن العاشر إلى الفارسية، ثم نُقلت في القرن نفسه إلى التركية باسم سندباد، ونُقلت البنج تنتر إلى اليونانية في أواخر القرن الحادي عشر، ونُقلت إلى العبرية فالإسبانية في القرن الثالث عشر، ونُقلت إلى الألمانية في القرن الرابع عشر، وترجمها يعقوب ... في أوائل القرن الرابع عشر من الترجمة الإسبانية تلك إلى اللاتينية من حيث روحه فلبث طويل عند الشعوب، ولا تجد شعباً لم ينقل إليه هذا الأثر الخالد من الأمم. ومثّلت البنج تنتر دوراً مهماً في آداب القرون الوسطى، ومن هذه المجموعة اشتق أكثر الأمثال الأوربية، ومنها أمثال لافونتين.

وقد كرّ مجموعة الهتوبديش حسب مجموعة البنج تنتر، وهي منها مشهورة وإن كانت أحدث منها كثيراً، على أن الهتوبديش ليست إلا نسخة جديدة عن البنج تنتر مع حذف في بعض الأمور وإضافات أشياء جديدة مقتبسة من مجموعة مجهولة قديمة جداً على الأرجح.

ومجموعة الهتوبديش هذه نقلت إلى أكثر اللغات الأوربية أيضاً، وسنذكر بعض مختارات من حِكَمها في فصل آخر.

وهنالك مجموعات أخرى مشابهة لتلك المجموعتين وإن كانت دونهما شهرة، فلا نرى فائدة في ذكرها.

ويمكن القول إن كتب الهند حافلة بالقصص والأساطير، فتُعدُّ الآداب الهندوسية التاريخية أو الدينية مجموعة منها.

وعُرف كثير من الأقاصيص الهندوسية في أوربة بكتاب ألف ليلة وليلة، وتحتوي هذه المجموعة على كثير من القصص الهندوسية ولم يكن معظمها من أصل عربي، غير أن ما في كتاب ألف ليلة وليلة من القصص الهندوسية بلغ من التعديل والإصلاح ما يتعذَّر معه، في الغالب، تمييز ما هو من أصلٍ هندوسيّ فيه.

وتستحقّ الأساطير الهندوسية، التي تشتمل عليها الكتب الدينية أو التاريخية، دراسة خاصة، لا من أجل فائدتها الضئيلة في العموم، بل من أجل المعارف الدينية التي تستنبط منها عن الهندوس فيصعب على الأوربيّ تمثلها، فلا بدَّ من دراسة الأساطير غير قليلة للوقوف على منطق الهندوسيّ الخاصّ وتطوّر أفكاره وعلاقة هذه الأمور بعضها ببعض، ولقد ترجمتُ في سبيل هذا بعض أساطير سابقة دون تفسير، ثم وجدت أن صدره لا يتسع لها، فأوصي المتخصصين في [illegible] هذه أن يدرسوا أسطورة بيروبكش الذي عذب لأنه [illegible] أمه، كما عذبت الأدب، وأنه لم يستطع أن يتخلص مما قُدِّر عليه [illegible] الجهود، وأن يدرسوا أسطورة [illegible] مذهلة [illegible] وما تحتويه هذه الأسطورة من التفاصيل على أن أمر القرابين البشرية كان [illegible] في الزمن، وأن يدرسوا أسطورة الرَّحّالة تمثيل الذي شهد أصحابه الحكماء يفترسهم حسناءُ عفريتة في أثناء سياحته في سيلان، إلخ.

٥ — التمثيل الهندوسي

بعض الروايات الهندوسية كُتِب نظماً وبعضها كُتِب نثراً على العموم، وتختلف لغة هذه الروايات باختلاف ممثليها، فأما أبناء الطوائف العليا فيتكلمون فيها بالسنسكريتية، وأما أبناء الطبقات الدنيا فيتكلمون فيها باللغة البراكريتية.

والأدب في تلك الروايات أرفع مما في روايات مسارحنا الحديثة مع أنه وُجِدت معانٍ فاسقة في بعض الأحيان، فروحُ الدعارة التي تسود رواياتنا تراها غير موجودة في الروايات الهندوسية تقريباً، وأحلّ ما بين الغرام كبيرَ شأنٍ في الروايات الهندوسية، غير أن الزواج تعقبه فيه، وقد كانت تحرّمه مبادئ الهندوس الاجتماعية ونُزُوعُ من زوجات الآخرين، وللخليلات دورٌ مهم في تلك الروايات كالذي هي في روايات العصر به لا ريب، ولكنه كان هؤلاء الخليلات من المقام العالي في المجتمع الهندوسي ما يعدل مقام أخواتهن في العصر اليوناني السابق وما هو أسمى من أخواتهن في الوقت الحاضر.

وروايات الهند من روايات النوابغ[1]، فالحوادث فيها من خوارق العادة على العموم، وفيها تظهر الآلهة ظهوراً مستمراً، ومنها تزوج الإلاهاتُ بالآدميين، وفيها تظل الآلهة المُمثلات عندما تعقد.

وروايات الهندوس، من حيث التركيب، ضعيفةٌ ضعفاً يستوقف النظر، فهي صحف يا مجموع في سبيل التفاصيل على العموم، وأبطالها يؤثرون على العموم،

(١) النوابغ: جمع النابغة وهي الجنية.

وشدة التصنع والتكلف في القول ، ومن الصعب أن تجد بين الروايات الهندوسية والروايات اليونانية وجهَ شبه خلافاً لما رآه بعض العلماء .

ونشأ عن ذلك [illegible] عن غطاء تلك الروايات من قواعد معقدة ، فقد تجمع [illegible] وصنوف [illegible] بالعكس ، عدة أصول معقدة في إنشائها ، كما نرى ذلك في كتب كثيرة [illegible] مخصوص [illegible] لا يزال [illegible] .

وممثلو الهندوس كانوا محترمين أكثر مما هم عليه الآن ، وعلى قليل ما كان [illegible] الروايات من [illegible] عشر [illegible] ملوكاً لم يترفعوا عن كتابة روايات تمثيلية ، ومن هذه الروايات [illegible] رواية [illegible] مركبة الطين[1] التي [illegible] شودركا [illegible] في أوائل القرن [illegible] الميلادي على ما يظن .

وقد [illegible] روايات [illegible] المدرسة التمثيلية الكثيرة المعروفة في أوربة ، وصاحبها كاليداسا الذي يفترض أنه عاش في القرن السادس من الميلاد ، وهو [illegible] روايات (السحاب الرسول ، وأصل الإله الفتى ، وغرام [illegible]) ، وأشهر رواياته على الإطلاق هي رواية شاكنتلا التي تُرجمت إلى أكثر من عشر لغات ، ولي عندها عدة تراجم فرنسية ، فأعجب بها غوته ولامارتين وغيرهما من أعاظم الكتاب ، وذلك في زمن خُيّل فيه أن اكتشاف الآداب السنسكريتية فتح للإنسان آفاقاً جديدة ، وعلى ما نراه من عدم استحقاق تلك الرواية ما مُدحت به في البداءة نجد أن محاسن كُتّاب الهندوس تجلت فيها أكثر من تجلي مساوئهم ، فهي ، على العموم ، أكثر من غيرها بساطة وأقرب إلى الصواب وأقل مبالغة ،

(١) [illegible] الطفل [illegible] الذي [illegible] أي صوت .

وموضوعها إنسانيّ مؤثر وأبطالها يبدون من التمثيل ، والكلام فيها مُؤخر وتكاد
تخلو من التصنع والتعقيد ، وفيها بعض فصول عاطفية رائعة

وخلاصة تلك الرواية هي أن الملك دُشْيَنْتَه كان يصطاد مرة في غابة [illegible]
للآلهة ورأى فتاة اسمها شكنتلا فأولع بها فتزوجها على الفور على حسب عادة أبطال
الهنود ، وأعطاها خاتماً كانت ستعرف به [illegible] موقوفاً على [illegible]
[illegible] وطراً [illegible]
[illegible] على
[illegible]
[illegible]
[illegible] في
[illegible] في
[illegible]
[illegible]
[illegible] مع ذلك [illegible] على
[illegible] في
[illegible]
[illegible]

٦ — آثار أدبية مختلفة

[illegible] والتاريخ ما عثر [illegible] كتاب [illegible]
من [illegible] هذا الكتاب [illegible] موضوعاً [illegible] في [illegible]

والاشتراع [illegible] عدة كتب [illegible] وكذلك في [illegible] كتب [illegible] كان

[illegible]

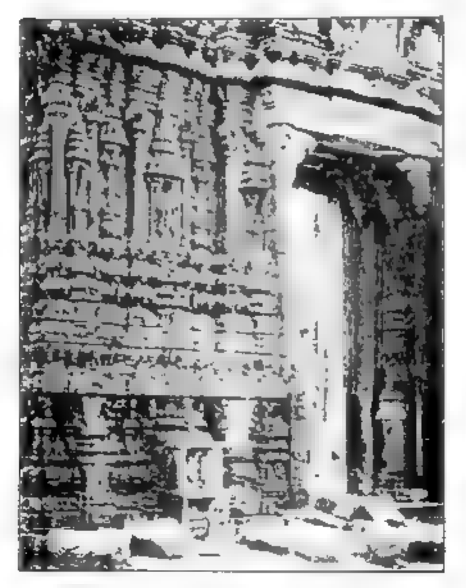

١ – [illegible] من جوامع مصر (القرن السادس عشر الميلادي)

ولو عددنا هذه المؤلفات لخرجنا من دائرة الإجمال ، فلا نذكر منها ، لذلك ، غير الكتب المعروفة بالپورانا ، لما لها من الأهمية عند الهندوس

ونحن نكنه البورانا بمعنى « القديمة » ، ونعدها من كتب الهند الحديثة وضعت في مختلف القرون ، فهي ، على ما يحتمل ، تشتمل على الأساطير الشعبية ، وتشتمل ، كذلك ، على تاريخ تراث الهند وآلهتها القديمة الأسطوري ، ويبلغ [illegible] ٨ بيت شعر ، وتتألف منها على عشرة دائرة معارف لا يحسن الأوربي قراءتها

ونذكر ، عدا الكتب التي ألمعنا إليها في هذا الفصل ، مؤلفات الفلسفة التي قضت في الأوپانيشاد ، وتكلمنا عنها حين [illegible] المذهبة وجود إليها في الفصل الذي خصصناه للبحث في ديانات الهند المعاصرة ، ولا حاجة [illegible] ، ونعرف أن الهند تنبهت بعد أن [illegible] التي [illegible] العرب إلا بعد قرن واحد فلم تقحمهم عن [illegible]

ونعد [illegible] الهندوس [illegible] إلى [illegible] الأدبية ، وبحث في [illegible] في [illegible] المختصر الآتي [illegible] هو الذي أرى البحث فيه أمراً [illegible] في غيره [illegible] حتى الآن .

٧ ـ لغات الهند

ليس من هدف هذا الكتاب وحدوده أن ندرس فيه لغات الهند ، ولو دراسة وجيزة ، وسنقتصر في هذا المطلب على [illegible] الإحصائية مختصرة بل نشير إلى تنوع تلك اللغات

يجب على الرحالة الذي يود أن يسيح في الهند وأن تدون أمره في كل مكان

منها أن يتعلم نحو ٢٤٠ لغةً ونحو ٣٠٠ لهجة ، وإذا ما أراد أن يعدَّ تامَّ الثقافة في الهند أن يعرف ، عدا تلك اللغات وتلك اللهجات الـ ٥٤٠ ، الفارسيةَ التي هي لغة رسمية للقصور الإسلامية ولمجتمعات راقية في هندوستان ، وأن يعرف العربية التي هي لغة الطقوس ، والأرمنية التي هي لغة التجار في كلكتة ، واللغاتِ الأوربيةَ التي يتكلم بها في الهند سكان مستعمرات الإنكليزية والبرتغالية والفرنسية ، إلخ

وقد لا يفيده أن يضيف إلى تلك اللغات ، التي يتراوح عددُها بين ٥٠٠ و ٥٦٠ ، لغةَ السنسكريت القديمة التي تدرس وحدها في جامعات أوربة على وجه التقريب ، لأنه لا يجد في الهند رجلاً يتكلم بها .

ويمكن ردُّ لغات الهند الكثيرة إلى خمس فصائلَ أساسية يختلف بعضها عن بعض أكثر من اختلاف اللغات الأوربية عن بعضها ، وهذه الفصائل هي : ١ ـ اللغات الآرية ، ٢ ـ اللغات الدراويدية ، ٣ ـ اللغات الكولية ، ٤ ـ اللغات التبتية ، ٥ ـ اللغات الخاسية .

وتشتمل الفصيلة الأولى على اللغات ذوات [illegible] ، وتشتمل الفصائلُ الثلاث التي تليها على اللغات ذوات [illegible] ، وتشتمل الفصيلةُ الخامسة على اللغات ذوات المقطع الواحد .

والناس يتكلمون ، على العموم ، باللغات الآرية في شمال الهند وقسم من وسطها ، ويتكلمون باللغات الدراويدية في الجنوب ، ويتكلمون باللغات الكولية في جهات متفرقة في الشرق والوسط ، ويتكلمون باللغات التبتية في أودية همالية ، ويتكلمون باللغات الخاسية في قسم من آسام

[illegible]

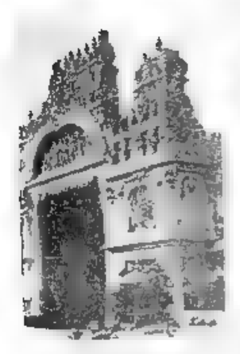

[illegible] الهند (أعني روان معبد مدورا الكبير في [illegible] ولكن [illegible]

[illegible] في [illegible] لا يكون [illegible] أكثر من [illegible] لغة [illegible] أخرى كالبوتانية أو [illegible] أو اللاتينية مثلاً ، وتحصرت فائدة الأوربيين من [illegible] في [illegible] القديمة الأصلية .

وفي [illegible] اللهجات [illegible] ست عشرة لغة آرية ، والهندوستانية هي أكثر هذه اللغات [illegible] وأحدثها [illegible] ، فهي لغة الهند الرسمية ، وهي لغة

الأعمال فيه، وبها تكتب الصحف وأمهات الكتب، ولا غُنْية لمن له علائق بالهند عن معرفتها.

والهندوستانية الكثيرة الانتشار في الهند، اليوم، هي حديثة التكوين مع ذلك، فلا يرجع تاريخ ظهورها إلى أقدم من القرن الخامس عشر، والهندوستانية مزيج من الهندية، التي هي من أصل آريّ فكان الناس يتكلمون بها في هندوستان، ومن الفارسية والعربية اللتين كان غزاة الهند يتكلمون بهما، وهي تعدّ لغة عامة مشتركة، وتكتب بالحروف العربية (الفارسية) على العموم، ويطلق على هذه اللغة، في الغالب، كلمة الأردو التي تعني المعسكر، لأنها كانت لغة معسكرات مغول دهلي، وتعدّ هذه اللغة شاهداً عزيزاً على صلات شعوب مختلفة بعضها ببعض، فهي عنوان التحولات الجديرة بدرس من رغبوا في معرفة نشوء اللغات وتحولها.

وأكثر اللغات الآرية شيوعاً، بعد الهندوستانية، هي الهندية التي يتكلم بها أهل قسم من هندوستان نفسها، والبنجابية التي يتكلم بها أهل البنجاب، والبنغالية التي يتكلم بها أهالي البنغال، الخ.

ولا قرابة بين اللغات الآرية واللغات الدراويدية التي يتكلم بها سكان جنوب الهند كما ذكرنا ذلك في فصل سابق، فاللغات الدراويدية من فصيلة لغوية مستقلة، أي من اللغات ذوات الوصل الموسعة، كما هو معروف، من أصل ثابت توصل مقاطع تؤلف كلماته وأواخرها.

وتحتوي فصيلة اللغات الدراويدية على أربع عشرة لغة وعلى عدة لهجات، سكانٌ وحده من هذه اللغات، ويتكلم بهذه اللغات نحو خمسين مليوناً من الناس،

وأهمُّ هذه اللغات هي التامولية التي تُتَكَلَّم بها في جنوب الهند الشرقيّ الممتد من رأس كماري والتي هي عين لغة مدراس ، والتلغوية التي يتكلم بها ١٧ مليوناً من الهندوس في شرق الدكن وفي بعض أجزاء نظام ، والكنارية والمليالية التي يتكلم بها في الساحل الغربي ، الخ

ومعظم اللغات الكولية التي يتكلم بها قبائل الهند الوحشية هي عنوان على سكان الهند الأصليين من نُهِجت قبل الغارات الآرية

ولا أثر لصلة اللغات التبتية إلا في أودية همالية

ولا يتكلم باللغات الكوشية إلا أناس قليلون في جنوب آسام ، وهذه اللغات من دون مقطع واحد ، أي من اللغات التي تتألف من مقاطع منفصلة كما هو أمر اللغة الصينية

وإليك جدولاً نذكر فيه لغات الهند شيوعاً على حسب الأهمية العددية ، فالرقم الذي هو بجانب كل منها يدل على عدد ملايين الآدميين الذين يتكلمون بهذه اللغة أو اللهجات المشتقة منها :

مليون		مليون	
٥ و ٨٢	الهندوستانية	٥ و ٩	الكجراتية
٣٩	البنغالية	٥ و ٨	الكنارية
١٧	التيلغوية	٧	الأورية
١٧	المراتية	٥	المليالية
١٦	البنجابية	٤	السندهية
١٣	التامولية	٢	المندية

ولا تسهل السياحة في داخل الهند بسبب تنوع لغاتها ولهجاتها ، فما أكثر ما كابدته من المشاق من جراء ذلك ، ويصعب تبيين الأمكنة في الهند أحياناً ،

في الهند أماكن يُسمَّى كلٌّ واحد منها في الخرائط والكتب بعدة أسماء [illegible] الأخذ على [illegible] ، فعلى [illegible] أن يكون مُستكشفاً ليعرف [illegible] أيّ مكان قصده مؤلف في كتابه(١)

ثم [illegible] عن اختلافات [illegible] الهند [illegible] في [illegible] في عروقها ، وما بين هذه الشعوب من الفروق العميقة [illegible] إذ كان أعظم [illegible] بين الشعوب الأوربية [illegible] فلا [illegible] أمر [illegible] أن يُوَفَّق لتأليف أمة واحدة

(١) [illegible] مدينة كانپور [illegible] Cownpore و Kanhpur ، [illegible] Amritsir و Umritsur و [illegible] Pondichéry و Punduchéry و [illegible] كانجي [illegible] Conjevéram و Kanch puram ، [illegible] Tanjawur و [illegible] أوده Awadh و Audh و [illegible] Trowankodu ، [illegible] Mand r Ray [illegible] Futeh ، Futty ، Futtun ، Futteo ، Futtih ، Futteh ، Futt ، Fut ، Futick ، Futhe ، Futh ، [illegible] Tamraparni ، Tamberperny ، Tambaravari ، Pambour ، Chindinthura

وعلى [illegible] في أول هذا الكتاب ، وعلى [illegible] على الأمكنة [illegible] أكثر [illegible] على [illegible] الإنكليزية [illegible] الإنكليزية [illegible] وما أكثر الكتب [illegible] الإنكليزية [illegible] في العالم الخارج كما [illegible]

الفصل الثاني

مباني الهند

[illegible]

لمباني الهندوسية التي أقيمت في الهند منذ قرن .

دراسة فن [illegible] ذاتُ مصاعب عجيبة ، فتجد بعض الأمور من جهة

عاطلة من [illegible] في تشكيل الأمة التي هي على جانب كبير من الأهمية ، وفي بعض الأحيان ، وحدة [illegible] ، وترى [illegible] بعد الأدوار من جهة أخرى تختلف بحسب [illegible] لا تجد معه ، في [illegible] ظاهرة [illegible] ، فالحق أنك لا تعثر في [illegible] التي [illegible] كما أنك لا تعثر على مثل هذه الوحدة في [illegible] وسكانيا كم ما يُشاهد بين بقاع أوربة المختلفة .

[illegible]

والأمر غير ذلك في الهند حيث [illegible] والإنسان شهوداً [illegible] لا تجد [illegible] جديراً بأن يسمّى تاريخاً .

و[illegible] الأمر [illegible] في [illegible] ، وهو [illegible] حافل [illegible] كثيرة [illegible] تراه وبما لا تراه فيه ، فلا تجد في الهند حجراً [illegible] من أقدم حضاراتها ، وإن شئت فقل من حضاراتها التي ظهرت قبل الميلاد بخمسة عشر قرناً [illegible] كتب الأدب ، ولا تجد من الحضارة التي قامت بعد ذلك [illegible] ألف سنة سوى [illegible] لا تكفي لإيضاح تاريخها وإن كشفت

لا تزال عظيمة ، ومبانى ، حين بُدّت فى الهند سنةً قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون ، مشتقة متدرجة من الشكل لم تتجاوزه قطّ مع تعاقب القرون .

ولا يكتشف الباحث فى أية ناحية من الهند الأدوار الأولى التمهيدية التى تدلّ عليها عادة الحضارات الأخرى على الدوام تقريباً ، ففى بعض بقاع الهند يرى الباحث ظهور مبانٍ فجأةً وبقاءها فى قرنين أو ثلاثة قرون ثم يرى تواريها بغتةً ، أى إنه لا يجد قبلها ولا بعدها غير القليل النادر ، أجل ، إنه يكتشف فى بقاع أخرى من [illegible] ، بيد أن هذه المؤثرات لا تعدو بعض البقاع ، وقد [illegible] أنه شاهد [illegible] فى إحدى البوادى الهندية [illegible] نقوش [illegible] ، غير أنه إذا ما جاب جميع بلاد الهند بأسرها لا يكاد يرى من وجه [illegible] من أدوار حضارة دامت أكثر من عشرين قرناً ، وهو إذا ما [illegible] عن كشف الماضى القديم انطلاقاً من تحت الأعفار فاقتصر على درس [illegible] دور حديث من تلك الأدوار معروف تاريخياً كالدور الإسلامى [illegible] من [illegible] أن يفترض أنه يتألف من هذه المبانى سلسلةٌ متجانسة [illegible] شعوب تدين بديانة واحدة وتتكلم لغة واحدة ، فى حين [illegible] من الدور [illegible] فى دور واحد وبقاع مختلفة من الهند هى من [illegible] هل هذه المبانى من آثار قرون واحدة وشعوب واحدة ؟

والمؤرخ [illegible] يمكنه أن يُلقى بعض النور على الشذوذ الظاهر الذى [illegible] ، و[illegible] التاريخية يمكننا أن نتبيّن الحوادث التى لا تُفسَّر [illegible] هذه المبانى تفسيراً صالحاً مع نقصها ، فالمؤرخ وحده يدرك

مباني الهند ، ومباني الهند وحدها هي التي تُكمل هذا التاريخ ، وتعمل هذه المباني عن نشأت أدوار من عالم النسيان بعد أن سكتت عنها الكتب والصحائف

١ — تقسيم مباني الهند

إذا استثنيت بعض المناور التي ليس لها قيمة فنية وجدت أقدم مباني الهند لم تُبنَ إلا بعد القرن الثالث قبل الميلاد ، ولدينا أدلة صحيحة ، مع ذلك ، على أن الهندوس كانوا ذوي طراز بناء قبل هذا التاريخ فأقاموا فيه مدناً وشادوا فيه قصوراً ، فمن أهم من الوصف الذي ورد في ديواني مهابهارتا والرامايانا ومن المباني التي أشبهت الي ومن شرائح مهابهارتا الكثيرة النقوش مثلاً ، أن تلك المباني بلغت من الكمال

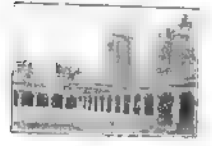

[illegible]

درجة عالية لم تكن إلا محاولة ناتجة عن طول تطور ، ونحن نعترض ، على العموم ، أنها زالت لأنها كانت مصنوعة من الخشب والآجر وإن صنعت أسسها من حجر ، كما تدلّ عليه محافظة أهل نيبال ، المسكين حديث العادات ، على عادة إقامة مبانيهم من الخشب والآجر إلى يومنا هذا ، وكما لاحظه ميغاستين قبل الميلاد بثلاثة قرون ، وكما شهد به معبد بذهغيا الكبير المصنوع بعضه من الآجر في ذلك العهد على الأقل ، فكان البناء الوحيد الذي انتهى إلينا ، والآجر والخشب إذ كان أسهل صنعاً من الحجر في البناء كان لنا أن نرى عمل الهندوس فيه على الحجر

ولم تبدأ الهند ، على ما نعتقد ، تعرف المباني الحجرية التي وصل إلينا بعضها

إلا في عهد أشوكا أي في القرن الثالث قبل الميلاد، ومن المحتمل أن تكون تماثيلها منقولة عن المباني الخشبية القديمة، على هذا الرأي كثير من العلماء، وقد وجدت ما يؤيده في شواهد كثيرة من المباني المنحوتة، فقد نحتت في المعابد الصخرية أعمدة تقليد لأعمدة خشبية منحوتة.

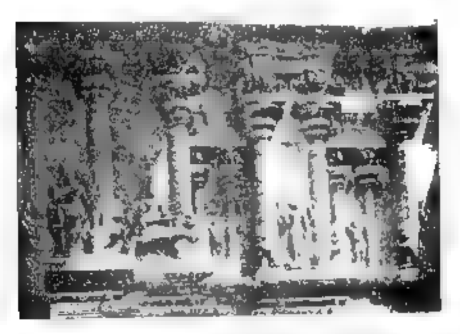

٣٠٦ — مدورا — دقائق نقوش في معبد من معابد ... الكبير

وتبدو الآثار البدهية القديمة، كالأعمدة التذكارية والقباب والشرف المنقوشة، من كمال الصنع ما يستحيل معه على سوابقها عدة قرون في البقاع الهندية المختلفة أمراوتي وأجنتا وسانتشي إلخ. ولكن قبل تعيين الزمن الذي شيدت فيه هذه المباني، أن من الممكن إثبات تطورها الفني بالمعابد الأولى المصنوعة تحت الأرض، بيد أن تلك المنقوشات الصخرية معاصرة لهذه المعابد الأولى التي نحتت تحت الأرض لتكون

ملاجئ، أو صوامع للرهبان الساكنين، وما مثلُ من يريد أن يستنبط أصول فن عمارة دور من آثار بدائية كتلك إلا كمثل من يستنبط أصول مباني [illegible] حديثة من الكهوف التي تعد في الجبال، والمعابد المحفورة تحت الأرض حين تُبنى لها بعض الأعمدة حسب ما تُصنع وَفْق الآثار المعمارية المعدودة من الطراز الأول.

وإذا عَدَوْت المعابد المنحوتة في الصخر لم يبق لديك من تلك الأدوار الابتدائية سوى عدد قليل من النقوش والأعمدة التي نُحتت من [illegible]، ومن حسن [illegible] الإنجليزيين في [illegible] الأولى في [illegible] وبقربها بذلك من [illegible]، [illegible] الأنصاب قبل عصر الذي [illegible] كما كانت حين صنعت، وليس عندنا [illegible] قليل [illegible] التي نُصبت فوق الأرض كالأعمدة التي صنعت كل واحد منها من حجر واحد [illegible] وكالشرف المنقوشة المبنية في الوقت الحاضر والمحيطة بالزارات المخروطية الشكل.

ولم يبق شيء من القصور والمعابد الكبيرة التي صنعت قبل الميلاد فوق الأرض، ووجد فاهيان الذي زار [illegible] في القرن الرابع من الميلاد أطلالاً لقصور أشوكا، ووجد فاهيان [illegible] ما كانت عليه تلك القصور من الروعة فقال إن الناس يعجزون عن صنع مثلها.

وقامت المعابد البُدّهية المصنوعة تحت الأرض [illegible] بين القرن الخامس والقرن الثامن من الميلاد، واستُبدلت بها معابد مصنوعة فوق الأرض تختلف الديانات، وهذه المعابد [illegible] أكثرها [illegible] تعطي [illegible] على الطراز الذي نُسبت إليه. ولا أوافق على هذه النسبة ما رأيت معابد [illegible] وخشية [illegible]

على هذا الطراز في دور واحد كما بدا لي من المقايسة بين معابد البرهمية ومعابد الجينية في كهجورا

وسترى في فصول هذا الفصل أن فن عمارة الهند قد اختلف اختلافاً كبيراً بين فئة وأخرى وبين دور وآخر، وما كان الاختلاف الذي يُبصر في فن العمارة الأوربية بتعاقب القرون بأعظم من ذلك

وعلى الباحث في المباني الهندوسية أن ينظر إلى جزئياتها عند الفحص في أمرها، لا إلى خطوطها البسيطة، ومما لا ريب فيه أن معابد العصر البدهي كانت تؤلف من ردهة وسيعة منحوتة في الجبال ومن مبانٍ مخروطية الشكل محاطة بأعمدة، وأن معابد العصر البرهمي تؤلف في شمال الهند من زاوية أو عدة زوايا وقمة الزاوية مربعة بأروقة فوقها هرم ذو وجوه مستديرة الخطوط، وأنها تؤلف في جنوب الهند من هيكل وسعة وقمة الزوايا تتألف من أبواب هرمية ذوات وجوه مستقيمة الخطوط والأضلاع وذوات طبقات كبيرة، ووصف عام كهذا لا يغني القارئ، ومع ذلك فعلى الناظر في الصور التي نشرناها في هذا الكتاب يمكنه أن يتبين طُرُزه

ومما نذكر أن مهندسي الهندوس لم يشيدوا بصنع القباب بتوجيهها إلى مركز واحد في جميع معابد الهند التي أنشئت قبل العصر الإسلامي ولا بعد هذا العصر في الغالب، فنجت معابد الهند القديمة من الخراب بذلك، فقباب كالتي تصنع في الغرب عوامل قلقة تقضي بمسامات كبيرة تحمل في أثنائها بذور بلاها، «فلا تنام أبداً» كما يقول الهندوس، فالحق أن البناء لا تكتب له الحياة لو شيد بحسب طرق الأوربيين في بلد كثير الزلازل والعوارض الجوية كما يدل عليه أمر المباني التي

شاهد الإسكندر ، وحقق أن معالم المعبد وأقيمت وفق قواعد ... تعنى إليه منه سوى الغبار

ثم عبدوس دعا لحصر أو حصر لسان ، المعابد ذوات مداميك الأفقية التي تحيط بعضها فوق بعض مصعداً ... عالية ... ، وقد كانت مساحته التي ... (1) ومنه أصيب من الأعمدة التي تشملها حجارة الدائرة متعددة أعمدة أخرى قريبة من مركز هذه الدائرة ، ولم يستعمل المهندسون القباب والأقواس المتوجهة إلى مركز واحد في معابدهم إلا ... هذا النوع من البناء ، ولا يعترض أنهم جهلوا ذلك الطراز قبل العمارة الإسلامية ما رأينا الأعراب الذين هم ... كما ... ، لا ريب ، عند اعتراض ... كما جهله المصريون في القرون القديمة

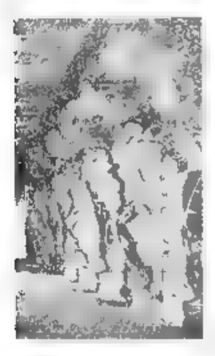

... مصور ... دقائق أعمدة رواق في ... الكبير (... ارتفاع الأعمدة ... نحو ... أمتار ... ارتفاع ... الحجرية ... نحو ...)

ومن ... خصائص المعبد ومصاعب ... من ... يمكن أن ... ، والواقع أن هنالك فروقاً عميقة بين فن العمارة في العصر الذهبي

---

(1) هذا البيت يضوء ... هناك.

وبينه في عصر النهضة الرومانية والعصر الإسلامي ، ولكن [illegible] نقصاً تاماً ، فما بين العروق من الدروز يؤدي إلى [illegible] أشد من التي يؤدي إليها خلاف العضلات ، وهذا [illegible] الدرز في خلاف في [illegible] في تمثال [illegible] عن خلافه في [illegible] مع أعماق [illegible] [illegible] واحدة في أكثر من [illegible]

[illegible] محمود في زخرفة [illegible]

و [illegible] صلاحه هو الذي [illegible] في أقسى [illegible] المباني ، وهذا هو النقش الذي رأيناه ، وهذا هو النقش الذي يرى به القارىء [illegible] على [illegible] في [illegible] في [illegible] مثلاً ، لا [illegible] في أدوار [illegible] إلى [illegible]

وقل نظرة إلى صور هذا الكتاب [illegible] على [illegible] كان [illegible] بحسب

[illegible] على أن أقدمها [illegible] ، [illegible] في [illegible] في
[illegible] التي ترجع إلى القرن العاشر من الميلاد ، [illegible] في
[illegible] من [illegible] ومن التماثيل [illegible] من الشكل [illegible] لم تقد
القرون منه على إضافة شيء إليها .

ولا [illegible] في [illegible] في العرب من [illegible] في [illegible]
[illegible] قد وصل إلى درجة من [illegible]
[illegible] وقت [illegible]

و [illegible] الآن على عناصر [illegible] الهند [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (١) [illegible] في ذلك [illegible]
[illegible]
أهمية آثار الهند .

---

(١) [illegible] من الصور
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
صورة للأطلال التي تزول بسرعة عظيمة .

٤ — تقسيم مباني الهند العام

١ — من عمارة الهند البُدِّيَّة (بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثامن بعد الميلاد)

١ — مباني الهند الأولى (أعمدة تذكارية ، معابد وأديار محفورة في الصخر)

أمثلة أعمدة الله آباد ودهلي التذكارية ، مباني بهاجا وكارلي وأجنتا ، الخ

٢ — مبانٍ بُدِّيَّة أُنشئت فوق الأرض

أمثلة مباني بهرت وسانجي وسارناتيه وبُدِّه غيا ، الخ

٣ — مباني ونائية هندوسية في شمال الهند الغربي

أمثلة مباني بشاور وكشمير ، الخ

٢ — من مباني البرهمية الجديدة في شمال الهند ووسطه

(بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر من الميلاد)

١ — من العمارة في شمال الهند الشرقي

أمثلة مباني ساحل أوريسه (بهو ونشوتر ، خَجُكَي ناتيه ، الخ)

٢ — من العمارة في راجبوتانا وبنديل كهند

أمثلة مباني كهجورا وغواليار وجتُّور وجبل آبو وأودي بور ومعبدّها ، الخ

٣ — من العمارة في كجرات .

أمثلة مباني أحمد آباد ، الخ

٤ — من عمارة الهند الوسطى .

أمثلة . مباني إليفنتا وإيلورا وأمبرناتهة ، الخ

٣ — فى عمارة الهند الجنوبية (بين القرن السادس
والقرن الثامن عشر من الميلاد)

١ — معابد جنوب الهند المصنوعة تحت الأرض

أمثلة : مبانى مهابالى بور وبادامى ، الخ .

٢ — فى عمارة المعابد فى جنوب الهند .

أمثلة : مبانى شينتمرم وماجور وتربتى وكانجى فرم وبيجانجر ومدورا وسرعم وسكهم ، الخ .

٤ — فى العمارة الهندوسى الإسلامى (بين القرن الثانى عشر
والقرن الثامن عشر من الميلاد)

١ — فى العمارة الإسلامى قبل العصر المغولى

أمثلة : مبانى دهلى القديمة ومبانى أجمير وبيجابور وغول كوندا ، الخ

٢ — فى العمارة فى العصر المغولى .

أمثلة : مبانى أغرا ودهلى وفتح بور ولاهور ، الخ

٣ — فى العمارة التى توحى بالمؤثرات الإسلامية فى مختلف بقاع الهند التى يحتفظ الهندوس بأكثر مبانيها

أمثلة : المبانى الإسلامية فى غواليار ومتهورا وملور ، الخ

٥ — فى العمارة الهندوسى التبتى (بين القرن الثانى من الميلاد والزمن الحاضر)

أمثلة : مبانى شر شومانهة ومدهة ماتهة وسهات غاؤن وتبتى وكهات مندو ، الخ

٦ — فى العمارة الهندوسى الحديث

أمثلة : مبانى جارس وأمرتسر ، الخ .

٢ – فن عمارة الهند في العصر البُدّهي

(بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثامن بعد الميلاد)

لا ترجع أقدم مباني الهند إلى ما قبل زمن راقٍ من العصر البُدّهي ، أجل ، وُجدت في البهار معابد محفورة تحت الأرض في القرن الخامس قبل الميلاد ، بيد أن هذه المعابد ليست إلا حفائر تُثبت مهارة الهندوس في نحت الحجر ، ولا تكشف عما كان عليه فن عمارتهم ، فالهندوس لم تبدأ آثارهم المعمارية إلا في عهد الملك أشوكا الذي كان قبل الميلاد بنحو ٢٥٠ سنة

ويمكن تصنيف جميع آثار الهند في العصر البُدّهي كما يأتي

الأعمدة التذكارية — ترجع هذه الأعمدة التذكارية إلى عهد الملك أشوكا الذي أمر بأن تُنقش عليها مراسيمه ، ويمكن عدّها من أهم المصادر في تاريخ الهند ، ويختلف علوها بين ... وهي ، وتيجانها مستورة بكتابات خاصة بالشعائر الدينية وتماثيل حيوانات ، الخ ، وتعلو تيجانها فيلة وأسود وعجلات ... وصولجانات ، ويفترض أن هذه الأعمدة كانت منصوبة ، على العموم ، أمام القباب البُدّهية أو بجوارها ، وتشاهد أحياناً أمام المعابد الواقعة تحت الأرض ، ولا سيما في كارلي

المعابد والأديار المنحوتة في الصخر — من أقدم مباني الهند وأعجبها ما نُحت في صخور الجبال من المعابد والأديار

وأقدم ما اكتُشف من الأديار المنحوتة تحت الأرض في بهار ، فترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولا تعدو غير حفائر بسيطة ، وحدث أن تاريخ أقدم تلك المعابد والأديار لا يزيد على القرن الثاني قبل الميلاد ، وداوم القوم على صنع معابد وأديار من ذلك

انظر إلى القرن الثامن بعد الميلاد فيكون مجموع الزمن الذي استمروا على إنشائها فيه نحو ألف سنة ، وهم لم يكفّوا عن صنعها إلا بعد توارى البوذية عن الهند ، فالحق أن سبعة أعشار تلك المعابد والأديار بوذية ، وأن عشرها فقط برهمي أو جيني

وتقسم تلك المباني المنحوتة في الصخر إلى معابد وأديار ، فيعدّ من هذه المعابد ثلاثين ويعدّ من هذه الأديار ألفاً .

ولم نعدّ بعض هذه المباني جديرة فيه الزينة ، بيدَ أنك ترى في أكثرها وأقدمها غلوّاً في النقوش والصور بما لا تلحق لأمة أحسن منه

وفي هذه الكتب الصخرية ما هو مهمّ من تلك المعابد ولا سيما أشهر ما يشاهد في بهار وكارلي و ... وبادامي وأجنتا ... إلخ والآن أقول إنه كان عن هو موجود منها في ... الطرق صنعها والفن الذي تحدث عنه على أن أذكر في مطلب آخر ... في إيلورا

تختلف معابد ... ببعض كثيراً من ... ، وذلك عن حوب حسب ... فتح ... ولا يجمع تلك المعابد إلا حوب ... في الصخور ، ومن المعلوم أن البرهميين الذين كانوا ... يتمسكون بالمرتبة تمسكاً لا يوصل معه ... وسيلة ممكنة ، كما تحدثت عنه من حال الأوربيين القليلين الذين يرون زيارة أجنتا ، مع قرب ... ، فيمضي ... برحالة

ويثبت ... أن كثيراً من الآدميين قد عاشوا تحت قبابها القرون ... ، ومن ... الإنسان ... الذي تغطيه تحت تلك المعابد في

حول الجبل إلا بعد تحليل القرون التي تمّ فيه

ومن المحتمل أن يكون أقدم تلك الآثار قد أُنشئ بأجنتا قبل ظهور المسيح بـ ١٥٠ سنة، وأحدثها قد تمّ بعد الميلاد بسبعة قرون، ونرى بين تلك الآثار من القرون يقوم على قليل من الزخارف، وأكثرها على النقيض من ذلك، في أجنتا، كما في معبد بلاد الهند، لا يستند فيه الناس إلى قاعدة التطور التدريجي

ونصف أحدث معابد أجنتا يشتمل على صورة بُدّهية، على الخصوص، شكلاً مُستكرزاً لا حد له، وتحتوي هياكل هذه المعابد على نقوش تبدو بُدّهية بالغاً بها درجة السعادة الإلهية

وتتألف معابد أجنتا وأديارها المنحوتة تحت الأرض من شُرَف محفورة قائمة على أعمدة منحوتة مثلها في الصخر

وفي أجنتا عدة أديار تابعة للمعابد، ويتألف كلّ واحد منها من حُجُرات حول ردهة، وتشتمل كلّ واحدة من هذه الحجرات على سرير من حجر، ولا تنفصل هذه الحجرات عن المبدأ الغالب، بل تتخذ الردهة التي تحيط بها هذه الحجرات، وهي واسعة أحياناً، معبداً مشتملاً على مقاصير صغيرة خاصة بعبادة بعض الأولياء، كما في الكنائس الكاثوليكية، ولم تغطّ الأديار الأخيرة شيء، فوجب دعم سقف معبد الواسعة حوله بأعمدة إضافية، وإن كل هذه السقف مؤلفة من الجزء الأصلي هو منحوت في الصخر، وتحتوي أجنتا على ردهة منحوتة تحت الأرض يبلغ جانبها ٢٨ متراً وتحملها ٢٤ عموداً صخرياً لا يزيد ارتفاعها على أربعة أمتار

ويرى في صدر كلّ واحدة من تلك الرَّدَه العظيمة المنحوتة في الصخر، على

السوم ، تمثال كبير لبُدَّهَة تحيط به تماثيل أخرى وسقر الأعمدة والسقوف نقوشٌ وزخارفُ ملونة ، وستر الحيطان تصاويرُ ممثلة لحياة بُدَّهة ، وهذه التصاوير ، مع روعتها ، منسوبةٌ إلى الغاية ، هي وحدها كلُّ ما انتهى إلينا من التصوير في الهند الغابرة ، ومن المحتمل أن تكون قد صُنعت في القرن الخامس من الميلاد ، ومما يشمل النظر الرجوهُ فيها ، فملامح هذه الوجوه وقسماتُها وزيُّها وزينتُها مما يدلُّ على عِرْق يختلف عن العرق الذي نرى مثاله في مباني الأولى المنقوشة في تنهانجا وكارل ونهاسارت وسانجي ، الخ

[illegible]

ولا شيء يعرف قاعة المعابد المحفورة تحت الأرض غير معابد أجنتا ، فمن أروع ما نظر منظر تلك الرَّدهة الواسعة ذات الأعمدة الضخمة والتي تجثم النصر وسط ظلامها فلا نرى فيه تمثال بُدَّهَة العظيم ، الذي يلوح المُلوح حارسين له ، إلا على نور المشاعل

القباب ، لم يُذكر شكل القباب ، على السوم ، خلافاً للأوروبة القديمة التي ذات شكل نصف كرويّ على السوم ، كما في سانجي ، وقد يكون

زخرفيًا كان [illegible]، وأحيط بها سياج حجري ذو نقوش، ويدخل من أبواب [illegible]

[illegible] من تلك القباب من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٢٥ سنة من ظهور [illegible] [illegible] حجري [illegible] [illegible] الأ[illegible] [illegible] [illegible] في ذلك [illegible] [illegible] كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك الا[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] الأرض

[illegible] على مكان مقدس أو لتخليد حادثة دينية .

وشكل قبة [illegible] [illegible] [illegible] قطر [illegible] ١٧ مترا، وكان [illegible] [illegible] [illegible] حجر [illegible] منقوشة [illegible] كل [illegible] وهذا إلى [illegible] شكل [illegible] ذلك كان [illegible] فوق [illegible] [illegible] تحت الأرض

وقبة [illegible] من الآخر [illegible] من [illegible]، وأهم أقسام

هذه القبة هو السياج الحجري الكبير الذي يحيط به ، ولا سيما الأبواب الأربعة الرائعة التي تُدخل منه [illegible] صور [illegible] أحرانها

ذلك السياج الحجري يحذو حذو تلك القبة ، ويتألف من أساطين عمودية مثمنة الزوايا ذوات نتوءات أدخلت إليها أعمدة حجرية أفقية إحكاماً لها .

ويشتمل ذلك السياج على نقوش كثيرة ، ويشكل دقائق عمل [illegible] ، كما يظهر في تلك الأبواب الكبيرة التي [illegible] ، [illegible] وجوه هذه الأبواب مغطاة بضروب النقوش البارزة ، والباب الشرقي هو أهم هذه الأبواب ، ويبلغ ارتفاعه نحو عشرة أمتار ويبلغ عرضه [illegible]

والنقوش البارزة التي [illegible] الأبواب [illegible] ، على العموم ، في مناظر حية [illegible] كل [illegible] وفي [illegible] ، و[illegible] هذه [illegible] الكبير [illegible] الأوضاع [illegible] في [illegible] واحداً أو مفترقاً

ويوجد على الباب الشمالي [illegible] ، و[illegible] ، ويوجد على يسار ذلك الباب وفي قاعدة عمود صورة لأثر قدم بوذه

ومع أن نقوش الأبواب الأخرى [illegible] دون نقوش ذلك الباب [illegible] فهي جديرة بالذكر ، كما [illegible] ذلك من صور [illegible] ، فالحيوانات التي على أعمدة أحدها تستوقف النظر كثيراً

ويشير منظر صور الأشخاص المنقوشة في سانجي [illegible] رؤوسهم ووجوههم المستديرة والمسطحة ، كما يظهر ، إلى عرق من آسية الوسطى لم يبق إلى أيامنا ، ويبدو أنه مثّل دوراً مهماً في ذلك العصر [illegible] دوراً [illegible] في مباني بهارت و[illegible] ، الخ

معابد البوذية الكبيرة القائمة فوق الأرض — المعابد البوذية الكبيرة القائمة فوق الأرض نادرة جداً، ولا يبعثنا هذا على أنه لم يُنشأ منها سوى عدد قليل، بل نشأ عن اندثار مُعظمها بسبب صنعها من موادّ لا تقاوم تقادُم العهد كالآجُر على الخصوص، والمعبدُ البُدَّهيُّ الوحيد الذي لم تُصبه يد التخريب، لترميمه منصف، هو معبد بُدَّهَه غيا الذي أُنشِئ قبل الميلاد بقرن في المكان الذي تقول الأساطير إن بُدَّهَة نال فيه مرتبة الحكمة العليا

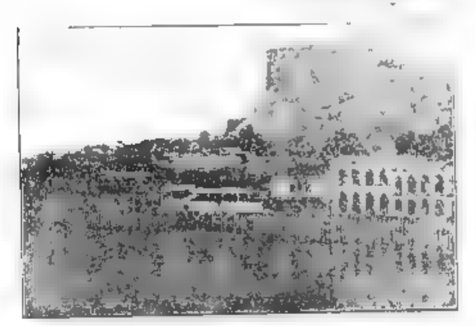

٤٠٢ — تري جنابلي. منظر للمدينة وقلعتها

وأقدس أماكن الحج عند البُدَّهيين، البالغ عددُهم خمسمئة مليون من الآدميين، أي عدد أكثر شعوب آسية، هي الأمكنة الثلاثة: مدينة كابلا وستو حيث وُلد بُدَّهة، ومدينةُ بنارس حيث دعا بُدَّهة الناس إلى مذهبه، ومدينةُ بُدَّهة غيا حيث نال بُدَّهة مرتبة الحكمة العليا، ولا نعرف، بالضبط، مكان أُولَى هذه المدن الثلاث،

ولا تزال معبدين لأخوين يمتعان بالتقديس ، وهما من أكثر بلاد العالم التي يزورها الناس

وكان تاريخ معبد بُدَّهْ غيا موضع جدال كثير بين علماء الآثار ، ومن الممكن إرجاع إنشائه الأول على أحسن وجه بين أحد ، ما اعترف الباحثون ، على العموم ، بأن وصف (الحاجّ الصينيّ) هيون سانغ له ينطبق على حالته الحاضرة ، ويدل تجوير النقش بجوار ذلك في القرن الرابع عشر الذي ورد ذكره في مخطوط على تجديد ذلك المعبد أو على ترميمه ، ثم أزالت مباحث كننغهم وراجندرالالاميترا كلّ شكّ في أن ما تمّ في القرن الرابع عشر ليس إلا ترميماً قام به عمّال من الأهالي غيرَ مبدّلين شيئاً في أشكاله الأصلية .

وشكلُ معبد بُدَّهْ غيا هرميّ وقاعدته مربعة ، وطبقاته تسع ، ويقوم على شكلّه رفعه نحوُ خمسة أمتار وجانبهُ خمسةَ عشر متراً ، ويبلغ مجموع ارتفاعه نحو خمسين متراً ، ويوجد في داخله ثلاثة محاريبَ صغيرة معقودة ، ويقدر ارتفاع الأعمدة فيه بنحو سبعة أمتار وجانبه بأكثر من ستة أمتار ، ويشتمل على تاج من حجر ركائز عمودٌ كان يقوم تمثال ذهبيّ لبدّهه

ونرى أن ذكر أن شكل ذلك المعبد هرمي أمرٌ نادرٌ في تمثال الهند ، ونرى مكرر كيفية ... ، وأقدمُ المعابد التي أقيمت على هذا النظر ... شُيِّدت بعد معبد بدّهه غيا باثني عشر قرناً حتى لنا أن نرى من الإمكان عدّ ... هذا المعبد نموذجاً لها .

وأسفرت الأحافير الحديثة التي تمّت حول بُدّهه غيا عن إخراج عدد كبير من النقوش والأعمدة والتماثيل الدرابزينات القديمة في الغالب فوُضعت هذه الآثار ، اليوم ، في الحدائق المحيطة بذلك المعبد ، وتشير إحدى صورنا الفوتوغرافية إلى أهمها

ورممت الحكومة الإنكليزية معبد دندرة منذ عهد حديث ، ولا أرى الشيء فى فاعل هذا الترميم ، فقد تغير شكل معبد ... بصورة محسوسة كما يدل على من المقايسة بين حال ذلك المعبد الحاضرة وصورته الفوتوغرافية قبل الترميم ، ويكفى ذلك المعبد لوناً أصفر كدراً فاكتسب به منظراً كريهاً ، مع أنه أبقى على رونقه الحرب عوامل ألف عام

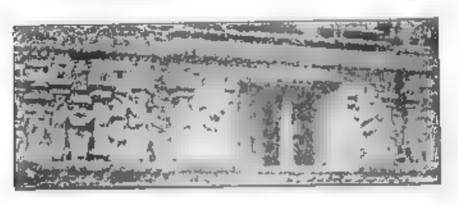

٢٠٨ — [illegible] من الميلاد [illegible] وهو يتألف من [illegible] [illegible]

المدن الإغريقية المحسوسة فى شمال غرب الهند — لم تحل الحواجز المنيعة التى تحيط بالهند ، كما يوضح ذلك تاريخ العالم ، دون غزو مختلف الأمم هذا البلد القديم ، والفاتحون من آريين ومغول وفرس وأفغان قد دخلوا الهند من خلال جبال همالية ، ولا سيما ممر أفغانستان ، فقهروها ، ويجدر بنا أن نذكر الفرس الذين غزوها بقيادة دارا قبل الميلاد بخمسة قرون ثم بالإغريق الذين أغاروا عليها سنة ٣٢٠ قبل المسيح بقيادة

الإسكندر فانتهت إلى الغرب فبالي الدول الذين فتحوها ونشرها وجدتها ذات صلات بأمم كثيرة وأبصرتها خاضعة لكثير من المؤثرات الأجنبية

فجار بنا، ويدنا، أن نتوقع امتلاك تلك المؤثرات في من عدد الهند، واستكشاف كنهه كان صعباً، مع ذلك، بعد غدوت المؤثرات الإسلامية، فنحو أن الهند ظلت، في حين خضوعها لسلطان الإسلام، تشعر بعجب من غير أن تؤثر وقعها، ومثل الهند في ذلك كمثل بلاد الفراعنة مصر التي عرفها عشرون أمة، كاليونان والرومان، فما مست على كثرتها القدم وعلى دينها من عاداتها ونظمها، فكان نصيب المذهب الإسلامي أن تحول ديانتها ونظمها وفنونها.

وكان للإسلام أثر تام كذلك الأثر في الهند، وذلك من غير أن نرى من تغييره فيها، خلافاً لما اتفق له في مصر، ففي الهند اجتمعت مؤثرات الإسلامية بمؤثرات هندوسية فأضحى نصف من عدد الهند كالمسلمين إسلامياً وأضحى نصفه الآخر هندوسياً

وبعد غدوت الإسلام وحدث مؤثرات الأجنبية في الهند ضعيفة بين نعمة، ووجدت تلاشي هذه المؤثرات في عوامل المحلية، فالفن الذي دخل الهند، مهما كان نوعه، لم يلبث أن تحول على أيدي عمال من الهندوس فاكتسب مظهراً خاصاً ذا طابع هندي، ولا فرق في ذلك بين أن يكون هذا الفن قد دخل الهند منذ ألفي سنة وأن يكون قد دخلها في أيامنا

ونعني أقدم المؤثرات الفنية الأجنبية في مباني الهند، فأولى علائق الهند بالفرس ثم باليونان صدرت عن هذه الناحية، وقد رأينا أن ما رواه هيرودتس

يعتقد أن الممالك التي قامت على ضفاف نهر السند كانت تعطي الجزية قبل الميلاد بخمسمائة سنة ، ثم تثبت المكتشفات العلمية هذه الرواية

وما نراه من أطلال المباني التي لا يرجع أقدمها إلى ما قبل الميلاد كثيراً تكشف عن التأثير الفارسي في بعض أقسام من فن العمارة ، ويبدو هذا التأثير على الخصوص في الأعمدة ذوات التيجان التي هي على شكل الجرس المقلوب ذوات الحيوانات المتقابلة ظهراً لظهر ، وتجد نموذج ذلك في قصر بني أخيد بيرسيبوليس ، وتجد مثل هذا النموذج بعينه في كثير من معابد الهند القديمة ، ولا سيما في نقوش سانجي وفي معابد المدينة من بشاور ، وشاهد في بهارت أقدمها ، أي ما يرجع إلى ما هو أقدم من ٢٥٠ سنة قبل الميلاد

ثم حدثت مؤثرات الإغريقية بعد المؤثرات الفارسية ، بيد أنك لا تجد الأثر الإغريقي إلا في أودية كابل وكشمير ، ويظهر هذا الأثر ، على الخصوص ، في التيجان والأعمدة ، فالأعمدة في كشمير مصنوعة على الطراز الإغريقي المعروف بالدوري ، والأعمدة في سكالا مصنوعة على الطراز الإغريقي المعروف بالأيوني ، والأعمدة في وادي كابل مصنوعة على الطراز الإغريقي المعروف بالقورنثي ، وهذا إلى أنك تبصر في هذه الأعمدة طابع المعتقدات الهندوسية ، فترى ، على الخصوص ، تمثال بوذا بين أوراق الأقنثا(١)

ولم تحدث مؤثرات الإغريقية في شمال الهند الغربي العميق الذي أشرنا إليه فيما تقدم ، ومن العبث أن حاول بعض الباحثين أن يكتشفها في نقوش مختلف المعابد

---

(١) الأقنثا هو نبات يعرف بشوك اليهود .

المثاره ومحفورة ، فلا بد أن تكون قد جلبت من المناطق المجاورة لنهر السند وحدثت تلك مؤثرات غريبة في فن هندوسي فلا نقدر على مقتها ، ونرى بعد أن درست أهمَّ معابد الهند بدقة ، أنه ظهر في عشرين وعدة سنين دليل على أن الهندوس اقتبسوا من الفرس الأعمدة في عهد يستحيل أنه ... في خلال تلك القرون السابقة

وتلك مؤثرات الفارسية الأولى التي عرفت ، مع قرب عهدها ، عن الهند عادت إليها مؤثرة مع المدارس الإسلامية ، فمن شاء في الماضي ، والفن الذي أدخله المسلمون إلى الهند هو من أصل فارسي تطور تطوراً عميقاً بفعل الحضارة التي حملها العرب إلى بلاد فارس حين فتحوها عقب الأكاسرة من بني ساسان في القرن السابع ، ويرتبط الفن الجديد الذي أدخله المسلمون إلى الهند ، وإن كان جسمه عربياً وصبغته الأغلب فارسية ، في أقدم عصر الفرس من عهد وجوده ، فلقد عرفت بعض نماذجه مثلاً ترجع إلى ما قبل الميلاد

٣ – فن البناء في العصر البرهمي الجديد

(بين القرن السادس والقرن الثامن عشر من الميلاد)

تقسم ، أول وهلة ، مدة العصر الذي ندرسه الآن فيبدأ حوالي القرن السادس من الميلاد ، أي في الزمن الذي كان يحتم بدؤه ... ينقل فيه عن الهند بسرعة ، إلى قسمين ، ويشتمل النصف الأول على جميع المباني القديمة في مختلف بقاع الهند الشمالية والوسطى ، وتختلف مباني هذا النصف الأول اختلافاً جديراً بالذكر باختلاف الأمكنة والأزمنة التي شيدت فيها مع ما نجده بينها من قرابة ظاهرة ، ويشتمل النصف الثاني على مباني جنوب الهند ، وسلم مباني هذا النصف الثاني من التشابه

ما يحتاج معه تمييز بعضها من بعض إلى عين بصيرة ، ونحن ، حين نضطر إلى تقسيم دراسة مباني الصنف الأول إلى عدة مطالب ، نستطيع أن نلخص مباني الصنف الثاني في مطلب واحد .

[illegible] في داخل المعبد

فن البناء في ولاية أوريسة . — تعد المباني القائمة على سواحل أوريسة من أقدم مباني الهند وأجدرها بالذكر ، وأنشئت هذه المباني بين القرنين الخامس والثالث عشر من الميلاد ، وما في أوريسة من معابد مصنوعة [illegible] إلى [illegible] قرون قبل الميلاد ، وإن كانت هذه المعابد لا تمت بصلة إلى طراز المعابد التي نتكلم عنها الآن .

وأنشئت معابد ولاية أوريسة على نمط واحد من حيث خطوطها الأساسية ، وذلك مع تعاقب سبعة قرون أو ثمانية قرون بين إنشاء مبانيها الأولى ومبانيها الأخيرة ، وهي تختلف عن معابد جنوب الهند ، فلا نرى فيها أروقة ذات صفوف متعددة ، ولا ردهات تحملها أعمدة ، وعلى ما كان يعرف من أمر الأعمدة ، التي أسندت الأحجار في أوريسة عند اكتشاف عدد منها صنع قبل بناء معابدها بعهد طويل من ، فإن القوم لم يستعملوا الأعمدة في تشييد هذه المعابد إلا نادراً .

وشكل معابد أوريسة الخارجي هَرَمِيّ ، بيد أن جوانب هذه الأهرام ذات خطوط مستديرة بدلاً من أن تكون ذات خطوط مستقيمة كما في معابد جنوب الهند .

[illegible] مُكعّب مشتمل على صور للآلهة يعلوه برج [illegible] خطوط [illegible] التي تكلمت عنها ، ودون ذلك الأهرام [illegible] المطبخ [illegible] الأهرام [illegible] المعبد الأوريسي [illegible] هرمي [illegible] للرقص والأغاني للصلاة .

[illegible] ذو جوانب مستقيمة [illegible]

وجبهة المعبد الأوريسي مصنوعة على وجه تكون الآلهة به أمام شمس مشرقة والمعبد في معابد الأوريسي [illegible] يسير [illegible] على [illegible] جدرانه وسقوفه ، وتُشاد جميع معابد أوريسة على رسم واحد ، فترى أشكالها العامة متشابهة كثيراً ، والهندوس محافظون أكثر من جميع الأمم المحافظة ، فإذا ما نُحت المادة فيهم في طراز وجب انقضاء عدة قرون لتطور عنه ، وفي دقائق الزخارف ، لا في شكل المعابد ، يجب البحث عن أوجه التطور عند درس فن عمارة الهند .

ويُعزى قِدَمُ معابد أوريسة عظيمٌ إلى الغاية ، ونشأ عنه هو أقوى ما تتطلبه صيانتها ، فهي [illegible] في قدم كثير من المباني الهندوسية أن تُحَوَّل جُدُر المباني الأوريسية

أعشار محوّع بحسبه وأن تُترك الأعشار الستة الباقية لعماله ، فكان من نتائج هذا النمو في موارد الإنتاج أن كسبت الهند من القوة ما لم تعن معه [illegible] فضلاً عن روعته ، وصار في محدث في بلاد الهند من الأدوار وقد بدت [illegible] موضوع [illegible] القوم في ذلك كما نشير به النظرية

ولم يغفل مهندسو تلك المعابد عن [illegible] الظاهرة ، فتراهم أكثروا من الخطوط المتقطعة قصداً ، وراعوا [illegible] الخطوط الأفقية عمداً

وتُبنى جميع المعابد في [illegible] من حجارة [illegible] خصوص ، لا من الأجر كما الأمر في [illegible] ، ولم [illegible] حجارتها ووصل بعضها ببعض درجة من الكمال والإحكام [illegible] حتى لم [illegible] فلم يستعمل فيها [illegible] ، ووجدت أقسام منه كثيرة كلاليب من حديد في بعض الأحيان ، ووُضعت العوارض [illegible] على الأعمدة [illegible] من حديد [illegible] بدلا من [illegible] ، ووجد في كنارك من هذه العوارض ما طوله ستة أمتار ومقطعه ٢٠ و ٢٥ سنتيمتراً ، ووزعت في جسم هذه العوارض [illegible] شكلا [illegible] من أطرافها

١١ ـ [illegible]

وما تقدم نرى أن تلك المعابد صنعت من الحديد والحجارة فقط ، وأما الخشب فلم يعتمد عليه إلا في صنع الأبواب ، ومن هذه الأبواب ما كان ذا نقوش وهو مصنوع من خشب الصندل المحفور

ولا [illegible] أوربية [illegible] إلى [illegible] شيء

فتشبه معابد الهند الأخرى ، وكلُّ ما نرى في أوربة من القباب تلك التي تتألف من مدمكات أفقية ، وقد [illegible] كهذه [illegible] من شروط الاقتصاد في المواد الإنشائية لا ريب ، ولكنها تتصف بالدَّيمومة .

وفي معابد أوريسة [illegible] الأعمدة والأساطين المنحوتة عن [illegible] ، ولا تجد منها في سوى [illegible] من معبد بهونيشور الكبير .

فنُّ العمارة في راجبوتانا — يُطلق اسم راجبوتانا على البقعة المعروفة عند الأهالي باسم [illegible] ، ووفقت طائفة الراجبوت للمحافظة على [illegible] في [illegible] بعد التحويلات ، حتى بعد أن [illegible] المسلمون .

[illegible] راجبوت [illegible] ، والراجبوت هم عنوان [illegible] من أقدم عروق الهند وأصفاها ، ويزعم الراجبوت أنهم حفدة الفاتحين من الآريين ، و[illegible] الراجبوت [illegible] الشرف في الهند الهندوسي ، وراجه أودي بور هو وليّ الأمر الوحيد الذي [illegible] عرش [illegible] سنة ترجع إلى ما قبل ألف سنة .

ووجد المسلمون ، حين [illegible] في الهند ، الراجبوت مسيطرين على جميع سهل الشمال وسهول البنجاب [illegible] حدود [illegible] الحاضرة ، فكانت لاهور ودهلي وقنوج وأجودهيا [illegible] ، وكانت دولتهم ممتدة في الشمال والغرب من نهر السند ونهر ستلج [illegible] من أخرى ، وكانت ممتدة في الشرق والجنوب إلى جبال [illegible] ، وإن [illegible] دولتهم كانت قائمة على جميع شمال الهند الغربي ، [illegible] من هذه البقاع الخصبة [illegible] إلى مناطق راجبوتانا الحاضرة المنيعة .

[illegible] شيئاً [illegible] الأبنية التي أنشئت قبل العصر الإسلامي على الأقل فنبحث فيها الآن ، ويقع هذه المباني في [illegible] وشادها عرق

وجهه ، وبين هذه المباني ما هو ذو طراز خاص ، ومن المتعذر أن نتبين الأطوار التي تُشتقت منها وإلى المراحل التي ترتبط بها في مبانٍ أخرى أحدث منها كانت عنوان نوعها

و [illegible] « التكيّف » الذي وُصف به في كثير من المباني التي [illegible] غير صحيح كما قلت ذلك آنفاً ، فمعظم الباحثين أطلقوا كلمة « الفن [illegible] » على [illegible] لا تشير إلا [illegible] أحد الأدوار [illegible] أحد الأدوار في [illegible] على [illegible]

١١١ ـ كهجورا : مدخل معبد [illegible] في الرواق الكبير (القرن [illegible] عشر من الميلاد) (يبلغ ارتفاع الأعمدة إلى أعلاها أربعة أمتار و [illegible] سنتيمتراً)

[illegible]

[illegible] كهجورا

[illegible] في هذه [illegible] كهجورا [illegible] في [illegible] كهجورا [illegible]

ومعابد [illegible]

تقع مدينة كهجورا التي كانت عاصمة آل [illegible] من الراجبوت [illegible] مهجورة ، على بُعد ٣٤ كيلو متراً من شرق مدينة جهتربور ، وكانت هذه المدينة ، التي أصبحت منسيّة في الوقت الحاضر ، من أهمّ مدن الهند كما تشهد بذلك مبانيها العظيمة ، حيث نحو أربعين معبداً يبلغ

السابع بعضها سعةَ كنائسنا القوطية الكبرى ، ولا نزال نطّلع على أطلال لها في مباحثه عدد كثير متوافر منه ، وأنت إذا ما استثنيت مدينة بُهُوَنِشْوَر لم ترَ مدينة ذات مجموعة مبان مثلها .

وأكثر معابد كهجورا التي لا تزال قائمة بُني في القرن العاشر من الميلاد ، ويُفترض أن أحدها شُيد في القرن السابع بعد الميلاد ، وإن كان يُشَكّ في تاريخ إنشائه .

وعلى ما نُبصره من بناء معابد كهجورا في قرن واحد على العموم ، فإنها خاصة بثلاث ديانات مختلفة ، أعني ديانة وشنو وديانة شيوا وديانة الجينيين ، ويمنع هذه المعابد من التشابه العام ما نعرف معه ، أوّلَ وهلة ، أي مذهب الدين الذي تخصه ، ويمكن أن يستنبط من تساوي أهميتها تساوي تلك الديانات الثلاث ازدهاراً في ذلك العصر .

ولم يَسبق هندوسيٌّ قطُّ معابد كهجورا من الناحية المعمارية ، ونجد بين ألوف التماثيل التي تكسو هذه المعابد غيرَ تمثالٍ لا يأبيه مثّال تماثيل الزمن الحاضر ، ولا نجد بين مهندسي الكتدرائيات القوطية غيرَ واحد استطاع أن يصنع ما يعدل معابدَ كهجورا في بعض الأحيان ، وقلما نُبصر واحداً منهم قدر على صنع ما يفوق زخارفها .

ومع ما بين تلك المعابد من شبه أكتفي بتمثيل أحدها مثالاً ، فأختار معبد كهندرايامهاديو الذي أُنشئ في القرن العاشر من الميلاد على مُسطّح حجري يبلغ طوله ٣٣ متراً ويبلغ عرضه ١٨ متراً ويبلغ ارتفاعه ٣٥ متراً ، فهذا المعبد يُذكّرنا خارجاً ، أي من حيث شكل أهرامه ذوات الخطوط المستديرة ، بمعابد أوريسة الكبرى وإن كان

يختلف عنها في جزئيات الزخرف مع اشتقاقها من مصدر واحد ، ويتقدم مزار هذا المعبد بطارمة أمامه رواق مؤلف من درج حجر به صيقه ، وحول هذا المزار ممرٌّ خلافاً لما يشاهد في أكبر معابد أوربة ، ويضيء هذا الممر وردهه التي تحيط به إضاءة جانبية نوافذ واسعة تشف من مخرمات روف مشبكة أعمدة فيتم عن ذلك كما رسم لها شكل صليب مزدوج ، وصنعت هذه المعبد ، كما في جميع معابد الهندوس ، مصنوعة من حجارة منضدة بعضها فوق بعض ، وطرز عقود كهذا ، وإن كان لا يسمح بأخذ مساحة كبيرة تسع النصب قوة كبيرة كما في ذلك ... ، ومما رأيناه ، أيضاً ، أن مهندسي الهندوس وغيرهم ... التي تشتمل القبة المصنوعة من ذلك وجه ... الأعمدة محورة فوسط ... عمدة

١٩٢ — راميشورم . ممر الأعمدة في داخل رواق (القرن السابع عشر من الميلاد)
(يبلغ طول هذا الممر نحو ٢١٠ من الأمتار ، أي أكثر طولاً من أوسع صحون أكبر الكنائس)

ويستر داخل معبد كهنداريا وخارجه تماثيل يقرب ارتفاعها من متر واحد ، ويبلغ عدد هذه التماثيل نحو ستمئة

وتقع معابد جبل آبو التي نذكرها الآن ، ككثير من معابد الهند القديمة ، في بقاع صعبة الوصول ، ويبدو لنا أن منشئيها أرادوا هذه الصعوبة وفق خطة مرسومة .

وتقوم معابد جبل آبو فوق ذروة جبل مُوحِش يبلغ ارتفاعه نحوَ ١٨٠٠ متر ، وبُنيت جميع هذه المعابد من الرخام الأبيض الذي لا عهد لتلك المنطقة به ، فوجب نقل هذه الرخام إلى تلك الذروة وتحمُّلُ مصاعب باهظة لذلك . وتطلّب دمجُ قِطَع هذه الرخام بعضها في بعض إحكامًا أشدَّ من ذلك ، وما أسفرت عنه هذه الجهود من الأثر الفنيّ عجيب ، ولا نُبصر مثالَ ذلك الإدماج في أيّ بناء غوطي مأثور .

ومعبدا جبل آبو خاصّان بالديانة الجينية ، وبُدِئ بإنشاء أحدهما المعروف بمعبد ويملاشاه سنة ١٠٣٠ ، وبُني الآخر المعروف بتيج بال بين سنة ١١٩٧ وسنة ١٢٤٧ .

ويتشابه هذان المعبدان على نسق واحد ، ويتألف أساسهما من إطار قائم الزوايا يبلغ طوله ٣٤ مترًا ويحيط به مقاصيرُ صغيرة لا تدخلها النور إلا من أبوابها ، ويحتوي كل واحد منها على صنم عارٍ مُمثِّل لصورة القديس الذي بُني المعبد تقديسًا له ، وترى صورة نفسها مقدَّسةً في كلّ مقصورة اقتباسًا تامًّا ، وترى نحو ستين مقصورة حول ذلك الإطار ، وترى أمام كل واحدة من هذه المقاصير شُرفة مؤلفة من صفَّي أعمدة ، وتعلو كلَّ باب لها نقوشٌ بارزة تُمثّل مناظر حياة ذلك القديس .

ويتألف قسم الإطار المقدَّم من رِواق واسع تعلوه قُبّة تدعمها ٤٨ عمودًا مُندمِجًا من الرخام الأبيض تفوق الأعمدة الإغريقية العارية

والقبة التي تعلو تلك الأعمدة هي ، كجميع قباب ذلك العصر ، مصنوعة من [illegible] أفقية ، و[illegible] عشر [illegible] مصفوفة حول دائرتها ، وهذه القبة [illegible] كالمسجد [illegible] مشهورتين [illegible] ، ولا يبقى الآن [illegible]

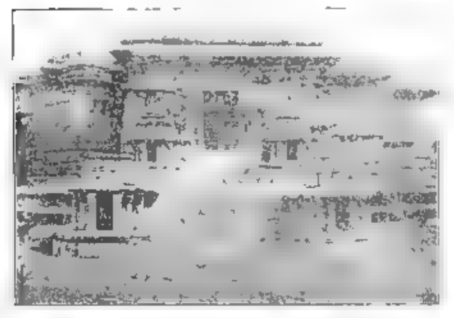

[illegible]

[illegible] على عكس [illegible] في [illegible] كل [illegible] ، ولا [illegible] ، على ما [illegible] عليه من [illegible]

وفى راجبوتانا مبانٍ رائعة أخرى ، ولا سيما ما نعلم منها فى غواليار وجتور ، ولا أرى وضعها هنا فى صدر هذا الكتاب ، ما كنى بنشر صورها ، و تعد قصر غواليار و [illegible] التى تشتمل عليها سور القلعة من أهم مبانى الهند القديمة ، وسنقول بعض كلمات عن هذا القصر وعن قصر أوديبور.

ومع ما عاناه قصر غواليار من تلف ، وعلى ما مُنِىَ به أكثر قطعه الحربية [illegible] من السقوط ، فإن السائح الناظر إليه لا يستطيع إلا الإعجاب به كما أعجب به الملك بابر حينما دخله سنة ١٥٢٧ .

تم قصر غواليار حوالى سنة ١٥٠٠ ، ويستند هذا القصر على القلعة [illegible] على [illegible] ، ويبلغ طوله [illegible] نحو مئة متر [illegible] نحو ثلاثين مترًا ، ومعظم واجهته هو الوجه الشرقى [illegible] ، وهذا الوجه [illegible] من [illegible] على [illegible] ولا تزال [illegible] روعته [illegible] ، وحسب المصور [illegible] التى تشاهد غير هندوسية ، ويكون [illegible] من أصل فارسى كما هو واضح

وفى داخل ذلك القصر مؤلف من طابقين غرف صغيرة [illegible] حول [illegible] صغيرة ، ولا [illegible] أكبر هذه الغرف عن ١٠ × ٦ [illegible] ٦٠ ، وهى ذات فن بديع كما يبدو ذلك من إحدى الصور الفوتوغرافية التى نشرناها ، ولا أحد [illegible] روعة غير [illegible] فى قصور فتح بور المشابهة لها

وقصر أوديبور هو القصر الراجبوتى الوحيد الذى تستطيع أن تقيسه بقصر غواليار ، بَيْدَ أن قصر أوديبور دون هذا القصر فنًّا ، لأنه أحدث منه ، ولي[illegible]

فيه من الطابع الإسلامي ، وهو يُعَدُّ ، مع ذلك ، من أجمل القصور التي تَخْطُرُ على قلب بشر لقيامه على مكان من أروع ما في الهند

ونرى ، أيضاً ، بين الصور الكبيرة التي نشرناها عن مساجد أودبيور بعض مزارات في المقبرة التي تضم رُفات ملوك ميوار

وتجد على بعد ١٩ كيلومتراً من أودبيور مدينة معابد الخربة الصامتة في الآجام ، وتشتمل هذه المدينة التي أُنشئت في القرن السابع من الميلاد على معابد من أروع ما في الهند ، وقد كان كل معبد من تلك الأطلال منقشاً من الرأس على رسوم ، فلا يشتمل كتاب آخر على صور لآثارها الفخمة

ونبين السبب في كجرات ، طراز البناء في كجرات ، ولا سيما طراز أحمد آباد ، الذي يمكن عده نموذجاً يختلف عن طراز البناء في مذكورة آنفاً ، وذلك لاختلاط عناصر الفنون الإسلامية فيه بطراز البناء الهندي المحلي

أُنشئت مدينة أحمد آباد في القرن الحادي عشر من الميلاد وظلت منذ ذلك حين سنة عاصمةً لولاية كجرات التي عُدّت من ولايات الهند المزدهرة والتي حافظ أهلوها على استقلالهم مع اختلاف العروق التي تتألف منها ، ومدينة أحمد آباد تلك المشهورة بعمدها ، وفيها ازدهرت الفنون والآداب أيما ازدهار ، وذاع صيت النقوش القائمة عليها منذ القديم ، وكانت تتجر مع بلاد العرب ومصر

ونعود فنقول إنه مما أدى في كجرات إلى نتاج الديانة الجينية مشابهة للبوذية ، ولم يصنع المسلمون غير جعل هذه المباني ملائمة لمذهبهم

استولى العرب على كجرات منذ القرن الأول من الهجرة ، ولكنهم لم يستقروا بها ، وحافظت كجرات على استقلالها إلى عهد الملك فيروز تُغْلُق ، مع ما قام به

محمود الغزنوي من غزو لآخر ، فلما حلّت سنة ١٣٩١ اعتنق هندوسي راجبوتي الإسلام وسمّى مظفر وعُيّن نائباً للملك في كجرات

وفي سنة ١٤١٢ نقل حفيد مظفر السلطان أحمد عاصمته إلى المدينة التي أنشأ عقب [illegible] اسمها أحمد آباد .

وعرفت [illegible] الهندوسية القديمة مبنية على الطراز الخاص [illegible] في مساجد ومباني [illegible] ، فمدنه من مساجد تمت على هذا الطراز ، فإذا جرّدت مباني أحمد آباد الحديثة من الأقواس [illegible] والكتابات العربية أمكنت عدها هندوسية الطراز .

فمع ذلك [illegible] مدينة أحمد آباد [illegible] سنة ١٥٧٢ [illegible] الدولة [illegible] ، [illegible] شؤون [illegible] ومن هؤلاء [illegible] من [illegible] على عرش [illegible]

[illegible] أحمد آباد ذروة عظمتها في العصر المغولي ، [illegible] مدينة في هندوستان ، [illegible] على [illegible] ، [illegible] عدد سكانها [illegible] على [illegible] ، وكان [illegible] مستمرة [illegible] العرب [illegible] وجميع أجزاء الهند ، وكان [illegible] و [illegible] شهيرة في كل مكان ، [illegible] والذهب [illegible] التحف [illegible] ، [illegible] كجرات [illegible] لا [illegible] الصدف المرصعة المزوقة [illegible]

وفي العمارة في كجرات ، وهو [illegible] طراز أحمد آباد مثلاً له ، دليل [illegible] على اختلاف فن البناء الإسلامي في مختلف أقسام الهند ، وتجد لمباني أحمد آباد من الطابع الخاص ما لا تجد مثله في بقعة أخرى من بقاع الهند [illegible] المعاصر

هندوسية فيه من التفوق ، [illegible] فيه من الأقواس والمنائر والكتابات العربية ما يجعلها مظهراً إسلامياً ، [illegible] بزخرفه من طراز مباني الهندية التي وجدنا أروع نماذجها في جبل آبو

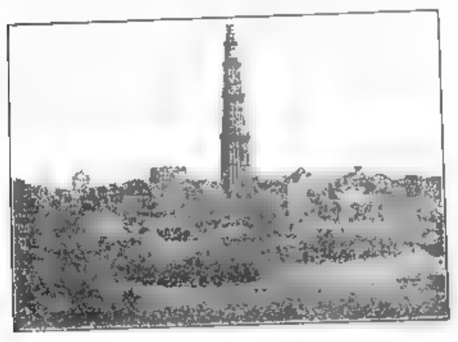

٢٤١ — دهلي القديمة : منظر عام لأطلال مسجد قطب الدين [illegible] برج قطب منار في وسط هذه الصورة ، و [illegible] في الصورة الآتية ، ونجد على اليمين وتجاه البرج باب علاء الدين)
(ويرجع مباني دهلي إلى ثلاثة أدوار مختلفة ، فأما مباني الدور الأول فهي التي شيدت قبل الفتوحات الإسلامية [illegible] عرضاً ، وأما مباني الدور الثاني فهي مباني الفتح الإسلامي الأول التي شيدت في أوائل القرن الثالث عشر فتظهر في هذه الصورة والصور الآتية ، وأما مباني الدور الثالث فهي مباني الدور المغولي التي شيدت في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر ، وهي مختلفة عن السابقة وعرضنا صوراً لها في هذا الكتاب)

وإذا سألت عن رسم مسجد أحمد آباد التام وجدته مثل رسم جميع المساجد الإسلامية ، أي وجدته مؤلفاً من صحن واسع قائمة الزوايا يحيط به أروقة مسقوفة ،

فمن جانب من هذه الساحة نرى رواقاً كبيراً تعقد فوقه [illegible]، على العموم، ثلاث قباب يحملها اثنا عشر عموداً، شأن القباب الخمسة، والقبة الوسطى أعلى من القبتين الأخريين، وقد تمّ هذا العلوّ بإضافة أعمدة أعلى من الأخرى [illegible] فوق مقدم الأعمدة و[illegible] أعمدة على الجهات الثلاث الأخرى مستندة إلى السقف لدى [illegible] القباب، و[illegible] هذا الوضع، الذي لا نشاهد مثله في مباني [illegible] الأقدم [illegible] في [illegible]

وقد [illegible] الضرورة [illegible] في [illegible] ذلك [illegible] قباب، بل زيادة عددها، ومن ذلك أن [illegible] القباب في المسجد الكبير [illegible] كل [illegible] عموداً [illegible]

[illegible] فالشريعة الإسلامية إذ كانت تحرّم صُوَر الآدميين وكان [illegible] شبكة هندسية

[illegible] التي [illegible] كثير، [illegible] أكثر [illegible] ولا [illegible] مثلاً [illegible] التي [illegible] أنك تجد [illegible] على فن [illegible] خاص كبالي.»

(١) السكواه: جمع السكوة وهي الخرق في الحائط.

ونرى في وسط الهند ، أيضاً ، معابد مصنوعة تحت الأرض ، ومساكن عُبّادٍ بُدْهية كما هو أمر معابد كارلي وأجنتا الخ المذكورة فيما تقدم ، ومن مخصص الديانة البرهمية كما هو أمر معابد إلفنتا ، أو مخصص لكلتا الديانتين كما هو أمر معابد إيلورا ، ومعابدُ إيلورا هذه هي من المعابد التي أدت دراستها إلى نظريتنا التي أوضحنا بها أفول البُدْهية بابتلاع البرهمية لها ابتلاعاً تدريجياً .

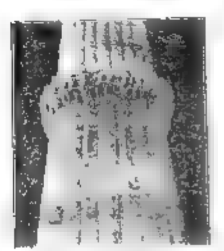

١١٥ — دهلي القديمة . قسم من برج قطب (جهة الثلاثة برج قطب الدين الذي نرى منظره العام في الصورة [illegible] سنة ٩٩ ، وعلى ارتفاعه ٧٣ متراً ، ووزعت على خمس طبقات خط كوفي و[illegible] المقرنصة الظاهرة في هذه الصورة .

تقوم معابد إيلورا التي درسناها وحدها في هضاب مطلة على جوانب جبل تُتوّج ذروته قرية روضة الصغيرة حيث تُرى ضريح ملك أورنغ زيب ، وتقع هذه القرية في شمال أورنغ آباد الغربي وتبعد منها ٢٢ كيلو متر

ويبلغ عدد الأحافير التي تتألف منها معابد إيلورا ثلاثين ، ونُحتت هذه المعابد في الجانب الغربي من الجبل على طول كيلو مترين ، وتجد مدخل هذه المعابد صعباً في فِجاجٍ عميقة تسترها آجام وأشجار عادية(١) ، واليوم نرى تلك المعابد والأديار ، التي عمرتها أجيال من الآدميين فذكّرتنا بآثار قدماء المصريين الضخمة ، صامتة ، ولا يكدّر صمتها سوى سائلين قليلين يسيرون وراء السياح

(١) العادي : القديم .

وأُنشئت معابد إيلورا في أدوار مختلفة ، ويرجع معبد وِشْوَ كَرْمَا ، الذي هو أقدمها ، إلى سنة ٥٠٠ من الميلاد ، ولا تُعَدّ معبد كَيْلاسا الذي هو أحدثها إلى [illegible] أحدث من سنة ٨[illegible] من الميلاد ، فتكون تلك المعابد قد أُنشئت ، إذن ، في دور دام ثلاثمئة سنة

وعندي أن ذلك الدور ، الذي بدأ في القرن السادس وانتهى في القرن التاسع فشيدت فيه معابد إيلورا ، هو الدور الذي عادت البرهمية فيه بالتدريج إلى [illegible] مشهورة فيه ، [illegible] أن [illegible] ، [illegible] كبيرة مؤلفة من آلهة برهمية ومن آلهة [illegible] ، وذلك بدلا من أن يفرد لكل منها وحده هيكله الخاص به ، ومن الصعب أن نُميّز جميع هذه الآلهة مستندين إلى [illegible] من غير مختصين [illegible] (البدهية) [illegible] في هذه [illegible] ، [illegible] صورة [illegible] ، وإلاهة [illegible] ([illegible]) ، [illegible]

وهكذا نستطيع أن [illegible] في [illegible] ذلك [illegible] في [illegible] القرنين السادس والتاسع من الميلاد [illegible] في الهند [illegible] سوى [illegible] منهن عليه [illegible] في [illegible] كما سنثبت ذلك ، ولا [illegible] على ذلك [illegible] الآلهة في [illegible] ، أيضا ، على مثال ما في [illegible] من أن بعض معابدها [illegible] وأن بعض معابدها التي أُنشئت [illegible] المعابد البرهمية [illegible] تصاوير برهمية تماما .

وبعض معابد [illegible] قائمة فوق الأرض وأكثرها مصنوع [illegible] على عدة طبقات مستندة إلى أعمدة ضخمة منقوشة نقشاً عجيباً ، ومما يُلاحظ أنها عاطلة من [illegible]

الأقواس المماثلة التي تُرى في المعابد البدهية القديمة المصنوعة تحت الأرض، ومن النادر أن تجد فيها عقوداً.

ويتطلب تعداد معابد إيلورا ودرسها مجلداً، فما كتبنا في هذا الشأن نذكر أهمها، وفي هذه المعابد تُبصر ما لا تبصره في غيرها من صُوَر وتماثيل.

وأشهر معابد إيلورا بالذكر معبدُ إندرا ومعبدُ كيلاسا، وليس معبدُ كيلاسا بمعبد مصنوع تحت الأرض تماماً، فترى القسم الأوسط منه معرضاً لأنوار الأرض عن فيه حين، ولكنك تجده محاطاً بعدة أساطين وقُبب حُفرت فيه وتُنحت في جوانب الجبل.

ويشابه خارج معبد كيلاسا معابد جنوب الهند الدراويدية، وتجد تكراراً له في الأروب وتجد هذا المثال الابتدائي في معابد مهابلي بور أيضاً.

وقد عرفت معابد مهابلي بور ومعبد كيلاسا الذي أُنشئ في القرن الثامن من الميلاد، كما نرى، أقدم من جميع معابد جنوب الهند.

ويعد هذا المعبد البرهمي الذي صنع بعدُ شيئاً من معابد التي تحقق خيال منقوش منحوت في نقوشه، فلا نكاد نحاول وحدنا تصوير هذه النقوش فنقتصر على ذكر هذه، فهي تمثل جميع الآلهة الهندوسية وتمثل أقاصيص ديانتها.

وكان يغشى داخل ذلك المعبد وخارجه صورٌ ملونة لم تبق منها سوى أثر قليل.

ويقع معبد كيلاسا المصنوع من حجر واحد في باحة قائمة الزوايا تؤلف جوانبها

[illegible] وقد [illegible] في هذه [illegible] تحت الأرض [illegible]

و[illegible] ذلك [illegible] في وسط [illegible] من صخرة و[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأبيض الأحمر [illegible] ما كابدته من الجوع والتعب [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] قوم [illegible]

[illegible] المصري [illegible] علامات [illegible]

[illegible] تلك الآثار إلا قليلاً [illegible]

[illegible] أن [illegible] كبيرة عظيمة رائعة منحوتة في حجر [illegible] منحوت على [illegible]

حين فعلاً مصنوعاً ويرى بدهشة أيدى المُمثّل ، الذين [illegible] في عالم غير عالمه [illegible] جوانب تلك الهُوّة ليقصموا ذلك الصخر الهائل ، فخرّوا منها [illegible] سلسلة [illegible] في [illegible] ذلك الحجر ، ويرى تلك [illegible] وحرجها مستورة [illegible] ذهب [illegible] وعيلات [illegible] الإنسان [illegible] من [illegible] على

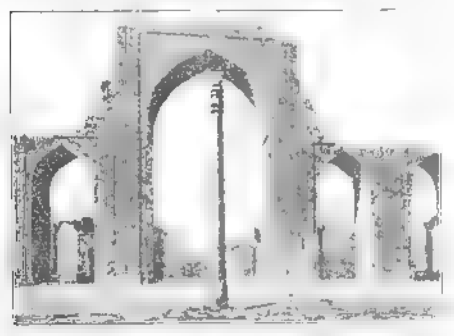

[illegible] من حديد [illegible] ويبلغ ارتفاع أعلاها ١٦ متراً وترى أمامه [illegible] من حديد [illegible]
ومن المحتمل أن يكون قد نصب في القرن الثالث من الميلاد)

مختلف الأوضاع ، ويرى هناك الآلهة [illegible] تحرسها شياطين من حجارة متوعدين للمرتد [illegible] ، ويرى قوماً من الضلال مُكشّرين عن أنيابهم ، ويرى آلهات باسمات [illegible] باسطات أذرعاً [illegible] ، وترى راقصات مثيرات

بالأبهاوات ، وترى آلهةً وإلاهاتٍ متعانقةً مشدّة على غرام شديد ، وترى هؤلاء القوم من الأصنام الذين خرج بهم قدماء قدمَ العالم ، والمؤلّفون من موجودات عجيبة ومن راقصات ومن حيّات ، يؤلفون موكبًا لا آخر له منتشرًا على جوانب المعبد وما هو منحوتٌ من صخر في الجبل ، وأنت كلما منعطفات ومنحنيات ونقشت على نور مشعلك وجدت ظلال أولئك ضاحكةً مرةً ومُهدِّدةً تارةً أخرى ، فتصاب بالدُّوار فتعتقد أنك بعثت في عالم من السحر والعجائب ، وتُذعَرُ ، إذ ذاك ، وجودَ فرق من عالم كمدن بائدة منوطة بالغابرة جامدة وأولئك القوم محبوسين من حجارة عن أشكال بعثت من حياة وعندك ما يقول معه إنها تتحرك ، ولم يكن بعضُ عمل الفن في عبر وحده هو الذي يكون زيارة الهند كافيًا ، من أن معبد ... وحده كافٍ لاستحقاق هذه الزيارة أيضًا

٤ — فنّ البناء في الهند الجنوبية

حين نتصدّى لفنّ البناء الهندوسيّ في جنوب الهند جهلنا لمصادره في شمال الهند ، فـ ... أقدم آثاره في تلك المعابد ... ، وذلك حوالي القرن السادس من الميلاد ، كان قد وصل درجة من الكمال منطوية على ماضٍ طويل ، وليس لدينا ما نذكره عن هذا الماضي الطويل الذي تحت أنقاض القرون ، نعم ، إن ممالك جنوب الهند الكبيرة ، التي كانت عواصمها ، كتنجور مثلاً ، معروفةً لدى كتّاب العالم الإغريقي اللاتينيّ القديم ، شملت على مبانٍ مهمة لا ريب ، بيد أن الأزمنة والحروب الأهلية والغزوات الأجنبية لم تبق منها شيئًا قد يقدر على منح القوة التي

بعض أبنية صقلية البرج الحجري ، الموجودة في المدن كافة في أوربة ، عن مساجد المغرب التي شيدت في القرن السادس من الميلاد

ولا نستطيع [illegible] أن نرجع في مصر جوامع هذه الأول إلى غير مسلمي ، [illegible] في القرن السادس من [illegible] في [illegible] .

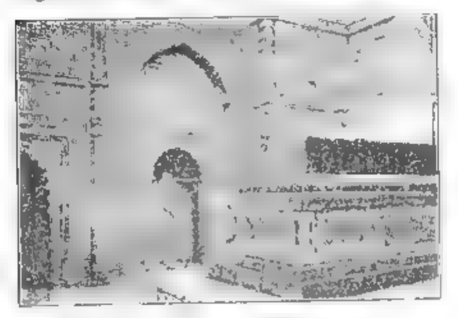

[illegible]

وعلى [illegible] نستطيع أن لا نخلط بين هذه مساجد ومساجد المغربية التي يعود إنشاؤها إلى القرن العاشر من الميلاد [illegible] متوسط ، [illegible] ذات قباب معقودة في ساحة [illegible] كما أبصرت هنالك ، [illegible] في هذا الدور الذي دام نحو

أربعة قرون، غير أن المباني التي أنشئت فيه بدءاً كانت قد نالت ضخامةً لم تنل كمالاً، فالحقُّ أنك ترى معابد مهابليبور الأولى الصغيرة قد كُبِّرت كثيراً فيما بعد فاستبدلت في المعابد التي أُنشئت مكبَّرةً بالأعمدة المنقوشة نقشاً بسيطاً أعمدةٌ مُعقَّدة منقوشة عليها صور الغيلان والفرسان تُعَدُّ في الغالب دون التي رأيناها في معابد بيجانكر روعةً فأمكن ربطها شكلاً بآثار جنوب الهند، وذلك عند ما لا يحكم على ما يحتمل.

وبين معابد جنوب الهند فروقٌ مهمة من حيث الصنعُ، ولكنها تشترك في أمر واحد كما نظهر، فتتألف من قطعة واحدة، فنرى فيها ما يأتي:

توجد للمعبد الكبير على الدوام جدارٌ قائمُ الزوايا أو عدّةُ أُطُرٍ قائمة الزوايا ذات مركزٍ واحد، وفي جوانبه الأربع أبوابٌ هرميّةٌ مقطوعةُ الرأس متدرّجة السطوح، وتبلغ هذه الأبواب المستورة بالتماثيل ستين متراً أحياناً، فتلك الأبواب الهرمية هي التي تميّز معابد جنوب الهند، وتلك الأبواب قد تُعدّ معابد مستقلة، ونجد في الهند الجنوبية تعاقب كثير من تلك الأبواب الهرمية على خط واحد فيتألف من ذلك مدرج هرمي، ومصدر هذا الوضع، على ما يظهر، هو عدّ القوم الإطار الأول غير مناسب لشهرة المعبد أو غنى بعض الزائرين فأنشأوا حوله بالتعاقب أُطُراً أخرى ذات مركز واحد لتوسيعهم ذلك المعبدَ الأصليَّ من غير هدمه، فأصبح هذا الأمر الذي هو وليد ضرورة وسبيلٌ لصدق الديانة عن اعتياده دستوراً في شَيْد المعابد الحديثة فكان ما تراه من اشتمال هذه المعابد على عدّة أُطُر ذات مركز واحد.

وتحتوي الأطر الخارجية للمعابد الكبرى على مساكن لكهنتها، وتحتوي أيضاً على أسواق الحج، فيتألف منها مدينة مشتملة على عدّة آلاف من الأهلين

ونجد في صحون[1] المعبد الداخلية عموداً أو أكثر من أعمدة، منقوشة عادة، أمام زون[2]

ويتكون من بين الأبنية التي تشتمل عليها المعابد المعينية، [illegible] ذوات الأعمدة، ومن هذه [illegible] على [illegible] على [illegible] عمود

وترى في [illegible] كل معبد حوض مقدس [illegible] الزوايا [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]

ويكون من الأبنية التي تقام [illegible] لها في وسط أحد الصحون الداخلية، ويعد [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] مثلاً، ولا [illegible] النور في الزون إلا من الباب، ويكون هذا الزون صغيراً على [illegible]، ولا [illegible] من صغره [illegible] مقصوراً على [illegible] طوائف [illegible]

[illegible] الزون هو [illegible] الأصنام في كل معبد من [illegible] [illegible]، وفي [illegible] الزون تدل الشواهد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] أعلاه بالتماثيل الصغيرة جداً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] أو الفخار. وعكس ذلك أمر أعمدة الزون، فهي مصنوعة من قطع حجرية واحدة. ويجد بعض علماء الآثار الأفاضل وجه شبه بين الزون والأبنية القديمة [illegible] [illegible]، وعندي أن هذا الشبه سطحي، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وإذا كان لا بد من الإصرار على وجود شبه [illegible] فإن مثل هذا الشبه يكون بين الزون ومعابد بابل الهرمية [illegible] القواعد التي [illegible] [illegible] أضرحة [illegible] مثلاً

---

(1) الصحون: جمع الصحن وهو الساحة. (2) الزون: الموضع تجمع فيه الأصنام.

صالحة في مرصد حي آباد ، وعمد إلى أن ذلك الطراز ليس خاصاً بجنوب الهند وحده ، فلقد وجد منه شيء في دمشق معبد مدهش يرجع تاريخه إلى القرن الأول من الميلاد

٨١١ ـ دمشق القديمة ـ مدخل ... (أنشئ سنة ١٢٦)
(يبلغ ارتفاعه نحو ١٤ متراً)

والناظرُ حين يبحث في الزُّون يرى وجهَ كلِّ طبقة منه مؤلفاً من أطواق صغيرة ذات أعمدة فوقها قُبة وسطحها تماثيل، على هذا الطِّراز الابتدائي شِيد أقدم معابد الهند الجنوبية، كمعابد مهابلي بور مثلاً، ومن هذا العصر اقتُبِس صنع الزُّون.

يكفي البيان الموجز السابق لوصف طراز المعابد التي شيدت في سبعمئة سنة (بين القرن العاشر والقرن السابع عشر) فنشرنا صوراً لها فلا تجد فروقاً أساسية مهمة بينها، ومن الممكن أن يقال، على العموم، إن جميع المباني التي وُصِفت في هذا الفصل من طراز واحد خلا ما هو مصنوع منها تحت الأرض، وتقوم تلك المعابد في بقعة جنوب الهند الممتدة من نهر كرشنا إلى النقطة القُصْوى من شبه جزيرة الهند.

ونذكر من المعابد الشامخة القطر التي وصفناها ما هو قائم منها في مدن تنجور ومدوره وسري رنغم على الخصوص، ويبلغ معبد سري رنغم نحو كيلومتر طولاً، فهو أوسع معبد في العالم على ما نحتمل، وفي تنجور أطلال من كلِّ نوع، وتنجور هذه كانت من أعظم عواصم الهند كما تشهد به أطلالها، فغدت اليوم برية لا يسكنها غير الضواري، ومن روع ما شعرتُ به عند ما زرت عجائب الهند هو ما حلّ لي حين سرت ذات ليلة مُقْمِرة في شوارع هذه المدينة الميتة الواسعة اتساعَ شوارعنا والمحفوفة بأطلال المعابد والقصور، وتبدو هذه المعابد والقصور البادية من خلال الأدغال من الرَّوْعة ما تنخلع معه القلوب، وأشدُّ من ذلك رَوْعةً منظر الإيوان الحجريِّ العظيم المحيط بتلك الأطلال الجليلة والذي لا بدَّ من مجاوزته قبل دخول تلك العاصمة، هنالك خُيِّل إليَّ أني دخلت مدينة جبارة من صُنْع جنّ.

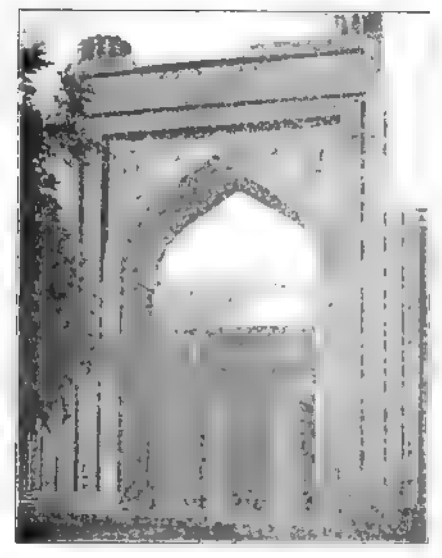

[illegible]
[illegible]
نشرنا صورتها في المقتطف السابقة)

نحوتها مزدانة من أسماء السماء والأرض، ومن المعابد التي تحتويها هذه المدينة أذكر المسجد وبهوها وما تشتمل عليه من الأساطين المصنوعة كلٌّ واحدة منها من حجر واحد ميدٍّ. هذا المسجد من عجائب الدنيا، فالمسجد وبهوه هذا هو من أجمل ما شاده الإنسان، وهو من الآثار الرائعة التي لا تجتمع مرة أخرى

« وتظهر أقواس الأبهاء الشاملة التي تحمل الأعمدة من مداميك المسجد إلى حنايا القباب ».

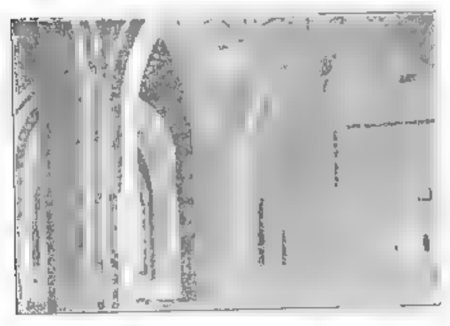

٩٢ — بيجابور: داخل مسجد الكبير (القرن السادس عشر الميلادي) [illegible] للأقواس الكبيرة [illegible] في [illegible] الأول من هذه الصورة [illegible] طول [illegible] نحو [illegible] أي [illegible] الكبير في [illegible] القرون الوسطى، (بيجابور هي إحدى العواصم العسكرية الكبيرة في الهند، وقد شيدت [illegible] في هذه الصورة وفي الصورة الآتية في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر حين كانت مقرًّا لمملكة الإسلامية [illegible] ٤٨ كيلو مترًا على [illegible])

٥ — فن البناء الهندوسى الإسلامى

كان من نتائج تعدّد الممالك الإسلامية فى الهند فى مختلف الأدوار ظهورُ طُرُز معمارية مختلفة باختلاف الولايات ، وسببُ هذا الاختلاف هو انتساب الفنيين إلى عروق متباينة ووجود طراز محلى خاص بكل ولاية استولوا عليها ، فكان انصهار هذه العناصر غير المتشابهة بعضها فى بعض عن ظهور طُرُز مختلفة تستمر بإطلاق اسم من وفد عليها ، فمن يدرس آثار أحمد آباد ودهلى ولاهور وبيجابور والدكن ، يشعر بأنه أمام مبانٍ مختلفة الأصول ومع ذلك فأثر الهندوسى فى جميع الطرز ، والحق أن المسلمين فى الهند لم يوفقوا ، كما وُفّقوا فى مصر والأندلس ، لابتداع مبانٍ مبتكرة كجامع قايتباى فى القاهرة أو قصر الحمراء فى غرناطة مثلاً ، حتى أن العناصر الأجنبية فى فنهم لم تنصهر انصهاراً قوياً أو تتحد اتحاداً تاماً بحيث تمثّل معه شيئاً كاملاً وحدة منسجمة ، حتى أن هذه الوحدة الإسلامية فى هذه الاختلافات الناتج عن اختلاف نسب العناصر التى تكونها .

وقد أدى مزج العناصر الأجنبية الثلاثة : الهندوسى والعربى والفارسى ، بعضها ببعض إلى ظهور طُرُز الهند الإسلامية ، وأما العنصر البيزنطى فلم يبدُ منها إلا فى أحوال شاذة ، كما فى بيجابور ، وأما مؤثرات الأوربية فلم تبدُ إلا فى العصر المغولى ، وقد انحصر أثرها ، مع ذلك ، فى الزخارف الشائعة كترصيع الرخام ووجوه المبانى بالحجارة الثمينة ، وقد بدا تأثير الإيطالى حديثاً فى الأشكال الخارجية وفى زخرفة أبواب وزخارف بعض المبانى ، كالتى شيدت فى لكهنؤ وناجبور مثلاً ، بيد أن نتائج ذلك الضمّ كان على قلّةٍ ودون الوسط بمراحل فلا يستحق الوصف ، وإذا كان فى الإشارة

[illegible] في [illegible] ولا يتزحزحون في أفكارهم

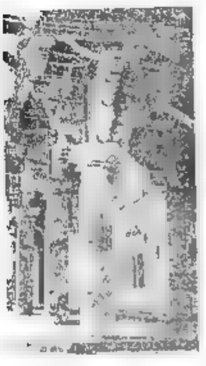

[illegible]

أصبحت [illegible] الإسلامية في [illegible] عشر ، وأصبحت [illegible] الإسلامية [illegible] في أواخر القرن [illegible] عشر ، [illegible] في [illegible]

وفي الكتب الإنكليزية يجد [illegible] يطلقون ، في الغالب ، كلمة العمارة

يبدو على طراز البناء الإسلامي في الهند قبل العصر المغولي مقتبسين هذه الأشياء من أبنية الأديرة [illegible] التي كان هذا السلطان في ذلك الحين ، فلا أرى من البعيد أن [illegible] على طراز [illegible] كهذا لا يختلف عن فن البناء العربي إلا ببعض الإصلاحات [illegible] كما يلاحظ ذلك بسهولة في المباني القديمة التي [illegible] من ذلك الدور .

فإذا كانت هنالك ضرورة إلى [illegible] ، فلنطلق هذه النسبة على [illegible] التي شهدت [illegible] في المدن الإسلامية أحمد آباد و [illegible] و [illegible] [illegible] المغول فيجب أن [illegible] عليه ، [illegible] هذه الأشياء على [illegible] في عهد [illegible] المغول ، ولا [illegible] أحد [illegible] العهد الأول في [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، على [illegible] في [illegible] إلى أواخر القرن السابع عشر ، و [illegible] في [illegible] على [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن جميع المباني الإسلامية التي [illegible] في هذا [illegible] [illegible] على هذا الطراز ، [illegible] في صور هذه [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] في الهند على [illegible] ، [illegible] هي التي [illegible] [illegible] [illegible] سوى قسم [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] ذلك باقتصار الأمر [illegible] على [illegible] [illegible] مشهورين [illegible] [illegible] ، وإن [illegible] في الهند من مباني الإسلامية [illegible] هذه المباني من الناحية الفنية .

وطراز البناء الذي [illegible] المغول هو [illegible] ، من أصل عربي [illegible] [illegible] من بلاد فارس ، [illegible] حدث أن شاد تيمورلنك الذي ظهر قبل [illegible] [illegible]

في مدرسة سمرقند (١٣٩٣ – ١٤٠٢) هي ذات طابع فارسي، ففي بلاد فارس اقتبس الفنانون القباب البصلية الشكل والترصيع بالخزف المطلي بالمينا، الشائع في لاهور والأقواس [illegible] والأبواب الفخمة التي [illegible] فيه.

و[illegible] أكبر [illegible] في أمة واحدة [illegible] في [illegible] كثير من [illegible] كسى [illegible] مثلا [illegible] الإسلامي، [illegible] (١٦٢٨ – ١٦٥٨) [illegible] في مصر [illegible] في [illegible] على [illegible] على [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] ومئذ المساجد، في بعض الأ[illegible]

وقد [illegible] هؤلاء [illegible] القوم معانى مهمة على حسب [illegible] في [illegible] مع أن [illegible] لا [illegible] محافظة على [illegible]، ومع أن الطرز الإسلامية الأخرى لا تزال باقية في الممالك الإسلامية التي [illegible] من السلطان [illegible] مثلا.

[illegible] خلاصة [illegible] من [illegible] المباني الإسلامية في [illegible] وعلى الباحث أن يدرس هذه المباني في كل منطقة على حدة، ولمبانى المهمة [illegible]

[illegible] متجمعة في عاصمتين وجب اتخاذ مباني كثيرة منها أمثلة في العصر [illegible] في [illegible] لاهور وفي [illegible] مثلاً ، ذلك أن دلهي وحقيقة ، على [illegible] بمقتضى [illegible] ممالك الأوربية ، في الغرب التي اتخذنا بتلك المدينتين عاصمتين لها .

و [illegible] الطراز الإسلامي في جميع الهند [illegible] وجدناه حتى في [illegible] إلى [illegible] فقط ، ووجدناه أيضاً في جنوب الهند التي لا تحتوي على [illegible] [illegible] فقط ، بل نشاهد على قصور إسلامية [illegible] الهندوس أيضاً كقصر [illegible] مثلاً ، وكان للطراز الإسلامي من الأثر البالغ في تشييد هذه القصور ما يجعل [illegible] أو [illegible] من [illegible]

وإذا اتخذت [illegible] أمكنك أن [illegible] المباني الإسلامية التي [illegible] [illegible]

— في [illegible] الإسلامي قبل العصر المغولي (وقد أنشئت على طرازه مباني دلهي القديمة ومباني [illegible] و [illegible] وغوالكوندا الخ)

ب — في البناء في العصر المغولي (وقد أنشئت على طرازه مباني أجرا ودلهي ولاهور الخ)

حـ — في البناء الموسوم بالمؤثرات الإسلامية في مختلف بقاع الهند حيث أكثر مباني هندوسية (وقد أنشئت على طرازه المباني الإسلامية في [illegible] و [illegible] و [illegible] وتدورا الخ) .

لأن مباني المسلمين في الهند كثيرة إلى الغاية ، وتختلف طرزها بين دور

ودور [illegible] مدرسة [illegible] فتقدر [illegible] حدود التي [illegible] هذا المؤلف .
وقد [illegible] صورها في هذا الكتاب مع ذلك ، ولا [illegible] سوى حالة [illegible]
في [illegible] كل [illegible] الأ [illegible] ومن [illegible]
في الإسلامية [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible] في [illegible]
[illegible] على [illegible] أن يصلوا إليه [illegible]

٦ — من البناء الهندي التتري

[illegible] ، كما هو معلوم ، بين [illegible]

[illegible]

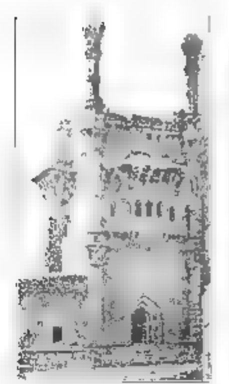

١٢٢ — [illegible] ([illegible] السادس عشر من الميلاد) (يبلغ ارتفاع [illegible])

مباني [illegible] كثيرة جداً ، فيها [illegible] على التي [illegible] هذه

أسوق بأمثلة ثلاثة مختلفة اختلافاً جوهرياً كما تبصرها لك .

فأما المعبد الأول بحسب القدم فيتألف من مبانٍ كبيرة تعلوها كُرَبةٌ مصنوعة من الطين والآجُرّ متشابهة تقريباً ، تعلو الوسطى كُرَّات [illegible] على الخصوص ، وسكنها [illegible] ، كهذه القباب ، مساحات حجرية ذات نقوش ، بل هي مخططة [illegible] ، وحُفر في كلّ جهة من جهاتها الأربع محرابٌ ، و[illegible] ، ويعلو سقف الكُرَة برج مربع يتوّجه هرم أو مخروط ، وترى حول كلّ معبد أبنية دينية صغيرة ومقاصير وتماثيل الخ

[illegible] تلك المعابد الخاصة بالديانة الجينية ، فقد أن البرهمية والجينية [illegible] من تفرّع في [illegible] تلاقي معه رموز تلك الديانتين في جميع معابدهما مهما كانت الديانة التي أُقيمت من أجلها ، فترى في تلك المعابد الجينية ، في الغالب ، تماثيل الآلهة البرهمية (وشيو وفشنو الخ) بجانب تماثيل الجينية و[illegible] والناووس الجيني ([illegible])

ويمكن [illegible] كيف تدرّج الجينية إلى الانصهار في البرهمية [illegible] وقوع هذه [illegible] في هذه الهند حوالي القرن السابع من الميلاد

وتلك مباني [illegible] ، وإن كانت أقدم مباني سيال ، ليست أكثر مباني سيال عدداً ، فيتألف مُعْظَم معابد سيال من مبانٍ مصنوعة من الآجُرّ والخشب على [illegible] أكثر من أن تكون هندوسياً فتشتمل هذه المباني على عدة طبقات قائمة الزوايا مُتَقَبِّضة نحو كلّ [illegible] منها [illegible] ، ويظهر كلّ واحد من هذه السقوف [illegible] قليلاً ، كما في المباني الصينية ، [illegible] ، ويبدو كلّ [illegible] ، أشبه على هذا الشكل هَرَمِيّ الشكل ذا طابع خاص

ويرتبط قسم السقف البارز للأمام في بقية البناء بعمد خشبية منقوشة ويحيط بكل معبد شرفة تحملها أعمدة خشبية محفورة حفراً دقيقاً

ويقوم كل بناء على أساس حجري ذي طبقات كثيرة متسق بعضها فوق بعض ويرقى على أحد وجوه كل معبد درج مؤد إليه ، و[illegible] هو ست البرج تماثيل الآلهة والجن والإنس

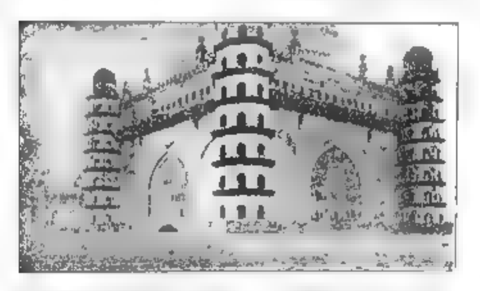

٤٢٣ — معبد [illegible] سنة [illegible] (أنشىء في أواخر القرن السابع عشر ، (بعد هدم [illegible] طراز من أعظم ما في الهند ، ويشبه مساحته في سعة [illegible] حرم [illegible] وزخرفه ، ويبدو مربع الشكل [illegible] سبعة عشر متراً ، ويقوم على كل واحدة من زواياه الأربع مئذنة ، ويبلغ طول ضلعه ٤٨ متراً وارتفاعه من الأرض ٦٠ متراً ، فيبدو بذلك أعلى من مسجد أياصوفيه بالآستانة)

وأما الطراز الثالث فيتألف من مبانٍ حجرية تختلف عن طراز دينك الطرازين اختلافاً تاماً ، فهي ذات طابع مستكر ، فلا نرى للمؤثرات الصينية أثراً فيه ، أعني بحيث تُبصر المؤثرات الهندوسية عملا فيها ، بيد أن هذه المؤثرات ليست من الأهمية

بحيث تخرجها عن مذهبها الخاص ، وهذه المباني هي الوحيدة التي تشهد فيها تحلل المؤثرات الإسلامية [illegible] فيها من القباب عرضاً

ومن [illegible] هذه المعابد الأخيرة [illegible] واحد كما [illegible] من الصور التي [illegible] ، ووصف مشترك [illegible] على أسس حجرية ذات عدة طبقات وفي وجود [illegible] للجبوب والأ[illegible] على جوانب [illegible] كما في [illegible]

[illegible] السقوف [illegible]

[illegible] هذه المعبد

[illegible] ، وجه عام [illegible] مزارات بيال [illegible] الشكر [illegible] من [illegible] ، [illegible] أقيمت [illegible] ، ويمكن [illegible] من [illegible] أمر [illegible] مشكوكاً فيه

وبعض معابد كغرفات [illegible] وقصورها [illegible] ، وضفت [illegible] من [illegible] منقورة [illegible] دقيقاً ، و [illegible] أمام هذه الأبواب [illegible] ، و [illegible] أكثر [illegible] في [illegible] ، [illegible] فتتألف [illegible] رائع ، وترى [illegible] تشرق في

أنه سيحاني ، فهو أحد مدنه في الشرق من الأثر الجليل في شيء كمعبد مدن [illegible] ولا سيما [illegible] أخلق ، إن في الخرائب عظمة أخيرة ، مع عدم وجود ما يستطيع أسد المقام طرقاً أن يستند به عوض الأعمدة ، [illegible] يكون أقوى مكرة بين المحمو ، [illegible] ، [illegible] شاملة النصر

وقد نشر في هذا السفر صور أشهر مباني [illegible] ، [illegible] أشهر [illegible] فيه [illegible] في كهف [illegible] و [illegible] و [illegible] ، [illegible] في الج [illegible] الى صور [illegible]

٧ — فن البناء الهندوسي الحديث

رجع فن البناء [illegible] أكثر الصور الهندوسية [illegible] في الهند [illegible] ، [illegible] بعد [illegible] الفتح الانكليزي الهند [illegible] ، [illegible] ، وقد [illegible] لا [illegible] أوجه [illegible] [illegible] ، [illegible] ، فهؤلاء [illegible] على الأكثر من [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] بالقصور المحيبة [illegible] هي عنوان [illegible] ومعهم [illegible] في [illegible] ، [illegible] الأنفس منهم ، الذين هم من [illegible] يستطيعون أن [illegible] [illegible] [illegible] الأوربيين في [illegible] بعض [illegible] في [illegible] ، [illegible] أن [illegible] الإنكليز من الأبنية العامة [illegible] ، فكان [illegible] من قصورهم الحديثة [illegible] ، ومن هذا [illegible] عوالدار الذي هو من أقوى الأمراء المحليين ، قد مثل [illegible] عنه من مباني [illegible] على [illegible] غير إقامة قصر على غرار إحدى مباني [illegible] ، ومن هذا [illegible] ، أن [illegible] [illegible] له قصراً على الطراز الأوربي فكان أشنع ما رأيت في الهند مع عدّه إياه ، لا ريب ، [illegible] في عاصمته

ومن الطبيعي أن يسير أعاظم الهند على تلك السُّنَّة ، فلئن أبهم يعيشون الدبل ملاك على موعهم درحه جمعة من الحضارة وعلى موصهم فوق مستوى نساء وطنهم ، فنصرهم يُنشئون مبانيهم على طرز أوربي سقيم ممزوج عالا ملائمة من الزخارف الاسلامية

وتصرف الهند كلها يؤدى ، لا ريب ، إلى انحطاط فن العمارة الهندوسي انحطاطاً تاماً سريعاً ، وفن عمارة كلها [illegible] لا يدوم إلا بقدر قيمته يزول ، [illegible]

[illegible]

دليل انحطاط فن هندوسي [illegible] [illegible] من الأسباب ، ولا أعرف [illegible] وجهه عدى ذلك هو أن تخريب العمارات الهندوسية التي بنيت في [illegible] الانكليزي عنها [illegible] لم يكن في دور الانحطاط حين إنشائها

وفي [illegible] شدت في [illegible] قرن بطلع

١٢٤ — غور ، محراب مسجد أدينة (القرن الرابع عشر من الميلاد) (غور عاصمة [illegible] [illegible] بين يماحر وكهور [illegible] وتعبر الأعمدة والأعتاب على مانيها تستولى [illegible] ولا يرى [illegible] [illegible] غور [illegible]

القارئ، على قيمة أُخْرَيات عماراتها ، وأهمُّ هذه العمارات معبدُ دُرْغا ببنارس ومعبدُ أور بأمرتسر ومعبدُ هَتّهي سِنْها بأحمد آباد ، أجَلْ ، إن هذه المباني من طُرُز مختلفة أشدَّ الاختلاف ، بَيْدَ أنها تنطق بكمال من الصنع يندر نظيره في أوربة ، وأحدثُ هذه المباني هو معبد هَتّهي سِنْها الذي شِيد في أحمد آباد منذ أربعين سنة فترانا نشكُّ في وجود صانع ماهر في الهند يستطيع أن يُنْشِئ مثله في أيامنا

هنا نختم ما أردنا قوله عن فنّ عمارة الهند ، وهو، كما ترى، خلاصةٌ لما أدّى صنعهم من المعابد والقصور الخيالية التي هي آثار خيالٍ مُلْهَم ، وما أولئك الآلهة والإلاهات والشياطين دون الصور الرائعة المتوعدة أو المرهوبة التي علا بها عُبّادُه ، وما تلك الأساطير والأقاصيص التي تدور حول الملوك والأبطال في الحروب والمغامرات المفعمة بالأسرار إلا شهودٌ على ناس لا نقدر على تمثّل تفكيرهم

الفصل الثالث

العلوم والفنون

(١) العلم الهندوسي ـ مصادر العلوم الهندوسية ـ اقتباس الهندوس علومهم من اليونان والعرب ـ كيف وقع ذلك ـ ميل الهندوس لاختراع [illegible] ـ [illegible] ـ لا نعرف أن الهندوس [illegible] معارف [illegible] [illegible] ـ (٢) الفنون الهندوسية ـ أهمية [illegible] الفني في بحث [illegible] ـ [illegible] الرمز الذي يجب [illegible] ـ أثر الهندوس البالغ في فنون [illegible] من الأمم الأخرى ـ [illegible] في [illegible] [illegible] ـ الفنون الصناعية ـ صناعة الخشب والمعادن والحجارة [illegible]

١ — العلم الهندوسي

لا يطمع القارئ أن يجد في هذا الكتاب ما يجده في كتاب «حضارة العرب» من فصول كثيرة عن حال العلم ، فالعرب إذ نقلوا إلى الجامعات الأوربية أكثر العلوم الذي انتهى إليهم من العالم الإغريقي اللاتيني بعد أن وسّعوا دائرته بما أضافوه إليه كثيراً كان من المفيد دراسة حال العلوم عندهم في إبّان سلطانهم ، ولا تجد مثل هذه الفائدة عند الهندوس ، فالهندوس ، خلافاً للرأي

القدماء، قد اقتبسوا معارفهم العلمية من الأمم التي كانوا ذوي علائق بها فلم يعرفوا كيف يسيرون بها إلى الأمام، فدراسة العلوم لدى الهندوس في زمن ما تقتضي دراسة تدريج علوم الأمم التي كانت لهم صلات بها مما يخرجنا من نطاق هذا السفر.

ونقتصر هنا على ما قلناه في فصل آخر عن مزاج الهندوس النفسي عند عدم إضافتهم شيئاً ذا بال إلى العلوم التي أخذوها من الأجانب، فالروح الهندوسية القوية في الفلسفة والدقيقة في الشعر عاطلة من الضبط والإحكام الضروريين للبحث العلمي في العلوم، ومن هنا نشأ ضعف الروح الهندوسية في المعارف الهندوسية، فالحق أن الروح الهندوسية إذا كانت قادرة على هضم ما توصّل إليه غيرها من نتائج العلوم فإنها لا تستطيع أن تسير بها إلى ما هو أبعد من هذا.

والأمثلة التي تثبت اقتباس الهندوس معظم معارفهم العلمية من الإغريق والعرب، وقد رأينا كيفية انتشار العلم الإغريقي في الهند، ويمكن عدّ تماثيل الهند الشمالية التي درسناها في فصل آخر تثبت أن الهندوس كانت لهم صلات دائمة بالإغريق في بضعة قرون، فمن المحتمل أن يكون العلم الإغريقي قد نقل إليهم عن هذه الطريق، فكان مما نقله مثلاً أقدم كتب الهندوس الفلكية، ككتب وراها ميهيرا الذي عاش في القرن السادس مملوءة من الاصطلاحات والمراجع الإغريقية.

ونشأ من ذلك تيار الكيمياء التي انتقل العلم بها إلى الهند تياراً عجيباً، فالعرب، كما قلنا في فصل سابق، كانت لهم قبل الميلاد بزمن طويل صلات تجارية منظمة بالهند، وبواسطة العرب كان الغرب يتصل بالشرق في القرون القديمة، فلما فتح أتباع محمد العالم القديم، بعد حين، دامت صلة إحدى الأمتين بالأخرى،

ويروي مؤلفو الغرب وجود كثير من علماء الهندوس في بلاط الخلفاء ببغداد ، وفي

تاريخ الأيام فتح و [illegible] عديدة من المسلمين للهند تعلموا عنهم عدة [illegible] وعملوا على نشر معارف

العرب فيها ، ومن هؤلاء العلماء أبو الريحان البيروني الشهير صديق فاتح الهند الأول محمود

الغزنوي [illegible] في الهند في القرن الحادي عشر ونشر فيها علوم العرب

التي كان [illegible] في تلك العصور [illegible] واشتغل بعلوم على [illegible] من العرب

من معارف العرب [illegible] وما أضافوه إليها من الاكتشافات ، فبذلك أصبحت العلوم

الهندوسية لا تكون منذ القرن الحادي عشر إلا عن العرب

[illegible] كتب علم الهندوس التي ترجع من كتب [illegible] الرياضية

[illegible] في [illegible] الخامس من الميلاد وكتب [illegible] مؤلفة في القرن السادس وما

[illegible] عن [illegible] على سوى المعارف العلمية التي دخلت الهند بعد الفتح

[illegible] كتب معروفة [illegible] ونعرف سبب أن مؤلفيها لم يحققوا في

[illegible] أي [illegible] ، ومن كان [illegible] قدم علم الفلك الهندوسي ودقته

من الأفكار قد أهمل [illegible] التامة فأصبحت هذه الأفكار غير جديرة

[illegible]

ولا [illegible] الحديثة [illegible] التي نرى في كتب الهندوس ،

[illegible] على شكل [illegible] من أي برهان ، ومن ذلك أن العالم الفلكي

[illegible] في القرن الخامس ، في [illegible] حركة الأرض اليومية حول

محورها من غير أن [illegible] ، ومن ذلك أن [illegible] جاء في القرن

الثاني عشر ، [illegible] حول حساب [illegible] من غير أن ينتهي

إلى شيء

ومما تقدم ترى أنه يجب ألا يُعزى إلى الهندوس ، على العموم ، أيُّ إبداع في حقل العلوم ، والهندوس ، إذ لم نقدر على إسناد أيّ شيء أساسيّ إليهم ، نرى من غير المفيد أن نتكلم عن كتبهم العلمية التي لا نعرف فيها شيئاً لم نجده في كتب اليونان والعرب .

وضعف [illegible] الهندوس في العلوم النظرية لم يمنعهم ، مع ذلك ، من أن يكونوا ذوي معارف عملية على شيء من الرُّقيّ ، وذلك كما يبدو من فن عمارتهم القديم ومن فنونهم الصناعية ، فالهندوس كانوا يعرفون صنع الزجاج والدباغة والتقطير واستخراج المعادن وصنع الفولاذ وتحضير بعض الأملاح المعدنية ، بيد أن هذه المعارف العملية ، التي هي وليدة التجربة والتي هي مصدر غير واحد من الصناعات ، ظلت بعيدة من [illegible] والمبادئ العامة [illegible] لا يستحق معه أن تسمى علوماً ، أجل [illegible] في [illegible] ، في [illegible] الأشكال ، غير أن هذه المعارف لا [illegible] مرتبة المعارف العلمية إلا [illegible] والهندسة [illegible] لبعضاً واحداً .

[illegible] الأحكام العامة العادلة في علم الهندوس [illegible] في فن عمارتهم وما نقوله [illegible] على فنونهم الأخرى ، ولا يسري [illegible] العام [illegible] والأمم [illegible] من ذلك ، فالوجود أمة تفضل جميع الأمم في جميع فروع معارف البشرية لا تراه في غير كتب التاريخ وحيال الجماهير ، [illegible] كما يدل عليه الاختبار الدقيق ، ولامراء في أن الأمة ، كالفرد ، تكون بحسب مزاجها النفسي متفوقة في فرع من المعارف البشرية ، على أن تكون متأخرة في

الفروع الأخرى ، ولا نجد أصلية جامعة لكل فرع ، وغير كثير ما يبدو هذا في الحقل الذهني ، فقد نقدر على ربط فروعه في سلسلة واحدة ، فنستبين أرقى صنوف ذوات الثدي على الأسماك بعد أخذه من كون جهازها العصبي أرقى من جهاز الأسماك العصبي ، ولكني بدا مفاضلة بين فيدياس وبيرون وديكارت وقيصر لم أجد وسيلة لإثبات أيهم أفضل من الآخرين ، فالتفوق الفني مستقل عن التفوق العلمي ، وكثيراً ما ناقضه ، وهو يتطلب ، بالحقيقة ، طراز تفكير وإحساس خاصاً وعدم

١٢٥ — [illegible]

نظر إلى الحياة والأمور متعمقة ، فيندر أن يجتمع كلا التفوقين في ذات ، في نفسه وحده ، فالعالم يتعقب الحوادث ويسعى في رؤية الأشياء كما هي غير مبالٍ بعواطفه وقلبه ، وعكس ذلك أمر الفنان والشاعر اللذين يجتهدان في ترتيب الأشياء وفق عواطفهم على غير ما هي أو على ما هي في أحوال شاذة ، وإلا عاد الفن لا يكون

منصباً وعند الشاعر لا يكون شاعراً [illegible] أنه لا [illegible] وصف [illegible] وصل إليه الأوربيون من الرقي الفني في القرون [illegible] عشر، و[illegible] لا [illegible] أن كثيراً من الأمم، فضلاً عن الإعرابي، [illegible] من أن يرتفع من الفن وتحتل إليه الأوربيون [illegible] عصر [illegible] الذي [illegible] عصور [illegible]

[illegible]

[illegible]

٢ — الفنون الهندوسية

خصصنا عدة صفحات من كتاب [illegible] في بحث حضارة أحد الأدوار، [illegible] عن الأوضاع عن مشاعر الرجل الذي يعيش فيه و[illegible] ومعتقداته على شكل [illegible] فكان ما انتهى إليه من آثار أحد الأجيال الأدبية والفنية [illegible]، ومما ذكرناه هنالك أن استقلال الفنان والكاتب ليس في غير الظواهر، وأنهما مكبلان، في الحقيقة، بقيود من المؤثرات والأفكار والمعتقدات التي تتألف منها [illegible] عصر القوية التي لا يستطيع أكثر الناس جرأة أن يتخلص من سلطانها غير الشعوري، وأنه إذا كان لكل جيل آدابه وفنونه [illegible] ومعتقداته التي تعرب عنها، ومما ذكرناه أيضاً أن فنون أحد الشعوب، إذا كانت كلغته وعقيدة مرحلة [illegible] من المتعذر على [illegible] أن [illegible] من غير أن يحوّلها، وأن

فنّ العمارة العربي لم يتحول في الهند وحدها، بل تحول في مختلف البلدان التي خضعت [illegible] فكان هذا الفنّ أحسن مثال على هذه المطابقات

ثم درسنا في كتاب «حضارة العرب» مراحل أحد الفروع الفنية [illegible] على [illegible] على الشعوب [illegible] الحضارة، [illegible] هنالك أن بعض الشعوب [illegible] من مختلف [illegible] إليه شيئاً جديداً وأن شعوباً أخرى [illegible] والمصريين قبلهم، وكما اتفق للعرب الذين هضموا الحضارة اليونانية اللاتينية، وعين ذلك أمر الترك وغيرهم من

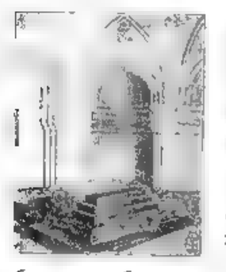

١٢٦ ـ قولكندا. داخل ضريح ملكي

شعوب السالفة من العبقرية الفنية، وإيضاحاً لذلك نقول إنه إذا ما قيس أقدم [illegible] القاهرة، كمسجد عمرو بن العاص [illegible] كمسجد [illegible] قدرة [illegible] على تحول العرب [illegible] المساجد التي أقامها العرب في الآستانة [illegible] كنيسة [illegible] الأجنبية [illegible] على عجز العرب عن التحول

وقد رأينا أن [illegible] كانت محلاً لاستيلاء مختلف الفاتحين، [illegible] أن نجد في [illegible]

عند جدة عوامل تحميها ، بيد أن الهندوس كانوا من الدهاء ما قدروا به على جعل ما اقتبسوه ذا طابع هندوسي [illegible] ، ويحول دهاء الهندوس ، أيضاً ، بيننا وبين تقدير ما هو مستعار فيه ، فما أثره واضح فيه ، فلو نحت عمود الأغريقي الذي اقتبسه متمثلو الهندوس مثلاً أن يرى عنه صفته الأغريقية محولاً إلى عمود هندوسي ، والهندوس إذا ما وضعوا بين أيدي متمثليهم [illegible] فيه أو [illegible] أبصرتم هؤلاء التماثيل يأخذونها من حيث [illegible] بحسب [illegible] آخرين وزيادة زخارف بعضها الآخر ، مع ترضي شكلها العام على ما يجب

وما اقتبسه الهندوس من الشعر الأجنبي في [illegible] إلى الهندية أو محدود الشكل على الأقل كما رأينا ، وما اقتبسوه حيث في العلوم [illegible] في مطلع [illegible] . ولكن جميع ذلك لم يلبث أن يمتزج بما حولوه به فأصبح تمييزه متعذراً

وإذا ما بحثت عن مبدأ الأحرف الهندوسية العامة [illegible] بصعب [illegible] وفرط الغلو في الحركات التي هي أوسم شعوره في [illegible] الأدبية والدينية والفلسفية ، ومن [illegible] ما درس فنون الهندوس على الخصوص [illegible] علائق [illegible] الشخصية [illegible] النفسي وأبصر أنها أوضح [illegible] من يستطيع أن [illegible] ، والحق أن الهندوس لو غابوا عن التاريخ كالآشوريين لكشفت نقوش معابدهم [illegible] وآثارهم الفنية وعاداتهم لاطلاعنا على ماضيهم كما نعرفه اليوم ، وأنت تعلم أننا توصلنا ، بدراسة التماثيل والمعابد ، إلى معرفة تاريخ البدهية معرفة أصح مما ورد في الكتب

ظلت الهند أغنى بلاد العالم آلافاً من السنين ، وازدهرت الفنون فيها على الدوام مهما كان نوع الفتن التي حركتها ، وما فتئت الأمم بعد أقدم أدوار التاريخ

عن أدوات هذه الصنعة وحيلها و[illegible] حتى صار من [illegible] أن [illegible] صيرفي
مال [illegible] في [illegible] ... [illegible] التولات [illegible] الأمر [illegible] كان
[illegible] هذه الحرب وكانت [illegible] في الصيد
[illegible] الإسلامية [illegible]
وشحنه [illegible] البلاد [illegible]
[illegible] الإسلامية الأولى درجة [illegible] هذه [illegible] ودرجة [illegible]
من الأحجار الفاخرة .

واليوم [illegible] بلاد [illegible] بلاد [illegible] كانت [illegible] بلاد [illegible]
قد ثبت بعد أن حصلت منذ قرن [illegible] مؤدٍ إلى استهلاكها ، وبلاد الهند قد أحدثت
[illegible] وكانت [illegible]
[illegible] الآلات
[illegible]
[illegible]

[illegible] الإسكندرية [illegible]
[illegible] الأسواق الأخرى مثل ذلك [illegible] على [illegible]
دون [illegible] الأمر [illegible] يستطيعون أن
[illegible] على [illegible] تلك [illegible] فضلاً عن [illegible]
[illegible] الأوروبي [illegible]
[illegible] مشهود [illegible] لأصحابه [illegible]
الكريهة التي تخرج من الأسواق الإسكندرية غالب [illegible] المعدوس النبية

ونذكر الآن تلك القواعد المكتفة المقررة لتقويم الفنون الهندوسية باحثين في أهمها باختصار

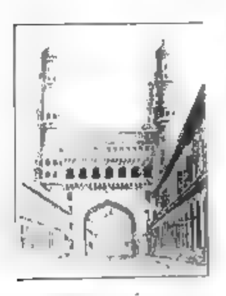

[illegible]

النحت — لا [illegible] كالهندوس [illegible] هندوس و[illegible] من [illegible] والهندوس [illegible] بالأوصاف ، و[illegible] الكتب [illegible] في فنون الهندوس [illegible] من غير أن يفكروا في ملاءمته ، ولا نستطيع أن نحكم على [illegible] الهندوس في [illegible] بعض كتب الأساطير الهندوسية من [illegible] [illegible] وهي [illegible] تلك الصور [illegible] الأمثلة فتحمل على ذلك اعتقاد الأوربيين على [illegible] أن النحت الهندوسي [illegible] في [illegible] ، والحالة هذه ، أن [illegible] من صور [illegible] التي [illegible] في هذه الكتب [illegible] ذلك الاعتقاد [illegible] [illegible] [illegible] وكهجوراو وكسيه كونم [illegible] من آثار الفن الرائعة [illegible] لا [illegible] أوربة على [illegible] ، ومدى أودسيري

ومهارت وساحى وما يلى يرد من النقوش البارزة التي [illegible] في عهد الكتب
بمثل في كل بلد من أرقى الآثار لا ريب ،

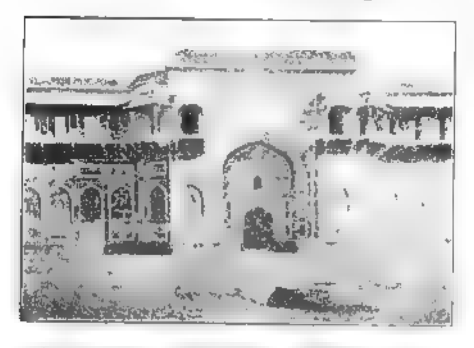

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

و[illegible] من الناحية الشرعية وحدهم [illegible] مزعجة
واعترف [illegible] الأدبه على روح [illegible] على [illegible] والأوراق
في [illegible] لا [illegible] في [illegible] ، وترى [illegible] الأربع
الأربع [illegible] الأولى ، [illegible] أكثر هذه الصور [illegible] بالعصر
[illegible] ، من هذه الناحية ، على خلاف [illegible] التصلية الكثيفة المصنوعة في القرون

الوسطى وعلى خلاف أكثرها في مصر، وفي عالم الآلهة والأبطال والإلاهات بين فلا نجد أكثر الأطوار حسنة والأوضع سوءاً، فنحتاج إلى النظر بسبب أنه ونشك في بعض قواعدها لتقدم نحوه، حتى إن المقياس الإغريقي أدق وأضبط، ولكنه، في الغالب، أبرد.

ومن غير المفيد أن نسهب في القول عن التماثيل، فحسبي أن أعرض صورة صادقة لها أفضل مما يقوم به نَقَدَةُ الفن، فعلى القارئ الذي ينظر إلى صُوَر التماثيل التي نشرتها في هذا الكتاب أن يصبح ذا رأي صائب في الموضوع.

والذي يحسن عرض صُوَر التماثيل التي يشتمل عليها هذا السِّفر ويدقق في التواريخ التي ذكرتها عنها يرى، لا ريب، أن قيمة هذه التماثيل ليست بحسب أزمنة صنعها، فمن يُشِد بروعة أقدمها، أي بروعة التي أقيمت في بهارت وسانجي منذ ألفي سنة تقريباً، يرى رداءة ما أقيم منها في جبال آبو في القرن العاشر وحسن ما أقيم منها في كهجورا في القرن العاشر أيضاً، ومن أقيم منها في معابد جنوب الهند حديثاً ما هو حسن وما هو كريه، والحق أنك لا تجد أثراً ظاهراً للتطور في فنون الهند كما أنك لا تجد أثراً ظاهراً للتطور في آدابها.

التصوير — تندر التصاوير القديمة في الهند مع كثرة الآثار القديمة المنحوتة فيها، ولا تجد من التصاوير في الهند غير ما هو على جدران معابد أجنتا التي أنشئت تحت الأرض في القرن الخامس من الميلاد[1]، ولا تسيطر في هذه التصاوير إلا

---

(١) لم تصن هذه التصاوير المشهورة المرسومة على الجدران من عبث المرممين المحترمين مع تعديها الزمن، فما عمله هؤلاء المرممون من طلاء جدرانها أسفر عن إتلاف ما سلم منها عشرة قرون، فلما زرتها وجدت الطلاء يتقشر من كل ناحية حاملاً التصوير معه من حين لآخر، فصار التصوير يتراكم على الأرض.

أتقن رسمها وكانت تشع حياة كما هو ظاهر من الصور التي نشرناها له ، وهذه التصاوير أفضل من التصاوير البيزنطية الباردة ، ولا شك في أنه لم يكن في أوربة حين صنعها رسام قادر على وضع مثلها

ومن دواعي الأسف أن ضاعت التصاوير التي رُسمت في تاريخ متأخر ، وما في أقدم المخطوطات ، التي لا ترجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي ، من التصاوير لا يجيز لك أن تفترض أن الهندوس أصبحوا أرقى من أسلافهم بعد زمن ، وتخرج الهندوس في العصر المغولي على رسامي الفرس فكان ما رسموه متداعياً عاطلاً من التناظر والانسجام مع ما فيه من دقة ، فالحق أن الهند تصاويرها وتماثيلها ظلت في حال من التطور مماثل لما كانت عليه أوربة في القرون الوسطى

الفنون الصناعية (صنع الخشب والمعادن والحجارة الثمينة ، الخ) — يُقصد بكلمة « الفنون الجميلة » ، على العموم ، فن التصوير وفن النحت وفن العمارة ، ويُقصد بكلمة « الفنون الصناعية » بعض الصنائع ذات الفائدة العملية كالطباعة والحدادة والترصيع وما إلى ذلك من المهن التي تقوم على بعض المناهج الآلية ، بيد أن هذا التقسيم إذ كان ملائماً لما في الغرب الذي يتدرج إلى العمل الآلي فإنه ليس كذلك بالنسبة إلى صنائع الشرق التي تقوم على حذق العامل ، فلا جدال فيه أن الفن مستقل عن تطبيقاته ، فتراني أعلم أن صنع إناء مرصع أو مقعد مزخرف قد يتطلب من الفن والخيال ، مثلاً ، أكثر مما يتطلبه إنشاء بناء ذي خمس طبقات أو إنشاء محطة خط حديدي ، فإذا اتخذت كلمة « الفنون الصناعية » عنواناً للفنون الحقيقية فلمجاراة التقسيمات التي اصطلح عليها

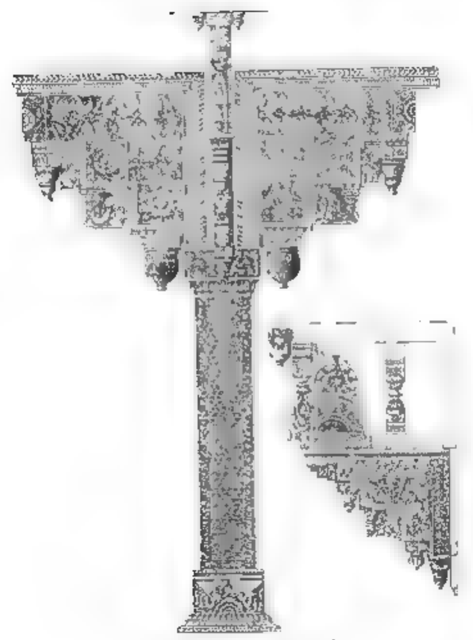

٩٢٩ ـ [illegible] دقائق عمود حجري منقوش في القصر السابق

وما في مُتْحَف الهندي بلندن من الآثار يجعل دراسة الفنون الصناعية الهندوسية أمراً سهلاً ، ولعل في دراسة هذه الآثار من الكمال ما لا نُعيد معه تفصيل موضوع قام به بِرْدْوُود وهِنْدْلي وكبليغ وغيرهم من العلماء بحثاً وتمحيصاً ، إذ نحيل القارئ إلى كتب هؤلاء للوقوف على وصف تلك الآثار وصفاً مسهباً ، فنقتصر في هذا الكتاب على البيان الإجمالي مُبيِّنين له صُوَر مقتبسة مما في مُتْحَف الهندي ومما جمعناه في أثناء سياحتنا في الهند من الأدوات(١)

ومن أكثر صناعات الهند إتقاناً منذ أقدم الأزمان أذكر صناعة المعادن فتُضاهي في الصف الأول ، وعلى ما أدَّت إليه الحروب والغارات الكثيرة التي كانت الهند مسرحاً لها ، لا ريب في ندرة الأدوات القديمة لا نزال نملك من هذه الأدوات بعض ما صُنِع من معادن قبل الميلاد ، كالصندوق الذهبي الذي وُجِد في منطقة بودي كاثا مع نقود تشتمل على أنه أنشئ حولى منتصف القرن الأول قبل ظهور المسيح فنشرنا صورته في هذا الكتاب ، فهذا الصندوق قد صُنِع، كأدوات تلك البقعة ، على حسب الفن اليوناني الهندوسي الذي أوضحنا أصوله في فصل آخر .

وحازت البقاع المجاورة لكابل ، ككشمير والبنجاب، قصب السبق في صناعة الأدوات الذهبية والفضية كما يدل عليه النماذج التي نشرنا صورها في هذا السفر ، وفي الهند يصنع القوم أدوات الذهب والفضة والنحاس والبرونز مما خص بالصحف ، وفي الهند بعض المناطق ، كتانجور في جنوب الهند ، اشتهر بصناعة البرونز المُرصَّع بالنحاس الأحمر والفضة فنشرنا نموذجاً ملوناً له

(١) نرى أن لا نطبع سلسلة صور ثانية توضح صور الأدوات النفيسة هذه

والقومُ في الهند ، إذ كانوا لا يستعملون القاشانيّ ولا الخزفَ المطليّ بالميناء في أمورهم المنزلية راغبين في البرونز والنحاس ، تجد صناعة هذين المعدنين عندهم راقية، فتنتشر حسناً أحياناً ، في صنع الآنية المستديرة المُحصَّرة في أعلاها فتصلح لحمل الماء وحفظه ، وما صُنع من هذه الآنية قديماً كثيرٌ لم يضع اليوم فنراه اليوم نادراً في الهند ، وفي المتحف الهندي بلندن من هذه الأواني ما يرجع تاريخه إلى القرن الثاني من الميلاد فصدّر عن كوز مشتملاً على أطوار من حياة بُدّهة

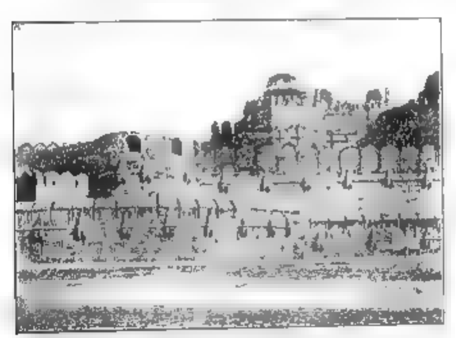

١٠٣ — قصر : منظر قلعة جوبة الخارجي (شيدها الملك أكبر بجانبه في سنة ١٥٧٩)

ولم تقتصر جهود الهندوس على صناعة الذهب والنحاس والبرونز وحدها ، بل كانوا ماهرين في صناعة الحديد أيضاً ، وذلك كما يظهر من العمود الحديدي الشهير الذي أمر بصنعه ملك دهلو فيُرى الآن في مسجد قطب القديم بدهلي ، فهذا العمود

قد أنشىء في القرن الرابع من الميلاد ، ولم يستطع الأوربيون أن يصنعوا ما هو بحجمه إلا منذ بضع قرون فضلاً عما أتوا به من الصناعات الكثيرة التعقيد

وبرع الهندوس في صناعة ترصيع المعادن المعروفة بصناعة الكفت ، وصناعة تلبيس المعادن بأن تحز ثم توضع فيها صفائح بالكفت أو التشفيف[1] من روائع الهند منذ زمن طويل ، ولم يعرفها الأوربيون إلا حديثاً

وصناعة الحلي في الهند ، وهي لا تشبه ما لدى الأمم الأوربية ، تساوي أدق ما صنع في أوربة بلا ريب

وصنع الهندوس الزجاج ونقشوا الحجارة الكريمة ، وفاق الأوربيون الهندوس في ذلك ، لا في صناعة العاج والخشب المرصع

وتعد الأسلحة الفولاذية من أهم ما تنتجه الصناعة الهندوسية ، لا من حيث غنى أشكالها وجمال ترصيعها وحدها ، بل من حيث نوع فولاذها الذي حققت شهرته [illegible] ، نصال دمشق الذائعة الصيت كانت تصنع من الفولاذ الهندوسي ، ويصف كتب الإغريق فولاذ الهند ، وكان يستخلص أجوده بالحديد الممغنط .

ولم يحدث الهندوس أن [illegible] جميع الصنائع التي عرفها الأمر [illegible] الهند فأتت بها من بلاد فارس أو من أوربة فحولوها كما أشرت إلى ذلك آنفاً ، ولا يزال القوم

(1) [illegible] من الأدوات [illegible] ومن الصنائع الخشبية المحفورة ولا سيما صندوق [illegible] أهم الأدوات التي عرضت في معرض كنسينغتن سنة ١٨٨٦

يزولون في أمر صناعة ترصيع الرخام الأبيض، التي هي من أصل إيطالي، بالحجارة الشبيهة كالزبرجد والبلور واليشب والعقيق والجمشت واللازورد الخ. وفي عهد بلغت هذه الصناعة درجة رفيعة أيام ملوك المغول، فكان هؤلاء ملوك يحسنون تقدير تلك الزخارف، ويمكن القارئ أن يدرك تأثير ذلك في النفس من صورة ديوان قصر ملوك المغول بدهلي

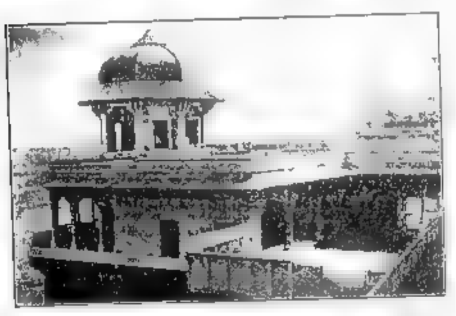

[illegible]

ولا ريب في أن صنع النسج الحريرية والنسج والشالات يتقن لم يتفق مثله للغرب إلا عشية، تلك أن مصانع الأوربيين هدمت صناعات الهند، وصنعت ما يعدونه من نخيس ... بألوف في وقت قصير

ومع أن القوم يمارسون صناعة الخزف في كل مكان بالهند فإنهم دون الأوربيين فيها، وتجد، مع ذلك، روعة في كثير من مصنوعاتهم الخزفية الملونة

وذاع فنُّ سقف المباني بالخرَق المعلّق بالبناء في شمال الهند الغربي منذ الفتوح الإسلامية ، وأصلُ هذا الفن فارسي كما تشهد به أطلال أقدم القصور ببلاد فارس ، وقد استُعمل طليُ الجصّ بهذا الفن في الوقت الحاضر كما تشهد بذلك الصرائحُ المكسوّة بمقرنصاته في غولكوندا مثلاً ، وليس في طراز الهند ما هو مقتبس مع أن الهندي دقيق بالصنعة لا يُنقش ، ونحن نراه في جميع الشرق من سقوف المباني بالخرف المعلّق ، كما في جامع عمر بالقدس وبعض الأبنية بلاهور وقصر عمر تاج ، من أروع ما يستوقف النظر ، فمن أبدع ما أصيل من ... مباني مختلف الأبواب كقوس قزح طول به أمام قصر الحمراء شاده ... ، ولا شيء ... على ... زينته بالنقوش الدقيقة أكثر من ... وأرى ... أسلوب الزخرف العجيب ... في قصر من قصور الغرب

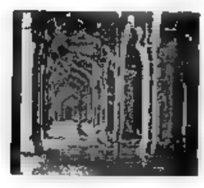

١٣٣ — آكرا — داخل مسجد اللؤلؤ (أنشئ سنة ١٦٤٨) (يبلغ ارتفاع العمود إلى أسفل القبة نحو ثلاثة أمتار و ٦٠ سنتيمتراً) (وجميع داخل المسجد من الرخام الأبيض ، وفيه مكتوبة ... بر ... عهد الملك)

... في طراز ... ، هذه القوس التي ... في شعب من الشعر ، ... قوى الخيال ومشاعر ضعيف العقل ... ، ... حتى كأن في ... سحري ... من القصص والعجائب ... الناهرة والخيالات ... .

... يعود الإنسان بين صنع مثل تلك الآثار العجيبة التي هي وليدةُ ماض متوارى

مقداراً مقداراً فى ضباب الأجيال ، فيجب علينا أن نحتفظ ببعضها على الأقل ، وإن سارع الجيل الحاضر المادى فى سبيل الحياة تاركاً قاسياً لا يترك للإنسان مجالاً يرجع به بصره إلى تاريخ أجداده فى بعض الأحيان ، فستعلم كيف نحترم هذا التاريخ ، فتلك الصوامع والمحاريب الصامتة فى الوقت الحاضر وتلك التماثيل القائمة فى الشمس وتلك النقوش البارزة الصائرة إلى الخراب فيكسرها المهندس فيحولها حصى لئلا تصادف فيمد عليها خطاً حديدياً هى وثائق ماضٍ صدرت عنه ولا ينبغى أن نسير إليه

الباب السادس

الهند الحديثة

المعتقدات والنظم والطبائع والعادات

الفصل الأول

مزاج الهندوس العقلي

[illegible] ... (٤) عوامل سير الإنسان ... [illegible] ... (٦) العلم و ... [illegible] ... الحالي بين الهند والأمم في أوربة.

رسمنا في الفصل الذي خصصناه من هذا الكتاب للبحث في [illegible] أهم عروق الهند الجنسية والعقلية المشتركة، خطوط أخلاق الهندوس التي نشأت عن وحدة البيئات و[illegible] والمعتقدات، ونبحث في الفصول التي درسنا فيها تاريخ الحضارة تطبيق هذه النظم والمعتقدات تطبيقاً في عصور الأجيال.

والآن نتقدم في التحليل فنتفهم مزاج الهندوس العقلي فندرس الهندوسي في

مختلف أحوال حياته وفي سلوكه حول أحد [illegible] وفي [illegible] من الحياة وفي [illegible] [illegible] ، و[illegible] فقال [illegible]

ونحن [illegible] أن ذلك [illegible] من [illegible] والعادات ، [illegible] الهندوسي [illegible] في [illegible] من [illegible] تجاربه في حياته ، ونحن أن أخلاق الشعب [illegible] في جميع [illegible] ، [illegible] عنه في [illegible] الأدبية على الخصوص .

وهذا القول لا يؤدي ، مع ذلك ، إلى الهدف الذي نسعى إليه الآن ، والآثار الدينية والفلسفية [illegible] ، على العموم ، عن [illegible] في [illegible] من [illegible] ، [illegible] القصائد [illegible] التي [illegible] في الأدبية [illegible] الأمة [illegible] ، [illegible] مع كبر [illegible] من الممكن أن [illegible] من الشيء الكثير [illegible] الذي [illegible] ، ويمكن على أن يكون ذلك [illegible] .

ومن [illegible] عن [illegible] التي [illegible] ، وأقصد بذلك الأمثال القومية والأقاصيص الشعبية ، ومن [illegible] أن [illegible] الأمثال هي صدى [illegible] ، والأمثال [illegible] على أخلاق العرب [illegible] وأفكاره ، والأمثال [illegible] في كل مكان للأقاصيص [illegible] .

وللشعب الهندوسي [illegible] في هذا النوع من الأدب ، فنجد في أساطير الهندوس وأقاصيصهم الشيء الكثير من الأمثال ، ولا نجد في أمثال الهندوس

من مذاهب به [illegible] الأدبية الأخرى من التردد والغموض ، وكيف تكون هذه الأمثال مبهمة غامضة وهي تعبّر عن الأفكار العامة تعبيراً شعبياً ؟ والأمثال لن تكون شعبية إلا إذا كانت واضحة موجزة معاً . والأمثال لن تصبح أمثالاً إلا بعد أن تحقق أهدافاً [illegible] وهذه الأهداف [illegible] على وجه [illegible]

٣٣ — [illegible] عبد الدولة ([illegible] سنة ١٦٢٢ ، [illegible] الأسس [illegible] ، [illegible] نحو خمسة عشر متراً ، ولا [illegible] من [illegible] ، ويرى أنه [illegible] أشكاله [illegible])

[illegible] ، تعد الأمثال دليلاً في دراسة الروح [illegible] ، ومن يتعقب هذه الأمثال [illegible] حول هذه الروح من المباحث ، فالبحث مهما يكن [illegible] لا ينظر إلى الأمور إلا من خلال الأفكار التي [illegible] حمل البيئة والوراثة القريبة .

ونقوم بعد على اقتطاف ما يدور، كثيراً، حول موضوعات الحياة نفسها، وعوامل التأثير في مختلف الأحوال، ومبادئ الأخلاق والسياسة الخ، وذلك من كتب هندوسية، ولا سيما من البنشتنترا والهتوبديش، ثم نصنف ذلك في مطالب خاصة، ونحن لم نغفل من دون ما يظهره الحسي والكتب الدينية والاجتماعية كالويدا ومانو ودهرماساسترا الخ عبّر ما يقرب من الآراء الشعبية التي جاءت في البنشتنترا والهتوبديش فتمت بقدم الآراء التي قيلت في بعض موضوعات، ومن هذا أن الأمثال الغريبة التي وردت في البنشتنترا حول النساء أشبه بمثالب المشترع الديني منو في دستوره الديني الذي ظل شريعة الهند العليا عدة قرون فدلّ ذلك على أن تلك الأمثال شعبية، فالحق أن إحدى الحقائق إذ ما صحت في زمن معين أو مكان أمكننا أن نفترض أنها تصح في أجيال كثيرة

وقد اقتصرنا على ما تقدم ليكون مقدمة للمختارات التي نرى تجلّي الروح الهندوسية فيها، وقد صنفنا هذه المختارات في المطالب الآتية

القدر — الخلق — الحياة والهرم والموت — عوامل تأثير الإنسان — الناس — العلم والجهل — الغنى والفقر — السلوك الواجب في مختلف أحوال الحياة — مبادئ الآداب العامة — السياسة

١ — القـــدر

لا تحاول تغيير ما كتب من دوائر الطول وحدث جميع الشرقيين من القدر، وهذه الفكرة مستقلة عن ديانة الشرقيين ما دمت ترى منهم أنما

نذى مختلف الأديان كالنصرانية والإسلام والثيوصوفية الخ . وهذه الجبرية [illegible] وإن [illegible] في [illegible] مغموسة في النفوس ، والشرقيون [illegible] على [illegible] لا [illegible] أصحاب [illegible] الإ[illegible] [illegible] القدر [illegible] العمل » [illegible] مكتوب » فوت [illegible]

وحدث جميع الشرقيين [illegible] القدر [illegible] أعر[illegible] يحكم [illegible] [illegible] في [illegible] من النصوص التي لا [illegible] [illegible] أن جبرية العرب لم تَحُلْ دون فتحهم العالم [illegible]

« [illegible] فى هذا [illegible] الهموم ، فماذا لا نستمله ! » (هيو[illegible])

« [illegible] على [illegible] [illegible] أن [illegible] » ([illegible])

« [illegible] في [illegible] ويرى فى [illegible] الأ[illegible] ، [illegible] من أحله » (هيوبدث)

« [illegible] فى الأعمال [illegible] القدر ، وهذه الأعمال إذ [illegible] [illegible] فى [illegible] القدر إذ كانت [illegible] على الإنسان أن يعتمد على وسائله فى السير . » (شو)

« على الإنسان ألا يتكفّ عن العمل ولو فكّر فى القدر ، فمن [illegible] ج سيخرجا من [illegible] » (هتو[illegible])

٢ — الخُلق

١٣٥ — أفراد [illegible] وحرفه [illegible] دور البناء السابق (يبلغ ارتفاع المنارة نحو ١٠ متراً)

قوة الميول الطبيعية التي يتحكم عما ثبت الخلق سهلة الإدراك من جانب الحدوس ، فهي تنتقل إلى الإنسان بالوراثة فيأتي بها عند ولادته ، ولا يؤدي التعليم بعض ما في الإنسان إلى تبديل مظاهر خلقه ، ولا نجد اليوم ما يستلزم التغيير في ملاحظات الحدوس الآتية عن الخلق إلا القليل

« لا يتغير الأمر الطبيعي بالتعود . فالماء الحار يعود بارداً » ([illegible])

« لو أصبحت النار باردة وصار القمر يحترق لأمكن [illegible] في عهد الدنيا » ([illegible])

« حسب جوهر الميول الطبيعية وحدها ، لا الصفات الأخرى . فالدافع الطبيعي يغلب غيره من الصفات ويعلو مكانه في رأسي » ([illegible])

« يتعذر على الإنسان أن يتغلب على غريزته الطبيعية ، فلن يستطيع أن يحول دون عرض الكلب للأعداء ولو جعله ضحكاً » ([illegible])

« [illegible] فقد [illegible] عواطف النبيلة وعظمة القول والقسوة ونسيان الواجبات على [illegible] جديرة بالاحتقار » ([illegible])

« [illegible] الإنسان الذى هو من أصل سقط طبيعة البنوة من أبيه أو عن أمه أو عن [illegible] ، فإن يستطيع [illegible] أصله » ([illegible])

٣ — الحياة والهَرَم والموت

[illegible] على [illegible] ويدرك السعادة والهَرَم والموت ، [illegible] وتصورت لهم تصوراً [illegible] من التفاؤل والتشاؤم فخمت [illegible] لا يستعاد منه غير ثانية ، فيتخذ الإنسان [illegible] على ما فيه من البطلان تؤلف النعيم الأعلى [illegible] في سعيه

[illegible] كل شىء ، [illegible] كل شىء من ورغب عن [illegible] » ([illegible])

« [illegible] في [illegible] ولا [illegible] في [illegible] ، ولا [illegible] في [illegible] ، كان [illegible] [illegible] ولذا [illegible]

« الشباب [illegible] والثراء والقوة والاستمتاع بالأحباب أمور [illegible] ، فيجب ألا تزعج روح العاقل » ([illegible]).

« [illegible] على [illegible] في [illegible] والمعى كما لو كان غير معرّض للهرم والموت ، [illegible] كما لو كان الموت ممسكاً بشعوره » ([illegible])

« من ذا الذي لا يطير طويلاً بدون نظر إلى تحته ، فالذين ينظرون إلى موقعهم فقراء على الدوام » ([illegible])

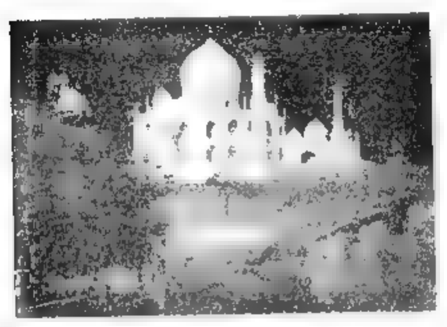

[illegible] بالقصة [illegible] سنة [illegible] ... [illegible] ١٢ سنة [illegible] بشكله على الطراز الفارسي مع قليل من الزخرف الهندوسي [illegible]
[illegible] صورة [illegible]

« تشرب الأفاعي الهواء وهي غير جائعة ، وتأكل الفيول القوية الكلأ بينما تصبح قوية ، وتعيش أكثر الزهاد بالجذور والفواكه ، فالقناعة أعظم ثروة للإنسان » (پنچ تنترا)

« مثلُ من يقضي أيامه غير متمتع بماله وغير منعم بشيء على الآخرين كمثل

الكبر[1] ، فهو [illegible] من [illegible] » (هُوبَديشا)

« ما هي العصبية؟ هي الشعور مع جميع المخلوقات ، وما هي السعادة؟ هي الصحة عند أهل [illegible] ، وما هي المحبة؟ هي الإحساس الصادق الطبيعي ، وما هي المعرفة؟ هي الإدراك » (هتوبديش)

« العقلاء لا يشكون مما هلك ولا مما مات ولا مما ضاع ، فبهذا يمتازون عن الغبيين » (پنچ تنترا)

« تُترك الفردُ للأسرة ، والأسرةُ للقرية ، والقرية للبلد ، والأرضُ للنفس » (پنچ تنتر)

« من الحماقة أن يحافظ على جسمه ولو في مقابل ولده وزوجته ، فالأ[illegible] [illegible] وتقدر كل شيء » (پنچ تنتر)

« أنى [illegible] من [illegible] إذا عاد الجسم [illegible] من خمسة عناصر إلى مجموعها[2] [illegible] كان [illegible] ؟ » (هتوبديش)

٤ — عواملُ سير الإنسان

من عهد حكماء الهندوس رأيٌ عام في عوامل سير الإنسان ، فالخوف والطمع والجوع والحب أهمّ تلك العوامل ، والغاية المحوقة بين تلك العوامل ، فلذلك كانت المعرفة لدى [illegible] القادرة على منع الإنسان من الانحراف عن الواجب

---

(١) المكبر [illegible] .

(٢) المجموع هي الأرض والماء والضياء والهواء والسماء (المترجم)

« عندما يهيمن على الشر ، فمن الصعب أن تجد رجلاً فاضلاً بطبيعته ، فالخوف من العقاب يمكن العالم أن يتمتع بنطاف النعم » (منو)

« لا تُبدى الإنسان محبة ولا عداوة تجاه الآخر إلاّ خوفاً أو طمعاً أو سرٌ وراء عامل شخصيّ » (يشج ستترا)

« سيهجُر الطيور الشجرة التي تعدمت ثمارها ، وتهجر السكّر كذلك الغدير الذي جفّت مياهه ، وسيهجر النحل الأزهار الذابلة ، وسيهجر العشاق طرف الفتاة المحترقة ، ويهجر النقّاد من القصر ، ويهجر الخدم بيت مخدومهم ، فكلكم طلاّب منفعة » (بتشع ستتر)

« نرى صاحب المال الذي تحرّق الحب ، ونرى صاحبه مشحوناً ، فمن يُصدّق الصعب ؟ » (بتشع ستترا)

« الإنسان لا يحب الآخر إلاّ طمعاً في منفعة ، والأمة لا تستجيب إلا لما تقرّب به من القربى » (بتشع ستتر)

« تدوم مودة مدوام المصالح ، فالمحال يهجر أمه إذا نفد لبنها » (بتشع ستترا) .

« الإنسان ليس خادم الإنسان ، بل خادم المال ، فإنه يكون وجيهاً أو غير محترم بحسب غناه أو فقره » (هتو بديث)

« الإنسان إذا كذب أو مجّد من لا يستحق التمجيد أو هاجر بين يد أخيه فإنه يفعل ذلك في سبيل بطنه » (بتشع ستترا)

« [illegible] في هذه [illegible] على جميع أصله [illegible] امرأة [illegible] »
([illegible])

« [illegible] والأ[illegible] في [illegible] من [illegible] أمام امرأة » ([illegible])

« [illegible] مرة [illegible] خاطراً والمصب [illegible] »
([illegible])

٥ — [illegible]

[illegible] على [illegible] من [illegible] ، و[illegible] لا [illegible] عن [illegible] في [illegible] ، و[illegible] [illegible] ... الذي [illegible] رأى [illegible] في ذلك أصلاً » .

[illegible] في [illegible] مراشهن ومقعدهن وزينتهن وفي مواطن [illegible] في [illegible] ([illegible])

« [illegible] ، وقلب [illegible] »
[illegible] أوطارهن [illegible] الرجل [illegible] (١) [illegible] » ([illegible])

« [illegible] رجلاً [illegible] إلى رجل آخر مصطرمات و[illegible] الرجل [illegible] » ([illegible])

(١) [illegible]

« [illegible] منعقدات على [illegible] ، ولا تنشغل ببهي [illegible] الآلهة ، فطوبى [illegible] خصب [illegible] كانت طاهرة [illegible] عنها ، لا الجاه ولا [illegible] وحلها » ([illegible]) .

« [illegible] والشكور[2] [illegible] »
([illegible])

لا [illegible] ولا بالإخلاص ولا بالعفة ولا بالقوة ولا [illegible] ، فالنساء مخلوقات [illegible] » ([illegible])

[illegible] على [illegible] في [illegible]
هو ما [illegible] به » ([illegible])

« [illegible] تنكبوها
في [illegible] على [illegible] على [illegible]
و [illegible] والعقد لا [illegible]
[illegible] »
([illegible])

[illegible] على [illegible] في
[illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] »
[illegible]

[illegible] من [illegible] في الرواية
[illegible] (٢) الشكور [illegible]

٦ — العلم والجهل

« العلمُ أجمل زينة للإنسان لا ريب ، العلمُ كنز حقيقي ، العلمُ صديق رفيق في الرحلات ، العلمُ منبع لا تنضب مَعينه ، العلمُ وسيلة المجد ورونق المجالس ، العلمُ هو النيل العسر ، العلمُ شهيٌّ فما مثل الحياة في الدنيا . فلولا العلم لكان الإنسان من البهائم »   (هيتوبديش)

« العلمُ أطيب الثمر ، فلا يمكن نزعه من إنسان ولا شراؤه منه ، فهو كنز لا تفنى »   (هيتوبديش)

١٣٦ — أقبر ضريح لشكسبير في د...
تاج الملك

« الحكمة والمعرفة كنز مدفون ، فاتلك إن كان عندك في عدة عيب العالم متعين في كل مكان »   (بنج سترا)

« ... معرفة كل شيء ، وليس في ... سوى ... عدم الخوف من ... »   (هيتوبديش)

« لا ... الإنسان العلم والثروة والعلى بلا ... إلا ... في الأرض مسرورة »
(بنج سترا)

« الذكاء خير من العلم وفوق العلم ، فمن كان عنده ذكي هلك »   (بنج سترا)

« ما هي فائدة مرء من العلم إذا كان عاطلاً من الذكاء ؟ وما هي فائدة المرء من المرآة إذا كان عاطلاً من العينين ؟ »   (هيتوبديشا)

« السمّ الذي تزنيه النمّال يقتل رجلاً واحداً أو لا يقتله ، وقد ذكاء [illegible] يكفي [illegible] إذا ما أطلق » (بنشج تنترا)

« عضّ الفقر في وجه العمر » (بنشج تنترا)

« [illegible] كلّ يوم [illegible] ولا يهاجم الحكيم شيء من ذلك . » (هتوبديشا)

« لا تقيم للجاهل في مجلس إلا شوكة ، ولا يسمع للجاهل إلا إذا امتنع عن كلام » (هتوبديشا)

« [illegible] »

« [illegible] لا يستطيع ذلك » [illegible]

« [illegible] »

٧ – الغنى والفقر

[illegible] في كتبهم ، فهم لا يعلمون [illegible] [illegible] في كتب العرب منذ القديم ، قولاً لا فصلاً ، فإذ [illegible] [illegible] كلّ شيء ، وجدت [illegible] عند حكمائهم ، وهم [illegible] ولا [illegible] [illegible] العربية ، مع [illegible] ذلك في الذي ظهرت فيه ،

فأحوال معيشتهم لدى أمراهم حسب لا تعرف عيرّ فصى البؤس وقصى [illegible] ، و [illegible] بين الفقر والغنى من الشاقص ميناً لا أمل للفقير [illegible] أن يتخلص من فقره ،

ويتهّب الغنيّ لحريةّ ويؤدى الفقر [illegible] عبودية ، وستزى من التأملات والنصائح التى ينطوى عليها هذا المطلب أن المصريين ، على ما كان من استبدادهم فى كلّ وقت ، رأوا مساوئ العبودية ، فهذه مساوئ ، على الخصوص ، هى التى أوحت إليهم مقتاً شديداً للفقر

[illegible] يرى بعض العقلاء أن [illegible] يقوم على [illegible] ، ويرى آخرون أنه يقوم على اللذة والغنى ، ويرى بعض آخر أنه يقوم على الفضيلة وحدها ، ويرى بعض رابع أنه يقوم على الغنى ، غير أن النعيم [illegible] ثلاثة [illegible]

« لا [illegible] من [illegible] إلا للوصول [illegible] »

« من كل عيب كان [illegible] من كل [illegible] من كل عيب كان رحلاً فى [illegible] ، من كل [illegible] » ([illegible])

« يبدو الصديق، في هذه الدنيا، للأغنياء قريباً، ويبدو القريب، للفقراء عدواً.

« من شأن الهوى أن يخص بمحبته من هو غير جدير بالاحترام، وأن [illegible] مرعوبة منه من يجب احترامه، وأن يُمدح من لا يستحق المدح » (بنج تنترا)

« [illegible] من [illegible] إذا كانوا من الأغنياء، وقد [illegible] من الشجعـ[illegible] إذا كانوا من الفقراء » (بنج تنترا)

« من كان غير غني في هذه الدنيا [illegible] » (بنج تنترا)

« سواء [illegible] الإنسان وعمره وعقله وحياته [illegible] »

« قد [illegible] ابن الرحمن على الحواس، فهذه قوى [illegible]، وقد [illegible] النفوس، فهذه كلها [illegible] أبعد، [illegible] » (هتوبديش)

« فقر المرء هو المذلة [illegible]، وهو ثورة الشر، وهو مصدر [illegible] الموت » (بنج تنترا)

« قد [illegible] كل [illegible]، ولكن الفقير لا ينفع شيء في هذه الدنيا » (بنج تنترا)

« يجب أن نخشى الفقر، فهو عنوان الشر، فلا يَعُدّ الفقير إلا كلباً ولو [illegible] حسن خدمته » (بنج تنترا)

« لا تنفع صفات الرجل [illegible] إذا كان فقيراً، فالثروة هي التي تنير [illegible] كما تنير الشمس كل موجود » (بنج تنترا)

« سيلازمني ذكاء الرجل الفقير ، مهما كان ، من شعوره في همه الدائم من أجل القوت والثوب »

« ولو كتبت تحت الصورة الأسى أن أصبح عبداً لعبد أصغر ، لعشت كالسماء بلا نجوم وكالحوض الذي جف ماؤه وكالشجرة الكريمة » ([illegible])

١٢٨ — سكندرة قبر [illegible] أكبر بالهند

(هذا البناء الذي هو على شكل أرصفة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سابق ، فلا يرى [illegible] [illegible])

« يفقد الرجل مقامه إذا افتقر ، ويعلو عليه من هو دونه إذا فقد عزته ، ويصبح محتقراً إذا فقد شرفه ، ويثقل عليه إذا احتقر ، ويسقط إذا ضاع عزمه ، ويخسر عقله

بدا قط ، ويهلك بدا حبس عقله ، آه ، من الفقر الذي هو مصدر كل شر »
(هتوبديشا)

« يموت الرجل العاقل غير مُتَوَّخ ، يعتقد أنه لا يرضى بالفقر ، فالنار ، وإن أمكنها أن تنطفئ ، لا يمكنها أن تَبْرُد » (هتوبديشا)

« قيل إن الرَّزِيّة معيبةُ القبر على الموت عند التخيير بينهما ، مع أن الموت يوجب ألماً خفيفاً والفقر يوجب ألماً ثقيلاً » (هتوبديشا)

« لا خير في حياة غير مستقلة ، فهل تكون الحياة عند التابعين لغيرهم إن لم تكن موتاً ؟ » (هتوبديشا)

« لأن يعيش المرء في عزلة ، أو أن يكون متسولاً ، أو أن يكتسب عيشه من حمل الأثقال ، أو أن تفترسه خيرٌ من أن يحيا مع حسّاده » (بنج تنترا)

٨ — السيرة الواجبة في مختلف أحوال الحياة

جمع في هذا الباب ونشر بعض النصائح المهمة حول سيرة الإنسان في حياته ووضع القضاة والرجال وتحوّل واجباته نحو أقربائه ومن يجب عليه التوقير من الناس ، وتعلّم الصفات التي يُرجى منها حسن التصرف والاحترام والتأدب والاعتدال في عائلته . وعُدَّ التقشف أمراً ضرورياً مدة شبابه ، وعُدَّت ممارسته أمراً حسناً عند شيخوخته ، ومن هنا نرى أن الآداب المطلوبة نسبية إلى الغاية

وقد كانت مبادئ الآداب العامة قبل النصائح التي تُطبَّق على مختلف أحوال الحياة ، وتشبه هذه النصائح ما جاء في كتب النصارى . ولا سيما ما يدور حول الحكمة

الدولة لا تعتبر الناس مجرمين بحيث أن يعاقبوا عليه ، وينعكس في مذهب كثير في جانب ، فالذي يجب أن نعرف هو ما يحافظ عليه الناس ، لا القواعدُ الأخلاقية التي تقول بها الكتب ، والفرق بين كلا الأمرين واضح . وما نذكره في هذا المطلب من المقتطفات يكفي لبيان الأخلاق العملية عند الهندوس .

مبادئ الآداب العامة

« [illegible] » ([illegible])

« [illegible] كما يعبرون في [illegible] ، و [illegible] كما [illegible] (1) ، و [illegible] إلى [illegible] كما [illegible] » ([illegible])

« [illegible] » ([illegible])

« رجل [illegible] في اللسان كما عند [illegible] ، و [illegible] في القلب كما عند [illegible] ، و [illegible] في القلب واللسان معاً » ([illegible])

« الأشرار [illegible] من ألف طريق ، والأكرم [illegible] من ألف طريق أيضاً » (بنج تنترا) .

« وفي كل عمل من أعمال الفكر أو اللسان أو البدن ثمرة طيبة أو ثمرة خبيثة بحسب ما يكون حسناً أو سيئاً ، ومنشأ أحوال الناس من أعمالهم » (منو)

---

(1) المدر : الطين اليابس الذي لا يخالطه رمل .

« قيمة الإنسان ، مهما كان أصله وطائفته ، بأخلاقه وصفاته وحواسه و [illegible] و [illegible] وكفه الأذى عن غيره وقيامه بالواجب قيمة دائمة » (مهابهارتا)

« من ترع الشخص[1] [illegible] ومن ترع الشر حصد الشر » (مثل هندي)

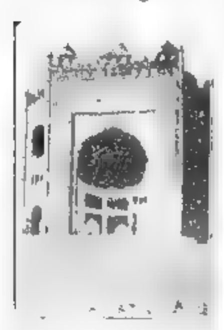

١٢٩ ـ فتح بور ، مدخل المسجد الكبير (يبلغ ارتفاعه نحو ٤٠ متراً) [illegible] فتح بور [illegible] في [illegible] في الغرب [illegible] لدولتهم ، وتبدو قصورها المبنية من الحجارة الحمر سليمة ، ويعد المسجد الذي تدل عليه الصورة على مدخله من أوسع مباني العالم ، فيبلغ طوله ١٦٨ متراً ويبلغ عرضه ١٤٣ متراً ، [illegible] ما [illegible] هذا البناء وجميع مباني فتح بور [illegible] على الطراز الهندوسي الخالص تقريباً)

« الأشرار في منظم [illegible] [illegible] هي مرض بالكروب [illegible] وبؤس » (هتوبديش)

« [illegible] الأعلى والأشرار واللصوص ، ولولا هؤلاء ما وجد [illegible] » (بنج [illegible])

الحذر والاحتراز

« يجب على الرجل العاقل الراغب في الحق وطول العمر والسعادة ألا يثق بإنسان » (بنج تنترا).

« [illegible] لم [illegible] الأقوياء ، والأقوياء [illegible] وثقوا [illegible] » (بنج تنترا)

« على المرء ألا يثق بعدو مقهور ولو صار صديقاً » (بنج تنترا)

« على العاقل ألا يضع أحداً على

(١) الشخص [illegible]

غناء مهما كان ضئيلاً ، فإنه يحرك قلب السامع » (بنج تترا) .

« الاستعانة بالقوى فى القتال يؤدى إلى موت الضعيف ، والقوى يعدّ مسئ[illegible] كالحجر الذى يكسر الفخار » (سج سترا)

« من يدخل فى لا يعنيه بحث عن هلاك نفسه بنفسه كالقرد الذى يتعثر [illegible] » (سج سترا)

« على العاقل ألا يحتقر بالكثير من أهل القليل ، فى حكمه أن يخلط من الكثير بالقليل » (سج سترا)

« من عرف الأكيد من أجل غير الأكيد تخسر الأكيد وغير الأكيد » ([illegible])

١٤ — [illegible]
([illegible] الظاهر [illegible]
[illegible])

« [illegible] يؤدى إلى الموت : [illegible] السىء ومعاداة [illegible] [illegible] على [illegible] » ([illegible])

« [illegible] »
([illegible])

« الأحمق الذى [illegible] جهداً غير مجد أو الذى يخاطب جاهلاً [illegible] » (سج سترا)

« [illegible] خرج من [illegible]

[illegible] جاذبيه [illegible] ، [illegible] كلمة مؤدبة خير عوامل الحقد فلا تبرأ جُرح وجهه [illegible] » (بنج تنزا)

الحلم والصبر

« من كان حاذقاً في أمور الدنيا وجب عليه أن يعالج هذه الأمور بحلم ، فلا خسران في عمل تمّ بحلم » (بنج تنزا).

« الاعتدال أحسن شيء للناس ، ولا شيء مثل الصديق ، والأزرق إذا ما جرد منه من [illegible] لا ينفع » (بنج تنزا)

« احترس لأسباب الصغيرة تؤدي إلى نتائج كبيرة ، فالقيب [illegible] الحق [illegible] » ([illegible])

حصافة التودد للإنسان إلى الناس

« يجب أن [illegible] على حسب أخلاقهم ، [illegible] الأفكار الأخرى تمكنهم من مؤثره » (بنج تنزا)

« يجب على المرء أن يتودد إلى الجميل بالجمال وإلى الشديد بالخضوع وإلى [illegible] بالحلم وإلى [illegible] بخصوص السنة » (بنج تنزا)

« يمكن [illegible] التودد إلى الصديق بنيل العواطف وإلى الأبوين بالاحترام وإلى [illegible] بالحب والأدب وإلى عامة الناس باللباقة » (جتو بدش)

التواضع وسلامة الطوية

« سلامة الطوية أمر طيب لدى الأفراد المتطلعين إلى التأمل ، ولكن غير ذلك

عند زعيمي في القتال والأثر لدى إخوانه على خصوصه » (ينج تسر)

« لا يحس الحب بدى يكون سرًّا

لدى النساء والعدو والصديق حسب

[illegible]

و [illegible] لأحد [illegible] ،

[illegible]

كل من [illegible] » (هو [illegible])

« لا [illegible] لدى [illegible] حق

[illegible] » (هو [illegible])

٦١١ — فتح يور ، منظر بيج عال

([illegible])

الشجاعة والثبات

عدم [illegible] أولى علامات الذكاء ، و[illegible] ما تدين به بيئة علامة الذكاء »
(ينج تسترا)

« [illegible] بالأعصاب ، لا بالآذان ، و[illegible] لا يدخل فم الأسد النائم »
(ينج تسترا)

« ما هو [illegible] لدى الأخوة ؟ ما هي شجاعة السيدة لدى ذوي الإقدام ؟
ما هو [illegible] لدى [illegible] ؟ من هو عدو العدو ؟ » (ينج سنر)

« الرجل الذي [illegible] الآخرين فيصير محترمًا ولو لم يكن عالمًا ، والرجل [illegible] يحتقر مهما كانت ثروته » (ينج تسرا)

« من [illegible] في بؤس فيكتشف [illegible] لا يصح عبر زيادة بؤسه من غير وقوف عند حده » (ينج تسرا)

الغضب

« الفيل ، مع عظيم قوته ، لا يغضب إذا لسعته نحلة ناحلة على الرغم من صدغته من سرابه ، والقوي لا يغضب إلا إذا كان خصمه قوة تعادل قوته » (سنج تسر)

« غضب الضعيف يصيب صاحبه ، والأسد الملتهب يحرق من حوله » (سنج تسر)

« لماذا يغضب الرجل العاجز عن دفع الأذى ، كالحمصة تثب من حرها تكسير المقلاة التي تحمّص فيها » (سنج تسر)

« إذا نبح الكلب على جمل فشبها ذاك ، مثل أم الكلب » (مثل هندي)

الحسد

« الحمقى يمقتهم العقلاء ، والأغبياء يمقتهم الفطناء ، والأشقياء يمقتهم الأطهار ، والنساء الفاضلات يمقتهن النساء الفاجرات » (سنج تسر)

تحري الصلات وتابعها

« على المرء ألا يكون ذا صلة بمن لا يعرف خلقه ولا أسرته ولا سيرته » (سنج تسر)

« قد تكون صداقة ونسب بين من تساويا ثروة وعرقاً ، لا بين قوي وضعيف » (سنج تسر)

« تكون الصداقة والألفة بين من تساووا ثروة وتربية ، لا بين من تبوأ مكاناً عالياً ومن تبوأ مكانة دنية » (المهابهارتا)

« الأحمق الذي يجد صديقه فوقه درجة أو دونه مرتبة يتنفر الناس منه » (سنج تسر)

« يجب على العقلاء أن يتّخذوا لأنفسهم أصدقاء خُلَصاء ليُنقِذوا أنفسهم من الشقاء ، فمن ليس له أحِبّاء لا يتغلب على البلاء » (بنج تنترا).

« حُبّ الشيطان يحتاج إلى خُلّان » (مَثَل تَمُولِيّ).

« لا رجل في الدنيا أسعد ممن يحادث صديقاً ويشاكل صديقاً ويذاكر صديقه » (هِتوبديث)

« الظِّباء يبحث عن الظِّباء ، والأبقار تبحث عن الأبقار والأفراس تبحث عن الأفراس والأغبياء يبحثون عن الأغبياء والعقلاء يبحثون عن العقلاء ، فالصداقة تقوم على تشابه المحاسن والمعايب » (بنج تنترا)

« مَنْ يُقدِّر الفضلَ يُحِبّ صاحبَ الفضل ومن هو عاطلٌ من الفضل لا يُحِبّ صاحب الفضل » (هِتوبديشا)

« معاشرة الأشرار تضرّ الأبرار ، فترى العقلاء يجتنبون الجهلاء » (هِتوبديث)

« يحقر الإنسان إذا كان يعاشر من هم دونه، فإذا عاشر شبيهه بقي مساوياً لهم، وإذا عاشر من هم أفضل منه سار إلى الفضل » (هِتوبديث)

« يكون الحصان أو السلاح أو الكتاب أو الكلام أو المرأة أو الرجل طيباً أو خبيثاً بحسب المرء الذي يلازمه » (بنج تنترا)

« لا تعرف من الماء الذي يُصَبّ على الحديد الحامي إلا الاسم ، فإن استقرّ الماء على ورق السِّدْر لمع كاللؤلؤ ، وإذا سقط الماء على صَدَف تحت كوكب سُواتي تحوّل إلى دُرّ ، فالحقّ أن الطبائع العليا والمتوسطة والخسيسة تكون على حسب الجسم الذي يُلازمه » (بنج تنترا)

٩ — السياسة

نجد في كتب الهندوس نصائح كاشفة عن المبادئ الشعبية في سياسة الناس وسلوك ملوكهم ووزرائهم ، ونقتصر على اقتطاف بعض عبارات منها فنرى أنها مما لا يذمُّه مكيافلي

« تبدأ السياسة بالحلم وتنتهي بالعقاب » (پنچ تنترا)

« إذا كان الملك لا يجازي من يستحقون الجزاء تنزّى الأقوياء الضعفاء كما تنزّى السمك على السمك[1] » (منو)

« لا يُحترم من لا يُخشى ، فالناس يبالون الأفعى أكثر من مبيد الأفاعي عدوه » (پنچ تنترا)

« يخسر الملك الذي يتملقه طبيبه وأستاذه ووزيره صحته ومعتقده الديني وثروته » (هتوپدش)

« إذا عهدتم بالسلطة إلى رجل خدمكم فتذكروا عند [illegible] في العيب أنكم لو تركتموه لشيد [illegible] وتزحزحا بأمور الدولة » (هتوپدش)

« يجب عدم إغناء الوزير مهما كان ، فقد قال الحكماء : الغنى يغيّر الأخلاق » (هتوپدش)

« إذا ما تشبّع الوزراء استفرغوا جوهر الملك ، فالوزراء كالدمامل ، فعلى ملوك الأرض أن يؤلموا وزراءهم على الدوام ، أفيستخرج منه ثوب الكماة من يعصره مرة واحدة » (هتوپدش)

(1) [illegible] ، وهو [illegible] يتوي عليها كله.

« [illegible] من لم تقتل الدمل الذى هو مثله [illegible] »

([illegible])

« يجب أن تكون سلطة الأمير [illegible] وكاملة [illegible] وحده [illegible] » ([illegible])

« يجب على الأمير [illegible] أن تكون [illegible] التى تخلق بين [illegible] عدوه [illegible] مرغوبه » ([illegible])

« يجب على الأمير [illegible] إلى التوفيق والقصد [illegible] » ([illegible])

« لا [illegible] » ([illegible])

« لا [illegible] وارث عرش [illegible] بين الأعداء ، فعلى الأمير ألا [illegible] في رفع وارث عدوه » ([illegible])

[illegible]

« يجب على من يترف قواعد [illegible] الثلاث التى يجب [illegible] وهى العصبية [illegible] والرعبة ، ألا تكون [illegible] » ([illegible])

[illegible]

(سج ترا) [illegible]

[illegible]

يسو بالقتل ، فقتل الأعداء هو [illegible]

[illegible]

« تقوم الحرب على [illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible] جيش عظيم [illegible] من أخلاط [illegible]

[illegible] الحرب وحب على الأمم [illegible]

[illegible]

١٠ – [illegible] الكتب [illegible]

وتعاليم الكتب الأوربية

[illegible] تلك العصور التي كان [illegible]

[illegible] في اللاهوت والآداب ، [illegible]

فاللاهوت يرى تحقق خيال الهندوسي تحللاً مشوّشاً مُفرِطاً ، وفى آدمه يرى ثمرة
حس تمنى مادى ممل وما أكثره إيحاءً

فبين يُبصر السلطان لأجله أحبار الهند وشعرائهم فى الفنون الوهمية ، فتنفتح
هؤلاء أبواب مستقبل أسطورى فتعدّون كيان الإنسان كمرحلة فى عالم الزمان فيصلون
درجة من السكون لا يكاد يُنتج إلا ألوف مؤلّفة من التحولات التى تقع فى ألوف
من القرون ، وعند ذاك ، الأخلاق فى الهند يقولون نسيم الإنسان بالحياة فى كل شىء
ويرون أن يبرأ عنه كل همّ بنفسه وأن ينظر إلى الحياة من جانب المعيبة وأن
يحتجب عن الرق وألا يكون سيداً وأن يحذر النساء لأنهن أخطر الشرور مما يُوقِدْنه
فى الأفئدة من نار الحب

تبدو الحياة عالم الهندوس خلقياً مؤدياً للشعراء ، ولكن لا تمس قيام عنده
... على ... حياة ... مضطرب ، ... ، وإن كان يقول تبدى خلقية سامية
لا تطبّق عند العمل ، سوى حكم كتلك الحكم الهندوسية

وهذا التناقض الذى يبدو جلياً عندنا نرى مثله لدى الهندوس ، ولكن الفروق
... وإلا فما حسب هذا التناقض أظهر فى الهند بين الدين والآداب وحقيقته
ظاهر فى أوربة بين الآداب المدونة وأعمال الحياة العادية

وقد بحث عن التناقض بين الذى نعمله والذى نطلبه فشعر منه الشرقيون
الذين يدرسون أمور أوربة وتجدونه ناشئاً عن مبادئ خلقية ، ويرد الأمر إلى
الناس فى عصور الإيمان كان مرتبطاً فى الآداب ارتباطاً وثيقاً لم تعدّ الآداب فيه
سوى مثالية مذهبة خالصة ، فلما تلاشت المعتقدات بقيت الآداب سيمة مثالية ، أى
أسمى مما يقدر الإنسان على تحقيقه ، ولما زالت عنها صفتها الإلهية ، لذلك ، تخلّى

البَوْن واضحٌ بين الذى نعبده والذى تشير إليه معظم الناس ، لا باسم الله

والدين منفصل عن الآداب عند الهندوس فى كل زمن كما كان منفصلاً عند الإغريق والرومان ، نعم ، إن التعاليم الدينية تعدّ ، كما قد تعدّ جميع أعمال الحياة عند الهندوس لا ريب ، غير أن هذه التعاليم القاطعة الخاصة بالطقوس والحج والصلوات والقرابين إلخ ، أى سعي الإنسان نحو الآلهة ، لا تعنى بسلوك الناس بعضهم نحو بعض ، فلم تقم الآداب الهندوسية على غير أساس المادة التى هى وليدة التجربة الناشئة عن مقتضيات الحياة ، ومتى نشبّه مثل الهندوس الأعلى قد علمنا مدى دائرة خارجة عن هذه الآداب عامرة بموجودات قادرة على كل شىء غير مكترثة بسلوك وحساب الناس نحوها ، لا بوجهات الناس بعضهم نحو بعض ، ولتعيين قيمة مادية للهندوس كما هى عندهم وتراثه ، فسبب الأرض التى تشكّل الهندوس ، وحدوده ، ولا حدود ... إذا ... فسبب بالهندوس ... اللامعة ... بالآلهة ... إلى ... كشفه لقدسه

١٤٤ — معبد ... منحوت مصنوع من الصوان المنقوش ويعرف ... ويقوم فى ردهة استقبال الملك

والبون بين سلوك الإنسان ومثاله من الناقص نحو ، إذن ، عند الهندوسى كما يبدو عند الأوربى ، وإذا كان هذا التناقص أكثر وضوحاً عندنا فلأن

[illegible] الأعلى [illegible] الأعلى محسنان ، [illegible]
[illegible] وحدت [illegible]
[illegible] حقيقة [illegible] والذي [illegible]
على [illegible] مهاويها القادعة ، أو [illegible] جميع [illegible]
و [illegible] وإقامة الدول وإيقاد الحروب والثورات
[illegible]
[illegible]
[illegible] والعايب
[illegible] على كل [illegible] على [illegible] إلا
[illegible] من درجات [illegible] طرفة
[illegible] على [illegible]

الفصل الثاني

ديانات الهند المعاصرة

[illegible] سجينه لا بآدابه .

لم تؤدِّ الجهود العلمية الحديثة إلا إلى إشاعة تعدد الآراء حول ديانات الهند .

ورأينا، حين البحث في البُدهية، درجة اختلاف هذه الديانات في حقيقة ما ورد في الكتب، وقد عرضنا الأوربيين العرضة المضبوطة فيما يدور حول تطبيقها على تلك المعتقدات المحمولة على النجوم والتي تنتشر في الهند ولا تزال تنتشب في الهند فهو أنّ تسميتها بأسماء مشتركة على غير شأنه ظاهري، وتجد المعتقدات المتناقضة في نفوس الهندوس الذين تدينه الحياة البعيدة من المنطق اعتداداً لا نفهم نحن أبداً، وتجد الهندوسيّ الذي يكتب ويعتقد بأملات في الزندقة المتطرفة، أمام أوثان الآلهة المرعبة السليطة المرهوبة أو يُصلّي باحترام أثر قدم بُدْهة ووشنو، ولا تقتصر أسس الأديان في الهند على نوعها، بل تجد بعض العقائد المتناقضة حسب تصريف الدين الواحد، وحين يدرس في الهند مسم شعائر أديانها تدرك تلك المتناقضات العرضية عيب واختلاف معنى كلمة «الدين» عند الهندوسيّ وعند الأوربيّ.

ونشتق ادعاءات لنا بذلك للهندوس في الوقت الحاضر، نصيباً من الديانات التي كان يعمل بها في زمن الوِيدا وفي زمن مِنُو مما يتعذر معه بيان الكتب المقدسة، ويمكنك أن تجد فرقاً من ديانة موصوفة في الفصول السابقة باسم البرهمية والديانة الجديدة المعروفة بالبرهمية الجديدة أو الهندوسية التي ظهرت في القرون الأولى بعد ميلاد المسيح فصاحب معظم البُدْهية مقداراً فمقداراً بالإسلام، والبرهمية الجديدة هذه هي التي ندرسها فيما بعد

١ ـ الثالوث الهندوسيّ

تُستمّ المذاهب الكثيرة التي تتألف البرهمية الجديدة أو الهندوسية من مجموعة من ديانتين سابقتين ديانة شيوا وديانة وشنو، ويتألف الثالوث الهندوسيّ من

هذه الآلهة الكبيرة للدين المقدس الهندوسي التي مع رمز الصنم

ومع أن برهما أقوى هذه الآلهة الثلاثة فإنه ليس له عُبّاد خصوصيون، ولا نكاد نجد في الهند معبداً خاصاً به، وسبب ذلك هو أن البرهمي لدى الهندوسي تصوريٌّ مادي، فليس لعامة رموز سيوا وفشنو المجسدة بالأشكال والصور لم يمثل برهما تمثيلاً ظاهراً، بل نقلت برهما هذا الروحَ الكبرى التي تقدس فيهب حماة لجميع الخلق فيطيع الهندوسي أن تعني به

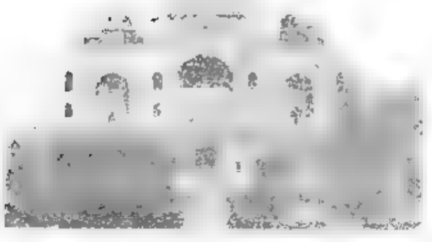

٤٤٤ — دهلي. قصر موتي مسجد (أنشئ سنة ١٦٥٥) ، (بني هذا الأثر من حجارة حمر مرصعة بالرخام الأبيض على رصيف يبلغ ارتفاعه ٨٨ متراً)

ويمكن أن يقال إنه في التاليث الهندوسي نصيبه في أمر العالم، فأما برهما فهو البارئ، وأما وشنو فهو الحافظ، وأما سيوا فهو المبيد، ومع مناقضة شأن سيوا لشأن الإلهين

الآخرين [illegible] هذا الشكل في الطبيعة [illegible] في الفلسفة الهندوسية [illegible] الصحيح ، فالإبادة والتحول [illegible] مترادفان ، فصورة التكوين [illegible] بلا انقطاع من [illegible] عنصر [illegible] ، فشيوا العظيم هو الذي [illegible] تحولات ، وهو [illegible] كالآلهة الأخرى ، وهو [illegible] مظاهر [illegible] الوجود

[illegible] في [illegible] الإبادة و[illegible] [illegible] عبادة الهندوس [illegible] الراجع في الثالوث البرهمي على ما يحتمل .

[illegible] الهندوس [illegible] في [illegible] إلا [illegible] أو [illegible] كبيراً ، والإنسان لا [illegible] [illegible]

وقد [illegible] الهندوس [illegible] على [illegible] الهندوس [illegible] الهندوس البرهمي و[illegible]

[illegible] الفلسفية [illegible] على [illegible]

[illegible] كانت ذلك حتى درست الدهشة ، فبدت هذه المعركات التي لا [illegible] حيوية لدى الشعب على [illegible]

٢ - الشيوعية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عشر [illegible] عشر [illegible]

لتقديس هذا الرمز .

[illegible] حقيقة ، تظهر [illegible] العصبية [illegible] عبادة شيوا في صورة عضو التوسد موضوعاً له ،

فترى جميع معابدهم مملوءةً بهذا الرمز، ويحملون عليهم بصورٍ صغيرةٍ له من ذهب أو فضة على الدوام، فيقلّبونها بين حين وحين [illegible]

وكان مؤسس هذا المذهب يعيش في القرن الثاني عشر [illegible] عدد [illegible] الطوائف [illegible] كثيرة، ثم تلاشت [illegible] و[illegible] على المذكورة [illegible] عضو التوحيد [illegible] هذا المذهب [illegible] في ميسور ونظام وجميع جنوب الهند.

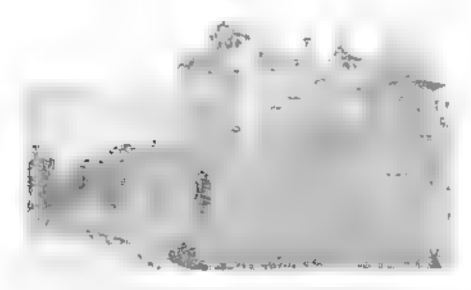

[illegible] سنة ١٩٣٨

ولم [illegible] عضو الاستيلاد في [illegible] عضو التوحيد في المذكورة [illegible] أو كالي، أي إلهة الحياة والموت والأم التي خرج [illegible]

ولا نجد عنده أدب إلى مناظر [illegible] للحب والأدب [illegible] كان [illegible]

ونشير إلى أن تلك العادة أصبحت مألوفة لدى أشد قبائل الهند تخلفاً فاحتلت عبادة الآلهة مكاناً لدى سكان البلاد الأصليين ذوي الوحشية المصرّحة ، وفي سبيل تمجيد هذه الآلهة ابتُدعت الشعائر الدموية فوُضعت على مذابح معابدها دماء الضحايا البشرية الأخيرة التي قُدّمت قرابين في الزمن الأخير إلى الآن لدى الأهالي البراهمة ، ولا ريب في أن في معابد كالي من الفحش والتهتك والدعارة ما يستحيل وصفه ، وأشهر ما يكون ذلك في المعابد التي يتردّد إليها الشيويون أصحاب اليد اليسرى

٣ – الوشنوية

من الإله الأعلى وشنو ، حبّة الهندوس البراهمة الذين سموا من أتباع شيو ، فإن أنه معبود الإله بمعنى مرهوب ، ويوصف بكرم فالبيد كثيراً مع ذلك ، وفيه من الشبه ببوذا من الإغراق

ويجب وشنو على خصيصة كعبادة الأنبياء على حين تطلب شيوا الذكاء ... بعد ذلك هو إله الحب والإحسان ، ومطالب أتباع وشنو علاء سبيل النجاة وقهر الشهوات والتأمل في ... الصدق ، ومن أتباع وشنو ، أو كالي ، بعد الزهاد الحقيقيين ... في عبادة

وديانة وشنو ، كديانة شيو ، لم تكن روحية رمزية ، والهندوس يرغبون في صور محسوسة لمعبودها أكثر من أي شعب آخر ، فلم تُجْدِ نفعاً جهودُ المصلحين في سبيل أديانهم الهندوس ما يلائم التوحيد ، فلا يزال الهندوس كما في العصر الوثني يعبدون في كل شيء ما يعبدون فيرون موضوع عبادتهم في ما لا يدركون البرهمن

و [illegible] مجهودات [illegible] في ابتداع مذهب توحيدي
[illegible] في [illegible] البلاد في [illegible] كبير
[illegible] هؤلاء [illegible]
[illegible] بعد أن [illegible]

١١٧ - شكل [illegible] الاحتفال في [illegible]

وما عهد إنكلترة من تعصّب وشره حين دار بلاد الهند وأحيط بضروب العظمة والجلال .

والناس من تعصّب وشره شعبيين في الهند ، وهم يعرفون راما وكرشنا

ولا نستطيع أن نبيّن تاريخاً صحيحاً لوضع ديوان رامايانا وديوان المهابهارتا اللذين تحدّث فيهما أعمال ذينك البطلين راما وكرشنا ، والأمر في تعيين الدور الذي وضعا فيه مشابه لأمر دواوين هوميروس عند الإغريق ، فهما مدار فخر الهندوس الأدبي ، وهما مصدر لهم لا ينضب لدى شعرائهم ، وهما منبع أساطير لدى جماهيرهم المولعة بالخرافات

ووُضع ذانك الديوانان المشهوران وعُدِّلا وزيد فيهما في قرون ، فكان موجوداً في حين تجدد الشعب الهندي شعور في البطلين راما وكرشنا فجعل منهما ممثلين لوشنو

وليس مجد مصادفة ذينك البطلين (راما وكرشنا) ، وحده ، هو ما نعجب به الهندوس في عصرنا ، أيضاً ، وما نصفه به من الحلم والعظمة والحب ، وما نشب الحب الهائل بالأسرار الذي كانت الأفئدة تهفو به نحو وشنو أن انقلب إلى حبّ بشري عميق حارّ قائم على الشهوة في الغالب ، وذلك حين أصبح موضوعه صورة ذينك البطلين (راما وكرشنا) اللذين تمثلان حياة

وفي شخص راما يُعبد فاتح الهند وسيلان والمصلح الذي تمّ بفضله انتصار العرق الآري ، ولكنه زوجٌ مثالي قبل كل شيء ، وهذان الزوجان المخلصان المتفانيان هما ، في الوقت نفسه ، نبيّنا وزوجته بلاغة الحال سيتا ، وقد كانت عليه سيتا

من النفس والوفاء، وما أوحت به إلى راما من الحب الشديد مشاعرُ قوية حصينة أورثت الهند إيماناً ورقةً منذ قرون

ويبث ما ماه في هند الموضوع "الكتاب الهندوسي" ومبتكر خرافة السد عبقري في حكمته نشره حدثاً سواه ... كمرات وأعجب ... مستشهد ... في الفصل ...

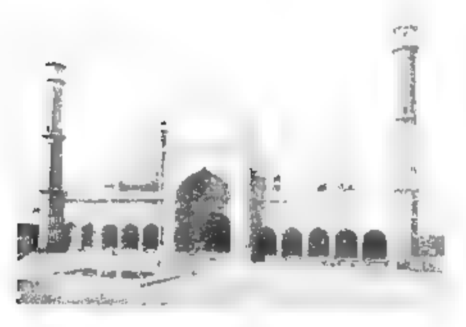

٤١٨ ـ دهلي. المصر الأول: صحن المسجد الكبير (عرض نحو ٦٢ متراً، ارتفاع القبة: ٤٠ متراً) (أنشئ سنة ١٦٥٨)

وطُوِي ذلك الشعب الذي اتخذ راما وسيتا مثلاً عالياً له، هو في انتك البيد الذي يدفع صرامة الإخلاص والتقديس لذينك الزوجين المنقطعي النظير، ترى الصانع

الهرم القطّ ورومنة الساذجة الجامعة واحمة الفتاة الجذابة الشائقة يَسْكُبون دموع الوفاء حين يتلو الكاهن ما تيسّر من الكتاب المقدس، مطوِّفين، ثلاث مرات، من قدر، وهو رحل، على الارتقاء إلى مرتبة الوحي الإلهي، فتدمع موجودين من الطراف الرفيع. »

ويعبّر الرماس تعبيرًا عاليًا عن مشاعر الأسرة التي أتت في المرتبة الأولى لدى الآريين على الدوام، فتجد في كرشنا العاشقَ الكاملَ الغاوي الملتهب منذ صباه غرامًا ببنات الهوى الكثيرات فتن جميع النساء فكان، مع راما الجميل، أكثر أبطال الهند حظوةً لدى الشعب.

وليست أسطورة كرشنا الصبي بعيدة من أسطورة يسوع، فكرشنا هذا عزيز على جميع الأمهات الهندوسيات عزّةَ يسوعَ الطفلِ على أمهات النصارى، وما يأتيه الشُّبّان الوسيمون والبنات والأرامل من عبادة ذلك الإله العاشق عبادةً حارّة حافلة بالأسرار هو كعبادة نسوة الغرب، في الغالب، لزوجهن السماوي يسوعَ المصلوب.

وما في ديانة وشنو من الغرام يأتي في الهند ذات الجو المحرق وذات السكان المتهوّسين أروع نتائج مخالفةٍ للآداب الأوربية.

ونجد في كجرات، على الخصوص، بعض المذاهب القائلة بعبادة كرشنا فتدعى كهّانها مهراجوات، ففي أقصى آمال النساء هنالك أن يُصبحن عشيقات كرشنا أي لمشبّه أولئك الكهان الذين يبيعون قضاء الأوطار بأعلى الأسعار، فاسمع ما قاله في ذلك الكاتب الهندوسي السيد مُلباري الذي ذكرته غير مرة.

« قد يرى الأوربيون أن للبراهمية خرافةً شائنة أو طريقة شهوانية ساقطة ، بيد أن ألوف الأسر الهندوسية ستظلّ رازحةً تحت نيرها المهين ما بقي هذا النير مستتراً تحت رائحة الطهر » .

٤ — تنوع ديانات الهند وتحولاتُها المستمرة

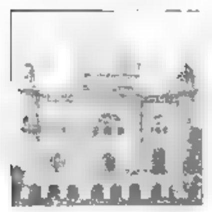

١٤٩ — دهلى . العصر المغولى ، مزار صفدر جنك بالقرب من دهلى (هذا الأثر المبنى فى سنة ١٧٥٤ هو آخر المبانى المهمة التى تنسب إلى العصر المغولى ، وهو مبنى من حجارة حمر مرصعة بالرخام الأبيض)
(يبلغ عرض هذا المزار ثلاثين متراً)

بحثنا خطوط ديانة وشنو وديانة شيو ، وأشرنا إلى العقيدة القائلة بالثالوث لنوضح مذهبي الإلهين ومن ربما عُدَّت أساساً لجميع المعتقدات .

ومن المتعذر أن يَعرف القارئ جميع ديانات الهند التي لا تكاد تحصى وأن يَعرف ما يعتور هذه الديانات من التحول الدائم ، فليس بين هذه الديانات ما هو ثابت ، وكلٌّ واحدة منها ترجع إلى أقدم القرون فتجدُ مصدرها في كتب الويدا ، نعمْ ، يجمعها اسم البرهمية الحديثة أو الهندوسية المشترك ، ولكنها بعدت من كثرة التعدد والتنوع ما تُشبَّه بورق الشجر في غابة كبيرة ، وتميل كلها إلى التوحيد ، ولا ريب أنها تشتمل على ألوف الآلهة وعلى أصنام حجرية وخشبية ، في الغالب ، ممثلةً لأنماط الأدوات ، ويُشتقّ من كل واحدة منها أفكارٌ فلسفية تورث الصحب

بعوثره البعيد ، كما أنك ترى في كلّ واحدة منها أسخف الخرافات

وإذا أردنا أن نلخصها في مجموعها بصيغ كلّية قلنا إنها تقوم على الآلهة البرهمية القديمة المؤلفة من قوى الطبيعة التي تمجدها كتب الويد وشخّصها البراهمة ، ثم جاءت البدهية فألانت هذه الآلهة البرهمية الخامدة القاسية وجعلتها رحيمة ، ونجد تأثير البدهية ظاهراً في جميع فروع البرهمية الحديثة بما تدعو من نشر روحها ذات المحبة والرأفة في كلّ مكان ، وصنعت البدهية ، التي هي بشرية من ناحية من الحب والتي هي فوق البشرية بفلسفتها المجردة ، فأخذ الأمرين وتصرفت بالأمر الآخر ، فحافظت البرهمية على ألوهيتها بين الآلهة الكثيرة التي تملأ المعابد مع تحولها إلى وحدة من الصفات ونحو

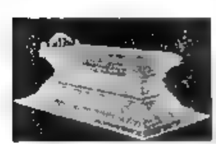

[illegible]

ويمكننا أن نستخلص من اختلاط المذاهب والآلهة ذلك الاختلاط [illegible] تروح بين التوحيد وبين [illegible] إلى الإشراك والتسامح المطلق والجمع بين العقائد المتناقضة ، ألم يكن هذا التنوع الذي لاحد له يرث قدماء الآريين ونتيجة طبيعية لهذا الفرق الذي تؤثر فيه مظاهر الطبيعة الدائمُ التحول والمملوءة عظمةً وبياناً ؟ .

ولا نجد في لغات الغرب المطورة بأمثاله التي نوصف بها الآفاق الرائعة [illegible] في النصاب ، غير ثلاثة نعوت أو أربعة نعوت صالحة للتعريف بين الصي

وشكل السحاب وحركة عين الماء ، حتى إن هوميروس نفسه دل بكلمة واحدة على نشاط أثينا أو جلالة جوبيتر (المشترى) ولم يتحول عن هذه الكلمة بحسب اسم كل إله أو بطل مصوراً له بمظهر واحد على الدوام

وغير ذلك أمر [illegible] فلا نرى في كتب الهند صفحة واحدة ، بل نرى فيها ألوف النعوت من كل الألوان والأشكال المتحركة أو الثابتة بحسب ما يبدو للشاعر في المعنى بحقيقته ، وفي [illegible] ، كما في الطبيعة ، فقد في [illegible] وأمواج [illegible] و[illegible] والعصر و[illegible] الكثيرة [illegible] كل شيء [illegible] من هذه الكثرة في الترجمة الحديثة [illegible] مظاهر قوى [illegible]

و[illegible] هندوسي [illegible] على وجه من وجوهه وصفته من صفاته يكون قد [illegible] ذلك مذهباً ، ولا يحتاج [illegible] مذهب إلى موسى [illegible] [illegible] [illegible] ، ولا يكاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في ذلك ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله فينبغي له نفوذ عظيم

و[illegible] موسى مذهب [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] على الأ[illegible] [illegible] [illegible] عادة ، [illegible] [illegible] على

وفاة مؤسسه حتى نظّمه المرشد غوبند سنغ نظاماً عسكرياً فانقلب المذهب إلى شعب محارب عدا تدبّر سوءه على المغول وبدا مقاتلاً قوياً تجاه الإنكليز زمناً طويلاً ، ومع قلناه في فصل سابق أن السِّك أصبحوا عرقاً عجيباً من أجمل عروق الهند بفضل ما قاموا به منذ البداءة من الرياضات البدنية وبفضل تزاوجهم فيما بينهم

١٥١ — لاهور . منظر مسجد أورنغ زيب (أنشئ في القرن السابع عشر) ومنظر مزار رنجيت سنغ (أنشئ في القرن التاسع عشر) (التقطت هذه الصورة من أعلى القلعة)

أوردنا مثال السِّك لإثبات ما قد يُثير عنه تأسيس المذاهب الدينية في الهند من النتائج ، أجَلْ ، إن قليلاً من المذاهب تصل إلى ما انتهى إليه مذهب السِّك من الأهمية ، غير أنه عقب جميعَ هذه المذاهب قيامُ طوائفَ جديدةٍ لا يتزوج أفرادها إلا فيما بينهم عادّين جميع سكان الهند أجانبَ عنهم كالأوربيين ، والحقُّ أن هنالك أسباباً كثيرة تحول دون انصهار شعوب الهند في أمة واحدة ذات يوم ، وانقسامُ أهل الهند إلى طوائف يكفي وحدَه لمنع حدوث هذا الانصهار .

ونذكر ديانات سكان الهند الأصليين بجانب الديانات الكثيرة التي جُمعت تحت اسم البرهمية الجديدة ، وقد قلنا بضع كلمات عن تلك الديانات في الفصل الذي خصصناه للبحث في العروق ، ومن أظهر ما في تلك الديانات عبادةُ جنّ الهواء وعبادةُ الحيوانات المؤذية كالأفاعي والأنمار ، ومما رأيناه في نيلغيري وجودُ أقوام من الرعاة نذكر منهم الطدا والتودا على الخصوص ، يتخذون من أبقارهم وثيرانهم آلهةً ومن رعاتهم كهّاناً

وقد أثّرت تلك الديانات الوثنية في البراهمة أنفسهم ، ومن ذلك الشأن الكبير الذي نراه لعبادة الحيوانات في جميع ديانات الهند على الإطلاق ، والأفعى والبقرة أكثر هذه الحيوانات محلاً للاحترام ، فلا تجد في الهند قوماً لا يقدسونهما .

وذبحُ البقرة أو قتلُ الحيّة من أفظع الجرائم عند بُدّهيي سيال وبراهمة وادي الكنج ووحوش جوندوانا ، فترى صورة الأفعى تحت تماثيل الآلهة في جميع الهند ، وترى الثعبان والقرد خاصّين بوشنو ، كما أن البقرة والثور خاصان بشيوا .

ويُعبد الإله الشمس في الهند منذ القديم ، وتمتزج عبادته بجميع دياناتها ، وكان الآريون يتقربون إليه بالأدعية والصلوات ، فنشاهد ذكره في أروع الأقوال ، ويشخّصه

٤٥٢ - لاهور ، منار رنجيت سنغا وقبة لمسجد أورنج زيب

فعددهم في وسط كاراشي، وتجد من الآريين والدراويد والسكان الأصليين من يدعون للإله الشمس زرافات من غير أن يشخصوه

٥ — أشكال ديانات الهندوس الخارجية

يُحبُّ الهندوس الصورَ والعلائم الخارجية، فهم شكليون في ممارسة أديانهم مهما كان نوعها، ويعبدون محسوسة رموزها التي تشير إلى عنصر التوالد وعنصر الاستيلاد، ونحو من العلماء في ذلك ما نرى عنده شوكاً حاملة مع رموز عنصر التوحيد، وهم يجدون في كل صفوانة أو حجرية أداة للاحترام والتقديس

١٠٣ ـ لاهور : مدخل رواق في قصر أمراء (يرجع أقدم أجزاء قصر لاهور إلى عهد الملك أكبر، وهي الآن سائرة إلى الخراب، وقد بني مدخل الرواق الظاهر في هذه الصورة حينما كان رنجيت سنغ ملك لاهور)

ومما يجلب الثواب عند الهندوس النذورُ والتوبة والتقشف وتلاوة الكتب المقدسة والأوراد وصوم الحجّ، فيقومون بهذه الواجبات خير قيام، ولا ترى قوماً كالهندوس يتشددون في ممارسة الفروض الدينية.

والريغويدا أكثر الكتب دراسة من قبل البراهمة والمؤمنين، وينال من يتلوه ثواباً عظيماً، وللغة السنسكريتية التي كُتب بها شأن كبير لدى الهندوس كشأن اللاتينية لدى الكاثوليك وشأن العبرية لدى بني إسرائيل، ولا عدّ للأدعية عند الهندوس

من آل محمد ويُكرَّر عن ظهر القلب عدّة مرات ، فراحوا يستعينون على ذلك بالشُّعَت ، وسُمِّيت النواقيس في المعابد البوذية على الخصوص ، ثم استخدمت الأقراص النحاسية بها في المعابد البوذية على العموم ، وكانت القرابين كثيرة في معظم مذاهب منها أهمّ الشعائر القديمة ، ثم نقصت اليوم شيئاً كبيراً من سابق شأنها ، وما كان يوضع على مذبح وشموع غير الأزهار والأثمار ، مع أن القرابين الدامية ، ومنها القرابين البشرية في بعض الأحيان ، كانت تُقرَّب إلى شيوا

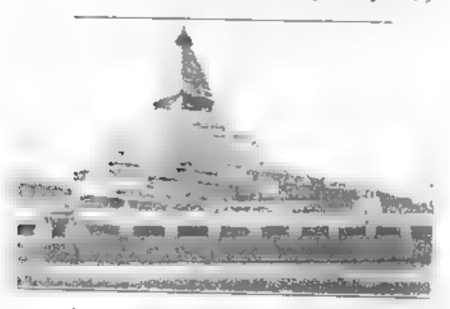

٤٠٦ ـ معبد بوذي (نيبال) ، معبد [illegible] يبلغ ارتفاعه نحو ٤٠ متراً وعرضه نحو [illegible] متراً ، [illegible]
الموقوف على ضريح [illegible] نيبال)

وكان للكهنة أهمية كبيرة ، وكانوا أعظم ثقافة من غيرهم في أيامنا ، وكانوا يفسرون للمؤمنين نصوص الكتب المقدسة الغامضة معنىً ، وكانوا يمارسون في المعابد الرائعة الطقوس ويقرّبون القرابين باحتفال عظيم

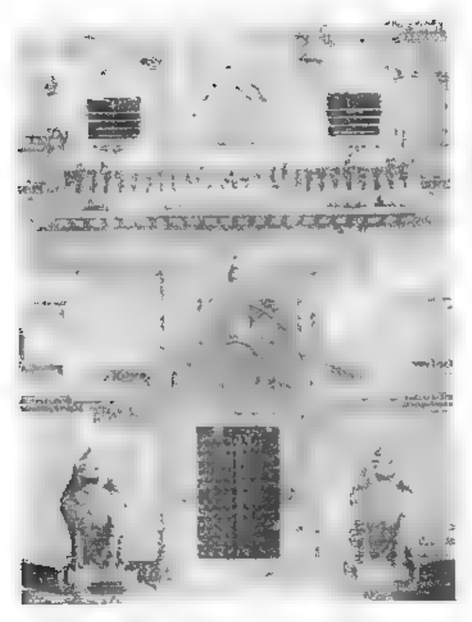

١٠٤ — بن (بيال) ، شد قصر الملك (مصنوع من البرونز)

وكانت مظاهر الأُبَّهة في بعض المعابد المشهورة بالهند بادية ، وكانت أيام الأعياد الدينية بها رائعةً ، ولا يزال الحجيج الذين يزورون بنارس وجكناتهه ومعابدَ جنوب الهند الكبيرة يُعدُّون بمئات الألوف في كل سنة ، ودخلُ هذه المعابد ، ولا سيما دخل ما هو قائم منها في جنوب الهند ، راجعٌ إلى الهبة ، وهو يُحرِّك نفوس المؤمنين الذين يأتون من أقاصي البلاد تحرّكهم مَلَكةُ احترامٍ ووجلٍ ليتضرّعوا إلى الآلهة المرهوبة .

وأماكن الحجّ الشهيرة مشتركةٌ ، في الغالب ، بين الديانتين الكبيرتين الوشنوية والشيفائية ، فيختلط أتباع تينك الديانتين بعضهم ببعض في مواسمه ، وغير قليل أن يحضر مسلمون هذه المواسم عن تقوى ، لا للاستطلاع فقط ، فيعظّم الجمهور منهم .

ولا مكان للحجّ في الهند أشهرُ من جكناتهه أو بوري الواقعة على شاطئ أوريسة ، ولا مكانَ في الهند تتجلّى فيه الإخاء من أديان الهند واختلافها كذلك المكان الذي يُمثّل حبيبه فيه ، فالهندوسيّ ، مهما كان دينه ، ومهما كان أقصى البلد الذي يسكنه ، ومهما كانت مصاعب الرحلة ، لا يألو جهداً في زيارة جكناتهه مرةً واحدةً في عمره .

ويقاسمُ وشنو الكثيبَ المشؤومَ شيوا عبادةَ الجمهور الذي يبلغ معبوده الخاصُّ درجةَ الديان ويُسيّرُ الجمهورُ مركبَه أي معبده الدوّار ، ويلقي بعض متعصبي الجموع من الحماسة في عهد الأزمنة الاستبدادية ما كانوا يُلقون به أنفسهم تحت عجلة عربته .

وفي الهند أماكن حجّ كثيرةٌ أقلُّ أهميةً من بنارس وجكناتهه على العموم، ويُعدّ ضفاف نهر الگنج المقدسة من منبعه إلى مصبّه في رأي المؤمنين يجب زيارتها من

٤١٥ — [illegible] (نيبال) معبد حجري [illegible] قائم أمام قصر [illegible] (هذا المعبد هو الذي نرى [illegible] في صورة [illegible] ، [illegible] هو [illegible] من [illegible] ، [illegible] في الهند [illegible] ، وقد التقط جميع صور هذا الجزء من [illegible] في [illegible] في نيبال)

أقاصي البلاد ، وتُعَدُّ مياه الكَنْج مقدسة أيضاً فتُنقَل بين مكان وآخر في الهند بأجْر عالية ، ولا تخلو قصور بعض الراجوات من مقادير منها للغُسْل

ذكرت في وصف طبيعة بلاد الهند ، وذلك حين البحث في أنهارها ، أن الهندوس يعدُّون جميع مجاري المياه مقدسة ، ولا نهرَ في الهند ، مع ذلك ، يقرُب من نهر الكنج قدسيةً ، وترجع عبادة الينبوع والمُخْصب والرياح الموسمية في الهند إلى أقدم العصور ، ومن الطبيعي أن تقوم الهندوس بهذه العبادة في بلد الجفاف حيث تغيب الماء معه الحياة وحيث يموت سكانه كثيرون حين يقل الماء .

٦ — الجَيْنِيَّة

نخصص في هذا الفصل مطلباً للجينية التي زُعم أنها ديانة مستقلة عن البُدَهية والبرهمية وإن كان هذا الزعم لا يقوم على أساس صحيح

ونحن نرى أن الجينية مشتقة من كلتا الديانتين معاً ، فهي قد أخذت من البُدَهية وطقوسها وشعائرها وإن ابتعدت عنها بعد تقدمها فصارت تختلف عنها من حيث ما تزحزحت عنه للبرهمية من الاعتبارات .

ونحن نجهل تاريخ الجينية ونشوءها تماماً ، ونرى ، مع ذلك ، أنها مثلت دوراً مهماً في أحد العصور ، ويدلنا على ذلك أن المعابد الجينية التي شيدت في القرن العاشر من الميلاد هي من أجمل مباني الهند المذكورة ، ونجد قبل إقامة هذه المعابد الجينية آثار الديانة الجينية في كتابات عصور التي خُطَّت في القرن الخامس من الميلاد وفي مراسيم أشوكا التي ورد فيها ذكر واحد من مذهبيها الكبيرين ، والجينيةُ هذه كانت ديانة الدَّكَن في زمن الحاج الصيني هيوين سانج

والجينية قديمةٌ قِدَمَ البُدّهية تقريباً، ويجب عدُّها فرعاً من البُدّهية إلى أن يقوم دليل على خلاف هذا، ولا شيء يدلّ على أنها أقدم من البُدّهية كما يزعم أتباعها.

ويعتقد الجينيون، كالبُدّهيين، أزلية العالم، ويُنكرون، مثلهم، كلَّ خالق، ويختلفون عنهم في كيفية النظر إلى النِّرْوانا التي هي عندهم حالة حقيقية أو سعادة تحظى بها روح الإنسان، لا فناء.

ويرى الجينيون، كالبُدّهيين، أن النِّرْوانا تُبلَغ بعد مجاوزة سلسلة من تكوينات تتدرج حلقاتها إلى الكمال حتى تنتهي إلى جِينَة الذي هو آخرها فيبدو منه أنه يشبه بُدّهة دنيا.

والجينيون، كالبُدّهيين الذين يقولون بعدّة بُدّهات تعاقبت قبل شكيَموني، يرون جينات تعاقبت حيناً على أن عددهم بلغ أربعة وعشرين جينة، فهؤلاء (الـ ٢٤ جينة) هم آلهة الجينية العليا.

ويرى الجينيون آلهةً وإلاهات ثانويةً غير أولئك الجينات الذين بلغوا مرتبة الكمال فلا تلحق بهم أثقال الحياة، وتقول الجينيةُ، من جهة العمل، بتعدد الآلهة كالبرهمية، فكان للجينية مثلُ نصيب البُدّهية من هذه الناحية، فهي مع قيامها نظرياً على الإلحاد كالبُدّهية، وذلك من ناحية التأملات الفلسفية، لم تلبث أن استحوذت عليها آلهة ما اقتبسته من الأديان إلى حين.

ولم تستطع الجينيةُ أن تعيش على وئام مع البرهمية التي هي ديانة الهند القديمة لعدم اعترافها بالآلهة البرهمية فقط، بل لإعلانها أيضاً بطلان نظام الطوائف الذي وضعته

البُدْهِيَّةَ روحياً إن لم تكن رسميّاً ، فلم تكن البراهمة ليقاتلوا ديانة تعترف بمعابدهم القديمة وتقول بأن من أهمّ الواجبات احترامهم المطلق .

وطقوس الجينية وأساطيرها نسخة من طقوس البُدْهِيَّة وأساطيرها ، فجِينُ الأعلى مطابقٌ لآدي بُدّها الذي تقول به بُدْهِيَّةُ نيبال ، وهنالك مواءمة بينه وبين شاكيه موني ولادةً وحياةً وطهوراً وأمراً ونهياً ، فهما متحدان ذاتاً ومعنى وإن اختلفا اسماً .

والاعتراف والنواقيس والحج مما تجده في كلتا الديانتين ، والرهبانية شأن واحد في هاتين الديانتين .

والجينية ، كالبُدْهِيَّة ، كتب الدينية ، وهي ، مثل البُدْهِيَّة ، ترفض عدّ الويدا حُجَّة .

ولا تجد ديانة تقدمت بالمعابد تقدم الجينية ، ولا تجد ديانة شادت من المعابد الكبيرة العالية أعظم مما شادته الجينية ، فحقٌّ أن معابد كهجور وجبل آبو الجينية هي عجائب من عجائب الهند ، والحق أنه يخيّل إلى الناظر في أروقتها شبه المظلمة مرور قوم من تماثيل المرمر المصفوفة على الجدار يشعّون حياة ويكشفون أحد الجينيين البادي هدوء رزين مقترن في وجوههم على الصورة ، والحق أنك لا تجد عدا الرموز التي تميّز الجينيين الأربعة والعشرين بعضهم من بعض اختلافاً وجوداً بينهم ، حيث وجدت أن أولئك الجينيين عُزّاة ذوو ملامح واحدة .

ورُسمت على صدور الجينيين وحول أعناقهم خطوط مختلفة ، ونُقشت في أسرّتهم وتحت أخامصهم[1] إشارات خاصة على شكل البدر أو الدولاب الدين

(١) الأخامص: جمع الأخمص ، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم ، وربما يراد به القدم كلها.

ويرمز [illegible] «البُدّهي»، أي الشريعة والحياة.

وترى للجَيْنِيَّة أتباعاً كثيرين في الهند، وتبدو الجينيّة مزدهرة في الكجرات وفي جميع شبه جزيرة كاتهياور تقريباً.

٧ — مبادئ جميع أديان الهند العامة

تصدق صفة [illegible] لديانات الهند على جميع الدور الذي دام من زمن بعث البرهمية الجديدة إلى أيامنا، [illegible] طقوس هذا الدور منذ ألف سنة.

ويجب أن تطبق روح التوحيد، التي لاحت لنا من خلال تلك التنوعات والاختلافات، على جميع أدوار الديانات في الهند إذا ما وُفّق عقل القارئ [illegible]، فليست الويدية والبرهمية والبرهمية الجديدة، في الحقيقة، إلا ديانةً واحدةً تُعد البُدهية والجينية فرعين منها.

[illegible] عبادة مظهر مختلط لمبدأ الحياة، [illegible] ومضادة، وفيه [illegible] الأصل الأعلى هو الله الواحد الذي يهب الحياة لجميع الموجودات وبه تعتقد جميع الأديان، سواء عليك أدعوته [illegible] أم [illegible] لأحد [illegible] حيوانات وقوى [illegible] والتماثيل والأصنام [illegible] أن يصبحوا موضوعات عبادة ثم أصبحت للجماهير، [illegible] من موجود إلى موجود حتى تفنى في الأصل الأعلى، وأن [illegible] أحوال كيانه القديم.

ويشعر القارئ بالفروق التي تفصل بين فروع الديانة الهندوسية الثلاثة الكبرى القديمة والحديثة حين يتمثل الوحدة وقربها من دين الطبيعة الفطري.

وبرهمية وبخرائبه ومعابده وثرواتها ، والبرهمية الحديثة وشريعتها روح لجة التي
أسفر عنه الإصلاح البدهي ، وأما الشكلب فقد تغيرت ولا تزال تتغير ، فوسعت
حتى هندوس عصبتنا المتزايدة كثيراً ،
من نشاطه فيتمثلها بلا انقطاع

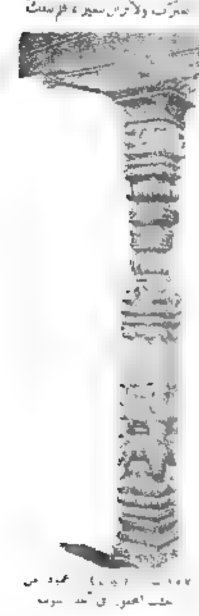

١٤٧ — ... عمود من
حلب الحمو... في ... سوسه

٨ — الإسلام في الهند

لدين محمد أتباع كثيرون في الهند ، فقد بلغ عددهم نحو خمسين مليوناً ، أي خمس سكانها ، ولا يزال هذا العدد يزيد بمعتنقي الإسلام في كل يوم .

ولا شيء أسهل على الهندوسي من انتحال دين جديد مع محافظته على ديانته القديمة في الغالب ، فالهندوسي مستعد بطبيعته لاعتقاد كل شيء ، والهندوسي إذا ما رضي بآلهة جديدة لا يقتضي ذلك ، على العموم ، أنه ترك الآلهة القديمة ، وإنما تؤدي ذلك إلى زيادة عدد آلهته ، ويمتثل الهندوسي تارة بأوامر آلهة وتارة بأوامر آلهة أخرى ، وذلك على حسب ... فيه ... نفسه أو حدس مصادفات

وكلما صعدت في سُلّم الطبقات الاجتماعية وجدت الفروق واضحة ، فترى بين من هم على شيء من الثقافة مسلمين حقيقيين وبراهمة حقيقيين ، ولكنك إذا ما هبطت إلى الشعب وجدت اختلاط تلك الديانتين في بعض الأحيان اختلاطاً تاماً ، فتُبصر محمداً والأولياء المسلمين آلهةً لها ما لآلهة الهندوس من الصفات ، وما أكثر ما تبدو لك هياكل الطقوس جامعةً لأتباع مختلف المعتقدات أحياناً

فانظر إلى بوهرا الكجرات الذين هم من الشيعة المسلمين والذين هم من سلالة قدماء الهندوس ، لا من سلالة فاتحي المسلمين ، تجدهم لا يعرفون تعاليم محمد إلا قليلاً ، وتشابه طقوسهم بعضَ الطقوس الهندوسية مشابهةً تامة

وأهل السنة ، الذين تتألف منهم أكثرية المسلمين في الهند فيعدّون أنفسهم على الإيمان الصحيح ، ويزدرون الشيعة ، وما بين هاتين الفرقتين الإسلاميتين من الاختلاف فأكثر مما بينهما وبين الهندوس ، وقد رأيت شدة انقسامهم إلى فرق صغيرة كثيرة

ويكون الإسلام بالمساواة من أهم الأسباب في تقدمه السريع ، فالحرص والرغبة في رفع النير تغني عن الشكوى مما بلغ ملايين الناس من اعتناق دين النبي طائعين مسرورين

بيد أن الدين الذي جاء به محمد بسيطٌ عند قوم تعوّدوا عبادة آلهة كثيرة جداً ، فلذلك لم تنجح جميع الجهود التي بُذلت لحمل الهندوس على التوحيد ، بل أدّت إلى إضافة إله جديد إلى الآلهة التي كانوا يعبدونها ، والحق أن كثيراً من الهندوس المسلمين يؤلّهون محمداً ، ثم أخذوا يؤلّهون صهره علياً ، وأن أبناء طبقات المسلمين الدنيا يؤلّهون كثيراً من الأولياء ، فيخلطونهم بالآلهة البرهمية القديمة

وخلطٌ بين المعتقدات كهذا الخلط المؤدّي إلى أسخف الخرافات وإلى الوثنية ، أحيانًا ، ما أوجب ظهور مصلحين لتطهير العقائد العامة وجمعها إلى توحيد راق ذلك أمر كبير الذي ظهر في القرن الخامس عشر فثار على القرآن والويدا فجدّ في إقامة ديانة روحية واحدة مقامهما ، وذلك أمرُ نانك مؤسس مذهب السِّك ، وذلك أمرُ رام موهَن رَاى الذي مارس ديانة مقتبسة من النصرانية والإسلام والبرهمية ، وذلك أمرُ كيشاب شندر سن الذي حُبّب إليه صهر ديانات الشعوب التي كان يتنسّكها .

٤٠٨ ـ بهاتغاون (نيبال) ـ ميدان قصر الملك

نعم ، تمتع أولئك المصلحون ببعض الأنصار حولهم ، غير أن عددهم كان محدودًا على الدوام ، وهم لم يُوَفَّقوا ، في الحقيقة ، إلا لزيادة أديان الهند عمّا كانت عليه من قبل .

وبدا الإسلام كما زاوله القوم في الهند، مشوباً متحولاً على حسب الطابع الذي يتجلى في جميع معتقدات الهندوس الدينية، ولم يُوَفَّق الإسلام لنشر المساواة بين جميع الناس في البقاع الهندية التي يهيمن عليها فتكاثر بسبب دخول الناس فيه أفواجاً، فالمسلمون في الهند يعرفون نظام الطوائف عملياً إن لم يعرفوه نظرياً.

واقتبس الإسلام في الهند من البُدْهِيَّة ومن البرهمية، فمن ذلك أن جميع المسلمين يمارسون عبادة الذخائر المزرية على البُدْهِيِّين، فترى عندهم شعرات من لحية النبي كما ترى عند البُدْهِيِّين شعرات من شاكيه موني، ومن ذلك أن أتباع الديانات الثلاث يقدّسون بعض آثار الأقدام بحسب ما يرونه لقدم برهما أو بُدْهه أو محمد.

والخلاصة أن الإسلام عانى من أديان الهند القديمة أكثر من أن يُعدِّلها، وأنه ظلَّ مستتراً في وادي الگَنْج وفي كجرات على الخصوص، وأن له أتباعاً كثيرين في الدكن، وأنه لا يكاد يُفرَّق عن البرهمية عند الهندوس في الدكن.

ويمكن للمسجد الصامت العاري يُفتَح في جميع مدن الهند بجانب معبد مملوء بالأصنام، وكلما تقدَّمت الحضارة وتنوَّر الناس زاد عدد المسلمين فسهل عن بعض مصاعب الطوائف وانتشار المبدأ القائل بإله واحد في ذلك القطر المملوء بالخرافات يحث النفوس بالتدريج تمام جلال الله وعظمته.

حقاً أن فتح الإسلام للهند لم يتم، وهو سائر، صامتاً بطيئاً، على طريقه غير عابئ بتقدُّم سلطان إنكلترة النصرانية.

٩ — تأثير الدين في الأخلاق عند الهندوس

أشرنا في الفصل الذي درسنا فيه مزاج الهندوس النفسي إلى الهوّة بين الديانة والآداب عندهم، وربما نؤكد هذا الأمر الذي يعسر على الأوربيين إدراكه، فالآداب، أي قواعد السلوك عند الأوربيين اشتُقّت من الديانة رأساً منذ قرون، وبلغت الآداب من الارتباط في مبادئ الديانة مبلغاً لا يكاد يُتميز معه انفصالها عنها.

واستقلال الديانة عن الآداب عند الهندوسي تامٌّ تقريباً، وقيل عن الهندوسي، بحق، إنه كان أشدّ الأمم تديناً، وإذا ما نُظر إليه من الناحية الأوربية وُجد، بحق، أقلّ الأمم آداباً على ما يحتمل.

أجل، إن نيل حظوة لدى الآلهة والتودُّد إليهم هما غاية ما يسعى إليه الهندوسي في أدقّ أعماله، فلا تقوم هذه الغاية على عقيدة ثابتة، ولكن الهندوسي لا يبحث في غير أنه يرى قبالة هو أن الآلهة في الغالب كرماء صدق علاقته بالناس ونقاء نفسه وخلاصه في القول والعمل، وأن تلك الآلهة القادرة على كل شيء ترى في الموجودات عصياناً من أجل سرقته لمال غيره أو حنثه في وعده.

ويصبح الهندوسي عرضة لانتقام الآلهة الشديد إذا ترك الصلاة أو دعاء و تلاوة الكتب المقدسة أو لم يحضر الاحتفالات الدينية أو دفع بقرة أو لم يقرب حب الطهارة أو لم ينظف يديه قبل الطعام أو لم يغسل فمه بعده.

تلك هي الذنوب التي تثير سُخط الآلهة، وإذا نظرت إلى الشعائر الدقيقة الكثيرة التي يقوم بها الهندوسي في أدقّ شؤون حياته وجدتها قد وُضعت لتمجيد

القوى السماوية ودمر عصيها وبيل بركتها وأن المندوسي يرى صدورها عن الآلهة وأنها تشابه وصايا موسى عند النصارى وإن كان ستٌ من هذه الوصايا من الآداب

وقد كُرِّرت الوصية . « أكْرِمْ أباك وأمك ، لا تقتُلْ ، لا تزْنِ ، لا تسْرِق » تكراراً متصلاً باسم الله فيَعُدّ بعض الأوربيين عزوها إلى الإنسان كفراً ، ولا تطالب الآلهة الهندوسَ بشيء من ذلك ، وهي تطالبهم بالقرابين والحج والتوبة والصلاة والقيام بشعائر في كل حين ، وأما غيرُ هذا من الأمور المادية النفعية العملية التي هي من شأن الإنسان وحده ، فلا تبالي الآلهة بها أبداً

وكيف يروق أدبُ الحياة الآلهة التي هي عنوان قِبَّةُ الأدب ؟ لقد استهزئ غوبيتر (المشتري) الإغريقي الفاجر ، وبيزكور (عطارد) اللص وفينوس (الزهرة) البغيُّ بتجارب هذه الآلهة الإغريقية عادة بالأدب أيضاً ، فالحق أن الأدب عند الإغريق ظلّ منفصلاً عن الدين أيضاً ، والحقُّ أن الآلهة عند الهندوس لم تُبالِ بالطُّهْر والعفاف كما أن سكان الأولمب الإغريقية (الآلهة اليونانية) لم يبالُوا بهما .

وهنالك صنفان من الواجبات يسيطران على حياة الهندوسيّ وهما : الأوامرُ الدينية ، أي أمور العبادة ، والطهارات التي هي من الواجبات الدينية مع أن لها مصدراً آخر ، فأما الصنف الأول فقد نشأ عن ضرورة التودُّد إلى الآلهة الهائلة القادرة على إثارة الأعاصير وإصابة الناس بضروب الجدْب والأوبئة ، وأما الصنف الثاني فمصدره ضرورة التطهر من أناس من الطوائف الدنيا وقع عرَضاً

ففي مراعاة ذينك الصنفين الأساسيين (وهما استعطاف الآلهة بالعبادة وتوكيد

نقاوة الطائفة) تتألف قواعد الآداب لدى الهندوس تقريباً، وما في شرائع منو من القواعد فيُرَدُّ إلى ذينك الصنفين، وما نراه في الغرب من الواجبات الأدبية صادرٌ عن الدين مع أنه لا علاقة له بالدين في الهند.

وإذا ما وجهت البصرَ إلى شرائع منو تجدْ أن مخالفة أتفه الشعائر يُعَدّ لدى الهندوسي جرماً عظيماً لا يُكفَّر عنه إلا بضروب التعذيب وبالقتل في الغالب، وأنه يمكن السارقَ والقاتلَ أن يُكفِّرا عن اقترافه بالتوبة والاستغفار.

وإذا عدوت زنى الأزواج الذي يُهدِّد كيان الأسر والعرق تهديداً عظيماً رأيت جميع الذنوب حسيةً قليلةَ الخطر لدى الهندوس، فما يحرمه الهندوس من اللذات الشهوانية يدفعهم إلى التنصل دائماً، ولا ينقلب الغرام إلى جرم إلا إذا كانت الطائفة الدنيا محلَّه.

ويتوقف جرم القتل على صنف المجنيّ عليه، فإذا كان المجنيّ عليه بقرةً أو برهمياً كان الجرم عظيماً، ويكون جرماً من الصغائر في أية حالة أخرى، وترى أنواعاً للقتل لا تُعَدّ من الآثام كقتل البنات.

وليست آداب الهندوسي شخصية فقط، بل إن ما لدينا منها خاصٌّ بالذين يُولدون مرتين، فما على الشودري سوى الخضوع المطلق.

قال الأسقف هيبر: «يجب على الشودري أن يجتنب الذنوب الآتية: ذبح بقرة وإساءة برهمي وترك إحدى الشعائر التافهة التي يتعلق بها الآلهة كلُّ مُفترِض».

وتختلف تلك الآداب الغريبة بحسب الطوائف، وهي تعدّ الذنوب من الكبائر

أو الصغائر على حسب طبقة الجاني أو المَجنيّ عليه ، وهي لا تُقاس بأهميـة الدين الذي يستوعب الروح ويستغرق أدقّ أعمال الحياة

« فالهندوسيُّ يسير ويجلس ويشرب ويأكل ويعمل وينام دينيًّا »

هذا ما قاله هندوسيٌّ ، وهو قول واقعيّ ، فالهندوسيُّ لا يتبيحُ ولا يبدأُ بالطعام ولا يلاقي صديقاً ولا يسمع من غير أن يعوذ بالآلهة، والهندوسيُّ لا يخيط ثوباً ولا يمسّ شيئاً إلا بوحي ديني، والهندوسيّ مسكين ، لذلك ، فقطرُ يُعَدّ أكثر أقطار العالم شعائرَ وعادات

١٠٩ — كهف هندو (نيبال) مصنوع من آجر وخشب محفور

والعنصر الأدبيّ الوحيد الذي مَدَّ طبيعةَ الهندوسيّ هو روح المحبة البُدّهيّة ، وتسرّبت هذه الروح في صميم الشريعة الشديدة التي وُضِعت إرضاءً للآلهة الوهمية

القاسية ، لا من أجل صلاح الناس ، فلا شك أنها أضافت إلى سالفها الخرافية الثقيلة مبادئ عقيمة وكريهة ، فنحن نرى أن العصر البُدّهي هو أكثر أعصر الهند أخلاقاً ، ولا يزال تأثيره الطيب بادياً حتى اليوم .

وما يتحلّى به الهندوسي من الصفات ، كالحلم والوفاء للسادة وحب الأسرة وروح التسامح بعضه ، هي من مقتضيات بيئته ، لا من مقتضيات ديانته ، وأكثر صفاته تلك هي ، مع ذلك ، صفات غير فاعلة ، فالهندوسي يعرف كيف يُطيع ، ولا يعرف حبّاً إلا حين خضوعه لسيد ، وهو إذا ما ساس ظهر طاغياً مستبداً جباراً ، ولا نجد في الهندوسي صفة يمكن أن يقال إنها ثمرة أدب ديني أينعت مع القرون ، ولم ينشأ الأدب في الهند مع أن للدين سلطاناً عظيماً فيها على الدوام .

فالهندوسي ، إذن ، رجل دين ، لا رجل أدب ، وقد تعوّد الخضوع والانقياد ، ففُطر عليه من الأخلاق اللينة ما اقتضاه الاستبداد الطويل وحوّل بلاده ميداناً للنشاط ، ولو كان شعور الهندوسي الأدبي زائداً لكان من أرقى شعوب الأرض خلقاً وأشدها خطراً ، ولكننا نجد سرّ عدم أدبيته في مدنيّته

الفصل الثالث

النظم والطبائع والعادات

(١) القرية والنظام — تعد القرية في الهند وحدة سياسية لا يجوزها سوى الدولة — القرية وحدة هي وطن الهندوسي — نظام القرية — الشركة في الأموال — خلاف نظام الأملاك في مختلف أجزاء الهند — (٢) الأسرة — حال المرأة في الهند — القرية عشيرة أو أسرة مشتركة — سلطان رب العائلة المطلق — مكانة المرأة — الزوج — عدم احترام الأيامى — الأولاد — احترام الأم — (٣) نظام الطوائف — نظام الطوائف هو حجر الزاوية لجميع نظم الهند السياسية منذ ألفي سنة — منافع النظام ضرورات عرقية — استحكام هذا النظام — كيف يقسم الإنسان طائفته — في دستور الهند الطائفي سر خضوع الهندوسي لسادته من الأوربيين — سلطان نظام الطوائف في الهند — نظام الطوائف مما قال به [illegible] [illegible] لا كلها — هذه الطائفة محكمة [illegible] الطوائف الأخرى — (٤) الحقوق والعادات — أمور الحقوق الفطرية في الهند — عادات [illegible] والتشريع الديني — [illegible] هذه الحقوق — لا قصور الهندوسي وجود شريعة وعدم المحاكم [illegible] [illegible] أمور لا يتكلم عنها عادات الهندوس في [illegible] — (٥) [illegible] الهند [illegible] على [illegible] — مصادر الربح — [illegible] — (٦) [illegible] الهندوسي [illegible] [illegible] الأوربي [illegible] ومهارته [illegible] (٧) حياة الهندوس العامة والخاصة — أهم [illegible] — [illegible] حياة خاصة لدى جميع الطبقات — [illegible] — الولائم — الاحتفالات — الأعياد [illegible] والقرى الأعياد و[illegible] — تربية الأولاد — النكاح — [illegible] — استقبال ملوك الهند للأجانب .

١ – القرية والحمك

كانت القرية ، منذ أقدم عصور الهند ، جماعة سياسية منظمة تامة الوحدة لا يعلوها سوى الدولة .

والحق أن القرية هي وطن الهندوسي ، ففي القرية تتجلى مقتضيات الاجتماع ، فيها يجد الهندوسيُّ الحكومةَ الأبوية الحامية له ، والقاضيَ الذي يَرُدُّ عليه حقه ، والكاهن الذي يُنعش روحه ، والطبيب الذي يداوي جسمه ، والشاعرَ الذي يسحر فؤاده ، والراقصة التي تُمتِّع عينيه ، وأبناء عشيرته الذين يجتمعون حوله كأسرة واحدة .

وما يعني الهندوسيَّ من الوطن الكبير المصنوع الذي أريد بشأنه ؟ لا يعرف الهندوسي شيئاً من هذا الوطن الكبير فلا يعترف به ، وكل ما يعلمه عنه هو أنه يُثقل كاهله بالضرائب ، ومهما كان أصل الفاتح الذي أسَّس هذا الوطن الكبير بقوة السلاح ، فإن هذا الفاتح ، سواءٌ كان أوربياً أو أهلياً ، لم يظهر إلا مستبداً في جمع الضرائب ، فلا يبالي الفلاح بجنس هذا الفاتح ما التزم بالانقياد له ودفع الأتاوى[1] إليه على الدوام .

حقاً أن ثورات نشبت وحروباً اشتعلت ودولاً شيدت وممالكَ انهارت من غير أن يكترث الفلاح الهندوسيُّ لذلك كلِّه ، وما كان سادته الذين تولَّوا أمره بالتتابع يطالبونه سوى بمال غير متعرضين لعاداته المتأصلة ، فظل كما كان منذ ثلاثة آلاف سنة ، ولا تزال القرية الهندوسية صورةً لما كان عليه المجتمع الآريُّ الفطريُّ ، ويمكننا أن نتمثل بها حال جميع المجتمعات في أدوارها الأولى .

---

(١) الأتاوى : جمع الإتاوة وهي الخراج .

ولا يذهب القارئ إلى أن القرية في الهند هي مجموعة منازل فقط ، بل تشتمل أيضاً ، على الأراضي التي تحيط بها فيملكها سكانها

وتلك الأراضي مُشاعة ، ويسبق الشيوعُ التملكَ الشخصيَّ في جميع العالم كما هو معلوم ، ولكن جميع المجتمعات [illegible] تتدرج إلى مبدأ التملك الشخصيّ ترى المجتمع الهندوسيّ لا يزال واقفاً في الطور الآخر ، ومن الغريب أن يُبصر المجتمع الهندوسيّ ، في كل زمن [illegible] يسعى في رد كلّ مُلك شخصيّ إلى مُشاع خلافاً لما تسير [illegible] بقية الأمم

وقد حدث أن [illegible] التي عبر منها أن من [illegible] ، [illegible] في هذه قضايا [illegible] للنظر حول ذلك ، فوجد قضاة [illegible] في حكم ادعى عليه [illegible] ، وما كانوا [illegible] ثبوت [illegible] على [illegible] ولا [illegible] أمواله [illegible]

وقد [illegible] في الهند كان له حق [illegible] من [illegible] بعد ولادته ، وقد [illegible] أن هذا يؤدي إلى نظام تملك الفردي ، مع أن الأمر غيرُ ذلك ، فالقسمة لا تحدث فعلاً ، فالولدُ لا يفكر في هذا حتى يبلغ سنَّ الرشد فيصبح قادراً على مقاسمة عائله ، [illegible] يكتفي [illegible] في الدخل ، ومن هنا ترى أن المُشاع هو مردُّ التملك الفرديّ على الدوام

وشيوع الأموال مزدوج يُنظر إليه من ناحية الأسرة أو ناحية القرية

ث تُشاع القرية عن الأسرة ، وما كانت القرية غير أسرة كبيرة ، وهذا التعريف صحيح في غير حال ، فأهل القرية إذ كانوا أبناء جد واحد فإنه يتألف من مجموعهم عشيرة متسقة ، وقد يقع أحياناً أن تتألف العشيرة من ثلاث أسر أو أكثر وأن تكون بينها مفتوحة للغير . . . وقد يحدث في الغالب أن تكون الصلة العائلية وهمية مع الاعتراف بها والاستناد إليها .

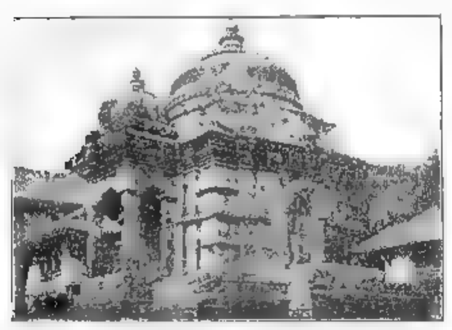

[illegible]

والأمر مهما يكن فإن الزمرة تنقسم إلى أسر مختلفة وتكون كل واحدة منها مجموعة وأرض لترعيها ، وما عند الأسرة من منقولات ، كالمواشي وآلات الزراعة الخ ، وما يزيد عن حاجة الأسرة من دخل الشائع مشترك بين أفراد الأسرة : الأب والأم والأولاد ، هذا هو الشيوع المنزلي

ومن ناحية أخرى تُعتبر أراضيَ القرية خاصةً بأهلها فيزرعونها بالاشتراك ويقتسمون ما تنتجه فيما بينهم ، فهنا هو الشيوع الاجتماعي

وإذا تمَّ الحصاد جُعِل الزرع المحصود أكداساً أكداساً فخُصَّت الدولة بالكُدْس الكبير ، فهنا ينتهي واجب الهندوسيِّ نحو ما سُمِّي عن غير حقٍّ وطنَه ، فيعود غيرَ مَدِينٍ له بشيء ، وغيرَ منتظرٍ منه شيئاً

وبعد أن تظفَر الدولة بحصّة الأسد يكافأ موظفو القرية فيُخَصُّ عميدُها بكُدْس كبير ويُخَصُّ البرهميُّ بكُدْس آخرَ ويُخَصُّ كلٌّ من الخفير والسقّاء والحلّاق والعرّاف والنجّار والحدّاد والغسّال والسكّاف والفلكيّ والطبيب والشاعر والراقصة بكُدْس أصغر .

تقوم القرية بمعايش أولئك الموظفين وغيرهم ، ويزيد عدد هؤلاء بنسبة اتساع القرية وغناها ، وينتسب كلُّ واحد منهم ، على حسب وظيفته ، إلى طائفة خاصّة ويتجنّب الزواج بغير بنت طائفته والأكل مع آخر من طائفة أخرى ، بَيْدَ أن حواجزَ قاسيةً كهذه لا تؤدي إلى تنافس أو خصام بين أهل القرية ، فهؤلاء إذ يعتقدون أنهم من أصل واحد يشعُرون بأنهم إخوة ، فترى روحَ المساواة سائدةً لهم ، ولا تجد من يقومون بالوظائف الخسيسة غضاضةً فيما يقومون به ما حفظُوا رعاية أبناء عشيرتهم .

وبعد أن ينال الموظفون حِصَصهم من الغلّة يُقسَّم ما بقيَ منها بين جميع الأُسر ، وليس كبيراً نصيبُ كلِّ أسرة ، فالفلاح الهندوسيُّ مُثْقَلٌ بالضرائب ، فهو يكون سعيداً إذا ما نال ، بعد الذي يؤدّي ، ما يكفي أسرته ، وما يشتري به بذاراً

للزرع في العام القادم ، وفي البنغال تُعَدُّ الأسرة سعيدة إذا نالت ما يعدل خمسةَ دوانق أو ستة دوانق مياومةً .

وحيث يكون أمر المُشاع منتظماً ينال الفلاح المعوز من بني قومه وقت الضيق ، فلا يقاسي ألَمَ المجاعة إلا إذا كانت عامة

ويسوس كلَّ قرية عميدٌ منتخب يساعده مجلس كان يؤلَّف من خمسة أعضاء فأضحى يؤلَّف من أعضاء أكثرَ عدداً ، ويدير شؤون كل قرية الموظفون الأوّلون المذكورون .

ومع نظام القرية التقليديُّ من النفوذ في النفوس ما لم يَقْدِر معه تُرْكٌ على تبديله ، واحترم جميع الفاتحين الذين دوّخوا الهندَ نظامَ القرية فلم يتعرّضوا لاستقلاله ، وللفاتحين فوائد في ذلك ، فوليُّ الأمر لم يكن ليبالي بغير جباية الخراج المقدَّر بانتظام ، وما كان ليجد خيراً من مجالس القرى المسؤولة عن سكانها في مساعدته على هذه الجباية

وهيهاتَ أن تكون جميع قُرَى الهند على ذلك النظام ، ففي الهند المترامية الأطراف فروقٌ كثيرة مختلفة لا يَثْبُت معها أيُّ نظام ، فالواقع أنك تجد في الهند جميع أطوار التملك المعروفة التي تتراوح بين شيوع الأموال المطلق وحقّ الفرد المطلق في التملك .

وإذ كانت طُرُز جباية الضرائب عنوانَ أنواع التملك في الهند فإننا نذكر باختصار الطُرُزَ الخمسة التي تجبيها الحكومة الإنكليزية بها في مختلف أقسام الهند

انتحل الإنكليز المبدأَ الإسلاميَّ القائل إن رقبة الأراضي لوليّ الأمر وإن ما يدفعه الرعايا إليه ليس ضريبة عنها ، بل دخلاً كالذي يؤديه المزارعون إلى مالكيها .

تقسّم جميع الأراضي في البنغال بين عدد كبير من المُلّاك (زميندار) الذين هم نوع من الزُّرّاع الضامنين فيؤجرونها من الفلاحين على أن يكونوا مسؤولين عن الضريبة تجاه الدولة .

والطعام في أودهة منه في البنغال ... ، وذلك مع ملاحظة أن الحكومة في بنغال توسطت بين المُلّاك (زميندار) والفلاحين حفظاً للفلاحين من كل جور واستبداد ، وأن الفلاحين في أودهة يعيشون تحت رحمة كبار المالكين .

[illegible]

ويجب دوام هذا الفرق مع الفروق التي نراها في الولايات الأخرى عن سير الحكومة البريطانية على مبدأ « إبقاء ما كان على ما كان » فتركت الأمور على ما كانت عليه بعد الانقلابات التي عقبت سقوط الدولة المغولية ، أي إنهم لم يَمَسّوا المُلّاك (زميندار) الذين كانوا من سُعداء الأفاقين فاقتصوا الإقطاعات بسبب الفتن والحروب .

وبنكالة حين أقرّت مبدأ التملك الوراثي اعترفت لأولئك المُلّاك بما يحصلون عليه من الأراضي حقّاً أشبه بحق أرستوقراطية زراعية مختصة تستطيع حرمانه على تحصيل ما هو قيمته ، ولكنهم أثبتوا ما حيث طبّقها ، فلم يكن الفلاح عرضة للطرد والتوسيع هنا على فلاح الزرعة في مكان منه في الشمال وأوده ، فلم من مستطيعين يمنع الفلاح من أخذ سادة له ، علائق حقيقية بحيث لا من أخذ منه .

وكانت في البنجاب غير ذلك ، حسب زرعهم مشتركات القرى ، وفيها حتى حكومة الانكليزية تخرج من عَدداتها رأساً ، وفيها يكون الفلاحون مالكين أرضاً لأراضيهم غير أن عامتهم في إنتاب حقوقهم أقصى ما يأتونه منها

وفي الولايات الغربية والمتوسطة تجد ، تارة ، مالكين زراعيين يُقطعون كثيراً من الفلاحين ويدفعون بعض منه إلى الدولة تحديد الفرق لأنفسهم ، وتجد ، تارة ، ملاكاً كباراً وملاكاً صغاراً تُفرض الضرائب عليهم رأساً

ويؤدي كلّ واحد في الدكن خراجاً إلى الدولة بنفسه قابلاً للتعديل زيادة ونقصاناً بعد انقضاء سنوات في كل مرة .

والدكن ، على ما في عيبه من هذه الحق وصفت الخشب بدءاً من قسم هندوستان ، ذات سكان متعددين أكثر من سواهم على ما خمس ، أخذت في الدكن تعرف نظام القرية المستقلة ذات الأراضي المشاعة ، ولكن أدرك عبره في البنجاب ، حقوقها تُقسم بين سكانها في أدوار معينة

ويكون لأسرة مقسمها الدائم في الأراضي ، ويزيد هذا التقسيم وينقص تبعاً لنشاط العمال وإهمالهم ، ويستطيع رب الأسرة أن يبيع أرضه من غير أن ينظر

بمواقفه خاصة ، فلا نرى مثل هذا في المشاع الحقيقي ، ومن شأن القسم بين حين وحين أن تسوى بين الثروات وأن تذكر الفلاحين بأنهم أبناء أسرة واحدة مبدأً على الأقل وأنهم متضامنون بعضهم مع بعض

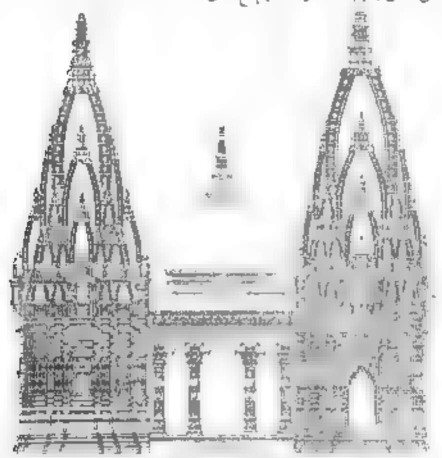

٢٠٢ — بنارس — معبد ويشوشوار مثال على طراز البناء الحديث بالهند ، كما جاء في رسم [illegible] . ([illegible] المعاصرة في هذه الصورة وتصور الآثار في القرن الماضي وفي النصف الأول من القرن الحاضر)

وعليه أقول إن الوسطاء بين الفلاح والحكومة هم سبب بؤسه في الغالب ، لا الغلو في فرض الضرائب وحده ، فحيث يتصل الفلاح بالحكومة رأساً إما بصفته

الفردية أم صفته الشيوعية تجده شيئاً ناجحاً راضياً، مع فقره، بما قُسِم له تقريباً

وبه تنظر بتعجب السائح، حقاً، ذلك الذي يجول له حين يجوب قُرى البنجاب أو جبال الدكن الجافية، فيها يجد المعابد الكثيرة والأشجار المقدسة واحيا كل القائمة على جوانب الطُّرُق شاهدةً على تقوى ذلك الشعب الطرازيّ الساذج، وفيها يُبصِر دُور القرية البسيطة، للزُّرّاع سقوف تُمسِكها أعمدة، تنطق بالحرية في صورة خضوع منذ ثلاثة آلاف سنة، وفيها يشاهد سكاناً ناعمين هادئين فَرِحين لابسين ثياباً زاهية مع اختصارها يَتهادَوْن في الأزقة الضيّقة ذوات الحيطان الخشبية مُحدِقين بالغريب، مع قليل إزعاج وعدم اعتداء.

١٦٣ ـ بنارس، معبد دورغه القائم على طراز الـ حديث في الهند

والأمرُ غيرُ ذلك في ولاية أوربـة المضطهدة الفقيرة، حتى في وادي الگنج الغنيّ حيث ينال القوم من الحقول كنوزاً لا تكون لهم.

٢ — الأُسرة، حال المرأة في الهند

نظام الأُسرة هو أول ما يجب البحث فيه إذا أريد الاطلاع على المجتمع الهندوسي.

فالأسرة هي مثال القرية والأساس الذي تقوم عليه، وتؤلف الدولة رأساً من تجمّع القُرَى كما رأينا.

والقرية الكاملة هي عشيرة أو أسرة مشتركة.

وفي الأسرة المشتركة لا يملك أحد نفسه شيئاً خاصاً، فالمنقولات وغير المنقولات فيها ملك شائع، فلا يستطيع أيّ فرد من أفرادها أن يبيعه من غير موافقة الجميع، وربّ الأسرة هو الذي يُدير شؤون الثروة ويتمتع فيها بسلطان أدبيّ مطلق، فإذا مات خلفه ابنه البكر من غير انقسام للأموال فيُطيعه الجميع كما في إطاعتهم لأبيه، وإذا اتسعت جمعة أحيانٍ تحوّلت الأسرة إلى عشيرة على أن يكون رئيسها أسنّ واحد في أسنّ فروعها.

ومن النادر أن يظهر عامل انقسام أو انحلال في الأسرة بعد أن تتسع، هكذا ما تقتضيه حسب درجة القرابة التي ذكرناه عند الكلام في التملك، الحال التي تُقسَّم فيها أموال الأب بين أولاده بعد موته.

وهذا ما هو شائع في الوقت الحاضر تقريباً، في المجتمع الهندوسيّ تميل إلى زيادة شأن الفرد وتقليل شأن الأسرة.

وإني، بعد تلك الكلمات، أدرس في هذا المطلب أمر الأسرة أي الأب والأمّ والأولاد فأقول:

إن سلطان ربّ الأسرة في الهند مطلق كما كان في رومة، وإذا كان الأب لا يصل سلطانه إلى ما يمارس به حقّ الحياة والموت فقد حُظر عليه الهندوسيّ من الحيز، وفي الهند تعدّ المرأة بعلها وثناً مثلاً للآلهة في الأرض، وفي الهند يبلغ

مرأة من احترام زوجها فلا تذكر معه اسمه ، والمرأة ، إذا كانت حديثة عهد بالزواج ، نودي باسم زوجها لقباً عرضياً ، وإذا أصبحت أمّاً سمّت زوجها باسم ابن البكر مضافاً إليه كلمة « أبي » فتقول « أبا فلان » مثلاً

٦٢٦ ـ [illegible] التي على [illegible]

والزوج سيد مطلق ، ومع أن المرأة لا تحترم [illegible] ، فإنه عُذِّب حماسته [illegible] لا يمكن [illegible] الزوجية [illegible] ، والزوجات الهندوسيات مُخلصات ، ولا يجوز من الزوج عدم الاكتراث لزوجته أمام الجمهور ، فالتقاليد توجبه يبدو في البيت [illegible] على العموم ، فيجب عليهن أن يؤثرنه ، [illegible] بالقول الشيّق

والمرأة الهندوسية [illegible] جداً ، وترى الهندوس [illegible] [illegible] من الصدر

والنصيحة بما يحلون في نفوسهن من معاني تقليد الرجال سماحةً وظهورهن كتاب الهدى أوضاعاً ، وفي هذا سرُّ ما يلاقيه سادة الهند في الوقت الحاضر من المصاعب في اجتذاب المرأة إلى المدارس .

ويُعدّ الأولاد خاطبين منذ طفولتهم ، ويتزوج الفتيات في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من أعمارهن على العموم ، ولا كيان للمرأة الهندوسية بلا زوج ، فلا تكاد تولد حتى يختار أبوها لها من يكون وليَّ أمرها ، فهي إذا ما ترعرعت فمن شأنه ، وهو إذا ما كان قطيعاً سبب خطأ عليها فضلت البنت متمسكة على أن تظلّ عزباء أو أن تنتحر .

ويُعدّ المرأة المترمّلة ، والمرأة الأيّم على الخصوص ، مبعودتين من المجتمع الهندوسي ، ومن الأيامى الفتاةُ التي تفقد عروسها في أوائل عمرها ، وتفقُّدُ مثل هذا لا يمكن ردّه ، فتهبط مرتبة المنبوذة إلى ما دون سفلة القوم .

قال السيد مداري : « موتُ الزوج الهندوسي قاصمٌ لظهر زوجته ، فلا قيام لها بعده ، فالمرأة الهندوسية إذا آمت[1] ظلّت حاداً ما دامت حيّة ، وعادت لا تتأمّل كبرياء ، وعُدّ نظرها مصدراً لكلّ شؤم ، وعُدّت شخصيتها لكلّ ما تمسّه ، فهي إذ تعدو وفاة بعلها محتقرة منبوذة تبدو الحياة لها عبئاً ثقيلاً ، فلا يبقى أمامها سوى سبيل الفسق أو العيش بائسة محرومة ، والفتاة الأيّم هي التي قصّتها مقولة ، وغيرُ هذه حالُ المرأة التي لها قرّةُ عينٍ بأولادها ، فهي لا تكون عرضة لمحادثات طائشة »

---

(١) آمت : فقدت زوجها .

والآن نُدرك سرّ إخلاص المرأة الهندوسية لزوجها بعد موت الصاحب، فتأصّل هذا الإخلاص بتعاقب القرون حتى أصبح غريزة ثابتة فيها، وبهذا نفسّر دوام عادة حرق المرأة نفسها فوق جثّة زوجها، إن لم يكن حبّها، فكان على المرأة الأيّم أن تختار ما ينتظرها من السعادة والفلاح بلحاقها زوجها بالسماء أو ما ينتظرها من البؤس والشقاء بعيشها حيّة فوق أديم الأرض، فلم تتردد في سلوك أشرف الطريقين، فكانت، وهي السعيدة الفائقة، تقضي نحبها بين الدموع والحسرة والهتاف والأدعية والتحية والأناشيد الهادية.

ولما حظرت الحكومة الإنكليزية تلك العادة منذ ألف، عُدّ الحظر عدوانًا على القيم ثم ظلت من زمن مختبئات عن كلّ مراقبة، والنسوة هنّ اللائي تمنّين إلغاء تلك العادة في سبيل على الرغم من الوزير المحترم تحت تهديد.

ومما وضح هذا التعصب ما رسخ في النفوس الخاضعة السائدة من المعتقدات منذ قرون وما تنتظر من الحياة الآتية الثانية، فالإيمان الديني وحده هو الذي يأتي بتلك المعجزات، وهو في المرأة الهندوسية مثل ما في الشهداء الذين اعتقدوا لقاء الله وراء لهب النار.

ومن المتعذر بيانُ الزمن الذي ظهرت فيه عادة الحرق تلك، ولا نصّ عليها في شريعة منو وكتب الويدا وإن أخطأ الكهّان فرأوا منذ زمن طويل أن هنا أثرًا في أنشودة مقدسة أساءوا تفسيرها، فتلك العادة أقدم من الميلاد، فقد روى وجودها اليونان، لأول مرة، قبل ظهور المسيح بثلاثمئة سنة.

أجل، إن تلك العادة زالت في أيامنا عن الهند، فلا ريب، بيد أن من الصعب أن نقول إن النساء نجحن من وراء ذلك، فحال الأرامل، كما قلنا، يُرثى

لها، فمن أُبيح لهن الزواج مرةً ثانية قليلاتٌ، ويُنظر إليهن شزرًا في كلّ مكان، ولا سيما أن المبدأ القائل بأن المرأة قد تكون مِلْكَ رجال كثيرين مما تنكره النفوس منذ قرون.

وما مبدأُ تعدد الزوجات الذي قالت به الشرائع الهندوسية بعد الغزو الإسلامي، وحُجبت المرأة منذ هذه المبادئ في دوائر حريم الأغنياء على الأقل، وتقيّدت بقيود مُزعجات.

١٦٥ ـ أحمد آباد: معبد هندي مبني على الطراز الهندي الحديث في الهند

وإن مبدأ تعدد الزوجات، الذي يرجع إليه الأغنياء بكامل بهجة وسرور، لا يمارسه الفقراء إلا كَلًّا وعَلًّا، فإن الطبقة الدنيا يقتصر، في الغالب، على

زوجة واحدة ، فإذا حدث أن كانت له غير زوجة فلكي يحرص على النسل وكسب عيش الأسرة ، فلأن يرضى بذلك لا يمكن إلا من الطوائف الدنيا على العموم ، فيرى من القدر الشقي أن يعرف حالهن بالزواج

ومن نتائج تعدد الزوجات أن يُسمّى الأولاد بأسماء أمهاتهم تمييزاً لبعضهم من بعض ، وكانت هذه العادة ، الشائعة بين الشعوب القائلة بتعدد الأزواج من الذكور أيضاً ، عامة في الهند القديمة

ولا شأن للمرأة في الهند ، وهي لا تصبح ذات شأن إلا بعد أن تصير أمّاً ، فعندئذ تُحترم ويعترف لها بما لها من احترام أولادها وعطفهم فلا حدّ له ، فإذا مات زوجها وهرمت رأت نفسها محاطة بجيل من الأبناء والحفدة فلها عليهم سلطان لا حد له

ومما يذكر من نعت في مشكلات الأسرة في الهند ، أنها غير مقصورة على أفراد حقيقيين ، فهي تشتمل على روح الأسلاف فعلى الأحفاد وحفدتهم أن يعترفوا بالنعم من الأهل ويجودوا في كل عيد وأن تقدم لهم عند كل وليمة ، ومن يكون عارفاً في تاريخ مختلف شعوب مزيج روح قدماء الآريين هو حين حياة طيبة لهؤلاء المجهولين الذين يرون فضلهم عليهم في ولادتهم فكانوا الحلقة الى هذه سلسلة أفكارهم ومشاعرهم التي تمتد في غضون القرون .

٣ — نظام الطوائف

نظام الطوائف هو حجر الزاوية لجميع نظم الهند الاجتماعية منذ ألفي سنة، وهذا النظام من الأنظمة الطبيعية التي أثبتناها على العموم في أوربة ولم تستعمل هذه الكلمة في أوربة، وما أرى منه في الهند دراسة أصوله وشئونه ونتائجه بإحكام، وهذا النظام هو الذي استطاعت بفضله شرذمة من الأوربيين أن تخضع ٢٥٠ مليوناً من البشر فكان شرحه إحدى المسائل التي تعني كل باحث ومؤرخ.

يرجع نظام الطوائف في الهند إلى ما قبل ألفي سنة، ومما لا ريب فيه أنه نشأ عن مراعاة سُنَن الوراثة المقدرة، فلما رأى الفاتحون البيض، الآريون، القادمون إلى الهند، وجدوا أنفسهم محاطين بجماعات من التورانيين والسُّود مستوحشين، وهؤلاء الفاتحون كانوا من سلالة [illegible]

١٠٦ — [illegible]، مقدم قصر الراجه القائم على [illegible] في الهند

رغبة لم تمض مدة حتى لم يكن بينهم سوى نفوذ الكُهّان الذين فُوِّض إليهم حمل الصلات بينهم وبين الآلهة، وقد أسفرت عُزلتهم عن انقسامهم إلى ثلاث طوائف بحكم الطبيعة، أي إلى طائفة البراهمة أو الكهّان وطائفة الأكشترية أو المحاربين، وطائفة الويشية أو الزراع والصناع، وهذه الطبقة الأخيرة هي من ذرية الشراة الذين فتحوا الهند قبل الآريين على ما يحتمل فتكلمنا عنهم في فصل سابق.

٦٦٢ ـ كلكته : الزورق القائم على جوار الماء الحديث في الهند (تعم هذه الصورة الصور التي تصنعها الهند ، وأما الصور الآتية فهي خاصة بأموات غنية)

ومن ثَمَّ نرى مشابهة ذلك التقسيم لطوائف الثلاث القديمة : الإكليروس والأشراف والطبقة الثالثة ، ونرى دون تلك الطبقات الثلاث المحتقرة أهلَ الهند الأصليين الذين عُرفوا بالشودرا فكان يتألف منهم ثلاثة أرباع السكان

وقد دلت التجربة على أن أثبتت ما قد ينشأ عن مزج عرق راقٍ بعروق الدنيا فنهت التعاليم الدينية عنه ، فقال مشترع الهندوس القديم حكيم منو : « لا تلبث كل مملكة تنشأ فيها أناس من عروق متوالدة أن يعمّها خراب وأن يضمحلّ سكانها » ، فهذا نصّ شديد لا ريب ، ومن المكابرة إنكار صحته ، فلم تلبث الأمم العليا التي اختلطت بعرق منحطّ ، أن هبطت ودثت أو فنيت فيه ، فما عليك إلا أن تنظر إلى حال الإسبان في أمريكة والبرتغاليين في الهند ، مثلاً ، لتعلم النتائج السيئة التي نجمت عن تلك الامتزاجات ، فترى حفدة أولئك البرتغال المغامرين الذين دوّخوا قسماً من الهند في مضى لا يقومون اليوم بغير أعمال الخدم والأجراء فيها ، وترى اسم عرقهم لا يدل اليوم فيها على غير معنى الصَّغار والنذالة

أدركت شريعة منو التي هي دستور الهند منذ قرون كثيرة ، كجميع الشرائع ، تلك الحقيقة العرقية التي هي وليدة تجارب طويلة سابقة لم تغفل عن صيانة نقاء الدم ففرضت عقوبات شديدة لمنع كل توالد بين الطبقات العليا ، وبين هذه الطبقات

وطبعة الشودر على الخصوص [illegible] وسيلة من وسائل التهديد الشديد إلا أخضعتها لطوع ذلك .

[illegible] العصبية [illegible] القروب [illegible] على [illegible] الطائفة التي [illegible] فلا [illegible] عروقها [illegible] بعض الهند الذين يحكمهم أن يذعنوا [illegible] « الطائفة » غير مرادفة لكلمة [illegible] نفس العرق .

[illegible] الهندية [illegible] من زمن طويل ، فحققت [illegible] البراهمة الذين [illegible]

[illegible] الطوائف [illegible]

[illegible] أمور [illegible] فتكل [illegible] جديدة [illegible] الطوائف في الهند ، وكان [illegible] لا [illegible] أن يرى كثرة هذه الطوائف [illegible] الأشخاص [illegible] استخدامهم فيها

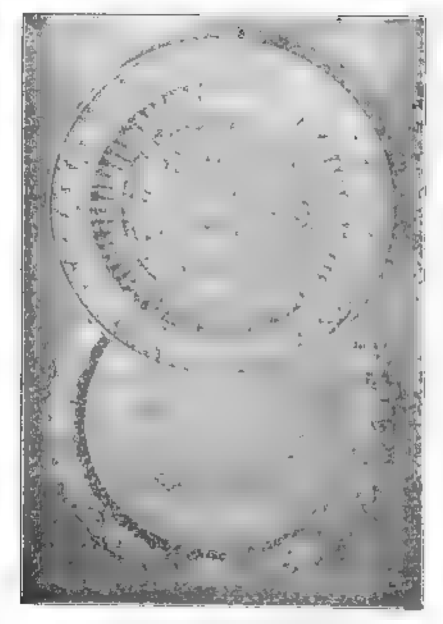

٨٢٠١ ـ (١) صحن معدن مكفت ... على طراز الهندوي الإسلامي
(٢) ماجور صحن هندوسي من النحاس الأحمر مكفت مدور واتصه (من مجموعة المؤلف)

وتضاف المناصب السياسية والمعتقدات الدينية المختلفة إلى النسب العرقي الضعيف والنسب المهني القوي، المذكورين، في تكوين الطوائف.

وقد تُعدّ الطوائف التي نشأت عن الوظائف السياسية من فصيلة الطوائف المهنية، ويمكن الطوائف التي نشأت عن اختلاف المعتقدات الدينية لا ترتبط في واحد من تلك الأسباب بصلة، وقد تؤدي مطالعة الكتب إلى تقسيم الهند، بطريقة، إلى ديانتين كبيرتين أو ثلاث ديانات كبيرة فقط، ويمكن عدد دياناتها يبلغ الألوف تقريباً، ففي الهند آلهة جديدة تُحدَث فتقتات بآلهة قديمة فتحيا وتموت كل يوم، فيؤلف عُبّادها، من فورهم، طائفة جديدة متشددة في أحكامها كبقية الطوائف.

ويقال مطلقاً إن شيئين يفصلان بين كل واحدة من الطوائف، ويحولان بين أفراد كل طائفة وبين أفراد الطوائف الأخرى، فالأول هو أن أبناء الطائفة الواحدة لا يطاعمون غيرهم، والثاني أن بعضهم لا يتزوج إلا بعضاً.

وليست الطبقات مقياس الثروة، وقد تجدون مئات من براهمة الهند موظفين في دوائر البريد وفي إدارة الخطوط الحديدية لا يزيد راتب الواحد منهم على خمسة وعشرين فرنكاً في كل شهر، وقد تجدون بين البراهمة من هم من السائلين، بيد أن ذلك الموظف أو ذلك السائل يفضّل الموت على الجلوس حول مائدة مائدة ملك في الهند، وإذا حدث أن كان أقوى راجوات الهند من الطوائف الدنيا (ومن الممكن أن يصبح أحد أبناء الطوائف الدنيا ملكاً كراجه غواليار مثلاً) فتلقى ذلك البرهمي فيه نبذاً عن مثله، في الغالب، يتكبّر عليه

وصفة البرهمي وراثية في الهند كصفة الشريف في أوربة ، وهذه الصفة غير مرادفة لصفة الكاهن كما يُظَنّ في الغالب ، لأن الكهّان من البراهمة ، فالبرهمي يولد كما يولد الملوك ، وكان لقب البرهمي ، الذي أضاع كثيراً من قيمته في أيامنا ، كبير الأهمية في الماضي ، فلا يمكن معه لملك كافة بأن يمس به صاحبه أن يتزوج بفتاة برهمية ، ففي رواية شكنتلا التي وضعها كالي داسا حوالي القرن الخامس من الميلاد تجد أن دُشْيَنْتَه ملك هستنابور أبى شكنتلا إلا بعد أن سأل مذعوراً هل هي من طائفة البراهمة أولا ، لما في انتسابها إلى هذه الطائفة من خطر زواجه بها

وليس عندنا نصوص مؤلفة هندية في العهد الإسكندري ، ولكن التقاليد التي رسخت في النفوس لا تحتاج إلى مؤيدات رسمية ، فتقاليد كتلك غدت من الوعي الباطن فصارت جزءاً من الإرث الذي يولد مع الإنسان فلا يقدر الإنسان على مقاومته ، فالهندوسي يفضل الموت على انتهاك حرمة مبادئ طائفته

وكان من أهم ما رأته حكومة الهند ، حين فكرت في إرسال كتائب هندية إلى السودان ، أن جهزت كل وحدة بقدور وأجهزة خاصة بما يقتضي الأمر ذا كل طائفة بعدد طوائفهم على حدة وكيلا يأكل بعضهم مع بعض ، وقد كنتُ أشد في هذه الحرب تتبعاً لمطالعة الصحف على درجة ذلك الإرسال لما قد يؤدي إليه أقل غفلة في ذلك الأمر الأساسي من أسوأ العواقب ، فعملٌ مثل هذه كانت عاملاً في ثورة السباهي التي كادت تَذْهب بالإمبراطورية البريطانية الواسعة

وقد يخسر الهندوسي طائفته لأسباب كثيرة لا فائدة من ذكرها ، ومن أشدها أن يقبل طعاماً أو ماءً من أناس طائفة أخرى

٦٩٩ — ... مصنوع من الذهب في القرن الثاني قبل الميلاد (صور الأدوات ... في هذا الرسم من الكتابة مأخوذة من مجموعة المتحف الهندي ... ومستعارة من ...)

ولا شيء أعظم إيلاماً على الهندوسي من فقده طائفته ، فليس حِرْم البابا للإنسان في القرون الوسطى وحكمُ القضاء بعقوبة شائنة على أوربي في الوقت الحاضر أشدَّ وطأً من ذلك ، ففقدُ الهندوسي لطائفته يعني فقداً لأبويه وأصدقائه وثروته بشكلٍ واحد يُنْبَذ عنه ... كلّ صنعة به ، فيدخل بعد ذلك في زمرة المنبوذين الذين يقومون بأخسّ الأعمال .

ونبحث الآن في نتائج ذلك النظام المتين الاجتماعية والسياسية فنقول : إن الطائفة هي وحدة الهندوسي الاجتماعية ، فلا عالم خارجها في نظره ، وتفصل الهندوسي عن غير طائفته هُوَّةٌ أعمق من التي تفصل بين الأوربيين مختلفي الجنسيات ، فهؤلاء الأوربيون يستطيعون أن ... أن ... ، ومختلف الطوائف لا يقدرون على ذلك ، فضلاً عن ... وجود ... في القرية الواحدة بعدد طوائفها .

ونظامٌ كذلك مما يتعذر معه اجتماع الكلمة ضد الأجنبي ، وقد أدرك الإنكليز هذا جيداً فاتخذوا من التدابير ما يحول دون نشوب أية ثورة عسكرية ، وذلك بأن ألفوا كتائبهم من أناس منتسبين إلى طوائف مختلفة مما لم يعرفوه قبل ذلك ، فكان من أثر هذه الطوائف من الشاهين ... وحدة لحمل كل فئة عامة أمراً مستحيلاً .

ونظامُ هذه الطوائف يفسر لنا ما يشعر به الأوربي من خضوع مئتي مليون من

الآدميين لستين الفاً من الأجانب المكروهين غير مختصين ، فالحق أن نظام الطوائف هو الذي منع الهندوس من أن تكون لهم منافع مشتركة ومن أن يتّحدوا سعياً وراء هدف واحد ومن أن يؤلفوا أمة واحدة ، فإذا أضفتَ إلى اختلاف الطوائف اختلافَ الفروق القاطعة في تلك الإمبراطورية الواسعة علمتَ أن ما يجب على كل فاتح أن يصنعه هو أن يتعهد ما بين هذه الفروق من المنافسات وأن تفرق قُوى بعضها عن بعض ، وما هي المصلحة المشتركة التي تكون بين أناس ذلك مدى اختلافهم ؟ وماذا يُرْجى من خروج إلى سيد يحترم نُظُمهم الأساسية ؟ ألا إن وطن الهندوسي الوحيد هو طائفته ، ولا شيء غيرُها ، فبلدُه ليس له وحدةٌ ، فلم يُفكَّر ، لذلك ، في وحدته ، والإنكليز ، حين يراعون نظام الطوائف في الهند بدقة ، يعلمون أن فيه سرّ سلطانهم مكين ، فلا يصنعون ما يُضعفه كما صنع في ثنايا ممتلكات كوبدنجيري مثلاً ، وترى أني في بدء مباحثي في الهند ، وذلك حين كنت غير قادر على النظر إلى الأمور من خلال أفكار الهندوس ، قد فسّرت لهندي ذكي من الطبقة الدنيا معنى الجمهورية وأوضحت له الفوائد التي تجتنى من العيش في بلد يتساوى فيه جميع الناس ويتأتّى فيه لابنُ العامل أن يصل إلى أعلى المناصب ، بيْد أن هذا الهندي ، الذي هو من أتباع شيفو ، فكّر ثانيةً وهزّ رأسه مشمئزاً مستنتجاً من كلامي أن من البؤس والشقاء أن يعيش الإنسان في بلد عاطل من نظام الطوائف ومن النُّبلاء ، فالحقُّ أنه يصعب على الفرنسي أن يدرك أن نُظُمَ بلاده طيبة لملاءمتها احتياجاته ، لا تصلح لأمم ذوات احتياجات مخالفة لها ، والحقُّ أنه يَصْعُب اقناع السمك بأن التنفس في الهواء أمرٌ طيب لصلاحه للإنسان .

وفي الهند مع سلطان نظام الطوائف الراسخ في النفوس حصل التقاليد والعادة من القوة ما أذعن معه الفاتحون لحكمه، فقال به المسلمون عملاً بعض القول مع مخالفته الشريعة الإسلامية، واتخذه الإنكليز انتحالاً لا يَمَسُّهُ سوى الذين طافوا في الهند، أجَلْ، إنه غيرُ مُدَوَّن في قوانين الإنكليز، غير أنه يتألف من مجتمعهم في الهند طائفة أشد إحكاماً من جميع الطوائف الأخرى، فالإنكليز، كأبناء الطوائف الأخرى، لا يأكلون مع غيرهم ولا يتزوج بعضهم إلا ببعض، ولا يزال الزمن الذي يتزوج فيه الإنكليز ببنات الهند بعيداً، فإن حدث أن تزوج إنكليزي هندوسية، وهذا لا يقع إلا نادراً جداً، أُخرِج من حظيرة طائفته وأُغلِقَت أمامه جميع الأبواب، ويرى أحدى الإنكليزيّ البسيط أن من العار أن يتزوج هندوسية، فما حدث أن تحدَّثت، ذات يوم، مع ضابط بريطانيّ عارف فسألته: «أتأذنون لأحد جنودكم في الزواج بهندوسية؟» فأجابني قائلاً: «لا أقدِر على منعه، لا ريب، ما دام القانون لم يُحرِّم ذلك، ولكني أشكُّ في وجود واحد من جنودي يُفكِّر في مثل ذلك».

ولا يرجع انفصال الفاتحين الجُدُد انفصالاً تامّاً عن أولئك المغلوبين إلى أمد طويل، فقد كان تناكح الشعبين أمراً نادراً إلى وقت قريب جداً، وقد أسفر هذا التزاوج عن ولادة أناس جامعين لعيوب الهندوس خالين من صفات الإنكليز، فتراهم قوماً عاطلين من التقاليد والتاريخ والآداب فغدَوْا محلاً لازدراء كلا الشعبين اللذين خرجوا منهما وسبباً لقلق أولياء الأمور في الهند.

وأدرك قدماء الآريين مخاطرَ مثلِ ذلك التناكح، فكان ما نعلم من وضعهم نظام الطوائف، ثم أدرك الإنكليز ذلك، فكان ما نعلم من فصلهم ما بين القوم

الغالبين والقوم المغلوبين تبعاً لضرورات عِرقيّة وإدراكاً لِما بين العرقين المتناقضين من الاختلاف مع عدم تدوين ذلك في قوانينهم، وكان ما سلم من إقامتهم بين

١٢٠ — إناء من البرونز مكفت بالفضة
(حيدر آباد)

القومين من الهُوِيّ السحيقة ما يتعذر تجاوزه، فالإنكليز يُنشئون في كلّ مدينة بالهند حيّاً خاصاً لأنفسهم فلا يغادرونه إلى المدينة الأصلية إلا في أحوال شاذة، ونشاهد مثل هذا الفصل بين الأوربيين وأبناء الهند في الخطوط الحديدية أيضاً، فتُخصَّص للإنكليز مركباتٌ خاصةٌ، وتُخصَّص لهم في المحطات مطاعمُ ومقاعد خاصة، نعمْ، لم يُوضع نظام يُحرِّم على نفرٍ من أبناء الهند السفر في مركبة الدرجة الأولى الخاصة بالأوربيين، غير أنه لا يحدث ذلك إلا قليلاً، فإذا ما حدث أُسيء قبوله فيُضطرّ إلى النزول في أقرب محطة، والضباط هم أشدُّ الإنكليز غطرسة من هذه الناحية، فهؤلاء الضباط، وإن كانوا من أعظم من رأيتُ أُنساً وأدباً عندما خالطوا أوربياً، لا يبالون أن يعمدوا إلى قِحَةٍ غلاظ إذا ما كلَّموا شخصاً من أبناء الهند مهما كان مقامه، وعلى ما تراه من حقد أبناء الهند على الإنكليز، في تسنُّم على المناصب القضائية على الخصوص وعلى ما تراه من وصول بعضهم إلى ذلك لا تجد صلاتهم

بالاستكثار في غير الأمور الرسمية، وأما أبواب المجتمع الإنكليزي في الهند فموصدة دونهم تماماً.

ويعدّ الأوربيون والهندوس هم أكثر من نفور الخرافة الطائفية حولهم، فلم [illegible] من [illegible] البرهميين والهندوس يُفتنون في [illegible] بين [illegible] الإنكليزي لأشتد في [illegible] في الجلوس أمامه أو في الأكل على مائدة معه، وذلك [illegible] التي هي على شيء من التهذيب.

[illegible] ذات [illegible] أو جوارهم، في الهند وأن تقتصر على [illegible] الأمور [illegible]، ومن [illegible] أحكام سطحية مختلفة تعرض في نظم [illegible] مع العرب، فقد كسب هذه النظم [illegible] مع ما اشتمل من المحن والثورات، وهي من القوة العصبية [illegible] شعب من أرقى شعوب العالم تمدناً مع [illegible] في كيانه، ومن [illegible] القواعد التي [illegible] من رحلات أن [illegible] أن الأمم لا تحمل [illegible] التي [illegible] العروق والعادات، فالإنسان [illegible] كانت هذه النظم أقوى من عزائمه.

٤ — الحقوق والعادات

طالت هذه مطالب الحضارة العطرى من الناحية الحقوقية ومن نواحٍ أخرى كثيرة فلا [illegible] كتب الديانة التي [illegible] كهنتها وتدلّ [illegible] بالتدريج وعاداته المحلية وحدها مصدر قوانينه، ولم يحاول أحد من قاهريه أن يستبدل بهذه المقومات دستوراً جديداً [illegible] أشد هؤلاء ظلماً وأكثرهم رأفة للمبادئ التي كان يجمع

هم رعاياهم من المغلوبين، ولم يكرهوا في غير أمر واحد وهو جباية الضرائب

وإن أقصى ما يؤدي إلى المركزية صارت إليه مجتمعات الغرب في الوقت الحاضر هو أن يضع مشترع قانوناً واحداً يخضع لأحكامه أناس عديدو الحد ولا يراعي فيه أمور الطبقات ولا الثروات ولا الجهات.

١٧١ — ... مموه بالذهب ...

وضعُ الدولة قوانينَ واحدةً للجميع هو مبدأ حديث جداً، فهو، إذا ما أمكن إرجاعه إلى الدولة الرومانية نظرياً، لم يُنفَّذ في حقل العمل إلا حديثاً، وقد صنعت الثورة الفرنسية من أجل ذلك المبدأ من بعض الوجوه، ونحن إذا كنا نرى ازدهاره في فرنسة، فنعتقد أن أمر الاشتراع من شأن الدولة، يجب أن نقف عند هذا الحد، ما أصبح عامل تحطيم ذلك المبدأ في كل مكان.

فلا تزال العادات المحلية مُحْكَمة في كثرة ... وروسية، ونحن نشاهد زيادة قوة العادات كلما ابتعدنا عن مراكز الحضارة الأساسية.

والعادات، إذ كانت تستند إلى طُرُز تفكير الطائفة والمعتقدات القديمة المتأصلة وحاجات الجماعات البشرية الكثيرة نشأت ببطء، لا يمكن تحويلها في يوم واحد بمرسوم أو بأمر يصدره مجلس نواب، وكم من قال غير هذا من الفاتحين والمصلحين، فرأيت نظمهم التي وضعوها أن انهارت عند أول صدمة.

نجد أن هذا التشتت مرضٌ نسبيٌّ حديث في الحقيقة، فلم يكن أقوى المتغلبين في غابر القرون ليصابوا به، فبذا كانت المركزية المطلقة وهماً خطراً على الدول الضيقة التي لا تجد فيها سوى طُرُز معايشَ واحدة ولا تُبْصِر فيها سوى عِرْق متجانس فرد، فكيف تكون أمرها في الدول الواسعة كدولة الرومان أو دولة المغول؟ وكيف تكون أمرها في بلد كالهند حيث ترى كثيرَ الفروق والأديان والأهواء وما إلى ذلك من المؤثرات المختلفة المتجاورة؟

والإنكليز النفعيون، وهم أشبه أمم الوقت الحاضر بالرومان، قد انتحلوا في الشرق سياسة قائمة على احترام العادات المحلية القديمة فيضطرون إلى الرجوع إليها في قسم مهم من إمبراطوريتهم في الغرب على ما يحتمل، والإنكليز هؤلاء قد أدركوا أن عادات وعقائد القرون لا تتحول إلا مع القرون وأن الفوضى والاضطراب يعمّان بلاداً تسكن عن نزوات الخياليين والمشترعين فكان أمر الإنكليز في ذلك، من حيث النتيجة، كأمر قدماء الملوك الذين كانوا يدركون بغريزتهم ذلك من غير دليل ولا ريب.

وسار الإنكليز على منهج ملوك المغول المستبدين فلا يطالبون سوى دفع الضرائب بانتظام، فإذا عدوت النظام المالي وجدت الإنكليز قد تركوا للهندوس شرائعها، وإن شئت فقل عاداتها الدينية على حسب تفسير البراهمة، فلا ترى للمحاكم الأوربية فيها عملاً غير تنفيذ هذه الشرائع.

ولا مندوحة عن الاعتراف بأن ذلك التنفيذ غير سهل على قضاة الإنكليز، فالشرائع الهندوسية متعددة تعددَ المذاهب الدينية التي تُشتق منها، فهي تختلف بين

ولاية وولاية ، وبين قرية وقرية ، فالحق أن الهند ظلت مواظبة على النظام الزراعي فتجد مجلساً منتخباً يمارس السلطة الاشتراعية في كل قرية صغيرة فتبصر من خلال هذا مهد الندوات المترجحة بين مجلس الشيوخ الروماني و ندوات عدة في جميع المجتمعات ذات الأصل الآري .

ويكون لهذه الندوات سن القوانين ، ولا يصنع ذلك المجلس المنتخب غير جمعية م تنظم التي تبحث ضمناً مطبقة مثل الدين والعادة ، وترى نظام الهند في دوره الأول ، أي كما وصفته آنه الأسرة الوثنية حيث كانوا يحمون لحفظ الأمن ووضع القرية ، وسار ذلك النظام بعد ذلك الزمن ، ومن السهل تعيين مراحله في عصور التاريخ ، وعدم ذلك المجلس الآري المنتخب لا يصنع قانوناً في القرن الواحد مع أن مجلس نواب يسن عدة قوانين في يوم واحد في الغالب .

ولا تعدل العقوبات التي تفرض على مقترفي الجنايات والجنح ، وعند ما نقول إن الحكومة الإنكليزية تجزي القاتل بالقتل والسارق بالسجن مع شغل مدة ، وعندما يكون الجرم عظيماً يضطر القضاة إلى مجاوزة الرأي العام الذي هو أقل منهم شدة في الغالب ، وقد رأيناه حينما بحثنا في آداب الهندوس أن بعض العصاة عنده يكون ، أحياناً ، أجدر باللوم من الاحتيال أو الغصب ، ومن العقوبات التي تعدّها شائنة ما لا يشين في المستند ، فإذا خرج الرجل من السجن لم ينظر إليه شزراً ، من يقدّره أنه وطنه صفحة إذا كان الأصل الغالب هو الذي حكم بسجنه رأساً .

وإذا استثنيت العقوبات الشديدة التي يقتضي الأمن العام فرضها وحدها للهندوس في الهند شأناً كالذي كان لها منذ عدة قرون ، وأهم هذه العادات ما هو خاص

المواريث والتملك ، وللمواريث والتملك أشد الأمور تعقيداً واختلافاً بين ولاية وولاية، وسنذكر من الحوادث الشاملة ما يتعلق بالمواريث

لا يعرف الهندوسي الإيصاء ، فليس للهندوسي بعد موته أي سلطان على الأحياء، فقد ذكرنا أن التملك في الهند لا يكون فردياً إلا نادراً وأن الأملاك تكون للقرابة فتبقى في مسكن للأسرة ، فإذا كان الهندوسي عاجزاً عن التصرف في أثناء حياته في ماله كما يريد فكيف يتصرف فيه بعد وفاته ؟

ليس الأب إلا مديراً لأموال أولاده في الحقيقة ، فإذا مات بقي ما كان على ما كان ، فإذا أراد الأولاد القسمة أخذ كلٌّ واحد منهم حصته ليؤسس أسرة، وإلا ظل الابن الأكبر مديراً للأموال قائماً مقام أبيه المتوفى .

وللأولاد الذكور هم الذين يقتسمون تلك الأموال ، وأما المرأة في الهند فلا تملك غير هدايا الأبوين والأصدقاء حين الزواج ، وليس للزوج حق في تملكه الزوجة ، ولا يستطيع أن يبيعه من أحد إلا برضاها .

وإذا مات رجل غير ذي أولاد من الذكور ورثته زوجته ما دامت في قيد الحياة فقط

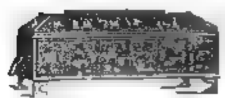

١٢٢ ــ صندوق من صنعة [illegible]

ولا مثيل في غموض شكل الاشتراع الهندوسي المعقد لتحوله ، والاشتراع الهندوسي يقوم على العادة وحدها كانت الشريعة الهندوسية سبب ارتباك القضاة الذين يعرفون تنفيذها ، ويزيد هذا الارتباك عند ما تكون الخصوم من ولايات ذات عادات مختلفة ، وقد نشأ عن وسائل النقل

الفرصة زوال الفوارق بين هذه الولايات، فتحمّل بولاة الأمور أن يفكروا في وضع قانون واحد شامل لجميع المسائل التي تقتضيها المصلحة العامة، وهذا ما يشغل بالَ الإدارة الإنكليزية في الهند في الوقت الحاضر كما علمت.

٥ — الزراعة

أثبتنا في فصل «البيئات» أن الهند بلد زراعيّ قبل كلّ شيء، وأن فقدانها من الوقود، على الخصوص، يحول دون تحوّلها إلى بلد صناعي

وإذن، تجد أكثرية الهندوس من الزُّرّاع، أي من الفقراء الذين يعيش الواحد منهم مُياوَمةً ببضعة دوانق يختطفها من بيت المال أو المرابين الذين هم أشدّ ظلمًا من بيت المال فلا يجدون وسيلةً للانعتاق أفضل من أكل الربا

ومما زاد الفقرَ في الهند زيادةُ سكانها بسبب عدم وقوع الهندوسيّ في بؤس مُطبِق، فأصبح أهالي الهند في أقلّ من قرن ضِعفَيْ ما كانوا عليه، وشعبٌ يزيد أفراده كهؤلاء، من غير أن يكون مالكًا لأراضٍ واسعة يزرعها، كما تملك أهلُ الولايات المتحدة الأمريكية، لا يغتني أبدًا، فإذا ما نال ثراءً في أحوال شاذّة فلأجلٍ محدود، فلذلك نقول إن سكان الهند، على الخصوص، يرتدّون بسرعة عن وسائل معايشهم.

ومن حسن حظّ الهندوسيّ أن كان من قلّة الاحتياجات ما يبدو به أقلّ بؤسًا من ابن الطبقة الأوربية المماثلة لطبقته، فلم أسمع أن هندوسيًا أنَّ متوجّعًا من سوء طالعه، فلو كان عنده ربع ما عند الأوربيّ من الاحتياجات لتعذّر عيشه، فإذا ما فُرِض للإنكليز أن يجعلوا فيه مثل هذه الاحتياجات بمثل ما يُلقّنه من أصول

ترسيهم وأى الحد أمراً لا يطاق كما يراها الأوربي الذي تحدّد دخله اليومي بثلاثين دانقاً أو أربعين دانقاً مثلاً .

غير أن الهندوسي ، الذي هو أحلم الناس طبعاً ، إذا ما كان له كوخ من موص(١) وفي إليه ونال قطعتي نسيج يلف إحداهما حول رأسه ويلف الأخرى حول كتفيه ونال طعمة رز في كل يوم غدا مطمئناً غير حاسد أحداً

ولا يأكل الهندوسي إلا عند المجاعة ، ولا يلبث أن يموت جوعاً عند ارتفاع أثمان الحبوب ، ويسيطر بقسمته الطبيعية على حاله ، فهو يقترض ما يكفيه يوماً فيوماً ولا يقتصد ما يمكنه وقت اليسر ، فينفق ما يزيد على احتياجه في ابتياع الأسورة والقلائد وفي إقامة الولائم

١٢٣ — ... من البرونز مكفتة بالفضة
(تنجور)

ذلك حال الهندوسي في كل من ولى عهد جميع الفاتحين ، ومن ... الهندوسي مهما كان ... الهندوسي ... الطبيعية ، التي ... على الهندوسي ... جوعاً ... لا ... في ... في سنين الاحر ... لا تصبر ... فيموتون جوعاً في الغالب ، مما لا راد لحكمه ، فهي أقوى من سلطان المتغلبين أنفسهم ولا ينفع لومها .

(١) الموص ...

ويقتصر شأن الغالبين على تخفيف شدة تلك السُّنن المقدَّرة على المغلوبين إذا كانوا من الكثرة الموفورة، والحكومة البريطانية بذلت خيراً من غيرها في هذا الأمر، فالحق أن الهندوس أنعم حالاً وأهدأ بالاً في العهد الإنكليزي مما كانوا عليه في أي زمن.

٦ — العامل الهندوسي

يمثِّل العامل الهندوسي، بفضل نظام القُرَى القديم والطوائف المهنيَّة، دوراً غير الذي يمثله العامل الأوربيّ في الغرب، فالعامل الهندوسيّ، سواء أكان في قريته أم في طائفته المهنيَّة، مكانهُ الذي ورِثه أباً عن جَدّ منذ قرون، ويجهل العامل الهندوسيّ ما عرفته شعوب الغرب من تنازع البقاء ومن العمل القاسي في المصانع ومن البطالة وما إلى ذلك من ضروب البؤس التي نجدها في حضارتنا، وليس العامل الهندوسيّ بدوياً كالعامل الأوربيّ الذي لا تُبصِر له وطناً ولا أسرة فيبدو عدواً هائلاً للمجتمع الذي يشتغل فيه، فالحقُّ أن العامل الهندوسيّ لا يكسب مياومةً أكثر من اثني عشر دانقاً إلا نادراً، ولكنه إذ كان عاطلاً من احتياجات الأمم المتمدنة المصنوعة فإنه يكتفي بهذا المبلغ الزهيد، والحقّ أن أجرة العامل الأوربيّ تزيد على أجرة العامل الهندوسيّ عشر مرات، ولكن احتياجات ذلك إذ كانت أكثر من احتياجات هذا بدرجات فإنه يبدو بائساً في الغالب.

ولا يتمُّ تخرُّج العامل الهندوسيّ في المصنع أو المدرسة أو المكتب، فالمهن في الهند أمر وراثي، فهي تنتقل من الأب إلى الابن منذ أقدم الأزمنة، وفي القرية

التي هي عنصر المجتمع الهندوسي الأساسي تنتج كل ما هو ضروري وكافٍ ، ولا تحتاج إلى شيء من خارجها من حداد أو نحاس أو صائغ انتقلت إليه مهنته من أجداده منذ زمن قديم .

وتعد طائفة من تجار كل مهنة في المدن الكبيرة وتتألف من كل مهنة عالم حضري ... ومن ذلك طوائف النسج وصانعي الأسلحة والنجارين والدهانين والنحاسين والجواهريين إلخ .

ويدل ما تقدم على أن معظم صناعات الهند وفروعها قد بقيت بعيدة عن الآلات ، فالعجب من حذق هؤلاء العمال ومن قلة عدد الآلات التي يستعملونها ، فلا ترى أي شخص ينقطع عن ... الأوربيين ... من موقف عمال الهندوس فيبدون في الغاية ... مع ذلك على نسج مصنوعات متقنة تفوق تلك الآلات ، فحذق كهذا هو نتيجة استعداد وراثي لا يغني عنه أي تمرين ، ... قد يصبح العامل الأوربي أداة تصلح لصنعه الهندوسي مستعيناً بآلات ميكانيكية ، ويمكن ... مستوى العامل الأوربي بالعامل الهندوسي ، والعامل الأوربي هو من حيث الاجتماع ... على عكس العامل الهندوسي .

٧ — حياة الهندوس العامة والخاصة

سنكتب في الفصل الذي خصصناه للبحث في الفروق بين طبائع سكان الهند وعاداتهم ... ، فنقتصر في هذا الفصل على قول بضع كلمات عما يشترك فيه أكثر الهندوس من الطبائع والعادات .

١٢٢ ــ إبريق شاي يظن أنه صنع في نيبال

تجد كثيراً أبهة وروعة وعظمة في مظاهر حياة الهندوس العامة كاستقبالاتهم وأعيادهم الدينية وعرض جنودهم ومواكبهم حالفة منه موضوع ألف قصة عجيبة للخيالات العربية ، وأما حياتهم الخاصة فبسيطة إلى الغاية

وما لدى الغنيّ من الطعام والأثاث والعادات لا يختلف كثيراً عما لدى الفقير ، فيتألف طعام كليهما من الخُضَر والأرز أو السمك ومن التوابل والماء الخالص ، وكلاهما يأكل بأصابعه جالساً القُرْفُصاء على الأرض ، وما بينهما من الفرق فينحصر فقط في نوع البُسُط والفراش والنُّسُج ، وتتألف أوانيهما من أطباق مصنوعة من ورق الموز ، وتجد عند الطبقات الدنيا من الأواني الخزفية أو المعدنية ما لا تجده عند الطبقات العليا ، وسبب ذلك أن ابن الطبقة العليا يخشى أن تكون هذه الأواني مما استعمله شودري أو منبوذ فلا يرى ، للخروج من هذا الاحتمال ، غير استعمال الأواني المصنوعة من ورق الأشجار فتتلف بعد استعمالها حالاً ، وهذا ما لا يخشاه ابن الطبقة الدنيا فيكتفي بغسل أوعيته تلك غسلاً حسناً .

وليس في بيت التاجر الغنيّ ما يُميّزه من كوخ الفقير من الأثاث ، فكلا المنزلين عاطل منه ، وما فيهما من ترَف فمقصور على زينة الجُدُر المنقوشة المُرصَّعة أحياناً وعلى الستائر الحريرية والزّرابيّ المبسوطة على الأرض والوسائد التي يُجلَسُ عليها أو يُستَنَدُ إليها

وأظهر ما تبدو صفة الغنى من أهل الهند في المنازل الواسعة العالية وما يحيط بها من الحدائق ، وفي مجاري المياه الجارية إلى الحياض ، وفي الثياب الفاخرة والحُلِيّ

النقية الجميلة ، والزهدُ في الطعام أمرٌ شامل لأهل الهند ، وما عارسه أهل الهند كل يوم من الطقوس الدينية يجعل حياتهم واحدة مهما كانت الطبقات الاجتماعية التي ينتسبون إليها ، وتقوم هذه الطقوس ، على الخصوص ، على الغسل والصلوات صبحاً وظُهراً ومساء ، ولا سيا قُبَيْل الأكل أو بعده حالاً

١٧٥ — إناء من فضة مموه بالمينا. (العصر المغولي)

والهندوسيُّ لا يبدأ عملاً ولا يدنو من صديق ولا يُفكّر في يوم من غير أن يجوِّد بالآلهة ، وهو ، لكيلا يَغْفُل عن واحد من آلهته الكثيرة ، يستعين بسُبْحَة كالمسلمين والكاثوليك ، وهو يكتفي ، في الغالب ، بذكر أسماء آلهته المختلفة

ووصفُ حياة الهندوسيِّ العامة أسهلُ من وصف دقائق حياته الخاصة ، وعلةُ هذا ما فُطِر عليه من الغَيْرَة المانعة من اطِّلاع الأجنبي على سرائر بيته ، والهندوسيُّ ، مع ذلك ، مِضيافٌ ذو أدبٍ جَمٍّ .

ونساء الهندوسيِّ تظل بعيدات من أنظار الزائرين ، ومن الإهانة لربِّ المنزل أن يُسْأل عنهن

وإذا ما زاور الهندوسيِّ بَدَوْا أبسطَ ألفةً مع مراعاة أشدِّ قواعد الحِشْمة ، وحَدَّ مقامات الناس ، ولا سيا مكانِ كلٍّ واحد

منهم في رَدْهة الاستقبال ، من أعظم ما يلاحظه الهندوس ، فإذا ما حضر زائر أو أمير من البيت أدخل [illegible] تحت مظلة منصوبة في صدر الرَّدْهة المقابل للباب ، ويصطف الآخرون على طول رَدْهة على أن يكون أقلهم منزلة الأقرب من الباب ، ويجلس الجميع على بُسُط أو على وسائد

ومن مقتضى الأدب [illegible] هو الذي يشير عليهم بالانصراف ، وذلك بإيمائه قولاً أو عملاً مصطلح عليه كأن يسأل سائلاً : هل تحظى برؤيتهم مرة أخرى ؟ أو كأن يقدم عليهم تنبولاً(1) أو عطراً(2)

و[illegible] ملابس الهندوس [illegible] ك الإسلامي على العموم ، و[illegible] هندوس الوسط والجنوب على الزي التقليدي [illegible] من قطعة نسيج تلف حول الكتفين وقطعة نسيج أخرى تلف حول الرأس ، و[illegible] [illegible] نسيج [illegible] ([illegible]) يحيط ساقيه ويرتد أحدها إلى ما فوق [illegible] وجهها ، وتلبس المرأة أيضاً صُدْرة قصيرة لا تستر خصرها ، ولا يتقي الهندوس أحذيه ، بل يلبسون [illegible] الطرف حين يكونون خارج بيوتهم فيخلعونها في العتبات ، فالهندوس حفاة في منازلهم

١٢٦ ـ شمعدان من تنجور
(مدورا)

(1) التنبول [illegible] من هند [illegible] ورقه ـ (2) خلاصة ماء الورد (مترجم)

ومنظر قُرى الهندوس حسن رائع ، ويتألف أكثر بيوتهم من طبقة واحدة ، وتُصنع جُدُر هذه المنازل من سيقان الخيزران كما في السند ، ومن الطين مع سقوف من القرميد كما في الهندوستان أو سقوف من الصلصال مرصوف كما في الدكن ، وتكاد تجد معبداً صغيراً في كلّ محلة ، ويقوم في وسط القرية دار الندوة المصنوعة في الغالب من سقف قائم على أعمدة ومن ميدان ذي شجر ظليل ، وترى في القرية حيّ منفصل خاص بالمنبوذين ، ويجتنب الهندوس مَسَّهم ترفعاً من غير إيذاء ، ويقرُب حال المنبوذين هؤلاء من حال السائلين في أوربة .

والطرق في كُبْرَيات مُدُن الهند ضيقة ومزدحمة ويسير فيها جمهور أبقع[1] على الدوام ، وتجوب الأغنياء في هوادج يحملها حمَلة مضروبون ، وتوضع السلع على مصاطب الحوانيت فيدفع المشترون الثمن من غير أن يدخلوا هذه الحوانيت المفتّحة الأبواب ، وتبدو سوق التجار أكثر أماكن المدينة حركة وتغَصّ بالجمهور أيضاً ، مثلما تغصّ أطراف حياض النهر .

ولكلّ معبد حوض مقدس يغطس الرجال والنساء والأولاد في مائه القذر في الغالب .

وماء نهر الكنج هو الماء المُقدَّس في المدن القائمة على ضفافه ، ويُنزل إلى هذا النهر من دَرَج عالية على الدوام ، ليبقى ظاهراً على مستواه من التحول ، وتغصّ تلك الضفاف بالحجيج في الأعياد الدينية ، وتبدو رائعة في الليل ساحر الأنوار ، ولا شيء

---

(١) الأبقع : ما فيه بقعة بيضاء وأخرى سوداء .

أحلى من منظر الكنج الجليل حين تنعكس عليه أنوار النيران التي توقد على أرصفة القصور والمراقي القائمة على ضفتيه، ويسطع بعض هذه الأنوار فوق الصواري (١) فيُخيّل إلى الناظر أنه سطوع الكواكب.

ومما يروق الهندوس كذلك، وهم يرتدون أعياد الهندوس روعة بازدحام الجماهير التي تجتمع فيها وضروب الألعاب التي تحتفل فيها، أجل، إنك تشاهد أعياداً لكل مدينة ولكل طائفة ولكل مذهب، بيد أن هنالك أعياداً كبيرة عامة تتفق فيها جميع الأديان.

وللحج والأسواق شأنٌ تجمع مختلف الشعوب في صعيد واحد، والتجار يجوبون الهند في دروبهم عدداً، ولا تفتح سوقٌ قبل البدء بتمجيد الآلهة.

وأولادُ الهندوس، وهم من الأذكياء الحسان على العموم، يترعرعون طلقاء، فيلعبون أثناء النهار، ويرتعون في الطرق والحقول عُراةً، وتخرج أبناء الأغنياء على الراحة مرفهين في بيوت والديهم كمقدَّسين، وقليلٌ من هؤلاء الأبناء من يذهبون إلى المدارس مع ما تبذله الحكومة الإنكليزية من الجهود، فإذا ما بلغ الواحد منهم السنة العاشرة أو السنة الثانية عشرة من عمره تزوّج.

والنساء يعشن مقيَّداتٍ كما ذكرنا، فإذا خرجن مع أزواجهن ابتعدن عنه بضع خطوات، وإذا سافرن معه في القطار تبوّأن مقاعدَ في مركبة الدرجة الثالثة مع أنه تبوّأ مقعداً في مركبة الدرجة الثانية في الغالب، وهنّ لا يأكلن إلا بعده وتخدمنه في أثناء طعامه.

(١) الصواري: جمع الصاري وهو عمود يركز في وسط السفينة يعلق به الشراع.

ويحرّق براهمة الهندوس موتاهم إذا زادت أعمارهم على سبع سنوات ، ولا يدفنونهم على العموم .

ويكون الموقد حفرة قليلة العمق ، فإذا كان الميت غنياً مُلئت هذه الحفرة خُشيبات من خشب الصندل وزبل البقر المجفف الذي يُعَدّ وقوداً مقدساً في الهند ، ثم يُستر [illegible] وجميع الموقد بطبقة رقيقة من الطين الرطب ويُحرق الوقيد قبل [illegible] جميع الموقد ، وبعد أن يتم الحرق في خمس ساعات أو ست ساعات يجمع الأقارب عظام [illegible] المحروقة ويرمونها في بحر أو نهر .

والهندوس مفرطون في إظهار مسراتهم وفي إظهار [illegible] ، وهم ذوو [illegible] ، وهم يحبون الاحتفالات والألعاب والملاذّ العامة ، وهم ، مع زهدهم عادةً ، [illegible] الولائم في بعض الأحوال ، والزواج أهم عيد عند الأسرة الهندوسية ، ففي سبيل الزواج لا [illegible] الهندوس للإنفاق حدوداً ، فيخرّب فقراؤهم بيوتهم [illegible] في حفلات الزواج فيُثقلون كواهلهم بالديون من أجل دعوة جيرانهم إلى الولائم [illegible] .

وقد [illegible] عن [illegible] الأغنياء في الهند علمت أن أفراحهم تقترن برقص الراقصات [illegible] على طبول [illegible] ، ومن أروع المناظر لدى الهواة والمصنفين مواكب أمراء [illegible] ومن فيولهم ذات الزخارف[1] الزاهية وجيادهم ذات السروج [illegible] وكثرة خدمهم ذوي الثياب الساطعة .

وتعدّ الراقصات [illegible] في جميع احتفالات الهندوس الدينية والمدنية ، ولعلّ [illegible] موسوطات [illegible] الراقصات في بيوت الأغنياء .

(1) [illegible]

أو في رداء الحداد أمام الأحباب طمعاً في أجر زهيد ، واللائي يتمثلن الأوراق من تلك الفتيات المُدَثَّرات بالشفوف الرقيقة واللابسات حُلِيًّا ساطعة واللائي يقمن بالمشي الصعب المنسوج الحافل بالأسرار في المعبد محجوبات عن الهند واللائي يكن يرقصن أمام الآلهة أمرٌ حل يختص به .

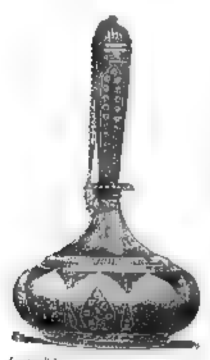

١٧٢ ـ إناء هندي مموه بالمينا (الصاحب)

وأمراء الهندوس مُكرمون للضيوف ، ولاسيما إذا كان الضيف مُوصًى به ، ولا أرى حقاً هذا البحث الخاطف قبل أن أورد مالاقيته في بلاط مهراجا مثالاً على ذلك فلقد مدة مهراجا التصبر في الوقت حاضر تيالة ، فقد علمت هذه المملكة بقدومي أرسلت إليَّ عربة من بلاطها فنقلتْ بها أحد قصوره حيث استقبلني خدمٌ كثيرون حاملون سلالاً مملوءة فاكهة وأزهاراً ، وكان على رأس الجميع وزير ليُبلِّغني أطيب تمنيات المملكة

ما كدت أدخل القصر حتى دنا من ساط القصر قائلاً :

« يُرحِّب المملكة بك أيها السري الأجنبي راجيه أن تُعرِب عما ترغب فيه »

فأبديت رغبتي في تناول العشاء ، فبدت إشارة فرُفع حجاب فرأيت في الردهة المجاورة مائدة مُنسَّقة على الطريقة الأوربية مشتملة على شمعدان وآنية من

بلور وقصة يحيط به خدم لابسون ثياباً ناصعة الألوان واقفون صامتون كتماثيل من برونز مرصّع بجوهر

ولم أكد أجلس حتى سمعت صوت جرس في الخارج فقيل لي إن هذا كان لأن مسكنه ... أن تتم قبل أن أسأل عما أرغب فيه مرة أخرى .

فلما ... وانقضى حزنٌ إلى صاحبي في الغد ، فلما حلّ الصباح وجدت الفيول والفرسان ينتظرونني أمام الباب ، ولما وصلت إلى صاحبي وجدت خيمة مُعدّة لي مشتملة على سُرُر مُعدّة منسّج من حرير وعلى دقائق القِرى الشرقي

وتمّ في مثل ذلك الاستقبال الرائع من قِبل الوصيّ على عرش مهنجور الذي أمر بأن يُنصب في المرة كمحورا خيمة حاوية جميع وسائل الراحة الأوربية ، فما رأيت من ذلك المشهد القديم للمحور في الوقت الحاضر حضر لتحقيق ذلك الوصيّ على العرش محاطاً بوزراء البلاط وأمرائه مبتدأً خمسة أميال من عاصمته

١٢٨ — إناء خزف مطلي (سند)

حقّاً إن ذلك القِرى ينقلب إلى رَغَدٍ الأحمق بدء أمس الراجوات تضرب مدافعهم ... تحيّة لوصول أجنبيّ إلى عواصمهم ، ولكنّ الخطب يهون على السائح إذا أراد الوقوف على الأبنية الآسيوية وعلى المواكب السائرة والجماعات ذوات الثياب الزاهية ، فالسائح الذي يكرّه مثل ذلك يظلّ شاكراً لمن احتفى به فيذكر له ذلك

وليست تلك المناظر الزاهية مُتْعَةَ العيون ولذة الخيال فقط ، فالناقدُ والمؤرخُ يجدان فيها ، أيضاً ، مثل ما يجده القصص

والسائح إذا دخل حيدر آباد على ظهر فيل فشاهد حوله حَرَس نظام ذي الأوضاع الرائعة أبصر صورة صادقة عن عاصمة كبيرة في أيام سلطان الإسلام

وحيدر آباد ، عاصمةُ ممالك نظام ، هي المدينة الهندية التي حافظت على مظاهر القرون الخالية وعظمةِ بلاطات الشرق القديمة ، وقد تُقاس على العهد الإقطاعي في أوربة وإن لم يكن للشرق عهدٌ بالإقطاع الحقيقيّ ، فالباحث حين يرى أمراءه العِظام أصحابَ جيوش يدخلون بها عاصمةَ المَلِك في بعض الأحيان يتمثّل له ما كان يقوم به الأرمنياك والبورغون من القتال في شوارع باريس

الفصل الرابع

الإدارة الإنكليزية

مستقبل الهند

(١) الإدارة الإنكليزية — مبادئ إدارة الإنكليز في مستعمراتهم — حكومة الهند قبل ثورة السپاهي — إدارة الهند المعاصرة — تقسيم إدارتها — سلطة حكامها وأتباعهم — موظفو الإنكليز وتهذيبهم — استخدام الحكومة الهندوس في أمور البلاد الثانوية — صعوبة الإدارة الإنكليزية — الحالة المالية — الضرائب — وسائل النقل — دول الهند المستقلة — (٢) التربية الإنكليزية في الهند — أهمية التربية — تأثير التربية الأوربية السيئ في الهندوس — الكتب الهندوسية — منشؤها وأدبها — عدم جدواها — (٣) مستقبل الهند — مسألة مستقبل الهند تنحصر في نتائج اصطراع الشرق والغرب — يمكن الهند أن تغير سادتها، غير أنه محكوم عليها بالخضوع للأجانب — الأخطار التي تهدد سلطان الإنكليز في الهند — أهمية ما تتمخض عنه المنازعات الصناعية في الهند وفي غيرها من الشرق من نتائج — هذه المنازعات الخطرة على أوربة — ما قد يصيبها من نقص أمور العمل في أوربة — لماذا لا يؤدي الأدب الأوربي الراهن إلا إلى تخريج ملائم لأوربة في التنازع الصناعي القادم بين الشرق والغرب

١ — الإدارة الإنكليزية

أقامت أمم كثيرة مستعمرات، وحافظت أمم قليلة على ما أنشأت، وعرفت إنكلترة كيف تحافظ على مستعمراتها على العموم، فكان هذا سبب نيلها مغانم عظيمة، فلذلك نرى من المفيد جداً أن نعلم كيف تتمسك بها.

ودرس الموضوع في مجموعه واسع ما اختلف نظام الإنكليز الاستعماري باختلاف المستعمرات ، فمن المستعمرات الإنكليزية ما هو مستقل استقلالاً تاماً تقريباً كأستراليه التي لم يكن سلطان الإنكليز فيها إلا اسمياً ، ومنها ما للإنكليز فيه حكام ذوو سلطان مطلق كالهند ، فنرى بين هذين الصنفين من المستعمرات مجالاً لتطبيق مختلف النظم .

والنظام الذي ندرسه في هذا الفصل خاص بالهند ، فنذكر فيه خطوط ذلك النظام الذي استطاع به ألف من الموظفين وجيش صغير من الأوربيين (لا يكاد يزيد على جيش الفرنسي المرابط في الجزائر لحكم ثلاثة ملايين من المسلمين) أن يخضعوا به أكثر من مئتي مليون من الآدميين ، أي أكبر إمبراطورية في العالم بعد الصين

ليس من السهل استخلاص المبادىء العامة التي سار عليها الإنكليز في تأسيس إمبراطورية الهند الاستعمارية وما إليها من المستعمرات ، وهذه مبادىء العامة هي من قواعد السلوك التي ترغب الأمم ، كالأفراد ، في العمل بها عملاً لاشعورياً في بعض الأحيان من غير أن يوفق بها في الكتب ، ونحن ، إذ بحثنا في الإدارة الإنكليزية بالهند وفي تاريخها بحثاً دقيقاً أمكننا أن نستخرج تلك المبادىء كما يأتي

١ — يجب أن يكون فتح إحدى المستعمرات تجارياً قبل فتحها حربياً ، فالتجار ، وحدهم ، يستطيعون أن يثبتوا ، ويروج أسواقهم ، ويجودوا بعد ذلك في الاستيلاء على بلد ، فإذا ما صار ذلك ذوّح ذلك البلد عند القدرة على قهره عسكرياً ، وإلا فتح بالحيل والدسائس

٢ — يجب أن يتم فتح البلد الذي يراد فتحه بمال هذا البلد وجنوده ، فعلى الأوربي الفاتح أن يقتصر على إدارة شؤون هذا الفتح ، وقد رأينا كيف أن هند

مبدأ الأساسي قد طُبق في فتح الهند فاستطاع الإنكليز، بتدخلهم في منازعات أمراء الهند، أن يستولوا على جميع الهند من غير أن يتكلفوا نفقة أو ضياعاً في الرجال إلا قليلاً جداً.

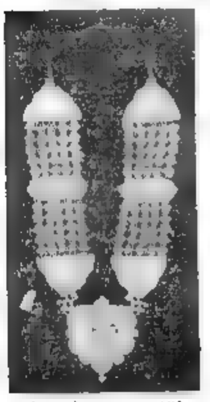

١٢٩ — عقد من فضة (سندها)

٣ — يجب أن تُستغل المستعمرة استغلالاً تاماً في سبيل الأمة الغازية القاهرة وحدها ما دامت عاجزة عن دفع نير هذه الأمة الأجنبية عنها كما دُفع عن أمريكة وأوسترالية.

٤ — يجب ألا تمس نُظم المستعمرة وعاداتها ومعتقداتها ما دام أريد استغلالها اقتصادياً من غير أن يرفع سكانها راية العصيان، وذلك بأن تُترك لهم إدارتهم وقضاتهم مع إشراف شرذمة من الأوربيين لا يألون جهداً في الوصول إلى المقصدين: حفظ الأمن وجباية أقصى ما يمكن من الضرائب، ويُستعار من لقب «الجباة» الذي يطلق في الهند على أكابر موظفي الإدارة الإنكليزية هدف الإنكليز من استعمارهم الهند.

٥ — يجب ألا تتوالد الغالبون والمغلوبون أبداً، ما دامت التجارب المكررة منذ القديم قد دلّت على أن توالد الشعوب العليا والشعوب الدنيا في المستعمرات يؤدي إلى انحطاط الشعب المهيمن أخلاقاً وعقلاً ثم إلى خروج مستعمرته من يده في أقرب

وقع كما أصاب البرطانيين في الهند والإسبان في أمريكة ، وقد رأيت في كتابي الذي درست فيه أمر الطوائف كيف أن الإنكليز عضّوا على هذا المبدأ بالنواجذ

ولا مراء في أن المبدأ القائل باستغلال المستعمرة في سبيل الأمة الغالبة وحدها صعبُ التطبيق ، فإذا ما جاوزت هذه الأمة الحدود فأساءت التصرف أصبح سلطانها لا يُطاق فثار عليها الشعب المقهور ، فتَبيُّنُ هذه الحدود ليس من السهولة بالذي يُظنُّ ، فقد التبس الأمر على الإنكليز مع روحهم العملية الممتازة ، فكادوا يخسرون الهند لمجاوزتهم تلك الحدود

٩٨٠ — حلية من فضة على شكل شبكة (أوريسه)

ظلت حكومة الهند الإنكليزية قبل ثورة السپاهي مدة ثلاثين سنة تستغل مئتي مليون من الآدميين بواسطة شركة تجارية تحرسها عصبةٌ من الإنكليز المرتزقين حاميةً ، ولم يستفد من هذا الاستغلال سوى هؤلاء الإنكليز الذين فُوِّض إليهم أمرُ إدارة الهند ، فلم تَنَلْ مساهمو تلك الشركة ربحاً ذا بال ما كان همُّ كل موظف إنكليزي من هؤلاء ، صغيراً كان أو كبيراً ، أن يغنى بسرعة ، فبحث البرلمان الإنكليزي في مصالح هؤلاء الموظفين الإنكليز الثابتة في الهند ، فما عمّ الجوع والطغيان وقفت الأعمال العامة فأُهملت الطرق والحياض والقنوات الخ إهمالاً تاماً .

ذلك ثورة السپاهي الدامية ، التي كادت تؤدي إلى خروج الهند من أيدي الإنكليز ، على ما في تلك الحكومة من الأخطار ، ولم تكد تلك الثورة تخمد حتى غُيّرت تلك الحكومة تغييراً أساسياً ، فقد نُشر في سنة ١٨٥٨ مرسومٌ المعروف بـ « مرسوم الحكومة الرشيدة في الهند » فنُزعت به حكومةُ الهند من تلك الشركة التجارية وأُسندت إلى المملكة ، وعُيّن وزير للهند وأضيف إليه مجلس مؤلف من أعضاء أقاموا بالهند عشر سنوات على الأقل ، وقُسّمت الهند إلى ولايات يرئسها نائب ملك على أن يساعده مجلس تنفيذيّ يُعيّنه صاحب التاج ومجلسٌ تشريعي يُعيّنه نائب الملك هذا ، واليوم ترى الهند مقسومة إلى الولايات الثماني (البنغال ، وساحل الشمالية الغربية ، والبنجاب ، والمناطق الوسطى ، ومدراس ، وبمبي ، وآسام ، وبرمانية) ، لا إلى ثلاث رياسات كما قيل على العموم، وترى على رأس أهمّ هذه الولايات موظفين مستقلين لا يتلقون من نائب الملك أوامر في غير أمور الجيش والمالية ، حتى إن حاكمَيْ بمبي ومدراس يتصلان بالتاج رأساً ، أي من غير طريق نائب الملك ، ونجدُ لكلّ واحد منهما مجلساً استشارياً ومديرين

وتُقسَّم كلُّ ولاية إلى مديريات يدير شؤونها موظف تنفيذي يدعى « الحاكم الجابي » أو « النائب المفوَّض » ، وتكون السلطات الإدارية والقضائية في يد واحدة أو منفصلاً بعضها عن بعض بحسب حضارة كلّ منطقة ، واليوم يكاد بعض هذه السلطات يكون مفصولاً عن بعض في كلّ مكان

ويبلغ أهل كلّ مديرية ، وهي ما تعدل المديرية الفرنسية ، مليوناً في الغالب ، ولا يزيد عدد موظفي الإنكليز المدنيين في الهند بأسرها على ألف ، ويرتبط هؤلاء في إدارة « الخدمة المدنية » ، فهؤلاء يحكم الإنكليز مئتي مليون من بني الإنسان

ويُعنَى باختيار هؤلاء الموظفين ، فيتألف من مجموعهم طبقة راقية لا تملك أمة مثلها ، وقد اتصلتُ بغير واحد من هؤلاء فعجبت العجب من أخلاقهم وقوة تمييزهم فضلاً عن ذكائهم وقوة معارفهم ، فهم يديرون شؤون الهند بحكمة وإخلاص

وتُجزِل الحكومة الإنكليزية رواتب موظفيها في الهند مع تدقيق في أمر تعيينهم ، وقد كان هذا التعيين يتمُّ بالخِيَر فيقوم الابن مقام أبيه في إدارة الهند كما كان يُرَى ، وأما اليوم فيتمُّ التعيين للوظائف بالمسابقات فيُحتسب ، بذلك ، بعض المساوي ، غير أن الحِذق والنشاط الضروريين في مزاولة تلك الوظائف ليسا مما يُقدَّر بالامتحانات كما أصاب المستر ريشارد تمبل في قوله .

وليس قبول المرشحين في تلك الوظائف بالأمر السهل ، فبعد أن يُمتحَن المرشح في شتّى شُعَبه ومن جهة اللغة الهندوستانية (لأن الإدارة الإنكليزية لا ترضى بأن يَحكم قوم من غير أن تَعرِف لغتهم) لا بُدّ من مجاوزته بعض المراحل التي تكشف عن أهليته ، فيدخل بعد ذلك دائرة « الخدمة المدنية » براتب يتراوح بين ٩٠٠٠ فرنك و١٧٠٠٠ فرنك على حسب الفرع الذي رُئي استعداده له ، فإذا مرّت عليه أربع سنوات ترجّح راتبه بين ٢٢٠٠٠ فرنك و٣٠٠٠٠ فرنك ، وإذا مرّت عليه ثماني سنوات ، أي حين يكون حوالَى الثلاثين سنة من عمره ، كان له أن يأمل تناول ٥٠٠٠٠ فرنك راتباً ، فيسير من هذه المرحلة إلى أن ينال ١٠٠٠٠٠ فرنك ، أو أكثر ، راتباً ، وهذا مع نيله تعويضاً إذا ما علم لغة حديثة ، ولا سيما العربية أو الفارسية أو السنسكريتية في غضون ذلك .

وبعد أن يمضي على الموظف البريطاني المرتبط في إدارة « الخدمة المدنية » ٢٢ سنة ، أي إذا ما كان في الأربعين من عمره ، حُقّ له أن يعود إلى إنكلترة براتب

مقعد سنوي يترجح بين ١٥٠٠٠ فرنك و ٢٥٠٠٠ فرنك(1)

ويعد تحت موظفي الإنكليز أولئك مئات الألوف من موظفي الهندوس التابعين الذين ندر أن يزيد الراتب الشهري لكل واحد منهم على خمسين فرنكاً، أي على حد تعبير الكثير من الهندوس، فهؤلاء وحدهم يتصل الجمهور الهندوسي، هؤلاء إذ كانوا مطلعين على احتياجات ذلك الجمهور وأفكاره ونُظُمه المختلفة باختلاف الولايات بدوا قادرين على القيام بما فُوِّض إليهم، فتُدار كل ولاية وكل مديرية بحسب عاداتها القديمة.

نرى، من ذلك، درجة كمال تلك الإدارة وبساطتها، ومن شأن الأمم الأخرى أن تُرسل إلى مستعمراتها الواقعة في وراء البحار جحافل من الموظفين متفاوتي الدرجات خاضعين لقسمة وطلبهم للوقت ومعاداته وطلباته وعدد منه فلا يصدر عنهم غيرُ مسِّ مشاعر من يحتكون بهم، تستخدم الحكومة الإنكليزية في إدارة مستعمراتها موظفين أهليين وقضاة محليين تحترم بهم شرائع هذه المستعمرات وعاداتها، وما ناله أكابر الموظفين من رواتب ضخمة لم يحل دون ارتشائهم فتبدلون وكأنهم

١٨٦ ـ سارية سرير مدهون باللك ([illegible])

(1) رواتب الضباط أقل من رواتب موظفي «الخدمة المدنية»، فالترقي في الجيش بعدما كان يتم بسرعة بات بطيئاً بحيث يكون فيه من يحتاج إليهم من الرجال جريحة للكتابة، ورواتب موظفي ... قليل على الرغم من ذلك، وراتب العريف في الجيش ١٥ فرنكاً، وراتب الملازم ٦ فرنك، وراتب قائد المئة ٢٠ فرنك، وراتب القائد ٣٠٠٠ فرنك، ويكون راتب أمير اللواء مترجحاً، فقد يزيد على ١٠٠٠٠٠ فرنك إذا كان أمير اللواء محبوباً أو مفيداً، ومن ذلك حال أمير اللواء الذي هو مندوب في راجپوتانا في الوقت الحاضر.

في سبيل الأعمال التي وُكِلَتْ إليهم ، ومن هؤلاء الموظفين المرتبطين في « الإدارة المدنية » من أقاموا بالولاية الواحدة عشرين سنة فعرفوها معرفة تامة .

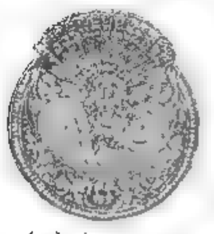

١٨٦ ـ سكة من ذهب (عملة)

وتعكس السداد نظام ترك الأمم المقهورة حرة في نُظُمها وعاداتها ، بدلاً من عزوها إلى الأمر من حيث سعة النفس إن شأن الأمم العليا هو في فرض ما تسميه نُظُم الحضارة على الأمم الدنيا ، وترى ، مع ذلك ، غير معتقد صواب هذا المبدأ النظري غير الصالح لبقاء المستعمرة قبضة الأمة التي أقامتها ، على أن نظن أن نصيب خيراً إذ صحت تلك التي من المستعمرات في الهند نُظُم الجمهورية كالمساواة والانتخاب العام الخ ، بَيْدَ أنه يجب على من يَنْتَحِلون هذا النظام الاستعماري الأثيم أن يعلموا على أن أصاب الهند في عهد لويس الخامس عشر ، وذلك لأن تطبيق مبادئنا المعينة على الهند كان يؤدي إلى خسرانه بسرعة لا محالة ، فضلاً عن وقوعها في فوضى دامية كبيرة .

ولا شيء أقصى من تعجب السائح الذي يصل إلى بوندشيري بعد أن يزور الهند من المقارنة بين قلة احترام الهندوس للأوربيين في هذه المستعمرة الفرنسية واحترامهم العميق للأوربيين في الهند الخاضعة لسلطان إنكلترة ، فنحن نرى من المعروف العجيب أن نُعمِّم بنُظُم الراقية الحديثة على الشاملين لأسماء القرون الوسطى ، والهندوس يرون أن لم نصنع ذلك إلا لأننا نخشاهم ، فيعتقد ، بذلك ، تودُّدنا إليهم ، فلنحتفظ

عاداتنا في المساواة إذا لم نستطع البحث عنهما ، ولكن لنكفّ عن تأسيس المستعمرات ما تمسكنا بتلك المبادئ .

وتتمثل النتائج التي أسفرت عنها الإدارة الإنكليزية الحديدية فتوقفت عليها مقادير الهند منذ ثلاثين سنة مستعينين بالإحصاءات الرسمية ، فقد ربطت تلك الإدارة الهند بالخطوط الحديدية والقنوات وأسلاك البرق والأشغال العامة فأصبحت أعجب مستعمرة ملكتها أمة ، ومن النظر في بعض الأرقام نتمثل حال هذه الإمبراطورية العظيمة بسهولة .

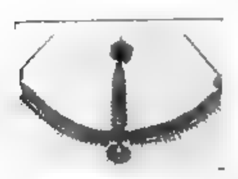

١٨٣ ــ حلى [illegible]

يحكم الإنكليز مئتا مليون من الأهالي ، فإذا أضفت إلى هذا العدد سكان ممالك الهند الأهلية البالغ عددهم ستين مليوناً كان المجموع ٢٦٠ مليوناً ، ولا تكاد تجد نصف مليون من هؤلاء نتيجة مواليد للهندوس والأوربيين ، وترجع هذه المواليد ، على الأكثر ، إلى زمن كان الإنكليز والهندوس فيه على اتفاق أكثر مما هم عليه الآن .

والجيش الإنكليزي في الهند مؤلف من ٦٥٠٠٠ جندي فقط ، وتجد بجانبه جيشاً من الهندوس مؤلفاً من ١٢٧٠٠٠ جندي ، ويقود هذا الجيش ضباط من الإنكليز .

ويبلغ دخل بيت المال في الهند ملياراً و ٧٠٠ مليون ، وننفق ٥٦٥ مليوناً من

هذا المبلغ من الخراج و ١٣٠ مليوناً من الأفيون و ١٥٥ مليوناً من الملح

وتترجح نفقات الجيش ، بحسب السنين ، بين ٤٠٠ مليون و ٥٠٠ مليون ، وتبلغ نفقات الإدارة المدنية ٢٧٥ مليوناً ، وتبلغ نفقات الأشغال العامة ٣٧٥ مليوناً ، وتبلغ الديون العامة أربعة مليارات ، ومن هذه المليارات الأربعة مليار وجد ليُنفق لقمع ثورة السپاهي ، ومبلغ ٥٤٠ مليوناً أُنفق في محاربة الأفغان الأخيرة

ونشأت الأشغال العامة الكبرى من الخطوط الحديدية والقنوات على الخصوص، وفي الهند أكثر من ٢٠٠٠٠ كيلو متر من الخطوط الحديدية ، ونحوُ هذا المقدار من القنوات

ويُقدَّر مجموع تجارة الهند في الوقت الحاضر بثلاثة مليارات ، فتبلغ الصادرات ١٧٠٠ مليون ، وتبلغ الواردات ١٣٠ مليون ، وأخذت صادرات الهند تزيد على وارداتها منذ سنين ، فانتهت هذه الزيادة إلى ٤٠٠ مليون في الوقت الحاضر ، ومعظم هذه الزيادة هو ما يجب على الهند أن تدفعه من النقود إلى إنكلترة في مقابل إدارتها ، ويمكن عدُّ هذه المبالغ ضرباً من الجزية الخطرة على كيان الهند الاقتصاديّ

والقطن والأفيون (٢٧٥ مليوناً) والأرز والبُرّ أهمُّ صادرات الهند ، والمنسوجات القطنية أهم ما تستورده الهند .

والهندُ تستورد المنسوجَ القطنية (٦٥٠ مليوناً) من إنكلترة ما دامت مصانع الهند الابتدائية لا تقدر على مزاحمة المصانع الإنكليزية ، وأخذت مصانع الهند تصنع ، مع ذلك ، مقادير كبيرة من المنسوجات القطنية فتبيعه من الصين وشواطئ إفريقية الشرقية وجزيرة العرب .

والصين وإنكلترة أهمُّ البلدان استيراداً من الهند ، ومرفأ هونغ كونغ أهمُّ مكان لهذا الاستيراد .

وتُقِلّ صادرات الهند بحراً في ١٢٠٠٠ سفينة أو ١٣٠٠٠ سفينة تقصد موانئ الهند ، ويرفع ٨٣ في المئة من هذه السفن المترددة بين مرافئ الهند أعلامَ إنكلترة .

١٨٤ — سوار من الهند (السيلان)

وإذا كان رخاء الأمة بحسب سرعة مواليدها ، وهذا ما أجادل فيه ، كانت الهند أرغد عيشاً من أيّ بلد في العالم ؛ فلا يعدل بلد آخر الهند في زيادة المواليد ، فالهند التي قُدِّر سكانها بمئة مليون في سنة ١٨٠٠ صارت تشتمل على مئتي مليون من الأهالي في سنة ١٨٧١ ، وقد حدث أن بلغت الزيادة في عشر سنين ، أي بين السنتين ١٨٧١ و١٨٨١ ، اثني عشر مليوناً مع ما أصاب الهند من المجاعات والأوبئة التي تُهلِك ملايين الناس في أوقات معينة ، وفي هذه الزيادة ما ينقض به بعض علماء الاقتصاد ما يزعم الاقتصاديون من أن الأمم الفقيرة وحدها هي التي تتكاثر كالأرانب بعد ما قدّرت البلدان التي تحتوي على أرض واسعة غير عامرة كأمريكة .

ويعيش أولئك الأهالي ، الناشئون القادرون على الصوم عمّا قُسِم لهم ، في الأرياف على الخصوص ، وليس في كلّ قرية من نصف قُرى الهند أكثرُ من مئتي نفس ، ومن النادر أن نرى تجمعات كبيرة في الهند ، فلا تجد فيها أكثر من خمسين مدينة تحتوي الواحدة منها ما يزيد على خمسين ألف نفس

وإذ عدوت مئتي المليون الذين يحكمهم الإنكليز رأساً رأيت في الهند ستين مليوناً من الأهالي يقيمون بممالك يرئسها ملوك مستقلون يراقبهم الإنكليز في حياتهم السياسية ، وأراضي هذه الممالك تعم من سكانها نوعها خُمْس أراضي الهند ، ويُقدَّر دَخْل هذه الممالك بأربعمئة مليون، وتشتمل جيوشها على ٣٥٠٠٠٠ جندي و ٤٠٠٠ مدفع ، وتتفاوت هذه الممالك اتساعاً ، فبينا ترى منها ممالك كمملكة حيدر آباد التي تعدل إيطالية مساحةً مع تسعة ملايين من السكان وثلاثين مليوناً من الدخل ، تجد منها ممالك كمملكة كاتهياوار المؤلفة من قرية واحدة تملكها أحد الرجوات ، وترى في بعض الولايات ، كبرار ، أناساً يلقبون بزعماء القبائل ترى فيهم كما يعجب بعض الناس في أوربة بملوك أو بارون .

تتمتع ملوك تلك الممالك بسلطة مطلقة في تدبير شؤون رعاياهم ، وهم يتقيدون بمعاهدة أوثقت عراهم ألا تعاهدتهم لإنكلترة على ألا تشهر بعضهم حرباً على بعض وألا يتخذوا عسكراً ، وألا يقتنوا أوربيين في بلادهم من غير إذن الحكومة الهندية في ذلك ، ويقيم بعاصمة كل مملكة مهمة من تلك الممالك سفير إنكليزي لا تعدو وظائفه دائرة الشؤون الدبلوماسية ولا يتدخل في الأمور الإدارية إلا في أحوال شاذة ، وبعض تلك الممالك يُعطي إنكلترة جزية وبعضها لا يُعطي شيئاً ، وإذا عدوت بضع ممالك منها وجدتها حديثة وتقوم بأمورها أسر مالكة بدأ سلطانها بعد سقوط دولة المغول .

٢ — التربية الإنكليزية في الهند

إن من أكثر المواضيع، التي توحي بها الهند الحاضرة إلى الباحث، طرافةً وأقلها وقفًا للنظر حتى الآن هو ما يؤدي إليه تطبيق تربية ملائمة لشعب راقٍ على شعب متأخر كالهندوس، وليس في التاريخ، على ما أعتقد، تجربةٌ تمت على مقياس واسع في ذلك كالتي تتم في أيامنا، ومما تعد الأمم الراغبة في إنشاء مستعمرات وفي المحافظة على ما في يدها، على الخصوص، أن تطلع على نتائج هذه التجربة.

تُعَدّ الهند الحاضرة عنوان ما كانت عليه الحال في القرون الوسطى، فتطبيقُ أصول التربية الحديثة عليها هو كتطبيق هذه الأصول على أمم القرون الوسطى لو كانت موجودة في الوقت الحاضر، أي كوصل ما بين هذين العالمين اللذين تفصل بينهما هُوَّةٌ عميقة لما بينهما من اختلاف في المشاعر والأفكار والاحتياجات والمعتقدات، والحقُّ أن هنالك وجهَ شبه بين علم الاجتماع والتاريخ الطبيعيّ في أن الروح، كالجسم، لا تستطيع أن ترتقي من طور ابتدائي إلى طور راقٍ من غير أن تجاوز ما بين هذين الطورين من الأطوار الوسطى، والحقُّ أن شأن التربية كشأن المطعم، فما لاءم منها احتياجات أمة لا يلائم احتياجات أمة أخرى.

أدّى شروع مبشري البروتستان ومحبي الإنسانية في الإنكليز المحتاجين إلى موظفين من الدرجة الثانية في دونهم لإدارة الشؤون العامة في الهند، فعقد الإنكليز النية على فتح مدارس لإعداد مثل هؤلاء الموظفين، ومن الطبيعي أن كان التعليم الذي يناله هؤلاء ملائمًا لما في برامج المدارس الابتدائية بأوربة وأن كان الإنكليز يقومون به.

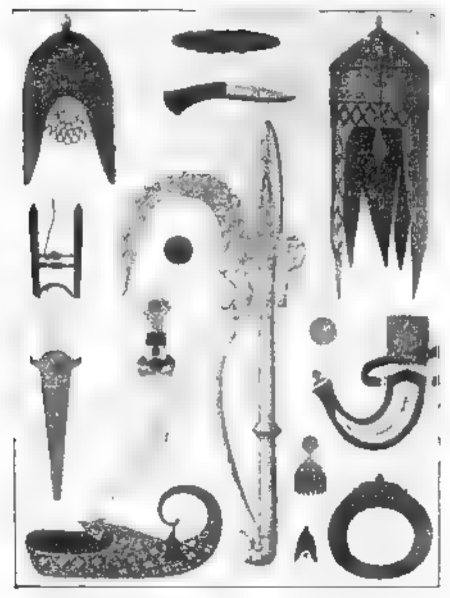

١٨٥ ــ أسلحة وأدوات هندوسية مختلفة : حلي ، خوذة مغولية ، كلاب حديدي مكفت ، يستعمل لسوق الفيلة ، حذاء مرين باللآلئ لأمير مسلم هندي

والهندوس هم الذين يتلقَّون ذلك التعليم بمقدار كبير منذ ثلاثين سنة ، فأسفر ذلك عن ظهور طبقة خاصة شاملة لمئات الألوف من المثقَّفين في الوقت الحاضر

والمُثقَّف الهندوسيّ الذي هو من تلك الطبقة طابع على خلقٍ خاصّ ، ويمكن درس أمره كمرضٍ ذي وصف معين ، ولا شيء كهذا الدرس يثبت خطر التربية الحديثة عندما تُفرض على أدمغة غير مستعدة لتلقيها ، وهذه التربية هي التي تُعَدّ في الوقت الحاضر ترياقاً عاماً .

ولا نرى ما هو أفضل من وصف المُثقَّف الهندوسي بالذي فقد اتزانه عقلاً وخلقاً ، فما حُشر في دماغه من الكلمات يُثير عنده من الأفكار الغربية ما يَعجز عن إدراكه ، وبذا ما يُنظر إلى الشرح الذي لا قيمة له لدى العاجز عن إدراك ما يثيره من الأفكار أو ما يماثلها غدا ذلك المثقف المسكين بالنسبة إلى العالم الجديد الذي فتحته تربيته مصروعة به كالأعمى الذي يُحمل على معرفة الألوان بوصفها له بألفاظ ، ولا شيء يقتضي عدم ترابط أفكاره غير هوسه المتمثل في الكلام بلا هدوء ولا عقل ، فإذا وُجد في إحدى الحفلات وافق أوربيّ سأله بوقار ، ومن غير أن ينتظر جواباً ، عن ترجمة شكسبير على يوس التيراني وعن اضطهاد مليكة إنكلترة للمصر وعن الرواتب التي يكسبها العامل الأوربي في كل سنة وعن اللغة التي يرغب في تدريب أولاده عليها .

ولا أمر يُثير الدَّهش أكثرُ من عدم ارتباط أفكار المثقف الهندوسي ، فليس وشنو وشيوا وجوستنر والتوراة ووليُّ عهد إنكلترة وأبطال الإغريق والرومان والجمهوريات القديمة والممالك الحديثة إلا أشياء ترقص في رأسه رقصَ السرابند في سواء مضحك ، وهو يعتقد أن مليكةَ إنكلترة ووزيرها الأول ووليُّ عهدها ثالوثٌ

مشابه لثالوث برهما وويشنو وسيفا ، وهو تفسير ما عنده من المبادئ الحديثة على حسب مبادئ عرقه الموروثة التي لا يتجه إلا إليها ، والتي لا يستحسن إلا بها ، مع ذلك ، وفق الهوى التي أغرقته فيه تربيته الإنكليزية ، قال العالم الإنكليزي المحترم الأستاذ مونيه وليامز :

« لم يرقني ما أسفرت عنه تربيتنا التي نُطبّقها على الهندوس من النتائج ، فقد وجدتُ بين هؤلاء متعلمين قليلين جداً ، ووجدت بينهم كثيرين من أشباه المتعلمين ، ووجدت معظمهم ناقصي التعلم فاقدي الاتزان ، أجل ، قد يقدر متعلمو الهندوس على القراءة الكثيرة ، ولكنه لا حاصل لما يفكرون فيه

« وهم يثرثرون ، ويُخيَّل إلى الناظر أنهم يقذفون من أفواههم كلاماً ، فيهيمون معانيه ، ويدل كلامهم وحركاتهم على أنهم من القاصرين ، ويُهملون سنتهم ويزدرون آدابهم وفلسفتهم ودينهم من غير أن يكتسبوا شيئاً من صفات الأوربيين ، ويُضيفون إليه ما يقتبسونه منا غير شاكرين ، وهكذا يقضون ما بين أيديهم من الانحطاط بسبب تربيتنا » .

وليس ما أصابت به التربية الأوربية الهندوسيَّ المثقف من انحطاط الخُلق بأقل مما أصابته به من انحطاط الذكاء ، وإني قبل أن أبحث في هذه الناحية أذكر ما قاله عن أحوال الهندوسيِّ المثقف السيدُ مباري الذي ظهر فوق مستوى بني قومه الهندوس فكان كتابه الصغير النفيس عن ذكريات نافعاً لي في غير موضع ، فإليك قول السيد مباري عن نفسه وعن صديقه الذي اشترك معه في إصدار جريدة ، وإصدارُ الجرائد مما يصبو إليه متعلمو الهندوس ، وفيما تتمتع به الصحافة من الحرية ما يشبع هوسهم :

«لم يقف جهل وحشاننا عند حدّ ولكن، ألم يكن من المضحك أن نعتقد أكرم رجال الإمبراطورية به وأن نشعر منهم؟ كتب صديقي (ب) كلمة عن معركة بلاونة ذات يوم سألني عن الباب العالي، فأجبته بأن الباب العالي هو زوجة سلطان الترك المفضلة، فأنبأني صديقي (ب) بأنه كان يظن أن الباب العالي هو خديو مصر عند لاوربس، فمثل هذا كان يتفق لنا في الغالب فنحتمل من جرائه أوزاراً مضاعفة، لما عرفه في العدو وجهة الخطأ عن كلّ ما صاحبه».

يُضاف إلى ذلك الارتباك الفكريّ الهائل لدى الهنديّ الناشئ عن تجريد التربية الأوربية إياه من أيّ خُلُق، فما كان يستند إليه في شبابه من الأُسس الدينية المتينة قد زال إلى غير رجعة، فهو قد خسر إيمان آبائه من غير أن يستبدل به مبادئ تمدّن الأوربيّ، فأخفق صدقه في مراعاة قواعد الأخلاق العامة التي تقتضيه اشتراطيّاً عليه.

ويضطرّ الإنكليز إلى اتخاذ أدقّ ضروب الحذر وما لا حدّ له من الرقابة ليحولوا دون اختلاس مُفتّشي الصندوق، ولا شيء أدعى للعجب من دوائر البريد والنقل في الهند، فلا يصيب الكتاب يُظنّ أنه مشتمل على أوراق ذات قيمة نقدية أو به ما يصل إلى المرسل إليه ما لم تكن قيمته مضمونة، وقد عانيت الشيء الكثير حين سياحتي في بلاد الهند من أجل صناديقي المحتوية على أدواتي العلمية، فقد كان مُفتّشو صندوق الموظفين في الخطوط الحديدية يظنونها محشوّة بالروبيات فيكسرون أقفالها، فاضطررت إلى حفظ أدواتي تلك في ظروف معدنية مُحكمة القفل ووضع هذه الظروف، المكتوب عليها أنها شاملة لحشرات، في صناديق خشبية، فأدى ذلك إلى زهد أولئك الموظفين فيها تحذّراً الخطر.

وذلك الموظف الهندوسي المثقف النذل أمام سادته الإنكليز ذو عتوّ تجاه بني قومه من أصحاب المصالح ، وأولئك الموظفون هم المديرون الحقيقيون للهند ما داموا عمّالاً في الإدارة الإنكليزية ، وما كانوا ليرضوا بذلك ، فتراهم يخدمون حكم الهند في سبيل مآربهم الشخصية .

ذلك هو هدفهم الدائم ، وإذا خلا ثلاثة أو أربعة منهم إلى بعض لم يبحثوا في غيره ، ثم يحتدم الجدل بينهم فلا يساوون القول ثم يسكتون معاً ، وهم إذ ما سكتوا فلأنهم يشعرون بخطر أوربي ، وهذا الأوربي إذا ما دنا منهم تفرقوا من هنالك متهيّبين ، وما أشدّ اشمئزازي حين مقابلتي بين نذالة الموظف الهندوسي المثقف تجاه الأوربي وتصعير[1] خدّه لأبناء أمته ، فالجهل أحسن بكثير من تلك الدناءة والوقاحة .

والإنكليز يعرفون أولئك المثقفين جيداً ، فيعاملونهم بجفاء وعنف لا يدع لهم [illegible] الأحقاد عليهم أول وهلة ، والمهمة التي يكلفهم الإنكليز بها هي مهمة الشرطة التي يلعبون بها حين لا ينفع الوعيد والتهديد ، والناجح إذا ما أقام [illegible] أيام لم يلبث أن يعترف بأن ذلك وسيلة لابدّ منها لحمل أولئك المثقفين على التزام جانب الحشمة والابتعاد عن ضروب الوقاحة ، ومن النادر أن يسمح إنكليزيّ لهندوسيّ من ذلك الطراز بأن يركب معه في حُجَيْرة واحدة من حُجَيْرات مركبات القطار مع أن هذا من أقصى آمال الهندوسيّ ، وقد اعتراني الدهش من هذه الشقة في البداءة ، فقد حدث أن ركب هندوسيّ من أولئك في المركبة التي كنت فيها [illegible]

(١) صعّر خده : أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً

فلما لم يستطع فتىً له أن يدلّني على مركزه الاجتماعي فأسند رجليه إلى ظَهر الصفّة على يحاذي مستوى رأسه ثم أشعل سيجاراً كبيراً وبصق على سقف المركبة وزجاجها ، ولم يكن لينقطع عما يفعل إلا ليسألني بأسخف الأسئلة عن مقامي الاجتماعيّ ووسائل عيشي وعقائدي وما إلى ذلك من الأمور التي جعلت البقاء في حُجَيْرتي أمراً لا يُطاق ، فلما بلغنا أقرب محطة ركب إنكليزيٌّ في حُجَيْرتي تلك فصمت ذلك الهندوسيّ وانكمش عالماً ما ينتظره ، فأمسكه الإنكليزيّ من أذنه وطرده من مركبتنا قائلاً له اخرُجْ !

وليس من الصعب إخضاع تلك الزمرة من مثقفي الهندوس الثوريّ الأعصاب الجُبَناء كالجرذ ، والذين عدَل الإنكليز عن استخدامهم كوَقّادين أو ميكانيكيين أو سائقين لما رأوه من وثوبهم من القاطرات عند الخطر وفرارهم في الحقول طلباً للنجاة ، والخطر إذا ما بدا في خطٍّ حديديٍّ وُجِد موظفو المحطات المجاورة بعد زمن لا ريب ، متسلقين للأشجار أو مختبئين في الغاور أو منكدسين في القرى متحصنين خائفين

ذلك هو أثر التربية الأوربية في شعب غير ناضج ، ويمكن تقدير ذلك بأحسن مما تقدم عند المقايسة بين أولئك المثقفين ومن تخرّج في المدارس المحلية الخالصة ، فهؤلاء يظهرون متّزنين مهذّبين محترمين جديرين بأن يتبوّأوا مقاعد في أرقى مجالس أوربة العلمية على خلاف أولئك المثقفين الوقحين الأنذال .

وترى الإدارة الإنكليزية مضطرة إلى استخدام أولئك المثقفين مع احتقارها لهم لما يتعذر عليها من أن تجد أوربياً يرضى براتب مثل رواتبهم ، والإدارة

الإنكليز، إذا ما احتملهم فلأنهم شرٌّ لابدّ منه، وهذا مع عدم اتساع درجة عداوتهم الكبيرة لها.

ولا أحد مايشغل النظر أكثر من تحويل التربية الأوربية الهندوس الموصوفين بالدّعة في مصر إلى أعداء أشداء للبريطان، ويمكن تمثّل ما وصل إليه حقدهم على البريطان من الحملات التي توجّهها الجرائد المحلية إليهم كلّ يوم، وإذا ما رأى الأجنبي في هذه المسألة يكون موطن شبهة بحكم الطبيعة، وإذا من الشواهد التي يكفي الاستناد إليها تأييداً لدعوى هذه لا تكون مقبولة إلا بكثرتها فإني مستشهد، مرجّحاً، بالأستاذ مونيه ويليامز الذي يعدّ أبناء وطنه الإنكليز أحكامه صائبة جداً في أمر الهند، فاسمع ما قاله في الطبعة الثالثة من كتابه «الهند الحديثة»

«وسعني أن أقول بأن رحلاتي في الهند أثبتت لي وجود هُوّة بين الإنكليز والهندوس تتسع بمجاورتهم بعد ثورة السباهي متعمّدة تمتاً متفشياً، وأعمقُ من تلك الهُوّة الموجودة بين الشعبين في حروب الهند»

وقد لاحظ ذلك الأستاذ أن الهندوس المتعلمين يرمقون الأوربيين تعبيراً مشابهاً لتعبير البرابرة، وأن هذا التعبير لا يكفي للإعراب عن حقدهم الهائل على سادة الهند فقال:

«رأيت أن استخفاف أولئك بحضارتنا ومساً كاستخفاف أجدادهم بالوحوش الفطريين، مع ما لدينا من أسلاك البرق والخطوط الحديدية، فهم يعتقدون تفوقهم علينا خلقاً وديناً وعقلاً».

واليومَ أخذ ذوو البصائر من الإنكليز يدركون مخاطر التربية الأوربية، وإليك

ما قاله أحد حكام الهند سير ألفرد ليل في كتابه «مباحث في طبائع الشرق الأقصى الدينية والاجتماعية»:

«ظاهرةُ الوضع الحاضر في الهند هو أن ننشُر نظريات الحقوق السياسية وسنن النظم التمثيلية بين شعب كان يملكه سادة غيرُ مسؤولين في غضون القرون، وبين أمةٍ، كأمة، مدةً لم تكن له عهد بالحريات المحلية وبعادات الاستقلال مدة من طويلة أو مدة لم يعرفها قط، وفي الهند، حيث لم يتقدم التعليم في وقت إلى أبعدَ مما كان عليه في أوربة في القرون الوسطى، تُطبق أصول التربية الحديثة».

«ومن البديهي أن نؤمن بالتربية كفلسفة السياسة، كمبادئ الاقتصاد في تربية وبين وستيورت ميل في إنكلترة، وأن يقولوا إنها تقوم بدور المسكِّن لنصف عدد الوثوب الاجتماعي والانقلاب الثوري، أو إنها تمنع الشعب من التحول في العواطف الصعبة التي لا تعود ممارستها، ونحن نقول إن التربية العامة إذا وُضعت في غير محلها كانت سبب اضطراب في بعض الطبقات وعاملَ انحلال في النظام الاجتماعي القديم، وذلك كما يرى في الهند التي تقوم الحكومة فيها بنشر التعليم العام مستعينةً بمعلمين من الأجانب الذين يوجّهون همَّهم إلى نشر أحدث النظريات العلمية والسياسية بين شعب لم تؤهله عاداته وثقافته السابقة لتلقّي هذه النظريات وإلى إدخال تربية عصرية خالصة في شعب دام كلُّ تعليمه على الدين منذ أقدم الأزمنة».

أتمنى أن يطالع مثقفو الهندوس أولئك، على الخصوص، في زمن نائب الملك الذي حكم الهند قبل حاكمها العام الحاضر، فنائب الملك ذلك إذ كان مسيحياً مؤمناً قائلاً بأن الناس يولدون بقوة متساوين حقوقاً وذكاءً وبأن من الممكن تحويل مثقفي

الهندوس إلى أوربيين بين عشيّة وضُحاها نال أولئك المتعلمون حُظوَةً لديه ، فما كان أسوأ عدوّ يجلس على عرش الهند ليُسيء إلى إنكلترة بهذا المقدار ، فأولئك المتعلمون الذين أصبح لهم بعض الحقوق النظرية بذلك أخذوا يملأون الصحف المحلية بأعنف الحملات وأشدّ الشكايات ، فالحقُّ أن روسية لو بلغت حدود الهند وقارنت شيء لوجدت المثقف الهندوسيّ حاضراً لرفع راية العصيان في سبيلها ، والحقُّ أن ذلك المثقف المُتذمّرَ ضدّ السلطة الإنكليزية هو كالأرَضَة الخفيّة التي تقرض أسسَ التمثال الهائل

أسهبتُ قليلاً في بيان نتائج التربية الإنكليزية في الهند ، وعلةُ ذلك أنك لا تجد في التاريخ مثالاً أوضحَ من مثال الهند في إثبات الخطر الذي ينجُم عن منح أمة تربيةً غيرَ ملائمة لمزاجها النفسي ، فقد أدّى تطبيق التربية الأوربية على الهندوسيّ إلى تقويض دعائمه السابقة التي تمّت له مع الزمن وإلى إحداث ما لم يعرفه من الاحتياجات من غير أن تمُنّ عليه بوسائل قضائه ، وإلى جعله بائساً عدواً لمن خلّقوه عليه ، حقّاً أن الهندوسيّ المثقف تألم مرارة من سوء حاله ، وحقّاً أن له في الحوادث القادمة ما يقدر به على الانتقام فعلاً لا قولاً ، فيتمّ على يده زوال السلطة التي ربّته .

٣ — مستقبلُ الهند

ليست مسألة مستقبل الهند هي مسألة مستقبل السلطة الإنكليزية فيها فقط ، بل يُنظر لهذه المسألة ، أيضاً ، أمداً أبعد مدى من ذلك ، فعلى الأمر تتوقف نتائج الصّراع بين الشرق والغرب اللذين تفصل أحدَهما عن الآخر هُوّةٌ عميقة ، وفي

قبل أن أتكلم في هذه المسألة في مجموعها أقول بضع كلمات حول مستقبل سلطان الإنكليز الممكن في الهند.

يرى القارئ، المطلع على أحوال الهند الحاضرة، كما بيّناها في هذا الكتاب، أن أمل الهندوسيّ في حكم نفسه بنفسه ضعيف جداً وأنه قُدِّر عليه أن يكون قبضة القابضين من الأجانب.

يعجز الهندوس عن تأليف أمة واحدة عجزَ الأوربيين عن ذلك، ولتنسب شعوب الهند إلى عروق مختلفة ذاتِ مصالحَ متباينة فلا يستطيع الهندوس أن يكونوا إلْباً[1] واحداً على الأجنبي المسيطر، ولنفترض إمكان اتحاد شعوب الهند في الوقت المناسب لطرد عدوّها المشترك، فإذا تمّ لها ذلك لم تلبث أن تتقاتل بعد انتصارها مثل ما وقع عند انهيار دولة المغول حين تمزّقت الفوضى بلاد الهند، فيحتل غزاةٌ من الأجانب فرصة ذلك، فيتحول الهند بتسليط بعض أهاليها على بعض كما صنعوه في كلّ زمن مضى، ولذلك أرى أن كلّ ما يمكن الهندَ أن تطمع فيه هو أن تستبدل بسادتها سادةً آخرين، فلعلها تصبح أحسن حالاً، وهذا ما أشُكُّ فيه.

ويلوح أن سلطان الروس هو الذي يبدو في الوقت الحاضر على الأفق، فهم يتوالون روسية في التقدم إلى الهند، وقد لا يمضي زمن قصير حتى تكونَ على أبوابها، فيعود إلى ممرٍّ كاملٍ، الذي عبّره الفاتحون في كلّ حين، سابقُ شأنه

تحقيق الخطر سادة الهند الحاليين، ولن يستطيعوا تداركه إلا بإصلاح الإدارة،

(١) الإلب: القوم يجمعهم عداوة واحد فيقال: هم على إلب واحد.

ومن حسن السياسة أن سمحوا لأئمة الهند بأن يدافعوا عن منافع الهند القديمة لما هذه المنافع من الشأن الأول فيها وأن يحافظوا على التقاليد والعادات القديمة لولوع الهندوس بمقومات مدنيتهم ، ومن حسن السياسة ألا يمسوا الإيمان القديم وألا ينشروا روح الجدل والشك بتعليم أصول التربية الغربية بدون تبصر ، فلو كان للهندوس فوائد حقيقية من هذه التربية لحملت على حب الإنسانية لدى الإنكليز تغلّب على مصالحهم الخاصة ، ولكن الواقع غير ذلك ، فلم تؤد التربية الغربية إلا إلى سخط الهندوسي على سوء حظه وارتباك في أخلاقه وما إلى هذا مما جعله ضجراً بكل وضع مهما كان أمره

ولم يتعد من ذلك الشر غير أوله ، ولم يصب به سوى بضعة آلاف ، وأما الملايين من الهندوس فلا يزالون واثقين في أنه لم يتبدل من الأمور سوى اسم السلطة العليا ، وأن السلطة العليا هي التي عانوا حكمها في غضون القرون فأطاعوا أمرها أمر لا راد له مقدّرين غير مكترثين له .

وما هو الداء الشديد المفقود الذي يبحث عنه عروق الهند فلمسة حين تنضج الأزمة التي تدرج إليها ذروة حدتها فتصبح أمراً لا يطاق ؟ أيسفر عن بعث إسلامي كما يتمنّاه بعضهم ، والإسلام يسير قدماً في الهند ؟ أم عن دولة أوربية أخرى تنتهز فرصة ما تفترق من الأغاليط ، فتبدو ، كما حل عليه كل شيء ، المنقذ الذي تنتظره النفوس المضطربة بضالته التي لا دليل لها ؟ لا يستطيع أحد أن ينبئ ، لا ريب ، بما قد يحدث في القرن القادم ، وإنما الذي لا شك فيه هو أن معنى الاستقلال الحقيقي سيظل خافياً على الهند عدة قرون أخرى ، فالهند إذ تعودت الخضوع

لسادة من الأجانب منذ زمن طويل كُتِب عليها أن تساعد غير الأوربيين مرةً أخرى إلى أن تصبح آلة بيد عرق آسيويّ مرهوب، فحينئذ يصبح هؤلاء المغلوبون منذ القديم غالبين لنا، على ما يحتمل، مستعينين بإخوانهم من أبناء الشرق الذين يقومون مقامنا في قيادة الشرق سمّاً لسنة الحديدية القاتلة سلطان الأقوى فتهيمن على مقادير الأمم.

ومقامٌ كذلك ستناله أمم الشرق بغير قوة المدافع مع ذلك، فلا بدّ من تغيير نوع الأسلحة بسبب تطور الصناعة الحديثة، فلا تلبث ميادين القتال أن تنقلب إلى أسواق للسلع، وهذه الأسواق، وإن كانت في الظاهر أقلّ سفكاً للدماء من ميادين القتال، أشدّ منها هولاً، وبيان الأمر أن البشرية التي أحدثت الكهرباء والبخار ديناميتها ستدخل دوراً جديداً يكون الصراع فيه من أجل الحياة قاسياً جداً فلا يترك للرحمة مجالاً، وقديماً قال العرب: «لا تنبت العشب على أرض يطأها الترك»، والعشب قد ينبت في الأماكن التي ستشهد ذلك الصراع ولكنه سيكون من النادر أن تكون تلك الأماكن هي التي سيَرْعَى الغالبون مواشيهم فيها.

هنا نصل إلى صميم المسألة التي أشرنا إليها آنفاً فنقول إن مسألة مستقبل الهند أبعد مدى مما نتصوره أول وَهْلة، فعلى هذه المسألة يتوقف مستقبل أوربة في الحقيقة، فلنَدْرُس هذه المسألة الهامة.

ظلّت الهند، منذ أكثر من ألفَيْ سنة، موضعَ طمع كبير لجميع الأمم التي علمت أخبار عجائبها، وانتقلت الهند من سيد إلى سيد على الرغم من الحواجز التي تحميها، ولم يَحُل ما مُنيت به الهند من ضروب المغازي والفتوح دون بقائها على ما

هي عليه في كل حين ، وتشابه الهند أرض الزراعة الحافلة بالأسرار في ترددها لقاهريها .

بيد أن الهند لم تعرف لها سادة من غير الشرقيين إلى أواخر القرن الماضي ، فقد فتحها الأوربيون وخضعت بعضها ، لأول مرة ، أمام شعوب تختلف عن شعوبها أشد الاختلاف ، فيتعذر عليها أن تتمثلها ، ولم تعرف التاريخ منذ أقدم الأزمان مواجهة عنصرين ذلك مدى اختلافهما في أرض واحدة مع كثافة جموع

إنكلترة هي عنوان العالم الغربي بحضارته المعقدة وتقدمه على سنة هندسية ودفعه سريعاً إلى مستقبل مجهول متذرعة بما لديه من القوى الجديدة ، والهند هي عنوان العالم الشرقي الثابت الحائل والناظر إلى الماضي ، لا إلى المستقبل ، مستوحياً أفكار الأجداد والآلهة بلا انقطاع

١٨٦ ــ قطعة من تصوير هندوسي في القرن الخامس على جدار بأجنتا ، وتمثل هذه الصورة محاولة الفنانين أن يجوروا صفحة (تمكن الناظر من أن يتمثل حال التصوير الهندوسي منذ ١٣ قرناً من هذه الصورة مع ملاحظات تصاوير الجدر بأجنتا من القلب)

ويتوقف مصير الهند على نتيجة الصراع الراهن بين الشرق والغرب ، ولا يزال القتال في مرحلته الأولى مع مواجهة ديك العالمين غير مرة في الميدان ، وليس دَحْر العرب من فرنسة ومن إسبانية ومهاجمةُ الغرب في عقر دارهم أيام الحروب الصليبية الهائلة وتدويخُ إنكلترة للهند وسدُّ الصين منيع الذي تصدَّعت للمدافع إلا أنباء حرب بدأت منذ قرون ، غير أن هذه الأنباء لم تكن ، بالحقيقة ، سوى أخبار مناوشات بسيطة إذا ما قيست بالصراع

للرعب الذى تسفر عنه طرق المعايش الحديثة الناشئة عن مبتكرات العلوم فى الوقت الحاضر بحكم الضرورة

أدت سرعة وسائل النقل التى تمخضت عن البخار والكهرباء إلى تقريب المسافات فأوجبت اتصال بعض أمم الأرض ببعض اتصالاً وثيقاً ، فغدا نهران اثنان القسم مجرى الروح البشرية (أى النهر الشرقى الكبير الهادئ العميق كالنيل بطيئاً، والسيل الغربى الصاخب السريع) لا يجريان فى أودية مختلفة ، أجل ، إن التوازن بين المتغربين ، اللذين اختلطت مياههما ، سيعم ذات يوم فى دست العالمين ، ولكنك إذ تبحث فى كيفية حدوث هذه التسوية المختلفة لم تلبث أن تعترف بأنها لن تكون على ما فيه خير الغرب .

وإذا جاز لك أن تدرك النتائج من العلامات الراهنة التى تزيد كل يوم قلنا إن النتيجة الأولى لاقتراب ذينك العالمين بفعل البخار والكهرباء هى تساوى قيم السلع الصناعية والزراعية ، ومن ثمّ تساوى أجور العمال فى الدنيا قاطبة ، ومن الطبيعى أن تُحدَّد مُعدَّل هذه الأجور بحسب ما ينال عمال الأمم الأقل احتياجاً والأرخص متاعاً ، والشرقيون الذين يتألف منهم مُعظَم البشر إذ هم أكثر الناس زهداً وقناعة يكونون بحكم الضرورة الناظمين للأجور فى مزاحمة كهذه ، ومن ثمّ يكونون أكثر الفريقين استفادة من ذلك الاقتراب ، نعم ، قد ترتفع أجورهم عن المستوى الأدنى بنسبة نفقات النقل الضئيلة ، ولكن ما يطرأ على أجور عمال الأوربيين من هبوط سيكون عظيماً جداً لا محالة .

ولا يحتاج الباحث إلى نظر ثاقب ليتبين فى الأفق علائم الصراع بين عالمين ، لا أمتين ، فيؤدى هذا الصراع إلى أشد النتائج هولاً ، فها هو ذا قمحُ الهند يُباع

في أوربة بأرخص من حبوب بلاد فيورث زراع فرنسة بؤساً وقنوطاً[1]، وقد أخذ زرّاع أوربة يفكرون في ترك الزراع مع ما يحلونه من نُظُم الحماية الساحرة، وما أكثر الحقول التي لم تجد لها مزارعين يقومون بزراعتها في مقابل تأديتهم الضرائب المفروضة عليها، وماذا يحدث حينما تتوارى صناعة الغرب أمام أمم تستعين في صناعتها بدنيا من الآلات فتُنتِج سلعاً أرخص مما تنتجه عشرين مرة؟ سيرى للتمدّن، الذي تعوّد إنفاق خمسة فرنكات أو ستة فرنكات مياومةً فيهدّد البنيان الاجتماعي بالهدم لأن أجرته اليومية لا تزيد على ثلاثة فرنكات أو أربعة فرنكات، استيرادَ أرباب الصناعة من الصين الفحمَ الحجريَّ الذي يستخرجه عمال يَعُدّون أنفسهم من السعداء إذا ما نال الواحد منهم أجرة يومية تترجح بين خمسة دوانق وستة دوانق، وقد يأتي زمن على العامل، الذي يُضرِب من أجل رفع أجرته، لا يجد فيه مصنعاً يعمل فيه لما تحتاج إليه مصانع الشرق الأقصى للمُجَهَّزة مثل آلاتنا من ذلك الفحم الحجري والتي يقوم بشؤونها عمال تقِلّ أجرة الواحد منهم عن أجرة العامل الأوربي عشرين مرة فتغمُرُ العالم بما تنتجه غمراً لا يقف أمامه أيُّ حاجز، فمن أجل هذا ومن أجل زوال المسافات ستتساوى قيمُ المواد الأولية والمواد المصنوعة في جميع الأسواق كما أن أجور العمال ستتساوى بحكم الضرورة، فالحقُّ أن المزاحمة تتعذر بين فريقين من البشر تقضي أحدهما كالشرقيين احتياجاته بأجرة تترجح بين أربعة دوانق وخمسة دوانق ويقضي الآخر، كالغربيين، احتياجاته بأجرة تزيد على تلك

---

(١) تقدم زراعة القمح في الهند تقدماً عجباً يحمل على التنبؤ بمآل المخاطر المدهشة الكبيرة فلا حاجة بنا إلى الأرقام، فحسبنا أن نعلم أن الهند التي كانت تنتج منذ عشر سنين هكتاراً ونصف هكتار من القمح صارت تنتج اثني عشر مليوناً في الوقت الحاضر، وأجرة الزارع في الهند إذ كانت منخفضة فلا تزيد على أربعة دوانق في كل يوم فإن قنطار القمح يصل إلى لندن فيباع فيها بسبعة عشر فرنكاً

عشرين مرة ، فلا تكون للخروج من هذا المأزق ، إذ ذاك ، إلا تعديل أجور الفريق الثاني بمعدَّل أجور الفريق الأول.

ولا ريب في أن تلك التسوية العامة التي سنرى تحققها عمَّا قليل (وهي التسوية التي سهل أمرها ، على الخصوص ، بما ذكرته غير مرة مؤكداً في كتبي ، وهو أن القيمة العقلية المتوسطة لدى أمم الشرق ليست دون ما يقابلها من طبقات أهل الغرب) لا تمنع أوربة من أن تكون لديها ما ليس في الشرق من صفوة رجال ، ولكن ماذا تصنع هذه الصفوة الكثيرة الذكاء والقليلة العدد تجاه تلك الجموع الزاخرة التي يتوقف عليها المصير ؟ وهل أنقذت صفوةُ المفكرين والفنانين والعلماء من الإغريق بلادَ اليونان من الفتح الروماني ؟

ولا يتمّ النصر لأوربة في ذلك الصراع الذي يتوقف عليه مصيرها بسبب حالتها الأدبية ، ومشاعرُ مجتمعات الغرب الهَرِم ، كما كانت عليه رومة في دور انحطاطها ، تدور حول الفجور والتمتع بأطايب النِّعَم ، وترى ثقافتنا العقلية نفسها تؤدي إلى ابتعادنا عن أصل نفسيتنا وإلى انسحاب ونقدها وعدم ثباتها وإلى تشكك العام وإلى اندثار عوامل الصبر والعزم فينا ، وفي صفات غير هذه تجد سرَّ قيام الدول العظيمة وسرَّ بقاء هذه الدول ، والغربُ يفقد بالتدريج ما لا يزال متمكناً لدى الشرقيين من حُبِّ الأسرة واحترام الأجداد ومتانة المعتقدات ، وهذه المشاعر هي أساس التئام الأمم مهما كانت قيمتها نسبية ، وهي عواملُ القوة التي استعان بها أولو النفوس العالية في قيادة الشعوب إلى النصر ، فإذا ما توارت هذه المشاعر لم تلبث المجتمعات المستندة إليها أن تنفصم عُراها منقلبةً إلى زُمَر مختلفة المصالح عاطلة من المشاعر المشتركة ، واليومَ تَنْضُر الأديان بنسبة المحافظة على سلطانها في الشرق ، مع وصفنا إياها بالأوهام ،

والتي شيدت باسمها أكبر الدول فتمّ حكمها بها ، تحتضر معبوداتها في الغرب مقداراً فمقداراً، ولم يكتشف العلم بعدُ ما يقوم مقام الآلهة الميتة ، واليوم نعيش بين ماضٍ لا نؤمن به مُوَجِّهين وجوهنا إلى مستقبل لا يزال خافياً علينا

وماذا يكون المَثَل الأعلى الجديد الذي يصلُح أساساً لمجتمعات الغرب القادمة ؟ لا يقدِر أحد على بيان أمره في الوقت الحاضر ، ولا نجد مُعْضِلة أشدّ خطراً وأبعدَ غَوْراً من تلك التي تشغل بال المفكرين ، ولا غَرْو ، فعليها يتوقف كياننا في المستقبل ، ولن تُعَدّ شعوب الشرق التي أمعنّا في ازدرائها من البرابرة بعد اليوم ، ولا يزال منبع النشاط والفُتُوّة الذي يستنفده الغرب في القيام بجليل المشاريع وفي حقل الفكر والعمل راقداً في أمم الشرق الكبرى ، ولن تطول غَفْوة هذه الأمم الشرقية ، فقد دنا وقت يقظتها ، وحان الوقت الذي ستُثير فيه مساوينا وفتوحنا واكتشافاتنا وأفكارنا من إخراج الشرقيين من طور القرون الوسطى الطويل الذي هم فيه ، وحينئذ ينتصبون أمامنا (كما انتصب البرابرة أمام الرومان ، والعربُ أمام العالَم الإغريقي اللاتيني الهَرِم) بمثل ما خسرناه من الحماسة والنشاط والآمال والخيالات ، هنالك تَمْلِكُ العالَمَ ، كما ملَكته في الماضي ، أممٌ ذات مُثُل عالية قوية واحتياجات جديدة ، أقول ذلك وأنا أرى أن على أبنائنا أن يقوموا بعمل جِدّيّ إذا أرادوا البقاء قادةَ العالم زمناً آخر وعدمَ الوقوع بسرعة في الهُوّة الأزلية التي تجرّ بطور الأمور السابقَ والدولَ إليها

فهرس الصور

والخرائط

تنقسم صور هذا الكتاب إلى خمسة أنواع وهي : ١ المناظر ، ٢ أمثلة الفروق ، ٣ من السماء ، ٤ الصور الخلقية (الرسم والحفر) ، ٥ الصور الصحفية .

وأكثر هذه الأنواع هو ما اشتمل على صور التماثيل والمباني ، وهو يكفي لعنى عن العمارة والحفر في الهند منذ البداءة إلى الوقت الحاضر

ولا تجد في أي كتاب سابق صوراً لأكثر التماثيل والمباني التي عرضنا رسومها في هذا السفر ، وقد التقطناها من نحو ٦٠ نسخة ورتبناها على حسب الترتيب المدون في العمل « في السماء » ، وترى هذا الترتيب في الجدول الخاص بالمباني

—

الصفحة

المناظر

الصفحة

أمثلة الفروق

(١) ذكر « رهط من الإيرولا » سهواً فى الصفحة ١٦٢ مع أن الصحيح هو « اثنان من الإيرولا » فوجب التنبيه على ذلك .

فهرس الموضوعات

البـــــاب الأول

البيئة

الفصل الأول
الأرض والأجواء

الفصل الثاني
وصف مناطق الهند المهمة

الفصل الثالث

النبات والحيوانات والمعادن

الباب الثاني

العروق

الفصل الأول

مبحث عروق الهند وتقسيمها

الفصل الثاني

عروق الهند الشمالية أو الهندوستان

الفصل الثالث

عروق الهند الوسطى والهند الجنوبية

الفصل الثاني

صلات الهند القديمة بالغرب

تاريخ الغزوات الأوربية

كيف فتحت الهند

الباب الرابع

تطور حضارات الهنـــــد

الفصل الأول

حضارة العصر الويدي

وصف المجتمع الهندوسي قبل الميلاد بألف سنة

(١) عناصر بحث حضارات الهند ـ التقسيم إلى أعصر ـ الكتب الدينية ـ الحسبان ـ الأساطير ـ أحدوثة حضارة السباح ـ الباني ـ بطوء التطور في الهند ـ لماذا لم تتطور شعوب الشرق تطور الغرب؟ القرون الوسطى عندنا ـ تأثير التقاليد والمعتقدات ـ من أسباب جمود الشرق ـ صلاح شرائعه الدينية والاجتماعية على الدوام بدلاً من فصل بعضها عن بعض كما في الغرب ـ المعتقدات الدينية في الشرق هي أساس جميع نظمه الاجتماعية ـ عناصر التقسيم لمختلف أدوار حضارة الهند ـ التقسيم إلى ستة أعصر ـ (٢) مصادر بحث الحضارة الآرية ـ غموض أصول العصر الآري ـ لم يصل إلينا منه آثار معمارية، ولم يصل إلينا منه غير كتب دينية ـ قيمة كتب الويدا ـ لم تكن هذه الكتب من عمل شعوب فطرية، بل من وضع قرون من الأدباء وعلماء اللاهوت ـ (٣) أصل الآريين ـ مقابلة بين الآريين وقدماء الفرس ـ غموض أصل الآريين ـ الفرضيات الحديثة ـ دخول الآريين إلى الأمم المقهورة حضارتهم ولغتهم، لا دمهم ـ توزع الآريين في الهند ـ (٤) الأسرة عند الآريين ـ كانت الأسرة والعرق أساس المجتمع الآري ـ ارتباط الفرد الوثيق في أجداده وحفدته ـ كانت الأسرة، لا الفرد، أساس الوحدة ـ لم تكن الديانة غير عبادة العرق والأسرة ـ ربط الآلهة بالأجداد ـ أهمية ما يقرب من أرواح الأجداد من القرابين ـ حال المرأة عند الآريين ـ سلطان رب الأسرة المطلق ـ (٥) نظم الآريين السياسية والاجتماعية ـ القرية وبدء الأسرة الكبيرة ـ لا يزال نظام القرية، كوحدة سياسية، باقياً إلى أيامنا في الهند ـ (٦) الحياة عند الآريين ـ مفهومهم طرق معيشتهم ـ الميسر والملاهي والمآتم الخ ـ (٧) مبادئ الآريين اللاهوتية والدينية ـ لا آلهة معينة عند الآريين ـ تشمل كتب الويدا على أكثر المبادئ الدينية

الفصل الثاني

حضارة العصر البرهمي

وصف المجتمع الهندوسي قبل الميلاد

بثلاثة قرون أو أربعة قرون

الفصل الثالث

حضـــــارة العصر البوذي

الفصل الرابع

حضارة العصر البرهمي الجديد

وصف المجتمع الهندوسي نحو القرن العاشر من الميلاد

الفصل الخامس

حضارة العصر الهندي الإسلامي

وصف المجتمع الإسلامي في الهند حوالي القرن الخامس عشر

الباب الخامس

آثار حضارات الهند

الفصل الأول

آداب الهند وفنانها

(١) قيمة آثار الهند الأدبية القديمة – قيمة آثار الهند الأدبية ضئيلة من الوجهة الأوربية – [illegible] آداب الهند – (٢) الفيدا والأشعار الملحمية – الأدب الويدية – مجموعات [illegible] – أنشودة [illegible] الويدية – أنشودة العصر الويدية – أنشودة الشمس الويدية – أنشودة الروح العليا الويدية – أنشودة برهما – أنشودة [illegible] – (٣) القصائد الهندوسية [illegible] الكبرى – [illegible] في الهند – خلاصة ومقتطفات – [illegible] الرامايانا – خلاصة ومقتطفات – هبوط [illegible] – [illegible] المرأة [illegible] – إعلان [illegible] – (٤) الأمثال والأساطير – [illegible] الأمثال [illegible] يكون أهم ما [illegible] – [illegible] – (٥) [illegible] الهندوسي – [illegible] – [illegible] (٧) [illegible] – [illegible] الأمكنة في الهند (٤٤١ – ٤٨١)

الفصل الثاني

[illegible]

[illegible] في السماء في الهند – [illegible] أدوار [illegible] – ظهور [illegible] – (١) [illegible] أصول في السماء الهندوسي – [illegible] – حدول عام لتقسيم [illegible] الهند – (٢) [illegible] الهند في العصر الذهبي (بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثامن بعد الميلاد) – [illegible]

الفصل الثالث

العلوم والفنون

البـــاب السادس

الهند الحديثة

المعتقدات والنظم والطبائع والعادات

الفصل الأول

مزاج الهندوس النفسي

الفصل الثـــاني

ديانات الهند الحاضرة

الفصل الثالث

النظم والطبائع والعادات

الفصل الرابع

الإدارة الإنكليزية

مستقبل الهند